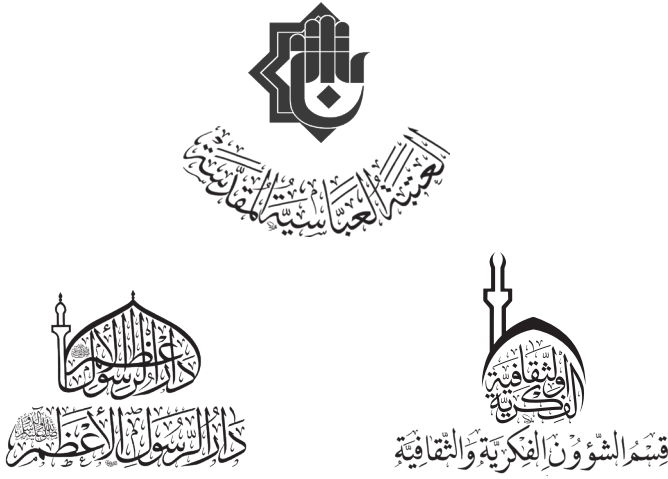




وَاللَّهُ يَسِّرُ الْبَلَاءَ لِمَن يَشَاءُ





العنوان: تنفيذ مزاعم المستشرقين اليهود التوراتية بشأن السيرة النبوية المطهرة

المؤلف: أ.د. عبد الجبار ناجي الياسري

المراجعة اللغوية: دار الرسول الاعظم ﷺ

الادارة الفنية: م.د ياسين خضير عبيس

الإعداد والتحرير: حسن علي عبداللطيف المرسومي / عيسى سالم جواد الكريطي

الإدارة الإلكترونية: م.د. محمد جاسم عبدإبراهيم

التصميم والإخراج الطباعي: أحمد نعمة عبد الكريم / حيدر حسين علي الشريفي

الطبعة: الاولى

النسخة: الاولى

عدد النسخ: ١٠٠

سنة الطبع: ١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

المطبعة: شعبة الطباعة الرقمية

الناشر: العتبة العباسية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية - دار الرسول الاعظم ﷺ

حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسية المقدسة - دار الرسول الاعظم ﷺ

تَفْنِيْلُ مَزَلِ عَمِ الْمُسْتَشْرِقِيْنَ الْيَهُودِيَّةِ التَّوْرَانِيَّةِ

بِشَأْنِ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ

الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي الياسري

الياسري، عبد الجبار ناجي رديم، 1938- مؤلف.

تفنيد مزاعم المستشرقين اليهود التوراتية بشأن السيرة النبوية المطهرة = REFUTING THE PURE PROPHETIC CLAIMS OF JEWISH ORIENTALISTS REGARDING THE BIBLICAL CLAIMS OF JEWISH ORIENTALISTS REGARDING THE PURE PROPHETIC
الدكتور عبد الجبار ناجي الياسري : المراجعة اللغوية دار الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم : الاعداد والتحرير حسن علي عبد اللطيف المرسومي، عيسى سالم جواد الكريطي،-الطبعة الأولى-كربلاء، العراق :
العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، دار الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم،
1448 هـ. = 2026.

399 صفحة : ايضاحيات : 24 سم. (سلسلة السيرة = CHRONICLE SERIES : 27)

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

النص باللغتين العربية والانجليزية : ومستخلص باللغة الانجليزية.

ISBN : 978992260655

1. محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي الاسلام، 53 قبل الهجرة-11 هجري -- دفع مطاعن. 2.
السيرة النبوية -- دفع مطاعن. 3. الاسلام والاستشراق والمستشرقون. أ. العتبة العباسية المقدسة (كربلاء،
العراق). قسم الشؤون الفكرية والثقافية. دار الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، مصحح لغوي. ب.
المرسومي، حسن علي عبد اللطيف، 1975- معد. ج. الكريطي، عيسى سالم جواد، 1997- معد. د. العنوان.

LCC: BP75.2 .N35 2026

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر



الترقيم الدولي المعياري للكتاب

ISBN:978-9922-26-065-5

٢٣١ / 0

٢٥٤ الياسري ، عبد الجبار ناجي .

تفنيد مزاعم المستشرقين اليهود التوراتية بشأن السيرة النبوية المطهرة
عبد الجبار ناجي الياسري – ط١ – كربلاء المقدسة: العتبة العباسية المقدسة.

دار الرسول الأعظم ﷺ ، ٢٠٢٦ .

٤٠٠ ص : ٢٤ سم ، _ (سلسلة السيرة للرسائل والاطاريج الجامعية ؛ ت ٢٧) .

١ – الدفاع عن الرسول محمد (ص) - ٢ - الاستشراق والمستشرقين
أ- العنوان ب - السلسلة .

رقم الإيداع ٣٦٥٤ / ٢٠٢٦

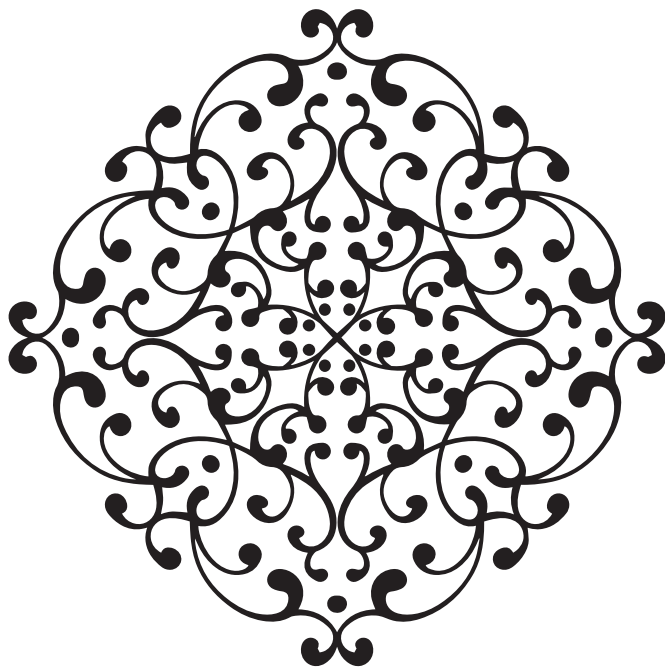
المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦٥٤) لسنة ٢٠٢٦

الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدسة ٥٦٠٠١

رقم صندوق البريد (ص.ب) (٢٣٢)

جمهورية العراق – كربلاء المقدسة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرع الإسلام فسهل شرائعه لمن ورده، وأعز أركانه على من غالبه، فجعلها أمناً لمن علقه، وسلاماً لمن دخله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، ونوراً لمن استضاء به، والصلاة والسلام على نبيه المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطاهرين الطيبين. وبعد:

فقد مثل القرآن العظيم وسيرة النبي الكريم محمد ﷺ المرتكز الذي قامت عليه الدعوة الإسلامية وما تفرع عنهما من علوم شكلت فيما بعد المنطلقات الفكرية التي انماز بها الفكر الإسلامي؛ لذا فقد كانا وما يزالان هدفاً لسهام المتعصبين من رجال الدين النصارى واليهود، فضلاً عن عدد من المستشرقين الذين اتخذوا من تعلم اللغة العربية ودراسة التراث الإسلامي في مراحل المبكرة سبيلاً للطعن في القرآن الكريم وشخص الرسول محمد ﷺ وكل ما يتعلق به.

تمت ترجمة القرآن الكريم من عقول وبأقلام مشوّهة عن قصد أو من دونه؛ بهدف التأثير في العقل الجمعي للمتلقي الغربي خاصة وغير المسلم عامة؛ خدمة لدوافع كنسية وتوراتية وسياسية للنبيل من الإسلام ونبيه الكريم، فضلاً عن ذلك فإن تلك العقول والأقلام قدمت تصورات غير دقيقة للمستشرق الذي لم يتعلم العربية واعتمد ترجمات لاتينية وغربية، وهذا ما أوقعه في شرك مغالطات تلك الترجمات، وهو الأمر الذي تنبه له فيما بعد الباحثون المهتمون بدراسة الإسلام.

عمل المستشرقون المؤدلجون بمؤثرات دينية وعنصرية وحضارية كغيرهم من المستشرقين ذوي الانتماءات الكنسية واليهودية على تقديم دراسات تشكك بنسبة

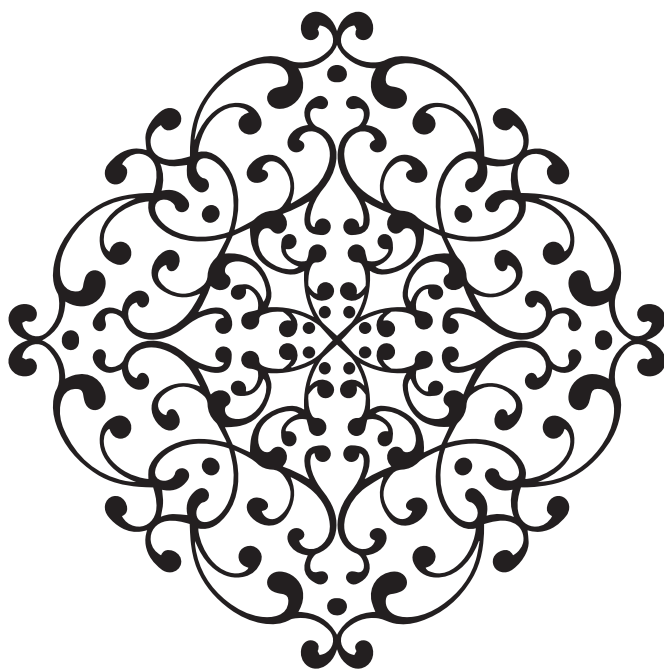
القرآن الكريم إلى الله تعالى، والقول بأنه من نتاج محمد، مؤكدين أن هنالك دورا يهوديا واضحا في تشكل عدد من المقولات وظهورها ضمن القرآن الكريم، فضلا عن ذلك تأكيدهم أن الديانة اليهودية هي أصل الديانات السماوية، وأن التوراة هو كتابها المقدس، وأنه الأصل لكل ما جاء بعده، فضلا عن أن اليهودية تمثل دين الله المختار لشعب الله المختار وهم اليهود.

على العكس من ذلك فإن أطروحة القرآن الكريم تؤمن وتؤكد وحدة الديانات السماوية، وأن مصدرها هو الله تعالى، وأن النبي محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والوارث عنهم، وأن دعوته متممة لتلك الديانات التي تقوم على الدعوة للتوحيد الخالص لله تعالى.

انماز الإسلام بالاعتراف بالديانات السماوية السابقة للإسلام وأخوة الأنبياء والرسل عليهم السلام وأن محمداً ﷺ بعث على فترة من الرسل، فضلا عن الدعوة لحرية المعتقد والحوار بين أصحاب تلك الديانات؛ وصولاً إلى تناغم حضاري يخدم الإنسان والإنسانية، ويحقق رغبة الله تعالى في استعمار الأرض وإعمارها، وتحقيق سبل العيش المشترك وقبول الآخر بعيداً عن تخصيص القداسة بنبي أو شعب دون غيره. ما تقدم حفز العلماء والباحثين العرب والمسلمين فضلاً عن المنصفين من أتباع الديانات الأخرى لعرض صورة حقيقية وواقعية للإسلام عبر قراءات واعية ومنصفة للقرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة، والرد على كل ما قُدم من الأطروحات المشوهة للحقائق بالدوافع المشار إليها آنفاً.

ومع تطور حلقات الصراع الفكريّ والحضاري المؤدلج بين الإسلام والغرب وكل من ينتمي لفكره المتعصب ضد الإسلام والمسلمين تبقى الحاجة لدراسات وأبحاث جادة ورصينة، تقرأ وتحلل وتنقد وتردّ الشبهات والأطروحات الكنسية والتوراتية والاستشراقية؛ لبيان مصدريّة القرآن الكريم وكونه كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ، وأن محمداً هو النبي الخاتم لسلسلة من الأنبياء والرسل المبعوثين رحمة للعالمين، فضلاً عن تنقية سيرته الشريفة مما شابها من تزيف وتحريف عبر عرضها على ما ورد في القرآن الكريم من آيات بينات.

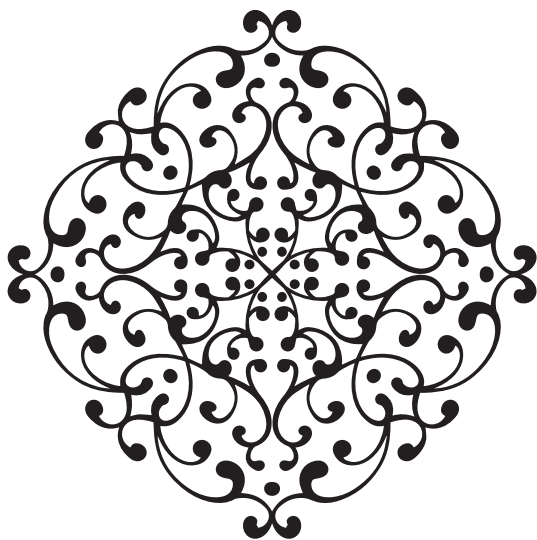
ومن هذا المنطلق تقدم دار الرسول الأعظم ﷺ إلى متابعيها وقرائها الكرام هذا الإصدار المبارك، ضمن سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية الخاصة بمباحث السيرة النبوية العطرة وتدوينها في ضوء القرآن الكريم وما صح من المرويات، إذ تعمل الدار على طباعتها ونشرها آملين أن تنال رضاهم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المحتويات

كلمة دار الرسول الأعظم ﷺ.....	٦
المقدمة.....	١٢
الفصل الأول:	
جذور الرؤية التوراتية للمستشرقين اليهود للقرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة.....	٣٣
الفصل الثاني:	
الرؤية التوراتية في دراسات المستشرقين اليهود المعاصرين بشأن السيرة النبوية المطهرة:	
عرض وتحليل.....	٧١
الفصل الثالث:	
بطلان المسلمات التوراتية للمستشرقين اليهود المعاصرين بما له علاقة بحياة	
رسول الله ﷺ وسيرته.....	٩٧
الفصل الرابع:	
المستشرقون الألمان وغير الألمان ورؤيتهم التوراتية للسيرة النبوية وشخصية رسول الله ﷺ:	
(خاتم الأنبياء).....	١٤٩
الفصل الخامس:	
المستشرقون اليهود ورؤيتهم التوراتية: (خاتم النبيين).....	٢٤٩
الفصل السادس:	
إعادة النظر في الدراسات الغربية عن السيرة النبوية والقرآن الكريم على ضوء	
التطورات المنهجية الحديثة- بحث المستشرق الألماني هيرالد متزكي.....	٣٠٧

٣٦٩.....	الخاتمة.....	
٣٨١.....	المصادر العربية.....	
٣٨٥.....	المصادر الأجنبية.....	
٣٩٥.....	abstract.....	
٣٩٩.....	The word Al Dar.....	



ينبغي علينا ذكر مسألة مهمة هي التي حركت تفكيرنا لكتابة فصول هذا الكتاب، الذي يعكس عنوانه "المستشرقون اليهود والرؤية التوراتية" تفسير التأثير التوراتي بشكل ملحوظ وبارز جدا في كثير من مفاصل السيرة النبوية، بما فيها التأثير في تفسير القرآن الكريم في مواطن كثيرة، وهذا الأمر يثير تساؤلا عن: ما الذي يهدف إليه المستشرقون اليهود منذ انبثاق فكرة الاستشراق ومفهومه في الغرب؟

فنحن لا ننكر أبعاد مفهوم التأثير ومضامينه، والتأثر هو أمر واقع ومشروع ومطبق في جميع الاتجاهات الاجتماعية والإعلامية والحضارية بشكل أساس، ولكن المسألة في المبالغة في عشق المستشرق اليهودي لأن يكون هو -وأعني كتابه المقدس- الأنموذج الذي لا يمكن مضاهاته في معلوماته المتسلطة والمتفردة في علاقته بالمشيئة الإلهية دون غيره من الكتب السماوية الأخرى، فهل هذا المفهوم نابع من اللاوعي الديني بكون الديانة اليهودية هي أم الديانات السماوية وأسها الديني والاعتقادي؟ أم هل يكون مثل هذا الأمر على أن التوراة هو الكتاب الذي ينبغي على القرآن مثلا أن يكون تحت هيمنة آثاره ومبادئه وطقوسه، بل حتى في أنبيائه ومزاميره وتلموده وأسفاره المتعددة؟ وهل يقودنا هذا إلى تشخيص ما يهدف إليه المستشرق اليهودي -ولنقل أبراهام جييجر- في الاعتقاد الاستعلائي المتفرد الذي يتخذ صورة من صور أيقونة دين الله المختار لشعب الله المختار على الأديان والشعوب كافة؟!.

وإنني بوصفي باحثاً في التاريخ أعتقد بهذا اعتقاداً جازماً، وإلا بماذا يمكننا تعليل ذلك غير أنه حالة من حالات الشوفينية الدينية والعقائدية والعنصرية؟! الحقيقة هي أنها فلسفة الأقليات الدينية والقومية غير أن الأمر يفوق ذلك. فالقرآن الكريم ينطق

باستمرار عبر آياته الكريمة بمبدأ الحوار الديني للديانات القائمة آنذاك، لا يفرق بين دين وآخر أو بين رسول أو نبي وآخر، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٦٢، ويقول عزّ من قائل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسَّيْسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ المائدة: ٨٢ - ٨٤، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الحج: ١٧، وفي سورة يوسف: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْتَ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ يوسف: ٣٩، فالديانات مردها جميعا إلى الله الواحد القهار، ولم يميز بين هذا الدين وآخر، واختتم تعالى الأديان بمحمد ﷺ خاتم النبيين. هذا المعتقد الديني عام من دون تفريق ولا تعصب. فهذه الآيات وغيرها عن الأديان التي وردت في القرآن الكريم، تدل دلالة واضحة على عظيم أهمية هذا العلم في مجال الدعوة إلى الله. قبالة هذا فالقرآن الكريم ينطق عن الله تعالى بمبدأ متطور، ألا وهو حرية الأديان على وفق قاعدة سديدة وعالمية؛ ففي القرآن الكريم آيات تدل على حرية الاعتقاد وحرية الاعتناق، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون: ٦ التي يقصد بها لكم شرركم ولي توحيدى، وهي قاعدة أساسية في مبدأ الحرية الدينية من

دون إرغام واستعلائية، فيقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَنْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ يونس: ١٠٨، وهناك آيات أخرى مثل الآية الكريمة: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ الكهف: ٢٩، والآية: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ المائدة: ٤٨، والآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المائدة: ١٠٥، والآية الكريمة: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يونس: ٤١، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ٩٩.

إزاء هذا كله من المعرفة الربانية السمحة والواقعية نرى اليهود -ويهود المدينة المنورة على جهة الخصوص- منعزلين لوحدهم ومنفردين برأيهم وبنظرتهم الحاقدة تجاه الدعوة الإسلامية وتجاه رسول الله ﷺ ومصرين على عدم اعترافهم بنبوته، على الرغم من بنود الوثيقة التي جعلها رسول الله ﷺ منهجا وطريقا لبناء جسور الحرية الدينية والعقدية والاجتماعية بين المسلمين واليهود وأهالي المدينة المنورة ممن بقي على وثنيته ودينه، لكنهم ظلوا مصرين على أحقادهم، إذ إنهم لم يرضوا أن تكون النبوة في غيرهم كما يشير القرآن الكريم وكما تشير المرويات التاريخية. ومن أجل تنفيذ سطوتهم واستعلائهم دخلوا في تحالفات مع قريش الكفار ومع غيرهم، وخططوا للتآمر على رسول الله ﷺ والمسلمين. فضلا عن ذلك فالقرآن الكريم

يحدثنا عبر الكثير من آياته الكريمة عن عملهم الذي لا ينطوي سوى عن الكره للقرآن ولرسول الله ﷺ في تحريف التوراة وتحريف كلام الله تعالى؛ فهاتان الآيتان ١٢ و ١٣ من سورة المائدة تفصحان بجلاء عن موقفهم هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة: ١٢ - ١٣، وهم لم يكتفوا بعملية التحريف اللفظي الذي يعني تغيير الألفاظ، إنما كانوا يُخفون بعض الآيات، ويقرأون بعضها الآخر منفصلاً عن قرينته، كما فعلوا مع آية الرجم.

وهذا ما يُسمى التحريف المعنوي أي تحريف المعنى. وقد ذكر القرآن الكريم قليلاً منهم كانوا صالحين ولم يحرفوا الكلم عن مواضعه، ولم ينسوا ما ذُكِّروا به من كلمات التوراة فجاء في الآيتين ١١٣-١١٤ من سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ آل عمران: ١١٣ - ١١٤. والآيات الآتية يعتقد كونها اتهام لبعض اليهود، بأنهم كانوا يحرفون ما يقوله رسول الله ﷺ وهو يتلو القرآن الكريم ويفسره، فيقول الله تعالى في الآيات ٧٥-٧٩ من سورة البقرة الكريمة:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩)، فهناك فريق من اليهود كانوا يسمعون القرآن الكريم يتلى فيقولون للمسلمين: آمنا ثم حرّفوا كلام القرآن الكريم بعد أن عقلوه. وبحسب تفسير علي بن إبراهيم القمي أنها نزلت في اليهود وقد كانوا أظهروا الإسلام وكانوا منافقين، وكانوا إذا رأوا رسول الله قالوا: إنا معكم، وإذا رأوا اليهود قالوا: إنا معكم، وكانوا يخبرون المسلمين بما في التوراة من صفة رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال لهم كبارهم وعلمائهم: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون، فرد الله عليهم فقال: أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون، ومنهم أميون -أي من اليهود- لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون، وكان قوم منهم يحرفون التوراة وأحكامه ثم يدعون أنه من عند الله فأنزل الله فيهم: فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم، تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ١، ص ٥٠. وجاء في سورة النساء الكريمة في الآيات من ٤٤ - ٤٨ بخصوص اليهود قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا

السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مَنِ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيَّا بِاللَّسْتَنَّهُمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بَمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿ (النساء: ٤٨)، وبحسب تفسير علي بن إبراهيم القمي تعني هذه الآيات الكريمة أنهم ضلوا في أمير المؤمنين، ويريدون أن تضلوا السبيل، يعني: أخرجوا الناس من ولاية أمير المؤمنين، وقال نزلت في اليهود^(١).

كذلك صوّرهم القرآن الكريم في الآيات من الآية ٤١-٥٢ من سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا مَحْزَنَ لَكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلشُّحِّ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ

بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿المائدة: ٥٢﴾،

ويقول علي بن إبراهيم القمي في تفسيره: فإنه كان سبب نزولها أنه كان في المدينة بطنان من اليهود من بني هارون وهم: النضير وقريظة، وكانت قريظة سبعمائة والنضير ألفاً، وكانت النضير أكثر مالا وأحسن حالا من قريظة. وكانوا حلفاء لعبد الله بن أبي، فكان إذا وقع بين قريظة والنضير قتل وكان القاتل من بني النضير قالوا لبني قريظة: لا نرضى أن يكون قتيل منا بقتيل منكم فجرى بينهم في ذلك مخاطبات كثيرة حتى كادوا أن يقتتلوا حتى رضيت قريظة وكتبوا بينهم كتابا على أنه: أي رجل من اليهود من النضير قتل رجلا من بني قريظة أن يحنّيه ويحمّم - والتجنّية أن يقعد على جمل ويولّى وجهه إلى ذنب الجمل ويلطخ بالحماة ويدفع نصف الدية - وأيّ رجل من بني قريظة قتل رجلا من بني النضير أن يدفع إليه دية كاملة ويقتل به، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ودخلت الأوس والخزرج في الإسلام ضعف أمر اليهود فقتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير فبعث إليهم بنو النضير ابعثوا إلينا بدية المقتول وبالقاتل حتى نقتله، فقالت قريظة: ليس هذا حكم التوراة وإنما هو شيء غلبتمونا عليه، فأما الدية وأما القتل، وإلا فهذا محمد بيننا وبينكم فهلّموا لتحاكم إليه، فمشت بنو النضير إلى عبد الله بن أبي وقالوا: سل محمدا أن لا ينقض شرطنا في هذا الحكم الذي بيننا وبين بني قريظة في القتل، فقال عبد الله بن أبي: ابعثوا معي رجلا يسمع كلامي وكلامه فإن حكم لكم بما تريدون وإلا فلا ترضوا به، فبعثوا معه رجلا فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إن هؤلاء القوم قريظة والنضير قد كتبوا بينهم كتابا وعهدا وثيقا تراضوا به والآن في قدومك يريدون نقضه وقد رضوا بحكمك فيهم فلا تنقض عليهم كتابهم وشرطهم، فإن بني النضير لهم القوة والسلاح والكراع، ونحن نخاف الغوائل

والدوائر، فاعتم لذلك رسول الله ﷺ فلم يجبه بشيء، فنزل عليه جبرئيل بهذه الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا - يَعْنِي الْيَهُودَ - سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مُوَاضِعِهِ - يَعْنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَبْنِي النَّضِيرَ - يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا - يَعْنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَيْثُ قَالَ لِبْنِي النَّضِيرِ: إِنْ لَمْ يَحْكَمْ لَكُمْ بِمَا تَرِيدُونَ فَلَا تَقْبَلُوا - وَمَنْ يَرِدُ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسَّحْتِ فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ، وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ *﴾.

وقوله: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا - يَعْنِي فِي التَّوْرَةِ - أَنْ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ *﴾، فهي منسوخة بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى *﴾، وقوله: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ *﴾، لم تنسخ. ثم قال: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ - أَيِ عَفَا - فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ *﴾، وقوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا *﴾، قال: لكل نبي شريعة وطريق، ﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ *﴾، أي: يمتحركم. ثم قال لنبيه: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ *﴾، وهو قول عبد الله بن أبي لرسول الله ﷺ: لا تنقض حكم بني النضير فإننا نخاف الدوائر، فقال الله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ *﴾^(٢).

شهر عن المستشرقين اليهود كونهم الأوائل من المستشرقين الغربيين ممن بادر إلى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة العبرية ثم اللغات الأوروبية. وقد سعى هؤلاء من وراء ذلك بالدرجة الأساس إلى تحقيق أهداف ثقافية ودينية وعقدية، وربما سياسية أيضاً. وحظيت هذه الترجمات بأهمية كبيرة وواسعة في أوروبا والعالم، فأحدثت تياراً علمياً مهماً في الدراسات التاريخية وغير التاريخية؛ ومما لا ريب فيه أن هذه الترجمات قد اشتملت على أغلاطٍ وخَلَط، وفي أحيان تشويه في الموضوعات والمطالب التي يشتمل عليها كتاب الله العزيز. وهو أمر قد أثر تأثيراً عميقاً في الدراسات الإسلامية في الغرب منذ البدايات الأولى للترجمة القرآنية. فكان هناك كثير من سوء الفهم والتسرع في استخلاص النتائج بناءً على مقدمات خاطئة أو مشوهة أو محرّفة من تلك الترجمات، ومن سطحية ناشئة عن الترجمات الخاطئة للقرآن الكريم في أوروبا. وواقع الأمر فقد أدّت هذه الترجمات إلى نشر كمّية هائلة من الأغلاط في النصوص التاريخية التي يدونها المستشرقون وغير المستشرقين، مصحوبة في كثير من الأحيان بالتحريف وخيانة الأمانة العلمية في نقل الموضوعات، ثم وضعت بين يدي القراء في الغالب معلومات مشوّشة وملوّثة. فالباحثون الأوروبيون وغير المسلمين حين يريدون فهم الإسلام وإدراك حقيقته، أو الاطلاع على الوقائع التاريخية، فإنهم من دون شكّ سوف يعتمدون في الغالب على مراجعة القرآن الكريم بمثل تلك الترجمات، وبما أنهم غير قادرين على فهم اللغة العربية ومسائلها وآدابها، فهم مضطرون إلى مراجعة ترجمة القرآن الكريم. ولذلك فإنّ الفهم الخاطئ الناشئ من الترجمات الأولى للقرآن الكريم انتقل إلى المجتمعات غير المسلمة، وظلّ مهيمناً

ومسيطرًا لعدّة قرونٍ على عقلية المستشرقين وعلى إسهاماتهم، فتسبب في حرف اتجاههم عن الفهم الصحيح للإسلام والقرآن وسيرة رسول الله ﷺ. وعليه نشأ البحث في المصادر الأصلية والأوليّة، وفي كتب الصحاح والسنن والمساند وغيرها من المراجع الإسلامية، والمهم هنا أن المستشرقين نهجوا إلى ترجمة أمّات المؤلفات في التراث الإسلامي وإلى مختلف اللغات، وخاصّة إلى اللغة العبرية. وإلى جانب الترجمات العديدة للقرآن الكريم والنصوص الإسلامية، فقد أنجزت دراساتٌ شاملة في هذا المجال.

وكذلك افتتحت مراكز بحوث ومعاهد علمية لتعلم اللغات الشرقية تحمل عنوان «الدراسات الشرقية». وإنّ أول خطوة في طريق الاستشراق والدراسات الشيعية كانت في الغرب وإسرائيل، وبالتدرّج مُهّدت الأرضية لإنشاء الجامعات في هذا المجال.

وبعد أن قدمنا ما ورد في القرآن الكريم من آيات كريمة تنطق بجلاء بلغة التسامح والحرية الدينية والعقدية فضلاً عما أوردناه من آيات كريمة أخرى تظهر بجلاء أيضاً موقف يهود المدينة المنورة من الدين الإسلامي ككل، ومن القرآن الكريم وسيرة نبي الأمة محمد ﷺ، ذلك الموقف الذي صار جسراً لعبور الرؤى والاستنتاجات الحاقدة والتفسيرات المستندة إلى ترجمات القرآن الكريم أولاً، ثم إلى مواقف اليهود، يهود المدينة المنورة من جهة أخرى. فهذا هو المستشرق اليهودي الألماني الراي أبراهام جيغر أو بحسب التلفظ المصري غايغر أو غيغر الذي فُرِصَ عليه من قبل الكلية الفلسفية في جامعة ماربورغ Marburg University في بون في ألمانيا - كما سنعرض ذلك بالتفصيل أدناه - أن يكتب عن التأثير التوراتي في القرآن الكريم، وإبراز ما الذي أخذه أو استقاه، وبحسب تعبير مترجم أطروحته وهو يونغ

Judasim and F M Young الذي ترجمها في سنة ١٨٩٨ إلى الإنجليزية إلى عنوان: « Islam » أي: « اليهودية والإسلام»، في حين كان عنوانه بعد ترجمته من اللغة اللاتينية وهي اللغة الأصل لأطروحة أبراهام جيجر، فجاءت باللغة الألمانية بعنوان: “Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenon بتعبير: borrow، إذ يقول المترجم باللغة الإنجليزية ما نصّه:

It is assumed that Muhammad borrowed from Judaism, and this assumption, as will be shewn later, is rightly based⁽³⁾.

فالمترجم قد ترجم الكلمة الألمانية بالكلمة الإنجليزية borrow التي تحتل في ترجمتها معنى: استقى أو أخذ أو سرق حاشاه الله تعالى أربعة عشر تعبيراً من التوراة فضلاً عن مسائل أخرى أخذها رسول الله ﷺ من التوراة العبرية.

والمستشرق الراي جيجر بنى مبانيه الاستشراقية على أن النبي ﷺ هو الذي كتب القرآن الكريم حاشاه الله تعالى، فالآيات الكريمة التي ذكرناها أعلاه إن هي إلا الدليل الساطع ضد تكهنات الراي أبراهام جيجر وتخريصاته. فكتاب جيجر أو بالأحرى أطروحته للدكتوراه التي كما قلنا توّأ لم تكن بحسب رغبته في الكتابة عن هذه الموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم وسيرة المصطفى ﷺ، إنّما كانت رغبة كلية الفلسفة في جامعة ماربورغ الألمانية في مدينة بون؛ ثم يقول المترجم في استهلاله أو فاتحة ترجمته ما نصّ ترجمته من الإنجليزية: «إنني أخذت على عاتقي ترجمة كتاب الجائزة من قبل الراي جيجر بناء على طلب الموقر رئيس بعثة كامبريدج في دلهي الذي كان يعتقد أن الترجمة الإنجليزية للكتاب ستكون مفيدة له في تعاملاته مع المحمديين. لقد قدم

لي الموقر المشيخي الأمريكي H.D.Griswold جميع الاقتباسات العبرية والعربية، كما قام بمراجعة ترجمتي». فالأطروحة منذ بدايتها توجهت إليها أنظار البعثات التبشيرية الأمريكية على الرغم من أنها مسيحية لا يهودية؛ والسبب الرئيس المعلن صراحة ومن دون تحفظ أنها العامل الأساس في نفعها بالتعامل مع المسلمين في الهند وغيرها من البلدان الآسيوية حيث الكثافة السكانية للمسلمين، والجدير بالتنويه إليه هاهنا أن البعثة التبشيرية الأمريكية تستعمل التسمية نفسها التي كانت تتكرر في كتابات المستشرقين من الجيل الأول، تسمية للمسلمين بالمحمديين. والمستشرق الراي جيجر ربما لم يطرأ على باله أن التخطب الذي تخطب به والذي نصّ عليه هو نفسه بأن المصادر التي اعتمدها في كتابته عن الإسلام كانت شحيحة وفقيرة.

وإنني أعتقد أن السبب في ذلك أنه لم يكن مهتما ورائدا في هذا المجال بقدر اهتمامه وتوجهه -بوصفه رابياً- إلى الشؤون الدينية اليهودية؛ فهو لم يقدم أي إسهام آخر عن موضوع تخصصه، إنّا ولّى هاربا من تخصصه لجهله بما قدم من معلومات. ومع كل هذا نرى المستشرقة اليهودية الأمريكية سوزانا هيشل Susannah Heschel معجبة كثيرا بالراي جيجر إلى درجة أنها جعلته موضوعا لأطروحتها في الدكتوراه، إذ نالت هيشل درجة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا في عام ١٩٨٩، وكان عنوان دراستها لأطروحتها: «أبراهام جيجر واليسوع اليهودي»، الذي نال على جائزة كلية جيجر في ألمانيا وجائزة الكتاب اليهودي القومي^(٤).

Abraham Geiger and the Jewish Jesus 1998، University of Chicago

Press في عام ٢٠١٣ حصلت على زمالة غوغنهايم في دراستها الموسومة "أبراهام جيجر واليسوع اليهودي

Her monograph Abraham Geiger and the Jewish Jesus 1998. University of Chicago Press won the Abraham Geiger Prize of the Geiger College in Germany and a National Jewish Book Award “

في عام ١٩٩٨ من جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية وبعد أن حازت على جائزة إبراهيم جيغر لكلية جيغر في ألمانيا وجائزة الكتاب اليهودي القومي National Jewish Book Award طبعتها مطبعة جامعة شيكاغو. والأكثر أهمية أن البروفسورة سوزانا هيشل أتبعَت دراساتها هذه فأسهمت بعدد من الدراسات والمقالات عن أبراهام جيغر نظير دراستها الموسومة: «أبراهام جيغر وظهور الفيلوسلمزم الفلسفة السامية» في سنة ٢٠٠٨،

Susannah Heschel, “Abraham Geiger and the Emergence of Jewish Philoslamism,” in Dirk Hartwig, et al., eds., ‘In vollem Licht der Geschichte’: Die Wissenschaft des Judentums und die Anfänge der kritischen Koranforschung Würzburg: Ergon Verlag, 2008, 65-86.

وكذلك دراستها الموسومة بـ: «أبراهام جيغر» المنشورة في توبنغن في سنة ٢٠٠٨

Susannah Heschel, “Abraham Geiger,” in Die Religion in Geschichte und Gegenwart Tübingen: Paul Siebeck, 2008, col. 554.

ودراسة بعنوان: “أبراهام جيغر”

Susannah Heschel, “Abraham Geiger,” in Encyclopedia Judaica, second edition, vol. 7 Detroit: Macmillan, 2007, 413-416

ودراسة أخرى بعنوان: «أبراهام جيغر وفشل العلاقات المسيحية اليهودية في

القرن التاسع عشر»

Susannah Heschel, "Abraham Geiger and the 19th-Century Failure of Christian-Jewish Relations," *Kirchliche Zeitgeschichte* 16: 1 2003: 17-36

ودراسرتها باللغة الألمانية الموسومة بـ: «فقه أبراهام جيغر التاريخي وبدايات الدراسات الإسلامية في ألمانيا»

Susannah Heschel, "Abraham Geigers Historistische Philologie und die Anfänge der Islamwissenschaft in Deutschland," in Christian Wiese und Walter Homolka, eds., *Jüdische Existenz in der Moderne: Abraham Geiger und die Wissenschaft des Judentums* Berlin: Walter de Gruyter, 2012, 321-340

ودراسة أخرى باللغة الألمانية بعنوان: «سوزانا هيشل»: ١٨٥٧ الكتاب الأصلي لكتاب أبراهام جيغر الذي يصنع الحقبة وترجمات الكتاب المقدس في تبعيتها. تنشر النسخة اليهودية لأصول المسيحية، في رفيق بيل للكتابة والفكر اليهودي في الثقافة الألمانية، ١٠٩٦-١٩٩٦ نيو هافن: بيل، ١٩٩٧، ١٩٣-١٩٨

Susannah Heschel, "1857: Abraham Geiger's Epoch-Making Book Urschrift und Übersetzungen der Bibel in ihrer Abhängigkeit... Disseminates the Jewish Version of the Origins of Christianity," in *Yale Companion to Jewish Writing and Thought in German Culture*, 1096-1996 New Haven: Yale, 1997, 193-198

ودراسرتها الموسومة: "سوزانا هيشل" أبراهام جيغر حول أصول المسيحية: الإستراتيجيات السياسية لـ *Wissenschaft des Judentums* في عصر الثقاف،" في Menachem Mor, ed., الاستيعاب كعامل في التاريخ اليهودي لانهام: مطبعة جامعة أمريكا، ١٩٩١، ١١٠-١٢٦

Susannah Heschel, "Abraham Geiger on the Origins of Christianity: The Political Strategies of Wissenschaft des Judentums in an Era of Acculturation," in Menachem Mor, ed., *Assimilation as a Factor in Jewish History* Lanham: University Press of America 1991, 110-126

تبحث سوزانا هيشل في كتابها دور الإسلام في ظهور الهوية اليهودية، وتسعى إلى الإشادة بالإرث الأكاديمي لعلماء اليهود الألمان المتخصصين في الدراسات الإسلامية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وكانت المستشرقة سوزانا تعدّ المستشرق أغناس جولدتسيهر - وهو مستشرق يهودي مجري عُرف بنقده للإسلام - أكثر من مجرد باحث بل من أهم الباحثين الأوروبيين المتخصصين في الإسلام. فهو يقف في صف واحد مع غيره من علماء القرنين التاسع عشر والعشرين اليهود الألمان، الذين كانوا يربطون العلاقة الأخوية بين دينهم والإسلام بالفضول والانبهار. في كتابها "الإسلام اليهودي" تسلط الباحثة سوزانا هيشل - المتخصصة في الدراسات اليهودية - النظر على تعايش يهودي إسلامي، يسعى إلى إعادة رسم صورة الحداثة من جديد بعيداً عن التفسير المسيحي للعالم^(٥). وها هو المستشرق اليهودي البروفسور أوري روبين Jewish Orientalist Professor Uri Rubin الذي يعدّ من بين أهم المستشرقين اليهود وغير اليهود في غزارة مؤلفاته عن القرآن الكريم وعن السيرة النبوية المطهرة، إنه أستاذ الدراسات القرآنية في جامعة القدس والذي أفردت لدراسة بحوثه الكثيرة وبالأخص المتعلقة بسيرة رسول الله ﷺ، فالبروفسور في جميع هذه الإسهامات التي وقفت عليها في فصل من فصول هذا الكتاب يشدد على التأثير التوراتي في عدة مفصل من السيرة النبوية المباركة. وهو في هذا الكتاب الصادر في سنة ١٩٩٩ الموسوم: "بين التوراة، العهد القديم، والقرآن: «بنو إسرائيل وتصور الإسلام الذاتي»

والكتاب يشتمل على عشرة فصول موزعة على قسمين. والمستشرق في مقدمة كتابه على صفحة رقم ١ يبين ما يهدف إليه الكتاب فيقول نصّ ترجمته: «يمكن أن يُفهم العنوان بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم أن الكتاب هذا يعنى بتناول تأثير الكتاب المقدس التوراة في القرآن. وهنا -على أية حال- فالعنوان يؤشر إلى أن الكتاب سوف يبحث ويدرس الدور الأدبي الذي أدته التوراة الكتاب المقدس في المصادر الإسلامية، وسوف يركز على الشدّ بين نماذج الكتاب المقدس ونماذج القرآن، كما هو موضح في النصوص الإسلامية التي تصف الاحتكاك والاتصال المباشر بين المسلمين وأهل الكتاب، أي اليهود على وجه الخصوص، والمسيحيون أيضًا، ومن ثم فإن هذا الكتاب سوف يبحث في بعض الجوانب الحاسمة للموقف الإسلامي تجاه الآخر.

إن تقويم التأثير النسبي غير المطلق للتوراة الكتاب المقدس والقرآن الكريم في النصوص الإسلامية هو موضوع لم يكن له سابقة من قبل؛ وغالبية الدراسات التي تتناول العلاقة بين التوراة الكتاب المقدس والقرآن هي في الواقع دراسات قد تمّ إنجازها من وجهة نظر خارجية، وهي تهدف إلى الاستطلاع والتحري عن الطرق والمسالك التي فيها تأثر القرآن الكريم والنصوص الإسلامية الأولى بأدب اليهودية، والمسيحية، وأنواع أخرى من الديانات التوحيدية. وهناك كثير جدا من هذه الدراسات التي ظهرت منذ القرن التاسع عشر، لا جدوى من سردها هنا.

وعلى خلاف من هذه الدراسات، فالكتاب الحالي يبقى ضمن النطاق الداخلي للمصادر الإسلامية ويبحث ويدرس العلاقة بين العناصر التوراتية والقرآنية المتوافرة فيها. وقد تحقق ذلك من وجهة نظر الكشف عن جوانب تطور

الصورة الذاتية الإسلامية، وأقصد الطريقة التي حدد بها المسلمون موقفهم تجاه أسلافهم التوحيديين في تاريخ العالم، ويستند هذا الهدف إلى افتراض أن الطريقة التي استعملت واستثمرت بها النصوص الإسلامية نماذج التوراة الكتاب المقدس والقرآن وهي ربما تعكس التصور الإسلامي لدور اليهود والمسيحيين في تاريخهم، مقارنةً بالمسلمين. كما سيتم دراسة الأدلة وبحثها في بعض الوثائق اليهودية والمسيحية لتوضيح المدى الذي ترك فيه الإدراك التاريخي الإسلامي بصماته على كتابات المؤلفين اليهود والمسيحيين المعاصرين. وهكذا سيكشف الكتاب الحالي أيضاً عن عناصر في الخطاب اليهودي - المسيحي - الإسلامي العام.

يرى المستشرق الإسرائيلي أوري روبين، في كتابه «بين العهد القديم والقرآن: أطفال إسرائيل وتصور الإسلام عن ذاته»، أن هناك دوراً يهودياً بارزاً في تشكل وظهور عدد من مفاهيم القرآن ورؤاه، ويحدد هذا الدور في تشكيل «التصورات الدينية والتاريخية المختلفة للمسلمين» في مرحلة مبكرة من ظهور الإسلام، وهذا يبدو واضحاً - من وجهة نظره - من تاريخ العلاقات بين اليهود والنصارى والوثنيين في شبه الجزيرة العربية بالإمبراطورية البيزنطية عن طريق مملكة «الحيرة» العربية في العراق، والعلاقات بين عرب ما قبل الإسلام وما أسماهم بـ «الإسرائيليين» ويقصد بهم يهود شبه الجزيرة العربية. ويلفت روبين إلى أن يهود بني قريظة وبني النضير أسهموا في تشكيل رؤية القرآن عن الوحدانية والملائكة، ولا سيما جبرائيل وميكائيل، وكذلك تصور المسلمين عن أهمية الصيام وكيفية ممارسته.

هوامش المقدمة:

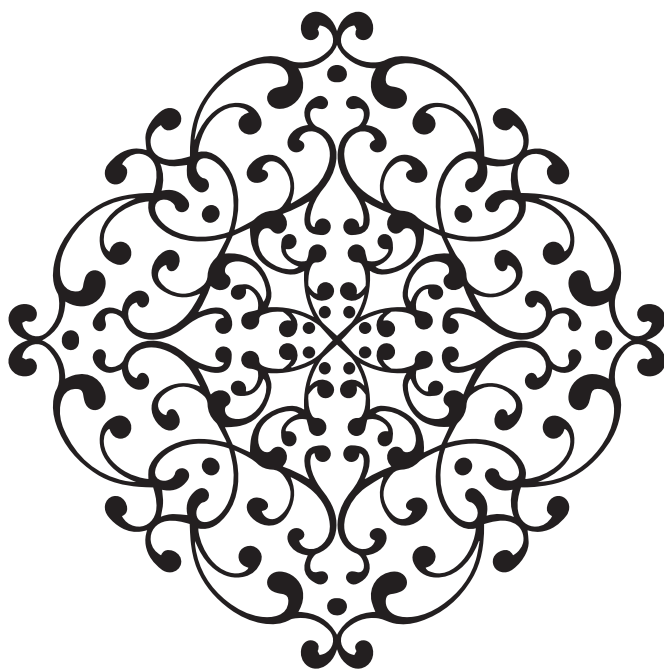
١- أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي؛ تفسير القمي؛ مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف قم المقدسة؛ إشراف المحقق محمد باقر الأبطحي الأصفهاني، طبعة أولى ١٤٣٥ هجري، جزء ١، ص ١٣٩-١٤٠.

٢- م.ن. جزء ١، ص ١٦٨-١٧٠.

3- F M Young, Judasim and Islam, by Abraham Geiger, 1898, P.Preface V

4- Susannah Heschel, Abraham Geiger and the Jewish Jesus, 1998
University of Chicago Press

5- From Wikipedia, the free encyclopedia





جذور رؤية المستشرقين اليهود
التوراتية عن السيرة النبوية المطهرة

إن الجذور الواقعية -تاريخيا- للرؤية التوراتية في تكوين العناصر المؤدية إلى التأثير التوراتي العبري في كثير من مفردات القرآن الكريم، وفي مفاصل عديدة من حياة رسول الله ﷺ قد انطلقت من دراسات المستشرقين اليهود الألمان أولا، ومن دراسات مستشقي أوروبا الوسطى بالدرجة نفسها أو ربما بدرجة أقل.

فالإرهاصات الأولى في وضع هذه الفرضية وهذه الرؤية قد انبثقت على صيغة مؤلفات تتركز بادئ ذي بدء على الدراسات القرآنية وعلى السيرة النبوية المطهرة، جاءت من حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ولعل هناك دراسات أخرى قبل هذا التاريخ، غير أن هذه الموضوعات الرئيسة في التاريخ الإسلامي خلال القرن الأول الهجري بما تشتمل عليه هذه المدة من تطور ونمو للدعوة الإسلامية الحقّة والمعلنة بنجاح رسول الله ﷺ في تأصيل المبادئ الإسلامية المستندة إلى القرآن الكريم ونجاحه ﷺ في تثبيت أسس الدولة الإسلامية وبناء مؤسساتها المتقدمة في منهجها وأهدافها في شريعة سمحة تعبر خير تعبير عن العدالة الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والعقدية بين الناس جميعا على حدّ سواء، منطلقة من الأسس الإلهية التي تؤكد آيات الذكر الحكيم، فقال عزّ من قائل في سورة الجاثية: ﴿وَأَتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجاثية: ١٨، وقال تعالى في الآية ١٣ من سورة الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ الشورى: ١٣، وما جاء في سورة المائدة في الآية ٤٨ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ



جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿المائدة: ٤٨﴾.

فيتبين بوضوح وجلاء أن الدين الإسلامي لم يكن عشوائيا في أهدافه ومراميهِ المعلنة تواء، كما أنه لم يكن ديناً من دون نسب إلهي مبین، فالإسلام مرتبط ارتباطاً إلهياً مع بقية الأديان التي اختار لها الله تعالى رسلاً وأنبياء لا ينطقون عن الهوى كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)﴾ (النجم: ٣-٥). وإنه تعالى قد وضع قانوناً لهذا فلم يتركه سائبا دوناً هدف فاختار محمداً ﷺ خاتماً للنبيين السابقين الذين مثلوا العناية الإلهية حقاً، ومرتبوا ارتباطاً إلهياً وجدلياً بمن سبقه من الأنبياء والرسل، وهكذا تظهر لنا التجليات في وحدة هذه المنظومة الدينية السماوية دوناً تميز أو فرض استتجيات متعصبة لهذا الدين أو ذاك.

ومن هذه القاعدة الصلبة الأساسية في المباني العقديّة للأديان السماوية السمحة نشرع في خطابنا عن الجنبه التي يؤشر لها عنوان هذا الفصل، فالحديث عن إسهام المستشرقين الألمان بخصوص تاريخ القرآن الكريم وعملية جمع القرآن وحياة سيد المرسلين محمد ﷺ هو حديث طويل؛ لأن دراسته قد مرت بأكثر من مرحلتين تاريخيتين متطورتين، إن كان ذلك في الفلسفة أم في المنهج أم في فرض الفروض والرؤى بهيئة نظريات أو تفسيرات لهذا المستشرق أو ذاك، وهي منطلقة من ثقافته، ومعرفته أو عدم معرفته الوثيقة والدقيقة بالمعارف التي تعاملت معها هذه الثقافة والرؤى والفرضيات؛ فكان هذا المستشرق عميقاً في مباني استتجياته، وذاك المستشرق متعصب بعصبية مجردة من دون معطيات وقرائن وأدلة موثوقة لطائفة أو دين أو حزب أو حتى لمصدر وكتاب دون غيره. ولهذا فإننا سوف نتعامل مع طلائع المستشرقين ممن انصرفت اهتماماتهم في بحوثهم ودراساتهم إلى القرآن الكريم وإلى حياة رسول الله ﷺ والسيرة النبوية المطهرة، في العقود الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي. وبكلمة أوضح فإننا في هذا



الفصل الأول سنتعامل مع حقبة ما قبل الحرب الكونية الأولى، أعني المدرسة الألمانية للاستشراق، والعلماء الذين سلّطوا دراساتهم على أمر مهم ومسألة مهمة آنذاك وهي: التأثير اليهودي في رسول الله ﷺ والقرآن الكريم.

عرّجنا في فصل من فصول هذا الكتاب على توجه المستشرقين الألمان واهتمامهم اللافت للنظر بمتابعة الأحاديث والروايات التاريخية الإسلامية المبكرة المتعلقة بالدراسات القرآنية وبدراسة حياة رسول الله ﷺ؛ وتبين لنا أن المستشرقين الألمان كانوا هم الذين تصدرّوا قائمة المستشرقين في مسألة إثارته مثل هذه الدراسات، وكذلك في تحليل الروايات التاريخية والحديثية، وإظهار مدى موضوعية تلك الأحاديث والروايات ومصداقيتها في تدوين أحداث التاريخ الإسلامي في عصره الأول عصر الرسالة، والتشديد على عدم موضوعيتها بشكل عام وليس بالمطلق.

والملاحظ أن اهتمام بهذا الميدان هو اهتمام قديم يرجع إلى منتصف القرن التاسع عشر للميلاد أو إلى نهايته. فلهؤلاء العلماء قدم السبق في تقديم علامات استفهام عن مسائل تتعلق بالوحي وغزوات النبي ﷺ، نظير غزوة يهود بني قريظة وبني النضير وغيرهما، فهل -يا ترى- إن التوجهات الاستشراقية الألمانية في هذا الشأن، أي في الدراسات القرآنية والسيرة النبوية المطهرة تعدّ سمة تميز بها المستشرقون الألمان، وخصوصا اليهود منهم دون غيرهم من المستشرقين في أوروبا وأمريكا؟

الحقيقة علينا أن نلاحظ أمرا مهما في الدراسات القرآنية التي نهّد بها المستشرقون عموما، وفيها له علاقة بعملية جمع القرآن الكريم بشكل خاص، فالدراسات القرآنية منذ حوالي الربع الأول من القرن التاسع عشر قد شهر بها المستشرقون الألمان، والأكثر أهمية أن عددا منهم قد بادروا إلى دراسة معضلة الروايات التاريخية الحديثية المتعلقة بجمع القرآن، وتوصلوا إلى نتائج بعضها حيوي وبعضها الآخر قابل للمناقشة، علما أن كثيرا من تفسيراتهم وآرائهم قد تحولت إلى ما يشابه النظريات من دون أن تكون بمثابة تحدّ

للعلماء العرب والمسلمين، لكن العكس هو الصحيح، فالعلماء العرب لم يردّوا، لا بل بعضهم - وأقصد في أبحاثه - متفق ومردد لتلك الرؤى والتفسيرات.

ففي هذا الخصوص يعدّ البروفسور المستشرق ثيودور نولدكه Theodor Nöldeke أول من بادر في الكتابة عن تاريخ القرآن الكريم وتاريخانية عملية جمع القرآن بحسب الروايات الحديثية. فجدير بنا القول إن ما أبدعه نولدكه لم يكن الأول من حيث تاريخ حصول نولدكه على الدكتوراه في تاريخ القرآن، فضلا عن أن نولدكه قد قدم مقدمة مفصلة عن سيرة المصطفى محمد ﷺ؛ مع ذلك فقد نبّه مستشرقون من أمثال المستشرق الكندي أندرو ربن Rippin Andrew في مقدمته التي سطرها كتقديم للعمل القيم جدا للبروفسور جون ونزبورو John Edward Wansbrough الموسوم: دراسات قرآنية: المصادر والتفسير، Quranic Studies، Amherst: Prometheus Books، 2004 1st edn.1977، فبيّن في دراسته أن هناك مستشقا آخر سبق ثيودور نولدكه في الاهتمام بالدراسات القرآنية وتاريخ جمع القرآن، وهو المستشرق الألماني إبراهيم جيجر Abraham Geiger المولود في برلين في ٢٥ مايس ١٨١٠، والمتوفى في ٢٣ تشرين الأول ١٨٧٤ في فرانكفورت Frankfurt am Main، وقد تخرج هو الآخر في جامعة ألمانية هي جامعة بون Bonn University، وقد اشترط عليه من قبل كلية الفلسفة في الجامعة أن يكتب رسالته وأن يتحرى عن المسألة التي ستكون مجال بحثه، ألا وهي الآثار اليهودية أو بالأحرى الآثار التوراتية العبرية في القرآن الكريم، فما كان على إبراهيم جيجر اليهودي إلّا أن يرضخ إلى هذا الشرط، وربما كان مرغما كما تؤكد أعماله المستقبلية التي لا تتعلق بهذا الميدان، وأقصد الدراسات القرآنية، وذلك من أجل إكمال دراسته في عام ١٨٢٣ م. فكان العنوان الأساس لأطروحته هو: Was hat Mohammad aus dem Guden- thumeW aufgemommen؟، أي ما الذي أخذه أو ما الذي استفاه محمد من اليهودية أو من العبرية. وكتب أطروحته باللغة اللاتينية كما هو الحال في اللغة التي كتب بها



ثيودور نولدكه أطروحته التي كان عنوانها في اللغة اللاتينية هو: *Inquiratur in fontes: Alcorani seu legis Mohammedicae eas qui ex Iudaismo erivandi sunt*، أي تحقيق في ينابيع القرآن المحمدي اليهودية. ترجمة غوغل، عبد الجبار ناجي. التي أوضح فيها أن كثيراً من أقسام القرآن الكريم قد أخذت واقتبست أو استندت إلى الأدب العبري *rabbinic Lirature*، فدراسة جيجر كان هدفها الجوهرى يتفق مع التوجه اليهودي السائد في إظهار مدى تأثير القرآن الكريم بالتوراة العبرية، وهو -بالتالى- عمل ليس في جوهر المسألة الخاصة بجمع القرآن الكريم، إنما ينطوي تحت ميدان الأثر اليهودي الذي نوهنا عنه في بحثنا هذا. وواقعاً فإن دراسته قد شكّلت أساساً راسخاً للدراسات اليهودية والإسرائيلية فيما بعد بشأن هذا التوجه من التأثير التوراتي الذي سنقف عليه لاحقاً^(١).

ومع ريادة المستشرق أبراهام جيجر في الحقل الذي تخصص فيه حول الإسلام واليهودية، غير أن هناك مستشرقاً ألمانيا آخر وهو معاصر للمستشرق جيجر، إذ إنه ولد قبل عامين من مولد جيجر، وولد في مدينة *Sulzburg, Grand Duchy of Baden*، لكنه توفي بعد جيجر بخمسة عشر سنة، *Freiburg-im-Breisgau*، ذلك هو المستشرق غوستاف فيل أو فايل *Gustav Weil*، الذي أنتج عدّة إسهامات قيمة في التاريخ الإسلامى بشكل عام، وفي موضوع سيرة رسول الله ﷺ بشكل أخص، وكان في مقدمة توجهه هذا دراسته عن القرآن الكريم وعملية جمعه بشكل أخص. فالمستشرق غوستاف فيل يعدّ رائداً للتوجه الثانى، بمعنى اتجاه تحليل الرواية الحديثية المتعلقة بجمع القرآن الكريم. وفي الوقت الذي كان فيه إبراهيم جيجر مؤسس التفكير الأول، ولهذا صار المستشرقون الذين أعقبوه يعتمدون على دراسته ويتابعونها في تحقيقاتهم ودراساتهم، كان المستشرق غوستاف فيل مصدراً للمستشرقين الذين حاججوا في مواقفهم مدى الموضوعية والمصادقية في الروايات الإسلامية الحديثية منها والتاريخية على حدّ سواء بما له علاقة بعملية جمع القرآن الكريم.



ومنذ ذلك الحين فإن العلماء الغربيين أصبحوا تواقين إلى التشديد على التأثير اليهودي أو التأثير المسيحي في القرآن والسيرة النبوية المطهرة. ولا مندوحة من القول إن هناك علماء شددوا - إلى حد كبير - على التأثير اليهودي وأن القرآن مدين كثير، إن لم نقل قد اعتمد جدا على العبرية أو اليهودية. فالقرآن الكريم والدراسات المرتبطة بعلوم القرآن الكريم وتاريخية الفكر الديني الإسلامي المستند إلى ما جاءت به الآيات القرآنية الكريمة التي انتفع منها المحدثون والفقهاء وزعماء المذاهب الإسلامية تعدّ العناصر الأساسية في تشكيل تاريخانية جمع القرآن الكريم خلال القرن الأول الهجري من التاريخ الإسلامي. وهناك ملاحظة مهمة في هذا الإطار ألا وهي أن هذه الدراسات الألمانية عن القرآن الكريم لم تكن منطقية - كما يعتقد قسم ممن هو بعيد عن إنجازات المدارس الاستشرافية أو عن تاريخ الاستشراق - تحت سقف الحركات التبشيرية، ذلك الاعتقاد الذي اعتاد المثقفون والباحثون العرب والمسلمون على تطبيقه جزافا عند وصفهم أو عند تحديدهم لمعنى الاستشراق، أو عند تحديدهم للتعريف بمن هو مستشرق؟ ذلك الوصف المعتاد والثابت ألا وهو أن الاهتمام الغربي بالدراسات القرآنية نابع من نشاط البعثات التبشيرية فحسب. فالمستشرقون الألمان الذين بذلوا جهودا علمية ولغوية مضيئة قد بادروا في دراساتهم القرآنية هذه بهدف إرساء دعائم مذهب الشكّية في الروايات المعنية بعملية جمع القرآن الكريم والسيرة النبوية، وفوق هذا بادروا إلى تطبيق المنهج التحليلي والتفكيكي للروايات، مما جعلهم يترددون في مواقفهم في قبول الروايات الإسلامية والأحاديث المتوافرة في مصادر الصحاح والسنن والمسند وفي مؤلفات المصاحف، وفي عدم التصديق بتلك الأحاديث. وواقعا فإن قسما غير قليل من المستشرقين قد وقف ضد هذا الموقف، أعني هذا الرأي الشكّكي في جميع الأحاديث والروايات التاريخية برمتها، والقسم الآخر قد حدّد موقفه بعدم التصديق بالأحاديث الخاصة برواية جمع القرآن الكريم وسيرة نبينا ﷺ فحسب. لا بل قد تطرف بعضهم الآخر في رأيه بعدم



التصديق بهذه الروايات والأحاديث، وقلة أهميتها وأهمية دورها بوصفها مرويّات في أحداث التاريخ الإسلامي، بل وعدم القبول بها لأن تكون شواهد تاريخية واقعية وعملية بخصوص تاريخية عملية جمع القرآن وتاريخية مفصل من السيرة النبوية، بل بلغ الأمر عند بعضهم أن يكون التشكيك عاما في دراساتهم عن تاريخ القرآن الكريم أو عن سيرة رسول الله ﷺ، وهذا يمثل أقصى حالات التطرف.

وكان المستشرقون الألمان في الأصل من المستشرقين اليهود ممن لم يكن من أهدافهم وغاياتهم تحويل المسلمين عن ديانتهم الإسلامية إلى الديانة العبرانية، كما هو الحال في ما كان وما زال يفعل المبشرون المسيحيون؛ إنّما بدرجة أو أخرى كانوا وما زالوا يهدفون إلى التركيز على المؤثرات التوراتية في كتاب الله العزيز، وفي مجمل التفكير الإسلامي الديني والفقهي والمذهبي، وفي السيرة النبوية المطهرة، وفي حياة سيد المرسلين محمد ﷺ، بدءا بأول دراسة نهد بها المستشرق اليهودي أبراهام جيجر Abraham Geiger المستشرق الألماني المعروف بدراساته العديدة عن اليهودية، وفي دراسته الأصلية لنيل درجة الدكتوراه عن رسول الله ﷺ والقرآن الكريم.

ففي عام ١٨٣٢م كتب رسالته الجامعية في جامعة بون كما نوهنا سابقا، وكانت باللغة اللاتينية، وكان عنوانها باللغة اللاتينية، ثم تُرجمَ إلى الألمانية بعنوان: ما الذي تلقّاه - استقاه - محمد من اليهودية؟ - Mohammad aus dem Gudenthume aufgemom-men? Was hat What has، ولعل هذا العنوان يمكن أن يترجم إلى اللغة الإنجليزية بـ: «What has Mohammad borrow from Gudenthume»، وتترجم: ما الذي اقتبسه أو استعاره أو سرقه محمد من اليهودية؟ لأن ترجمة الفعل borrow تقتضي مَنّا ذكر معانيه الأخرى المتعددة؛ وذلك لأن المستشرق يُحتمل جدا - وهو يدرس التأثير اليهودي في القرآن الكريم - أنه يريد من الكلمة borrow إشارة مريضة ومشوهة ينسبها إلى رسول الله ﷺ. حاشاه الله تعالى كونه قد سرق من التوراة أو ما الذي اقتبسه من التوراة اليهودية.

وقد اعترف المستشرقون آنذاك بهذا الكتاب وامتدحوه، وعدّه ثيودور نولدكه مصدرا موثوقا وعملا من الطراز الأول a classic، وترجم كتاب جيجر هذا إلى اللغة الإنجليزية من قبل أف. أم. يونغ F.M.Young، ونشر بالإنجليزية عام ١٨٩٨ بعنوان مختلف وهو: اليهودية والإسلام Judasim and Islam، وهي الترجمة التي تضمنت مقدمة للمستشرق أبراهام جيجر كان قد كتبها في مدينة فيسبادن Wiesbaden في ١٢ من شهر مايس ١٨٣٣. والمعروف أن جيجر عند قبوله في جامعة بون في الكلية الفلسفية منها كان قد طوّل من الجامعة -كشّط أساس لقبوله- أن تكون دراسته معنيّة بالمعلومات الموجودة في آيات الذكر الحكيم، تلك المقتبسة أو المأخوذة من اليهودية، ومن التوراة على وجه الخصوص، فقدّم هذه الدراسة التي نال فيها درجة الدكتوراه في جامعة ماربورغ Marburg University في بون. ثم نال جائزة من مؤسسة تبشيرية مسيحية على الأطروحة، وعلى ترجمتها وإصدارها.

ولم تكن دراسة جيجر دراسة وصفية، إنّما كانت -كما قلنا- دراسة هادفة ومرسومة من قبل الجهة المسؤولة عن تموين الباحث، أي التركيز على المفاصل الدقيقة في كتاب الله تعالى، تلك المقتبسة من التوراة على زعمهم، وكانت دراسته وصفية وتحليلية، وكما أورد مترجم كتاب جيجر إلى اللغة الإنجليزية يونغ F.M.Young في المقدمة التي كتبها جيجر أو في استهلاله لكتابه قوله: «إنه كان ناجحا في عرضه هذه المفاصل من القرآن الكريم؛ لأنه كان متفتحا وذا عقلية غير متحيزة، وفي عدم ركونه -بشكل أساس- إلى ما تعرضه وما تبيّنه مؤلفات التفسير الإسلامية، وكذلك لم يركن جيجر إلى ما كان يعكسه علماء العقيدة عن مدى فهمهم للآيات القرآنية، ولم يتأثر بالمرويات وقصص المؤرخين العرب»^(٢).

اعتمد جيجر في تأليفه -بعد أن دفعه إلى الطبع باللغة الألمانية- على عدّة أعمال ومؤلفات أوربية، تلك التي توافرت آنذ له بخصوص دراسته القرآن الكريم والسيرة النبوية، نظير: كتاب المستشرق البريطاني أدوارد بوكوك Edward Pocock في كتابه Speciae Historiae



Arabum، وكتاب لودوفيكو مراتشي Ludovico Marraacci باللغة اللاتينية الموسوم بـ: «النص الكامل للقرآن» Alcorani Textus Universus، وعلى هيريبولت D'Herbelot في كتابه: «المكتبة الشرقية» Bibliotheque Orientale، وعلى تفسير البيضاوي لسورة يونس، وعلى تاريخ أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هجرية ١٣٣١ م، وعلى تفسير البغوي «معالم التنزيل». ورجع إلى التوراة والتلمود والمدراسم Midrashim، وهو التفسير اليهودي التقليدي للتوراة. واعتمد على المدراسم أو المدراس بغية أن يطرح من مصادره جميع الكتابات اليهودية التي كتبت بعد حياة النبي ﷺ.

ويعدّ كتابه أول خطوة في المشروع اليهودي الفكري الكبير؛ إذ كان جيجر ينشد إلى إبراز كون التوراة اليهودية لها تأثير مركزي في المسيحية والإسلام. وكان رأيه -في واقع الأمر- يذهب إلى أن كلا الديانتين المسيحية والإسلام لا تتمتعان بأي أصالة، لكنها كانا -ببساطة- مجرد عربة لنقل التوحيدية اليهودية إلى العالم الوثني.

وجيجر -بعد كل ذلك- هو حبر راوي يهودي أكثر من كونه عالماً أو باحثاً، كان مسؤولاً عن كثير من مذاهب إصلاح العقيدة اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حتى أن مايكل ماير Michael A. Meyer عدّه المؤسس للإصلاح اليهودي^(٣). وقد وسّع جيجر هذه الدراسة التي كانت مكتوبة في البداية باللغة اللاتينية معتمداً -مثلما نلاحظ في أدناه- على مصادر قليلة منشورة آنذاك باللغة الألمانية؛ وذلك من أجل إبراز تأثير التوراة اليهودية في القرآن الكريم، مبيّناً ما لديه من مصادر حين أعدّ الأطروحة التي تبين ذلك الأثر التوراتي في القرآن الكريم، فهو يقول في استهلاله الأطروحة ما يأتي: «إن المعلومات المتوافرة عندي حينما تحملت أعباء هذه الدراسة كانت مقصورة فقط على النصّ القرآني مترجماً، فضلاً عن تفسير البيضاوي بخصوص السورتين الثانية والثالثة، أي سورة البقرة وسورة آل عمران، وكانت تعود إلى البروفسور فريتاغ^(٤) Freytag.

فالمستشرق -على وفق هذه الأدلة والمصادر الشحيحة جدا، فضلا عن الكتابات اليهودية المتوافرة حينئذ في زمنه- كتب أطروحته مدللا فيها على رؤيته في التأثير اليهودي في القرآن الكريم والسيرة النبوية. وبالصورة التي أتينا عليها حين قرأنا كتابه فهو يسلط الضوء على النتائج التي تمثل أهدافه من وراء دراسته الجامعية التي أريد لها -من كلية الفلسفة في جامعته- التركيز على الأثر اليهودي في القرآن الكريم. فأبراهام جيجر -وبحسب ما يشير إليه عنوان كتابه- يسعى إلى الكشف عن مدى تأثير التوراة the Bible في القرآن الكريم، إذ شرح فيه ما الذي أخذه أو اقتبس الرسول ﷺ من اليهودية وكيف تم ذلك الاقتباس؟. وهو يعتقد أن بعض القصص القرآنية لا تُذكر في أي مصدر آخر عدا التوراة اليهودية. فضلا عن هذا فإن النبي ﷺ قد استعمل المعلومات التي جاء بها اليهود بعد التوراة.

ومن المناسب ذكره أن رؤية جيجر -التي وصفت بكونها مهمة، وتعدّ ظاهرة في مطلع عهد جديد من الفكر- قد تُرجمت إلى اللغة الإنجليزية في عام ١٨٩٦ من أجل أن تساعد البعثة التبشيرية في الهند^(٥). والنقاط الرئيسة التي تناولها جيجر في كتابه هي الآتي:-

١- يذكر على أول صفحة من استهلاله أن الأطروحة كانت في الأصل باللغة اللاتينية وبالعنوان: «Inquiratur in fontis Alcorani ses legisMohammedicae eas، qui ex Judaismo derivandi sunt»، ويوضح هدفه من الكتاب بقوله: «من المفترض أن محمدا قد استعار borrowed من التوراة اليهودية، وأن هذه الفرضية أو هذا الاستنتاج -كما سنبينه أدناه- هو في رأيه حقيقة لا جدال فيها rightly based» .

٢- ثم يقول: «بمقارنة الأقوال اليهودية المأثورة sayings مع تلك الموجودة في القرآن وجد أنها متطابقة، وأن الأقوال المأثورة اليهودية موجودة في الكتابات اليهودية قبل ظهور الإسلام، وأنها كانت موجودة في الكنيس المعبد اليهودي synagogue، ولكن علينا أن لا نتعجل بأن ننسب كل فكرة دينية موجودة في القرآن إلى اليهودية؛ وذلك لوجود عدّة ديانات كانت في زمن ظهور المحمدية»^(٦).



٣- ومن بين الأدلة التي أتى عليها جيجر في متن كتابه بخصوص الكلمات والتعابير التي اقتبسها رسول الله ﷺ من التوراة اليهودية بعدد أربع عشرة كلمة، على كونها انتقلت من الكتابات العبرية rabbinical Hebrew إلى القرآن الكريم، عبد الجبار ناجي. من أمثال: تابوت وترجمها إلى الألمانية والإنجليزية ark، وتوراة وترجمها الشريعة أو القانون Law، وجنة عدن وترجمها إلى الفردوس paradise، وتعبير الفردوس كان معروفا عند العرب قبل الإسلام، والمراد به الأشجار الملتفة على بعضها، ويغلب على تلك الأشجار العنب، عبد الجبار ناجي، وجهنم وترجمها إلى hell، وأحبار ترجمها إلى teacher، ودرس وترجمها إلى exact research، ورباني وترجمها إلى teacher، وسبت وترجمها إلى day of rest، وسكينة وترجمها إلى the presence of God، وطاغوت وترجمها إلى error، وفرقان وترجمها إلى deliverance، وماعون وترجمها إلى refuge، ومثاني وترجمها إلى repetition، وملكوت وترجمها إلى government. وأردف قائلا: "إن هذه الأربعة عشر تعبيراً تلك التي من الواضح والجلي أنها مأخوذة أو مقتبسة من كتابات الأحبار العبرية، تعكس أو تبين كيف انتقلت مفاهيم مهمة جداً من اليهودية إلى الإسلام" (٧).

٤- ومن الأدلة الأخرى التي شخّصها المستشرق جيجر تلك التي تؤكد استنتاجه بشأن التأثير اليهودي في القرآن الكريم والإسلام وسيرة رسول الله ﷺ بصورة عامة، ما عبّر عنه في القسم الثاني من كتابه الموسوم: «آراء أو وجهات نظر عقديّة وأخلاقيّة»، وبما يتعلق بالحياة الدنيا، قد استقاها محمد من اليهودية، تلك التي ترجمها البروفسور يونغ Young إلى اللغة الإنجليزية بتعبير Doctrinal Views، بقوله: «من أمثال تلك العادات والقيم السماوات السبعة، ويوم القيامة، وعقيدة أو مذهب الأرواح، وشكل الوحي وأسلوبه، والقواعد الأخلاقية والشرعية للصلاة، والنساء، وآراء أخرى عن الحياة الدنيا» (٨).

٥- وفوق ذلك يقول المستشرق جيغر: «إن هناك كثيراً من القصص التي استقيت من التوراة اليهودية تتعلق بالآباء من آدم إلى نوح، ومن نوح إلى إبراهيم وموسى وداود David وسليمان»، ويذكر قائلاً: «إن كثيراً من القصص كما هي موجودة في القرآن ليس لها أهمية كبيرة من دون أن يراجع المرء هذه القصص وغيرها في المصدر التلمودي، وهو المصدر الذي استقى منه محمد معلوماته أو أخذها منه»^٩. فكما يرى القارئ اللبيب وجود كثير من المبالغة في آراء المستشرق جيغر في مسألة تأثير كتابات الأحبار اليهود في القرآن الكريم وسيرة رسول الله ﷺ. إذ إنه استند إلى معيار الظن لا التأكد، وهو معيار تخميني يتناسب تناسباً طردياً مع ما يحمله -أو ما سبق له أن كان يحمله- هذا المستشرق أو غيره من المستشرقين وغير المستشرقين من مفاهيم نابعة من مذاهبهم أو اتجاهاتهم العقديّة والمصدرية على حدّ سواء، فضلاً عن أنه يتناسب تناسباً طردياً مع فهمه وموقفه من الإسلام الذي يطلق عليه خطأً اسم «المحمدية»، وهو يدل دلالة بيّنة على سوء موقفه من النبي محمد ﷺ، وذلك بهدف أن يشعر المتتبع والقارئ والمناوئ للإسلام ولنبية العظيم ﷺ أن الدين الإسلامي -بل القرآن الكريم- كان جميعه من صناعة النبي ﷺ حاشاه الله تعالى، وهو النمط الذي كان يفكر ويسيطر على عقلية رجال الكنيسة في العصور الكنسية، وكذلك في العصور الوسطى في أوروبا، إذ كانوا متشبعين بها؛ نتيجة لمواقف رجال الدين الكنسيين من الإسلام والرسول ﷺ. وهذا بينٌ جداً بما تعكسه أقوال المستشرق جيغر في استهلاله الذي سبق أن أتينا على ذكره.

وثمة نقاط ووجهات نظر تعقيبية، بخصوص الآراء السالفة الذكر للمستشرق أبراهام جيغر، لا بدّ من ذكرها هاهنا، نتناولها على وفق الآتي:

١- يذكر مترجم الكتاب البروفسور يونغ Young في مقدمته مقدمة المترجم التي هي في حقيقتها عبارة عن عشرة أسطر ما نصّ ترجمتها: «لقد أخذت على عاتقي ترجمة هذه الأطروحة المقدمة للفوز بالجائزة للراي جيغر Rabbi Geiger بطلب من



المبجل Reverent ليفروي G.A.Lefroy، رئيس البعثة التبشيرية لمؤسسة كيمبرج في دلهي Head of the Cambridge Mission at Delhe، الذي كان يعتقد أن الترجمة الإنجليزية للكتاب ستفيده أو ستنتفعه في كيفية التعامل مع المحمدين -Muham- madans في الهند، بعدها يعبر عن أن المبجل Rev. الأمريكي المشيخي البروتستانتي جرزوولد Griswold H.D. في البعثة الأمريكية البروتستانتية في لاهور قد ساعده في ترجمة المصطلحات والتعابير العبرية والعربية^(١).

فلا جرم من أن المستشرق جيجر يهودي لا مسيحي، غير أن البعثات التبشيرية البريطانية والأمريكية هي التي دعمت ترجمة الأطروحة من اللغة اللاتينية إلى اللغة الإنجليزية؛ لأنها ستكون عنصر قوة لدعم مشروعهم التبشيري، الرامي إلى تحويل المسلمين -الذين كانوا كثراً في الهند وفي دلهي ولاهور والبنجاب وغيرها من المدن الهندية- إلى المسيحية. وبالمناسبة هاهنا فهذا الدافع هو الدافع نفسه الذي حدا بمسؤول -كان مديراً لشركة الهند البريطانية في الهند- إلى ترجمة كتاب دبستان مذاهب من اللغة الفارسية إلى الإنجليزية؛ لأن كاتبه المنشق عن الدين الإسلامي قد ألف الكتاب بدافع الإضرار بالدين الإسلامي وتعاليمه ورسوله محمد ﷺ، وبأن هنالك قرآناً للشيعنة يتضمنن سورتين جديدتين ليستا موجودتين في القرآن الكريم الموجود بين أيدينا وفي جميع العالم الإسلامي، وهي المسألة التي درستها في بحث مفصل نشرته في كتابي: الاستشراق في التاريخ. فكتاب جيجر اليهودي سيكون بالفعل نافعا جدا للحركات التبشيرية؛ لكونه معارضا للإسلام والقرآن والرسول الكريم ﷺ، على الرغم من كونه يهوديا، ولا يرى في المسيحية أي أصالة دينية، كما كان يعتقد جيجر نفسه.

٢- وبحسب ما قاله المستشرق جيجر نفسه، بأنه استند إلى مصادر قليلة جدا، وهذا الأمر يفتقر إلى الجدّة من ناحية منهج البحث العلمي لدرجة الدكتوراه، لذا يمكننا القول بجهل المستشرق وافتقاره -في كتابة كتابه- إلى الجانب المصدري، وهو نقص كبير

في مدى موضوعية آرائه، أو مدى مصداقيتها وصلابتها. فاستنادا إلى كلام المستشرق أنه قال حرفيا -وبحسب الترجمة الإنجليزية- ما نصّه:

The material at my disposal ,when Quran is the first undertook this work,were only the bare Arabic text of the Wahl's transilation of the Quran .

بمعنى «أن المعلومات التي كانت متوافرة عندي عندما أخذت على عاتقي هذا العمل كانت فقط النصّ العربي للقرآن بحسب الترجمة الألمانية». وبحسب قول المستشرق الإيطالي

نلليينو: فإن جيجر اعتمد على ترجمة المستشرق لودوفيكو مراتشي 1612 1700- Louis or Ludovico Maracci، المتوفى في عام ١٧٠٠م، الذي كان يعرف باسمه المفضل لويس مراتشي.

ولما كان جيجر قد اعترف بأنه قد بنى آراءه^(١١) -سواء المتعلقة منها بالقرآن الكريم أم تلك التي كتب فيها عن رسول الله ﷺ - على كتاب أو كتابين ليسا بالأصل العربي، فدعنا ندلي بتوضيح في هذا الصدد: المعروف أن القرآن الكريم قد تُرجم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي، فكان الراهب روبرت الكيتوني Robert of Ketton الإنجليزي قد قام بأول ترجمة أو بالأحرى أول إعادة صياغة للقرآن الكريم، بشكل غير موضوعي وحاقد؛ لذلك فإنه قدّم فيها المعاني بكلمات وألفاظ مختلفة عما كانت هي عليه أصلا موجودة في القرآن الكريم، ومن بنات أفكاره وسوء مقاصده وتخرصاته، ونشرها باللغة اللاتينية عام ١١٤٣، وذلك بطلب أو أمر كنسي من قبل الراهب النشيط الذي يعدُّ العامل الأساس في تأجيج الحروب الصليبية، بطرس الناسك Peter the Ven-erable، وقد وصف المستشرقون عمل روبرت الكيتوني هذا بأنه قد حرّف كثيرا في النصّ القرآني، وبخاصة تلك التي أعاد صياغتها، والتي بالغ فيها كثيرا بقصد الإساءة للقرآن الكريم إلى درجة أنه قدّمه بطريقة بذيئة nasty، ويقول عنه دانيال Daniel .N

في كتابه (الإسلام والغرب صناعة صورة أو مثال)^(١٢) بأنه: «كان دائماً عرضة للمبالغة والزيادة المبالغ فيها في النصوص السليمة وغير المؤذية فيدخل وخزة من البذاءة والفسق أو عدم الالتزام بالقواعد الأخلاقية الصارمة. أو أنه كان يستحسن ويفضل التفسير البغيض والبعيد الاحتمال لمعاني القرآن بدلاً من المعاني والتفسيرات الاعتيادية والشائعة والمحتشمة أو المهذبة».

هذا هو نصّ ما كتبه المستشرق دانيال، فهل يحتاج بعد إلى موقف آخر؟^(١٣). وبعد مدة من ترجمة روبرت المحرّفة والحقودة ترجم عدد من المستشرقين الألمان القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية، فهناك ترجمة قام بها شفايغر Schweigger في سنة ١٦١٦، وأعيد طبعه في سنة ١٦٢٣، وقام المستشرق لانغ Lang بترجمته عام ١٦٨٨ م^(١٤).

غير أن المعلومات تشير دائماً إلى ترجمة لويس مراتشي قبل أن ينهد المستشرق البريطاني جورج سيل في ترجمة القرآن بترجمة تختلف عن الترجمة السيئة التي ذكرناها. ولويس مراتشي مستشرق إيطالي عدّه بعضهم من كبار المستعربين الإيطاليين في القرن السابع عشر، يُعرف بشكل رئيس بنشره وتحقيقه القرآن الكريم، وقد عرف عند الغربيين بأنه قرآن محمد باللغة العربية^(١٥)؛ لأن المستشرقين المبغضين يسمونه كذلك على اعتبار أن رسول الله حاشاه الله تعالى هو الذي ألّف القرآن وهو الذي كتبه. وعرف لويس مراتشي أيضاً بترجمته للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية بعنوان: Alcorani Textus Universus Arabice et Latine، وكان في جزئين، طبعه في مدينة بادوا في سنة ١٦٩٨. وقد ضمّن النسخة المترجمة إلى اللغة اللاتينية موضوعاً عن سيرة النبي ﷺ، زوّده بملاحظات وتفنيدات refutations لآرائه^(١٦)، وأخذ هذا العمل منه قرابة الأربعين سنة من البحث والدرس في الرهبة البنديكيتية، وتشير المصادر إلى أنه اعتمد على بعض مؤلفات التفسير الإسلامية والصحاح والتاريخ، منها تفسير البيضاوي والزخشي وصحيح البخاري وتاريخ أبي الفداء ومؤلفات السيوطي^(١٧).



٣- لا شك في استناد المستشرق جيجر إلى ترجمة لويس مراتشي فحسب، دون غيرها من الترجمات؛ ذلك لأنها كانت باللغة اللاتينية، وهذا يدل على قصور منهج جيجر البحثي؛ لكونه لا يحسن اللغة العربية، وهو يعدّ عنصراً أساسياً في وقوعه في الوهم الذي وقع فيه لويس مراتشي، كما أنه لم يعتمد على الترجمات الألمانية الأخرى للقرآن الكريم التي سبقت ترجمة مراتشي، وسبب ذلك - على ما أعتقد - أن ترجمة مراتشي كانت باللغة اللاتينية، وأطروحته كانت في البدء أيضاً بهذه اللغة، والأهم من ذلك أن لويس مراتشي كان يعرف اللغة العربية؛ إذ وصف بكونه من كبار المستعربين الإيطاليين^(١٨)، وأن المستشرق جيجر كان قد قرأ بعض كتب تفسير القرآن كتفسير البيضاوي على وجه التحديد، واطلع على تاريخ أبي الفداء مختصر تاريخ البشر، فهو - أي المستشرق جيجر - قد ذكر مثلاً أن المصدر الأساس الوحيد الذي وضعه نصب عينيه كان تفسير البيضاوي لسورتين فقط هما سورة البقرة وسورة آل عمران.

وهنا أيضاً أود التعليق بأن لويس مراتشي هو الذي اعتمد على تفسير البيضاوي، وأكد أقول: إنه - أي جيجر - ربما نسخ ما أورده عن تفسير السورتين فقط عن مراتشي؛ لأنه كان يجهل اللغة العربية، قبالة ذلك نراه قد وظّف جميع ما لديه من معلومات عبرية؛ من أجل أن يغطي على شحة مصادره العربية الأساسية والمهمة لدراساته، وعلى اتكائه على ما قدّمه لويس مراتشي. وفعلاً فإنه قال عن هذه المصادر العبرية ما نصّه: «وبما كنت أعرفه من اليهودية والكتابات عنها»^(١٩)، من دون أن يذكر ما هي، كذلك لم يحدّد ما هي هذه الكتابات، وهذا أيضاً يعدّ خطأ في منهج البحث العلمي.

ومع كل هذا، فقد فاز الكتاب في المنافسة، فهرعت إلى طبعه البعثة التبشيرية الإنجليز في دلهي^(٢٠). وبحسب قول المستشرق الإيطالي نلليو، فإن جيجر اعتمد أولاً على ترجمة المستشرق لودوفيكو مراتشي^(٢١). بعدئذ عندما ترجم الأطروحة إلى اللغة الألمانية وسّع قليلاً جداً من قائمة مصادره بالقدر الذي نوهت عنه في أعلاه. وقد



بين الباحث الدكتور سيف الله والدكتور إلياس كريم في بحث لهما بخصوص مصادر جيجر قائلين: «إن تاريخنا بالنسبة إلى الأدب التوراتي اليوم هو أفضل عما كان عليه الحال في زمن جيجر، وإن الكثير من النصوص اليهودية والمسيحية والإسلامية قد تم نشرها الآن. والواقع أن هذه الظاهرة جعلت بعض الأفكار التي تنهاها جيجر قد أصبحت ووفقا للمصادر والنصوص الإسلامية لا تعني الأمور التي قد قيلت سابقا من قبل جيجر»^(٢٢). أمّا بخصوص التعبيرات والكلمات التي أحصاها المستشرق جيجر بأربع عشرة كلمة فقد أحصاها معاصره المستشرق الألماني غوستاف فيل Weil بأكثر من ذلك في بحثه القيم: الكتاب المقدس والقرآن والتلمود أو القصص والأساطير التوراتية عند المسلمين^(٢٣). وكذلك درس المستشرق البروفسور آرثر جيفري Arthhur Jeffery هذه المسألة في كتابه الموسوم بـ: المصطلحات الأجنبية في القرآن The Foreign Vocabulary of the Qur'an، المطبوع في بارودا Baroda في الهند في عام ١٩٣٨، فقد بين في كتابه هذا كثيرا من التعابير والكلمات الأجنبية من: السريانية والقبطية والعبرية والفارسية واليونانية وغيرها في القرآن الكريم، وهو رأي مبالغ به إلى درجة كبيرة، كما سنفصل في دراسته في أدناه، وإنما قصدت من ذكره في هذه الجنبه القول: إن ما افترضه أبراهام جيجر في وجود ١٤ تعبيرًا في القرآن الكريم أصلها من التوراة العبرية مسألة تدل على افتقاره إلى قراءة القرآن الكريم قراءة بعيدة عن التعصب التوراتي.^(٢٤) وفي أدناه صورة لعنوان كتاب جيجر بعد ترجمته إلى اللغة الإنجليزية من اللغة الألمانية، وعليه إشارة بأن ذلك جاء لكون رسالته قد فازت بجائزة a prize essay من الحركة التبشيرية في الهند - دلهي.

Was hat Mohammed
AUS DEM JUDENTHUME
aufgenommen?

Eine von der Königl. Preussischen Rheinuniversität
gekrönte Preisschrift.

Von

Abraham Geiger.
II

2. revidierte Auflage.

Univ of
California

LEIPZIG 1902.

Verlag von M. W. Kaufmann.

NEW YORK
BLOCH PUBLISHING COMPANY

"The Jewish Book Concern"

في الوقت نفسه فإن المستشرق البريطاني الفونسو منغانا Alphonse Mingana ألفونس مينجانا المولود باسم هرمز مينجانا، السرياني: ܡܝܢܓܢܐ، في عام ١٨٧٨ م في شارانيش، وهي قرية بالقرب من زاخو في العراق، وتوفي في ٥ ديسمبر ١٩٣٧ م في برمنغهام، إنجلترا، كان لاهوتيًا آشوريًا ومؤرخًا وسريانيًا. عمل قسًا واشتهر بجمع وحفظ مجموعة Mingana للمخطوطات الشرق أوسطية القديمة في برمنغهام. وشأنه كشأن غالبية الآشوريين في منطقة زاخو، كانت عائلته تنتمي إلى الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية. وُلِدَ ألفونس لأبوين بولس ومريم نانو، قد أُلِفَ في دراسته عن التأثير السرياني في القرآن الكريم بأن هناك مائة كلمة وتعبيرٍ أجنبيٍّ في القرآن، ونسبها المثوية هي: الحبشية ٥٪ من هذا الرقم، والعبرية ١٠٪، واليونانية والرومانية ١٠٪، والفارسية ٥٪، والسريانية ٧٠٪ (٢٥).

عند البحث في مسألة جمع القرآن الكريم وتاريخ الوحي، صار من البدهي أن يبدأ العلماء في الغرب في بحوثهم وحديثهم عن القرآن الكريم بآبراهام جيجر في كتابه الأنف الذكر. ولعله من المحتمل القول: إن مؤلف جيجر يعدّ من بين العوامل الحقيقية في جعل القرآن الكريم أمراً مألوفاً عند قرّائه، وأعني بذلك علاقته أو قرابته الوثيقة جداً بالكتاب المقدس the Bible كما أكد جيجر. فهذا الكتاب القديم الذي ينطق بلسان «خاتم النبيين»، وفي القرآن الكريم كثير من الآيات الكريمة التي تؤكد - بشأن لا جدال فيه - أن بني إسرائيل قد حرّفوا في التوراة في كثير من المواطن، فحلّلوا ما حلّلوا وحرّموا ما حرّموا، لذلك بات من البين أن آراء جيجر بما له علاقة بنظريته إن هي إلا آراء متعصبة دينياً، ومن باب نكران الذات لأنبياء العهد القديم، إذ إن الكتاب في نسخته الأصلية نصّ على نصوص كثيرة، لكنها شوهت وحذفت من قبل اليهود منذ حقبة مبكرة من التاريخ الإسلامي. غير أن جيجر ومن سار على نهجه المتعصب لليهودية، من أمثال هرشفيلد Hartwig Hirschfeld ١٨٥٤ - ١٩٣٤ اليهودي الذي كان متعصباً ضدّ

الإسلام، فإنه يصّر في بحثه باللغة الألمانية الموسوم بـ: إسهامات جديدة في تفسير وشرح القرآن New Researches into the Composition and Exegesis of the Ko-ran ١٩٠٢ على أن يثبت الفكرة ومفادها: أن من يقرأ الخطابات في القرآن، وبالأخص تلك التي في السور الأخيرة، لا يخرج إلّا بنتيجة مفادها: «أن هذا هو الكتاب المقدس the Bible لا غير متناسين ما جاء في التوراة على أن نبينهم هو ليس خاتم الأنبياء».

والأبعد من ذلك أن هرشفيلد يذهب إلى أكثر من ذلك فيقول: «إن من أكبر المشاكل التي تجابهنا هي أن نتحقق عن أي تعبير أو فكرة قد أخذها أو اقتبسها محمد من الآخر؟ وكيف تعلّمها؟ وإلى أي مدى حرّف أو بدّل بهذه الفكرة وبهذا التعبير أو ذاك من أجل أن تلائم نواياه وأغراضه الخاصة؟»^(٢٦).

وسنقف إن شاء الله تعالى على آراء هرشفيلد المتعصبة والحاقدة، وندحض جميع آرائه على وفق الأدلة التاريخية بشكل مفصل في فصل من فصول هذا الكتاب، ولكن من اللازم علينا أن نقف من آراء جيجر وغيره ودحضها على الوفاق الآتي:

مع أن هذه النقطة غير موجهة بشكل مباشر إلى كتاب جيجر بالدرجة الأولى، لكنها تعدّ مسألة مهمة بخصوص تسليط الضوء على واقعية معلوماته التي أوردها في هذا الكتاب، فالمعروف أن المستشرق المبشر البريطاني في الهند كليز تسدال قد اعترف بأنه قد استعار أو اقتبس كثيرًا من معلوماته عن قصة هابيل وقابيل ابني النبي آدم (عليه السلام) من كتاب أبراهام جيجر، وربما من النسخة الألمانية Was hat Mohammed وليست اللاتينية أو الإنجليزية. وبما يرى أن أجزاءً من هذه القصة قد أخذت أو استعيرت من العبرية أو من التوراة، وبالذات من ترجمة يونانثان وهي الترجمة الآرامية لجزء من التوراة، ويونانثان هو ابن شاول وصديق النبي داود، ومن ترجمة أورشليم، ومن المشنا أي مجموعة القوانين غير المكتوبة التي تشكل أساس التلمود، تلك التي جمعت في سنة ٢٠٠ م، والسنيهدريم المجلس الأعلى القديم عند اليهود.

فبحسب قول جيغر إن قصة قتل هابيل في القرآن الكريم مقتبسة من التوراة، غير أن المحادثة التي جرت بين قابيل وهابيل في القرآن الكريم التي سبقت عملية القتل مقتبسة ومأخوذة من ترجوم أورشليم والمعروف بيوناثان الكذاب، وفي القرآن الكريم إن الله تعالى بعث غرابا فحفر الأرض ليظهر لقابيل كيف يوارى جثة هابيل، فيرى جيغر أن هذا المقطع من القصة يتضح بشكل أكثر عند الرجوع إلى مشنا السنهدريم. وإن جيغر قد مرّ مروراً سريعاً على تلك المحادثة بين قابيل وهابيل المذكورة في ترجوم أورشليم، والتي وردت في القرآن الكريم كما يزعم، كما أنه لم يقدم أي ادعاء بالنسبة إلى حالة التشابه بين القصتين، ولا إلى موضوع النسخ.

وهذا الأمر يسبب نوعاً من المشكلة ألا وهي: إن كان كلاهما جيغر وتسفال قد قالا بأن القصة المذكورة في ترجوم أورشليم، والموجودة في القرآن الكريم مختلفتان بشكل ملحوظ بين الواحدة منهما والأخرى، وأن ذلك لم يكن راجع إلى مصدرهما الأساس القرآن الكريم. فلماذا كان ابن الوراق ودعاية البعثات التبشيرية متحمسين جداً للادعاء بأن القصة الموجودة في القرآن الكريم قد اقتبست فعلاً من ترجوم يوناثان الكذاب؟ ونحن إذ نتقدم بشكرنا الجزيل على الملاحظة هذه التي في البحث المعرفي الممتاز للدكتور سيف الله ومجموعة باحثين. ويستمر الحال على أن ذلك أمر محير أن يقتبس تسفال من كتاب جيغر مسألة فيها اختلاف بين، غير أن الأمر قد يقود إلى أن بعض الدراسات الحديثة قد وجهت نقداً إلى كتاب جيغر باللغة الألمانية، فهناك المستشرق ستلمان Stelman Norrman قائلاً -من بين انتقاداته المتعددة- ما يمكن ترجمته اعتماداً على بحث سيف الله: «قد يتجه مثل هذا إلى أن يقدم رأياً مبالغاً فيه عن الإسهام اليهودي أو عن التأثير اليهودي في القرآن، فكثير من الروايات أو الأحاديث التي أوردها هي مسيحية شرقية، فضلاً عن أدب التلمود والأدب الأسطوري من التلمود. وواقعياً فإن تاريخنا للأدب الرباني أي العبري المتأخر، أي العبرية التي استعملها الأخبار في كتاباتهم هو معروف لدينا الآن أكثر

من معرفتنا بكتاب جيجر، وتضم هذه المصادر معلومات أكثر بكثير من تلك الموجودة في المصادر الإسلامية واليهودية والمسيحية، وعن هذا الطريق يمكننا الآن معرفة أن بعضاً من الأمثلة عن ما كان يعتقد به من تأثير الأدب اليهودي الذي استعمله الأخبار في النصّ الإسلاميّ يحتمل جداً أن يكون العكس منه تماماً، فعلى سبيل المثال: إن Pirque de Rab- bi Eli'ezer يبدو أنه قد صيغ أو نقح بعد ظهور الإسلام»^(٢٧).

إذن فهل هذا يعني أن البعثات التبشيرية ليس بإمكانها التأسيس على أن مصدرها عن هذه القصة ألا وهو Pirque de Rabbi Eli'ezer، فإن هذه البعثات التبشيرية تتفق مع أطروحة ستيلمان على أن مصدر هذه القصة قد استند إلى مدراش تنوخوما Midrash Tanhuma المدرّش هو التفسير اليهودي التقليدي لليهود، وعلى هذا الأساس يطرح تساؤل هو: هل سترهن أطروحة ستيلمان على أن النصوص اليهودية لم تكن المصدر الذي عوّل عليه أبراهام جيجر لتكون هي المصدر اليهودي الذي تأثر به رسول الله ﷺ وما ورد في القرآن الكريم في هذا الصدد؟^(٢٨).

١ - أما بخصوص رأي أبراهام جيجر ومن تأثر بآرائه بأن هناك أربع عشرة كلمة أو تعبيراً اقتبسها النبي ﷺ من التوراة العبرية وقد وردت في القرآن الكريم وهي في الأصل من اللغة العبرية، أقول مبدئياً: إن جيجر - وكما تبين بجلاء - مما تقدم ذكره جهله باللغة العربية وبالقاموس اللغوي العربي - ولهذا فإنه أخذ بمبدأ التعميم. فهو أولاً يخالف ما جاء في القرآن الكريم من آيات كثيرة تؤكد أنه إنّما نزل بلغة قريش، وأنه قرآن عربي، وقد تحدّى القرشيين الكفار أن يأتوا بسورة واحدة أو بعشر سور مثلها، ناهيك عن اتفاق كل من كتب عن لغة القرآن الكريم وإعجازه وأسلوبه ومحتواه من علماء اللغة العربية وإجماع اللغويين على وصف اللغة العربية بكونها لغة واسعة في مفرداتها وأصولها التاريخية واللغوية وفي معانيها، يُدرّكُ من هذا أنها لا تحتاج إلى أن تقتفي أو تقتبس كلمة أو تعبيراً متوافراً في التوراة أو التلمود لتقتبسه منها، أليس هذا صحيحاً؟، فكلّمة أخبار



-مثلاً- ترجمها مترجم كتاب جيجر بالكلمة الإنجليزية teacher، غير أن الحبر في الفكر التاريخي هو العالم، وهو لقب يطلق على عالم الدين أو رئيس الكهنة عند اليهود والبطريرك عند النصارى، وحبر الأمة عالمها، وبحسب تفسير الطبري فإن الأخبار هم العلماء والقراء من بني إسرائيل من اليهود والنصارى، فالكلمة لا تعني المعلم إنما العالم، فضلاً عن كونها مستعملة عند العرب، قبالة هذا هناك عدد من التعبيرات لا يختلف عليها أحد أن جذرها الثلاثي عربي بحت، نظير السكينة من أصل سكن يقول الله تعالى في محكم كتابه في سورة التوبة آية ١٠٣: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، كذلك كلمة تورا وترجمها مترجم كتاب جيجر إلى الكلمة الإنجليزية law، وكلمة الفردوس، وجهنم، وغيرها.

٢- وهناك ملاحظة عامة نوجهها للمستشرق أبراهام جيجر والآراء التي تضمنها كتابه، فعند قراءة نتاجاته نجد أنه لم يتابع نظريته في تأثير العبرية في القرآن الكريم أو رسول الله ﷺ، بل كما يظهر أن نتاجاته شملت ميادين أخرى بعيدة كثيراً عن مجال تخصصه في دراسته الجامعية، بمعنى أنه لم يُفد كثيراً من تطوير نظريته، إنما تناولت عناوين مؤلفاته ما يتعلق فقط باليهودية، ومسائل تتعلق بإصلاح العقيدة اليهودية، فمن كتبه التي ألفها بعد نيله الدكتوراه الآتي: Was hat Mohammed aus dem Judentume aufgenommen? Bonn, 1833.translated as Judaism and Islam: A Prize Essay, F. M. Young, 1896

وهذا الكتاب هو الأطروحة التي تمت مناقشة أفكارها تَوّاً. وله أيضاً:

- Das Judentum und seine Geschichte von der Zerstörung des zweiten

Tempels bis zum Ende des zwölften Jahrhunderts. In zwölf Vorlesungen. Nebst einem Anhang: Offenes Sendschreiben an Herrn Professor Dr. Holtzmann. Breslau: Schletter. 1865-71.translated as Judaism and its history: in 2 parts, Lanhamu.a.: Univ. Press of America. 1985.



وقد ترجم إلى اللغة الإنجليزية بعنوان: اليهودية والإسلام.

- Nachgelassene Schriften. Reprint of the 1875-1878 ed., published in Berlin by L. Gerschel. Bd 1-5. New York: Arno Press, 1980

- Abraham Geiger and the Jewish Jesus. Chicago; London: Univ. of Chicago Press, 1998. Chicago studies in the history of Judaism.

أبراهام جيغر ويسوع اليهودي

Abraham Geiger. Leben und Werk für ein Judentum in der Moderne. Berlin: JVB, 2001.

Heschel 2007. "Geiger, Abraham". In Berenbaum, Michael; Skolnik, Fred. Encyclopaedia Judaica 7 2nd ed.. Detroit: Macmillan Reference USA. pp. 412-415. ISBN 9780028660974. Retrieved Nov/4/13

Abraham Geiger and liberal Judaism : The challenge of the 19th century. Compiled with a biographical introduction by Max Wiener. TransPublication Society of America 5722.

أبراهام جيغر واليهودية الليبرالية أو العقلانية: تحديات القرن التاسع عشر. مع مقدمة تراجمية أو إحيائية من قبل ماكس ويبر.

وقد كتب عن حياة جيغر ونظريته ومنجزاته لإصلاح اليهودية العديد من العلماء،

غير أن الشامل منها كتابان:

Jacob Lassner, Abraham Geiger: A Nineteenth Century Jewish Reformer on the Origins of Islam, in Martin Kramer, ed. The Jewish Discovery of Islam, Tel Aviv: The Moshe Dayan Center for Middle Eastern and African Studies Tel Aviv University, 1999, pp103-136; Max Wiener Abraham

Geiger and Liberal Judaism, The Challenge of the Nineteenth Century Eng. translation by Ernst J. Schlochauer Philadelphia: The Jewish Publication Society of America, 1962



فكما نلاحظ أن جيجر قد ترك الانشغال بتطوير ميدان رسالته الجامعية في التاريخ الإسلامي، وترك متابعة توجهاته في مسألة التأثير التوراتي اليهودي في الإسلام والقرآن الكريم على وجه التحديد، على العكس تماما من غيره من المستشرقين المعاصرين له، نظير غوستاف فيل أو فايل الألماني، والمستشرقين الألمان والأوربيين والأمريكان الذين أعقبوا عصره؛ الأمر الذي يعكس لنا عدم اهتمامه بموضوع اختصاصه الذي حسبما يبدو أنه لم يكن من اختياره، ولكن أُجبر عليه من كلية الفلسفة من أجل أن يحصل على فرصته في الدراسة الجامعية.

عندئذ يمكننا القول بأنه على عكس المستشرقين الآخرين لم يتتبع من دراسته ولم يضيف إليها شيئا، سواء كان كتابا جديدا أم بحثا ودراسة. ومع ذلك فإن المبشرين كانوا وما زالوا تواقين إلى الاستشهاد بكتابه أو بنظريته؛ دعماً لادعاءاتهم، وضدًا بالقرآن الكريم وبالنبی الكريم ﷺ، نلاحظ هذا على الرغم من أنه أُلّف في موضوع له موقف منه وهو المسيحية، أي في يهودية المسيح عليه السلام في الكتاب الموسوم يسوع اليهودي the Jewish Jesus.

والواقع فإن عددا من المستشرقين قد تأثروا بأطروحة جيجر المتعلقة بالتأثير التوراتي في القرآن، وبأن رسول الله ﷺ قد استقى كثيراً من المبادئ الإسلامية من التوراة والكتب العبرية، وأن الرسول حاشاه الله هو الذي كتب كتاب الله العزيز.

وكان ذلك التأثير من المستشرقين الألمان، أو من غيرهم من أمثال: هاورتج هيرتشفيلد Hartwige Hirschfeld، وجوليوس هوروفتز J. Horovitz، وهيرشبرغ Z. Hirsch-berg، وإسرائيل سكايرو Israel Schapiro، وهربرت بيرج Herbert Berg.

ولم تنحصر عناصر التأثير في المستشرقين الألمان، بل تعداهم إلى غيرهم من المستشرقين ممن سلطوا الضوء ودعموا مسألة التأثير النصراني لا اليهودي في القرآن الكريم، نظير المستشرق الألماني جوليوس فلهاوزن J. Wellhausen، والمستشرق أهرنز K. Ahrens وتور أندريه Tor Andrea، فهؤلاء وغيرهم قد عدّوا القرآن الكريم برمته إن هو إلا نتاج الأنظمة الدينية السابقة.



وفضلاً عن المستشرقين هناك مبشرون أورييون كُثُر قد استندوا إلى مواقف جيـجر، ومن أبرزهم المستشرق المبشر كلير تسـدال هامش ١٠٥ . وبهذا الصدد فإن هـربـرت بيرج يبدي تأييده لآراء جيـجر بقوله: «إن إسهام جيـجر في كتابه اليهودية والإسلام بطبعته في مدراس عام ١٨٩٨ يتعقب الآثار والتطبيقات والتماثلات التوراتية والتلمودية والمدراسية بمعنى التفسير اليهودي للتوراة في القرآن. وهذا العمل البارـع الذي ما يزال يعدّ محاولة معرفية قابلة إلى التطوير نحو الأفضل، إذا ما استطاع المؤلّف أن يحدّث بعض الأسماء والاستشهادات الغامضة»، وهـربـرت بيرج لم ير استثناء القرآن من الاتهام باستعارته.

وفي دعوته إلى ابن الوراق أن يضمّن في كتابه عن أصول القرآن: بحوث ممتازة وقديمة عن الكتاب المقدس الإسلامي The Origins of The Koran: Classic Essays on Islam's Holy Book، وهو الكتاب الذي نصّ في عرضه على أنه يرفض أي فكرة تقول إن النصّ المقدس الإسلامي لا يمكن أن يقيّم بشكل نقدي وإنه خالٍ من الخطأ، فدراسة القرآن الكريم ينبغي أن تتطور وتنضج بحسب رأي ابن الوراق طبعاً.

فعلماء الإسلام هم -بطبيعة الحال- مطلّعون على كثير من الأخطاء والتناقضات الموجودة في القرآن -على حدّ تعبير ابن الوراق أيضاً-، ولكن هذه الأخطاء أو العيوب flaws المتضمنة في طبيعته الأساسية أو المتأصلة لم تكشف دائماً لعموم الناس. فهذا الكتاب -وهنا يعني ابن الوراق كتابه السابق الذكر: أصول القرآن- يعدّ محاولة لمعالجة هذا النقص وذلك عن طريق جمع البحوث النقدية الممتازة أو الكلاسيكية، تلك التي تثير مسائل رئيسة تحيط بالكتاب الإسلامي المقدس. هذه هي الترجمة الحرفية لنصّ ما تم عرضه على غلاف الكتاب.

ومما يجدر التنويه به في هذا الصدد أن أهرنز K. Ahrens قد ألّف كتاباً بعنوان: محمد ودينه Muhammad als Religionsstifter باللغة الألمانية مطبوع في لايبزج سنة ١٩٣٥، وقد وقف في حديثه عن نزول القرآن الكريم على نظرية أبراهام جيـجر في الأثر التوراتي في القرآن الكريم، وهو أيضاً من الذين يشددون على ذلك التأثير^(٢٩).



ومن المحاولات والبحوث الأخرى التي تدعم آراء جيجر دراسة بيل Bell الموسومة بـ: أصول الإسلام في محيطه المسيحي The Origin of Islam in its Environment، المطبوع في لندن عام ١٩٢٦، أو محاولة فلهاوزن في مؤلفاته، والمستشرق التشيكي رودولف دفوراك Rudolf Dvořák المتوفى عام ١٨٩٨ م في بحثه باللغة الألمانية: R. Dvorak, Ein Beitrag zur Frage über die Fremdwörter im Koran, München 1885; also R. Dvorak. Über die Fremdwörter im Koran, Wien, 1884. مساهمة في التساؤل عن الكلمات الأجنبية في القرآن، مونشن ١٨٨٤؛ ر. دفوراك، وكذلك هنريش سباير Heinrich Speyer مؤلف كتاب باللغة الألمانية عنوانه: التأثير اليهودي في القرآن - القصص العبرية في القرآن Die Bibisch en Erzählungen im Qoran، وهي دراسة شاملة عن القصص التوراتية في القرآن، والعلاقة المتبادلة بين الأدب اليهودي والمسيحي والقرآني وبين المصادر الميثولوجية - الأسطورية-، وقد قدّم ثناءً كثيراً على جيجر ومعرفته الواسعة بالمصادر اليهودية والإسلامية.

وواقعاً فإن ملاحظة هنريش سباير غير واقعية؛ لأن جيجر نفسه قد اعترف بقلة مصادره، كما بيّنا نصّ كلامه في مقدمته.

فالبروفسور هربرت بيرج Herbert Berg أستاذ في جامعة نورث كارولينا في الولايات المتحدة الأمريكية University of North Carolina Wilmington، ونال درجة الدكتوراه من جامعة تورنتو في كندا من مركز دراسة الأديان، إذ كان التركيز على الإسلام، وعلى موضوع التشيع، وعن المنهج والنظرية في دراسة الدين، وقد ألف عدداً من الدراسات المهمة في مجال البحث، غير أننا سوف نقصر الحديث عنه هاهنا على إسهامه المتعلق بموقفه من المستشرق جيجر. ولكن الأمر الأكثر أهمية الذي يجدر بنا التنويه إليه هو أن المستشرق بيرج قد ركّز في دراساته على أصول الإسلام أو جذوره في القرنين الأول والثاني الهجريين/ السابع والثامن الميلاديين^(٣٠)، وفي عرض بيرج لكتاب الرازي جيجر فإنه لم يوجه إليه أي انتقادات، وفي الحقيقة نجد أنه ثَمَّن رسالة جيجر وامتدحها^(٣١).

أما بخصوص المستشرق نورمان ستلمان N. A. Stillman فإنه يقف موقفاً منتقداً لنظرية جيجر، فهو - كما مرّ ذكره آنفاً - يشير «إلى أن هناك مبالغة في الرأي القائل بالإسهام اليهودي في القرآن. وأن كثيراً من الروايات التي ذكرها جيجر هي من الأدب المسيحي والتلمودي والأدب الأسطوري للتلمود».

غير أنه في زماننا فإن أدب التاريخ الحولي العبري المتأخر هو أفضل حالاً مما كان في عصر جيجر، وأن كثيراً من النصوص سواء كانت الإسلامية أم اليهودية أم المسيحية قد تمّ نشرها. وعلى ضوء هذه المصادر فنحن نعلم الآن أنّ ما كان ينسب سابقاً من تأثير الأدب العبري القديم في النصّ الإسلامي بات غير موجود، إنّما صرنا نعرف عكس ذلك تماماً. استنتج الدكتور سيف الله - ومجموعة المؤلفين الذين معه - من موقف ستلمان أنه يقصد بموقفه هذا رفضه لرأي جيجر في مسألة استعارة رسول الله ﷺ أو اقتباسه مادة القرآن من التوراة العبرية. ونحن بدورنا نؤيد هذا الموقف، على الرغم من أن رأي ستلمان في مناسبات أخرى لا تدعم فكرته المشار إليها في أعلاه؛ إذ يجدر القول: إن ستلمان ما زال يصّر على أن الرسول هو الذي ألف القرآن الكريم حاشاه الله؛ ولهذا فهو يختتم بحثه الموسوم بـ: «قصة هابيل وقابيل في القرآن ومؤلفات التفسير الإسلامية» المنشور في مجلة الدراسات السامية، مجلد ١٩، ١٩٧٤، صفحة ٢٣١ بقوله: «فلاستنتاج، أنه ينبغي التشديد على أن المرء ينبغي أن يكون حذراً ومتيقظاً جداً بخصوص تحديد جذور أو أصول بعينها للقصة التي تمّت مناقشتها هنا أو في أي قصة أخرى وردت في القرآن»^(٣٢). وفي هذه المناسبة فإن برانون ويلر Brannon M Wheeler الأستاذ في جامعة واشنطن في بحثه الموسوم بـ: «الأصول أو الجذور اليهودية للقرآن: سورة ١٨ الآيات من ٦٥ - ٨٢ ويقصد سورة الكهف في تلك الآيات المتعلقة بلقاء النبي موسى ﷺ مع الخضر ﷺ إعادة تحقيق نظرية آرنست جان وينسك "Arent Jan Wensinck" المنشور في الجمعية الشرقية الأمريكية ١٩٩٨، مجلد ١١٨، صفحة ١٥٧؛ إذ يقول: «إنه من غير



الواضح -اليوم- فيما إذا يوافق أو يقبل المرء قول أوبرمان Obermann بأن القرآن- كقاعدة عامة- قد اعتمد على المصادر اليهودية والمسيحية المبكرة.

فالأمر هنا بحاجة إلى أكثر من دراسة واسعة المدى وحصيفة قبل أن نخرج بنتيجة مفادها أن جميع المصادر اليهودية والمسيحية، وبالأخص تلك اللاحقة أو التالية عن المصادر الإسلامية التي من المفترض أن تكون على معرفة بها، «هي متوافرة قبل التأثير أو من أجل التأثير، لكنها غير متأثرة بالإسلام».

ومع ذلك فإن ستلمان ظلّ مترددا -حسبما يبدو- بين الميل إلى جانب الرأي السابق لجيجر، وتأييد رأي أوبرمان، على الرغم من أن أوبرمان قد صرح بعد ذلك بأن «هنالك توافقا ضخما vast للمعرفة التقليدية اليهودية والمسيحية، ولا سيما في المدة والمنطقة المشتركة بينهما»، ويقول أيضا: «إن المعلومات من كتابات الأحبار يحتمل أنها انتقلت إلى العرب بواسطة القنوات المسيحية»^(٣٣).

كما ألمحنا في أعلاه أن نظرية أبراهام جيجر بشأن التأثير الكبير جدا لليهودية في القرآن الكريم، فإن الفكرة نالت تأييدا واستحسانا من قبل عدد من المستشرقين الألمان في حقبة القرن التاسع عشر، واستمرت كذلك في القرن العشرين، والحقيقة أنها ظلّت تتردد كثيرا في مؤلفات المبشرين المسيحيين حتى زماننا هذا، والأمثلة متعددة سنكتفي بالوقوف على بعض هؤلاء المستشرقين. فالمستشرق الألماني المعروف جوزيف هوروفتز Josef Horovitz المولود في تموز من سنة ١٨٧٤ في مدينة Lauenburg in Pommern والمتوفى في الخامس من شباط سنة ١٩٣١، تخرج في جامعة برلين وبقي فيها منذ سنة ١٩٠٢ بصفة محاضر، وفي المدة بين ١٩٠٧ إلى ١٩١٥ اشتغل في الهند في جامعة عليكرا، وكانت تسمى College MAO وهناك درّس العربية. وكان اهتمامه مركّزا على كتابة دراسة عن تفسير القرآن، ولكنه لم ينته منها آنذاك. والمهم أن هوروفتز قد ألّف كتابا بعنوان: «دراسات قرآنية»، طُبِعَ في سنة ١٩٢٦، وقد قدّم منهجه في تحليل مفصّل للغة النبي ﷺ ولغة صحابته،

وعكس فيه عن منهج تاريخي توغل فيه إلى أعماق الأحداث التاريخية، ولم يكتفِ بالعرض الوصفي للنصوص والروايات المبكرة في التاريخ الإسلامي، بل فكّكها وحلّلها على وفق المنهج التحليلي. وفي دراسته الموسومة: «الجنة القرآنية» التي نشرها في سنة ١٩٢٣ درس العلاقة بين الإسلام واليهودية، وأشار إلى تجربة إبراهيم جيجر في هذا الميدان. ومن بين آرائه بخصوص الأحاديث النبوية تلك التي كانت كاستجابة لنظرية المستشرق اليهودي المعروف إغناص جولد تسيهر التي قال فيها إن الأحاديث لم تكتب إلا في نهاية القرن الثاني والقرن الثالث للهجرة، إذ بين هوروفتز أن جمع الأحاديث وكتابتها وتدوينها بدأ في الربع الأول من القرن الثاني للهجرة. وللمستشرق هوروفتز دراسة أخرى مؤيدة لما جاء به جيجر في أطروحته عن الرسول الكريم، وهي في الواقع البحث الموسوم بـ: «السير الأولى للنبي ومؤلفوها»، وقد ترجم إلى اللغة الإنجليزية وإلى اللغة العربية وعنوانه بالإنجليزية: «The Earliest Biographies of the Prophet and their Authors»

والترجمة العربية بعنوان: المغازي الأولى ومؤلفوها، فالبحت في قسميه قد نشر في مجلة الثقافة الإسلامية Islamic Culture، العدد الثاني في سنة ١٩٢٥م، وأكمّله في العدد الأول من المجلة نفسها في ١٩٢٧م^(٣٤).

ومن بين المستشرقين الذين وقفوا مؤيدين لنظرية جيجر بخصوص التأثير اليهودي في القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة، نشير إلى البروفسور الألماني اليهودي أيضا هائيم زيف هيرشبرغ Hirschberg, H. Z. Haim Zeev المولود في سنة ١٩٠٣م والمتوفى في سنة ١٩٧٦م. وهو مؤرخ إسرائيلي لم يرفد التاريخ الإسلامي بدراسات سوى اختصاصه بشأن اليهود في شمال إفريقيا، وقد ألّف كتابا عن هذا الميدان بعنوان: A History of the Jews in North Africa، لكنه كان من الذين أيدوا إبراهيم جيجر في نظرية التأثير هذه، وكتب عن تاريخ اليهود وعن الصهيونية.

وهناك أيضا المستشرق الألماني اليهودي هارتوج هيرتشفيلد Hirschfeld، Hartwig المولود سنة ١٨٥٤م والمتوفى في سنة ١٩٣٤م، وهو ألماني المولد، ولد في مدينة ثورن Thorn في بروسيا، ودرس في جامعات عدة: في جامعة برلين، وجامعة ستراسبورغ، وباريس، وجامعة دريبورغ Derenberg. ألف كتابها - ليفي كوزري Cuzari ويعني: كتاب الخزري Kitab al Khazari في اللغتين العربية والعبرية، وبعد ذلك تُرجم إلى اللغة الألمانية. وكان ميدان تخصصه التفسير التوراتي وفي اللغات السامية والفقه اللغوي، عمل في بريطانيا من ١٨٨٩م إلى ١٨٩٦م، وتعين في كلية اليهود في لندن بصفة مساعد أمين المكتبة، له دراسات كثيرة عن الموضوعات العربية واليهودية نشرها في مجلة الدراسات اليهودية Revue des Etudes Juives، والمجلة الفصلية Quarterly Review Jewish، ومجلة الجمعية الملكية الآسيوية، وطبعت له الجمعية الآسيوية الملكية في سنة ١٩٠١م كتابا بعنوان: بحوث جديدة في تصنيف أو أسلوب القرآن والتفسير New Researches into the Composition and Exegesis of the Koran، وقبل هذا فقد ألف كتابا في سنة ١٨٩٢م بعنوان: مقاطع عربية مختارة بحروف أو بكتابة عبرية Arabic Chrestomathy in Hebrew Characters، ومؤلفاته كثيرة جدا بلغات مختلفة.

وما نريد قوله: إن هارتوج هو الآخر ممن رأى أو قال بأثر التوراة في القرآن الكريم والسيرة النبوية، ومن المتأثرين بكتاب جيجر^(٣٥).

ظلت أفكار أبراهام جيجر مستمرة منذ تأليفه أطروحته حتى زماننا هذا في القرن الواحد والعشرين، تنتقل من جيل من المستشرقين إلى جيل آخر، ولا سيما بالنسبة إلى أولئك الذين ترجع أصول انتسابهم إلى ألمانيا من اليهود، وهو ميدان سيشكل -إن شاء الله تعالى- الفصل الذي يتناول المستشرقين وعملية جمع القرآن في الحقبة المعاصرة، من أمثال البروفسور جون ونزبورو، والبروفسور مايكل كول، والبروفسور الكندي أندرو ربن، وغيرهم. ولكن قبل أن نتقل عن هذه الفقرة لابد من أن نعرّج على ذكر عالين، وهما: كارل هاينز أو هلف Karl-



Heinz Ohlig، ومايكل لكسير Michael MLaskier؛ لاهتمامهما بالشأن الذي ناقشه، ألا وهو التأثير اليهودي. وكارل هاينز أوهلغ ولد في سنة ١٩٣٨ في مدينة كوبلنز Koblenz، وهو مستشرق ألماني وأستاذ الدراسات الدينية ودراسات تاريخ المسيحية، ثم صار متخصصا في الأديان الشرقية، وهو أستاذ في جامعة سارلاند Saarland في ألمانيا. وتواصل مع موضوع البحث من خلال تحقيقه مع المستشرق المشهور بنظريته عن كتابة القرآن الكريم عبر اهتمامه بمخطوطة نادرة للقرآن قيل إنها نسخة من مصحف الإمام علي (عليه السلام)، أي جيرد بوين Gerd Rüdiger Puin المولود في سنة ١٩٤٠ م، وهو مستشرق ألماني وكتابات موثوقة عن الأورثوغرافي - علم ضبط التهجئة - القرآني التاريخي، وهو متخصص أيضا في الكتابة والنقوش العربية القديمة، وعنوان الكتاب الذي حققه الاثنان:

ie dunklen Anfänge. Neue Forschungen zur Entstehung und frühen Geschichte des Islam Hans Schiller Verlag، 2005/Prometheus Books

٢٠٠٨م، أي: الأصول الخفية أو المخبئة hidden للإسلام: بحث جديد في التاريخ الإسلامي المبكر، والكتاب يناقش فكرة أن الإسلام لم يكن في الأصل يفهم منه كونه ديناً متميزاً أو واضح المعالم.

وأطروحة المحققين أوهلغ وبوين تقوم اعتماداً على الدليل العربي النقدي، وعلى النقوش الموجودة على قبة الضخرة التي ترجع إلى أواخر القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، مع رسائل مهمت MHMT (وهو تحريف لاسم النبي ﷺ)، وإن تعبير محمد يقصد به «المبجل أو الموقر» revered، أو «الجدير بالثناء والتمجيد» praiseworthy، وإن القبة تحمل رموزاً نظير الصليبان أو إشارات الصليب التي توحى بأن تعبير محمد كان لقباً مسيحياً مشرفاً يؤشر إلى عيسى يسوع، كالذي في ترنيمة أو ترتيلة القدّاس، وهو «الحمد والتسبيح للذي سيأتي»، والمصدر الذي يحيل إليه المحققان بحسب الوكيبيديا Wikipedia، the free encyclopedia هو:

«Muhammad as a Christological Honorific Title»



وأما ما له علاقة بالتسمية التي أشار المحققان إليها وهي مهمت MHMT، فالمعتقد أنها قراءة غير صحيحة، فرجال الكنيسة في العصر الكنسي والعصر الوسيط الأوروبي لم يسموا رسول الله ﷺ باسمه الكريم محمد، لكنهم أطلقوا عليه تسميات حاقدة من بينها: مهمت، وموهمت، وماهوند. وقد درست هذا الموضوع في كتابي: الاستشراق في التاريخ: الإشكاليات، الدوافع، التوجهات، الاهتمامات، بيروت، ٢٠١٣م، صفحة: ١٩٤ - ١٩٨ . ومن الطبيعي أن هذا الاستنتاج الذي يشير إليه المحققان لا يتفق مع المفردات التاريخية العربية بخصوص اسم النبي محمد ﷺ، وليس بعيدا عن المحققين أن يعلموا أن القرشيين الكفار قبل الإسلام كانوا يصفون الرسول بالصادق والأمين. وعلى أية حال فالإشارة إلى هذين المستشرقين الألمانين إنما هي مثال لمتابعات أبراهام جيغر. فالمستشرق الإسرائيلي مايكل لاسكير Michael M. Laskier المتخصص في موضوع اليهود في المغرب وشمال إفريقيا يذكر في مقدمته التي قدّمها بوصفه محررا للمجلة مع زميله ياكوف ليفي Yaacov Lev في أوراق مؤتمر عقد في مدينة جاكسنفيل Gainesville في فلوريدا في ٢٠١١م تحت عنوان: التقارب بين اليهودية والإسلام: الأبعاد الدينية والعلمية والثقافية:

The Convergence of Judaism and Islam: Religious, Scientific, and Cultural Dimension .

يقول في مقدمته التحريرية: «على مدى أربعين سنة كُتِبَ كثير جدا من الدراسات التي تبحث في الوسائل والطرق التي عن طريقها تلتقي اليهودية والإسلام وإسهام الواحد في الآخر في التطور الحاصل الآن. وبينما يركّز بعضٌ منها على تأثير اليهودية في تطور الإسلام في سنيه الأولى، فإن بعضها الآخر يركّز على بصمة imprint الإسلام على الثقافة اليهودية في العصور الوسطى، ورأى بعضٌ ثالثٌ منها أن يعنى بالصراع العنيف بين الثقافتين، الذي بدا واضحا ليميز الحقبة الحديثة» (٣٣).

16-; Judism and Islam ,Introduction M. Young

بقلم البروفسور Pearson New Edition Ency. Of Islam ينظر: بحث قرآن في

17- Nallino, C. "Le fonti arabe monoscritte dell. Opera di Ludovico Mar-
racci sul Corano" in Rend Accad. Lincei. CL. Sci. Mor.Stor. Filil. Ser. 6 Volume
7 1931 pp. 303-349. لودفيكو مراتشي وترجمته مخطوطة القرآن.

1-8 M S M Saifullah, Mansur Ahmed & Elias Karim; On The Sources
Of The Story Of Cain& Abel In The Qur'an; Islamic Awareness. First Com-
posed: 15th August 1998, Last Updated: 5th March 2006

19- WEIL Gustav, The Bible, the Koran and the Talmud or Biblical leg-
ends of the Mussulmans, New York : Harper, "Harper's new miscellany ;
15", 1846, 264 p.également éd. en 1855 à Londres.

20- Jeffery, Arthur. The Foreign Vocabulary of the Qur'an. Oriental
Institute, Baroda, India, 1938: THE FOREIGN word 98 A. Mingana, Syriac
Influence on the Style of the Koran, in Ibn Warraq, ed. What the Koran
Really Says. Amherst: Prometheus Books, 2002, pp. 171-192, originally
in Bulletin of the John Rylands Library 11 1927 pp. 77-98, A. Mingana, ,
Syriac Influence on the Style of the Koran, in Ibn Warraq, ed. What the
Koran Really Says. Amherst: Prometheus Books, 2002, pp. 174-175

٢١- ينظر: هرشفيلد في كتابه:

H.Hirschfeld; New Researches into the Composition and Exegesis of the
Qur'an, London. Royal Asiatic Society, 1902, P.1-2.: . Jewish Encyclopedia, Geiger, Abra-
ham: ISMAÏL ALBAYRAK QUR'ANIC NARRATIVE AND ISRAÏLIYYAT IN WESTERN SCHOL-
ARSHIP AND IN CLASSICAL EXEGESIS ; Submitted in accordance with the require-
ments for the degree of Doctor of Philosophy ,The University of Leeds, Department
of Theology and

Religious Studies. May 2000. Pp.23-24.

٢٢- ينظر: بحث البروفسور ستيلمان:

N. A. Stillman. "The Story Of Cain & Abel In The Qur'an And The Mus-
lim Commentators: Some Observations", Journal Of Semitic Studies,



هوامش الفصل الأول

1- Max Wiener Geiger and Liberal Judaism, The Challenge of the Nineteenth Century Eng. translation by Ernst J. Schlochauer Philadelphia: The Jewish Publication Society of America, 1962

2-Preface P.V11. Judasim and Islam F.M.Young ;

3- A. Geiger, Judaism and Islam, trans. by F.M. Young, Madras, 1898, Preface p.V11; Abraham Geiger and the Jewish Jesus by Susannah Heschel 1998, which chronicles Geiger's radical contention that the New Testament illustrates Jesus was a Pharisee teaching Judaism; Wikipedia, the free encyclopedia

4-Preface, p.V1- V11

ينظر مقدمة الترجمة الإنجليزية Preface; P.V111

5- Preface ; P.V-V1

6- Borrow from Judaism? in I.Warraq ed. A. Geiger, What did Muhammad The Origins of the Koran, Amherst: Prometheus Books, 1998. p172

7- Was hat aufgenommen? 60-89 Jud.and Islam Pp.45-70

8- Ibid.

9- Wikipedia, the free encyclopedia

10- N.Daniel: Islam and the West, the making of an image Edinburgy 1960 P. 196 Ketton

11- See Pearson J.D. "Bibliography of translation of the into European Languages" in Cambridge history of Arabic Literature. وللمؤلف نفسه بحث. E.I. . قرآن في دائرة المعارف الإسلامية Pearson, B.Lewis: " British contributors to Arabic Studies" in B.SOAS 1941 PP. 25-26.

12- Ibid.

13-Dension Ross: "Ludovica Marraci" in Bulletin of SOAS Volume 2/1921-23 pp. 117-23

14 -Jud.and Islam P. Introduction ; P.V111

15-Ibid.



lim Commentators :Some Observations ,”Journal Of Semitic Studies, 1974op .cit .p;231 .M S M Saifullah ,Mansur Ahmed & Elias Karim, Islamic Awareness .First Composed15 :th August 1998 Last Updated5 :th March.2006

٣٢- ينظر: بحث

F .F.de Blois” ,Review of Ibn Warraq’s The Origins Of The Koran :Classic Essays On Islam’s Holy Book ,”Journal Of The Royal Asiatic Society, 2000Volume ,10 Part ,11 p .88 .Ismail ALBayrak ;QUR’ANIC NARRATIVE AND ISRAILIYYAT, P.

33-Web Wikipedia ,the free encyclopedia M S M Saifullah, Mansur Ahmed & Elias Karim, Islamic Awareness.First Composed15 :th August 1998 Last Updated5 :th March,2006 Norman A .Stillman” ,The Story Of Cain & Abel In The Qur’ân And The Muslim Commentators :Some Observations ,”Journal Of Semitic Studies ,1974 ,Volume19 ,p ; 231,239.M S M Saifullah ,Mansur Ahmed & Elias Karim .Brannon M Wheeler” ,The Jewish Origins Of Qur’ân ?65-82 :18 Reexamining Arent,Jan Wensinck’s Theory ,”Journal Of The American Oriental Society ,Volume ,1998 Volume ,118 p ;157 .M S M Saifullah & Books On The’ Sources ‘Of The Qur’ân Comments On Geiger & Tisdall ”Islamic Awareness ,Last Updated16 :th November2000. Wikipedia,the free encyclopedia .Susannah Heschel” ,Abraham Geiger and the Emergence of Jewish Philoislamism ” ,in Dirk Hartwig ,et al ,eds’ ,.In vollem Licht der Geschichte :’Die Wissenschaft des Judentums und die Anfänge der kritischen Koranforschung Würzburg :Ergon Verlag,2008 ,Pp75-76.



1974، op. cit.، p. 231;M S M Saifullah، Mansur Ahmed & Elias Karim ,Islamic Awareness. First Composed: 15th August 1998 Last Updated: 5th March 2006.

23- F .F.de Blois “،Wikipedia ،the free encyclopedia Review of Ibn Warraq’s The Origins Of The Koran :Classic Essays OnIslam’s Holy Book ،”Journal Of The Royal Asiatic Society ،2000 ،Volume ،10 Part ،11 p .88 .Wikipedia ،the free encyclopedia

24- Jeffery ،Arthur .The Foreign Vocabulary of the Qur’an .Oriental Institute ،Baroda ،India ؛ 1938 .Ismail ALBayrak ؛QUR’ANIC narrative and Israilyyat ،P 25.K. Ahrens ،Muhammad als Religionsstifter ،Leipzig 1935 ،p119.

26-M S M Saifullah ،Mansur Ahmed & Elias Karim، Islamic Awareness.First Composed:

27- Norman A .Stillman“،The Story Of Cain & Abel In The Qur’ân And The Muslim Commentators :Some Observations ،”Journal Of Semitic Studies ،1974 ،Volume ،19 p ؛ 231,239.M S M Saifullah ،Mansur Ahmed & Elias Karim.

28-Brannon M Wheeler“،The Jewish Origins Of Qur’ân ؟65-82 :18 Reexamining Arent Jan Wensinck’s Theory ،”Journal Of The American Oriental Society ،Volume ،1998Volume ،118 p ؛157 .M S M Saifullah & Books On The’ Sources ‘Of The Qur’ân Comments On Geiger & Tisdall ”Islamic Awareness ،Last Updated16 :th November 106 2000Wikipedia ،the free encyclopedia.

٢٩- ينظر :

Web Wikipedia ،the free encyclopedia,Hirschfeld ،Hartwig - Jewish Encyclopedia.com ؛The Online books page by Hartwig Hirschfeld.

30- Michael M .Laskier ،Yaacov Lev ،eds .The Convergence of Judaism and Islam :Religious ،Scientific ،and Cultural Dimensions .Gainesville :University Press of Florida .2011,viii 344 + pp.

٣١- ينظر :

N .A .Stillman“،The Story Of Cain & Abel In The Qur’an And The Mus-





الرؤية التوراتية في دراسات المستشرقين اليهود
المعاصرين بشأن السيرة النبوية المطهرة
عرض وتحليل

(١)

لقد بيّنا في الفصل السابق أن مدرسة الاستشراق الألماني - وبخاصة المستشرقين الألمان اليهود - كانت من بين أوائل المدارس الاستشراقية في أوروبا الوسطى بل في الغرب عموماً، أنتجت مستشرقين وضعوا الأسس لهذا التفسير وهذه الرؤية التوراتية وآثارها في الأصعدة المختلفة من الدراسات القرآنية، ومن دراسات سيرة النبي ﷺ وحياته، بدءاً من المبعث الميمون حتى استشهاده عليه أفضل الصلاة والسلام، وكان أبراهام جيجر الممهد الرئيس لها.

ومع أن المستشرق أبراهام جيجر لم يتابع مسيرته العلمية في إغناء رؤيته التوراتية، وسدّ ما افتقرت إليه دراسته من خلل في منهجيته، ونقص في مصادره التي اعتمد عليها في مبانيه، ولا سيما المصادر العربية الإسلامية؛ وذلك لجهله باللغة العربية، واضطراره - لهذا السبب - إلى الاتكال على ترجمة لودوفيك روبرت مراتشي Ludovico Marracci للقرآن الكريم، من دون الرجوع إلى الآيات القرآنية بلغتها الأصلية العربية، فجاءت استنتاجاته باهتة وضعيفة، سواء كانت بخصوص رؤيته في تأثر القرآن الكريم بالتوراة، أم في تخرصاته بشأن السيرة النبوية المطهرة وحيارة رسول الله ﷺ. غير أنه - رغم كل ذلك - أصبح في نظر المستشرقين اليهود وغير اليهود من المستشرقين الغربيين أنموذجاً - إن لم يكن قدوة - للاحتذاء به؛ لأنه قد وقف ضدّ الإسلام وضدّ النبي ﷺ، فقد احتذى به مجموعة من المستشرقين أمثال: هيوبرت غريم Hubert Grimm المستشرق الألماني المتوفى سنة ١٩٤٢م، وماكس غرونباوم Maier Max Grünbaum المتوفى سنة ١٨٩٨م، وكان مستشرقاً ألمانياً ومؤرخاً وفلكلورياً وفيلولوجياً ولد لأبوين يهوديين، وجوزيف هوروفيتس Josef Horovitz المتوفى سنة ١٩٣١م، وهو مستشرق ألماني يهودي.



وشجع عمل جيجر على مزيد من الدراسات حول موضوع تأثير اليهودية في الإسلام، كما توضح من الإشادة التي ذكرها المستشرق الألماني هاينريش شباير، المتوفى في ٧ تشرين الثاني في سنة ١٩٣٥ م، وكتاب شباير عنوانه: «القصص التوراتية في القرآن»، يحتوي على قائمة مفصلة بالذكريات من كتاب المزامير في القرآن. وكما يشير ابن الوراق في مقدمته لهذا الكتاب أن «دراسة جيجر ليست وصفية فحسب، بل تحليلية، وكان لديه- كما يشرح هو نفسه- ميزة امتلاك عقل غير متحيز؛ ليس من جهة رؤية المقاطع من خلال مناظر المعلقين العرب، ولا من جهة أخرى، في القرآن الكريم آراء الدوغمائيين العرب وروايات مؤرخيهم». ينظر

A. Geiger, Judaism and Islam, trans. by F.M. Young, Madras, 1898, p. xxxi-1.

محاولتي في هذه الدراسة -واقعية- هي في استهداف رؤية المستشرق البروفسور أوري روبين في كتابه الموسوم: (عين الناظر: حياة محمد كما يراها المسلمون الأوائل The Eye of the Beholder: the Life of Muhammad as Viewed by the Early Muslims)، وبخاصة القسم الثالث من الكتاب الذي يحمل عنوان: «الوحي Revelation قصة خديجة - ورقة»، والمقصود السيدة خديجة الكبرى ﷺ وورقة بن نوفل الأسدي.

وواقعا فقد قمت سابقا بتقديم دراسة عن رؤية المستشرق نفسه بعنوان: محاجة مع المستشرق البروفسور أوري (أو يوري) روبين Uri Rubin بشأن بطلان مسلماته التوراتية عن حياة رسول الله ﷺ في كتابه الموسوم: (عين الناظر: حياة محمد كما يراها المسلمون الأوائل)، وقد نشرت في العدد الأول من مجلة نبينا ﷺ المحكمة التابعة لمركز دار الرسول الأعظم ﷺ في العتبة العباسية في كربلاء المقدسة.

وفي هذه الدراسة سوف أضطر إلى إبداء مسحة قصيرة جدا عن متابعة هذه الرؤية التوراتية في العلاقة بين المسلمين واليهود في عصر الرسالة الخالدة، كما في قوله سبحانه وتعالى في سورة الصف: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ



مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿الصف: ٦﴾، فقول الله تعالى ببشارة النبي عيسى (عليه السلام) بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيأتي بعده تعدد خير دليل دامغ لليهود الذين كانوا يتوقعون أن النبي القادم بعد المسيح (عليه السلام) سيكون من بني إسرائيل، وهذه البشارة للنبي عيسى (عليه السلام) تؤكد أنها بشارة يوحنا المعمدان أو يحيى المعمدان الذي كان من عمدة يسوع المسيح.

وولد يوحنا المعمدان - بحسب الإنجيل - من والدين تقيين، وكان المعمدان قد سبق المسيح (عليه السلام)، وهو النبي يحيى بن زكريا بحسب كتاب الله العزيز، ونبي الديانة الصابئية المندائية. والمهم فقد ورد في إنجيل يوحنا المعمدان في القسم ١٦ بشارات بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) مشيرا إليه باسم البارقليط أو البارسلية اليونانية: (Παράκλητος - Paraklētos) التي تعني المعزي. وقد وردت كلمة باراقليل - paraklhton، حرفياً باراقليلتوس - في العهد الجديد، وبالتحديد في الإنجيل بحسب القديس يوحنا، والرسالة الأولى للقديس يوحنا في خمس مرات فقط، أربع مرات منها في الإنجيل، ومرة واحدة في رسالته الأولى، ولم ترد ثانية في بقية العهد الجديد. إذ ورد في إنجيل يوحنا الآتي:

«وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْأَبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ (ἄλλον παράκλητον - allon Parakleton) لِيَمَكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ» (يوحنا ١٤ / ١٦ - ١٨).

وكذلك ورد النص الآتي: «وَأَمَّا الْمُعْزِي (Παράκλητος - Paraklētos) الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سِيرَسِلُهُ الْأَبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» (يوحنا ١٤ / ٢٦).

وورد أيضا: «وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزِي (Παράκλητος - Paraklētos) الَّذِي سَأَرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَبِ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْأَبِ يَنْبَتِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لِأَنَّكُمْ مَعِيَ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ» يوحنا (١٥ / ٢٦ - ٢٧).



وكذلك: «لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمُ الْمُعَزِّي (Παράκλητος - Paraklētos) وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ. أَمَّا عَلَى خَطِيئَةٍ فَلَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِي. وَأَمَّا عَلَى بَرٍّ فَلَأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلَا تَرَوْنَنِي أَيْضًا. وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلَأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ. إِنْ لِي أُمُورًا كَثِيرَةٌ أَيْضًا لِأَقُولَ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يَمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» (يوحنا ١٦/٧-١٥).

فضلا عما ورد من بشارة في إنجيل يحيى المعمدان، فقد وردت بشارات بالنبى محمد ﷺ

في أناجيل برنابا ومتى ولوقا أيضا^(١).

قبالة هذه البشارات التي تصرّح بها الأناجيل المسيحية بخصوص ظهور النبي محمد ﷺ، نقرأ في القرآن الكريم كثيرا من الآيات التي تشير إلى أن اليهود قد حرّفوا التوراة، وأخفوا ما جاءت به كتبهم المقدسة من ذكر البشارة بمجيء النبي ﷺ، بل كان أحبارهم ورجال الدين منهم يتربصون دوماً بالأوضاع في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ويتابعون الأخبار بخصوص قرب ظهور النبي بعد أن تيقنوا أن ظهوره لم يكن من بينهم، أي من بين بني إسرائيل. فالآية الكريمة ٧١ من سورة آل عمران فيها قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧١)، وجاء في الآية الكريمة ٤٦ من سورة النساء قوله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٤٦)، وما يشابه ذلك في الآية الكريمة ٧٥ من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥)،



وكذلك ما جاء في الآية ١٣ من سورة المائدة قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣)، والآية الكريمة ٤١ من السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٤١).

وإذا ما صدقنا الرواية الشفاهية التي أدلى به محمد بن إسحاق في كتابه (السيرة النبوية) من قصة بحيرا الراهب التي تعكس موقف اليهود العدواني وما كانوا يخططون له بقتلهم رسول الله ﷺ، تلك الرواية التي جاءت عن طريق راويته يونس بن بكير، وليس عن طريق البكائي الراوية الذي روى سيرة ابن إسحاق لابن هشام التي عرضت في كتاب السيرة لابن هشام. وابتدأت الرواية بعنوان: «قصة بحيرا الراهب/ بحيرا يوصي أبا طالب بمحمد ﷺ»، وجاء في الرواية ما نصّه: «أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال له بحيرا ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن، فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

فزعموا فيما يتحدث الناس أن زيراوقيل: زريرا وتماماً، ودريسا، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ - في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه



أبي طالب- أشياء، فأرادوه، فردّهم عنه بحيرا، وذكرهم الله عز وجل، وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، أنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه، حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا، فقال أبو طالب في ذلك من الشعر، يذكر مسيره برسول الله ﷺ وما أرادوا منه - أولئك النفر - وما قال لهم فيه بحيرا:

إن ابن آمنة النبي محمداً***عندي بمثل منازل الأولاد
حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا***لاقوا على شرك من المرصاد
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً***عنه ورد معاشر الحساد
قوما يهودا قد رأوا ما قد رأى***ظل الغمام وعز ذي الأكباد
ساروا لقتل محمد فنهاهم***عنه وأجهد أحسن الإجهاد
فثنى زبيراً بحيراً فانشنى***في القوم بعد تجادل وبعاد
ونهى دريساً فأنتهى عن قوله***حبر يوافق أمره برشاد
وقال أبو طالب أيضاً:

ألم ترني من بعدهم همته***بفرقة حر الوالدين كرام
بأحمد لما أن شددت مطيتي***برحلي وقد ودعته بسلام
بكى حزناً والعيس قد فصلت بنا***وأخذت بالكفين فضل زمام
ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة***تجود من العينين ذات سجام
فقلت: تروح راشداً في عمومة***مواسين في البأساء غير لئام
فرحنا مع العير التي راح أهلها***شامي الهوى والأصل غير شامي
فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا***لنا فوق دور ينظرون جسام
فجاد بحيراً عند ذلك حاشداً***لنا بشارب طيب وطعام
فقال: اجمعوا أصحابكم لطعامنا***فقلنا جمعنا القوم غير غلام
يتيم، فقال: ادعوه إن طعامنا***كثير، عليه اليوم غير حرام

فلما رآه مقبلاً نحوه داره *** يوقيه حر الشمس ظل غمام
 حنا رأسه شبه السجود وضمه *** إلى نحرة والصدر أي ضمام
 وأقبل ركب يطلبون الذي رأى *** بحيرا من الأعلام وسط خيام
 فثار إليهم خشية لعرامهم *** وكانوا ذوي دهي معا وعرام
 دريساً وتماماً وقد كان فيهم *** زبيراً وكل القوم غير نيام
 فجاءوا وقد هموا بقتل محمد *** فردهم عنه بحسن خصام
 بتأويله التوراة حتى تفرقوا *** وقال لهم: ما أنتم بطغام
 فذلك من أعلامه وبيانه *** وليس نهار واضح كظلام^(٢).

وكان رسول الله ﷺ بعد هجرته واستقراره في المدينة على دراية وعلم بسوء نوايا اليهود، وبعدم إخلاصهم للوثيقة التي عقدها مع قبائلهم المتعددة في المدينة المنورة، تلك التي جاء نصّها في المصادر: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن اتبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم... وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وأن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف، وأن لليهود بن الحارث مثل ما لليهود بني عوف. وأن لليهود بني ساعدة مثل ما لليهود بني عوف، وأن لليهود بني جشم مثل ما لليهود بني عوف. وأن لليهود بني الأوس مثل ما لليهود بني عوف، وأن لليهود بني ثعلبة مثل ما لليهود بني عوف إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وأن لبني الشطبية مثل ما لليهود بني عوف، وأن البر دون الإثم، وأن موالي ثعلبة كأنفسهم، وأن بطانة يهود كأنفسهم، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، وأنه لا ينحجز على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم،

وأن الله على أبر هذا، وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأنه لا يآثم أمرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأن لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وأن لا تجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وأن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأن من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو آثم، وأن الله جار لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله (٣).

وواقعا فإن هناك القليل من المعلومات في اللغة العبرانية تؤشر أو تبدي أي ملاحظة بخصوص رسول الله ﷺ، غير أن هناك -بصورة عامة- عدم قبول، بمعنى الرفض من قبلهم للإسلام، وإلى تصريح رسول الله ﷺ بأن الله سبحانه وتعالى ينزل عليه الوحي، بمعنى آخر: إنهم كانوا لا يصدقون رسول الله ﷺ، وقد ظلوا على اعتقادهم المعادي هذا طيلة العصر الإسلامي على وفق ما ورد في كتابهم المقدس بشأن أولئك الذي يعتقدون بأنهم أنبياء كالذي تعتقده الفرقة الميمونية .

وفي خلاصة هذا المدخل التجذيري للرؤية التوراتية التي يشدد عليها المستشرق روبين، والمستشرقون اليهود الآخرون الذين تناولوا في دراساتهم المتعددة مفاصل متنوعة من سيرة رسول الله ﷺ، نظير موضوع خاتم الأنبياء، الموضوع الذي سنشير



إليه لاحقاً، أقول: كيف لنا التوفيق بين التأثير التوراتي العبراني في القرآن الكريم وفي رسول الله ﷺ ونحن نقرأ كثيراً من الروايات الشفاهية والمكتوبة في المصادر الإسلامية المبكرة عن العلاقة بين رسول الله ﷺ واليهود في المدينة المنورة بعد الهجرة، وعن موقف رسول الله ﷺ ورؤيته لليهود في المدينة المنورة، وأذكر هاهنا واحدة من هذه الروايات الهادفة بالنسبة لهذا الفقرة حصراً. فمما ورد في مسند أحمد بن حنبل قوله في الحديث رقم ١٥١٩٥ رواية على وفق السند الآتي: «حدثنا سريج بن النعمان قال حدثنا هشيم أنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله وهو الصحابي جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، من المكثرين في رواية الحديث النبوي. وقد تفرغ الصحابي جابر للجلوس في المسجد النبوي يعلم الناس، وكانت له حلقة في المسجد يلتف حولها الناس ليسمعوا منه الحديث النبوي وليستفتونه؛ لأنه كان مفتي المدينة في زمانه. وكان لا يتورع في أن يرتحل إلى الأمصار ليتأكد من صحة الأحاديث، فرؤي أنه رحل في آخر عمره إلى مكة ليتأكد من صحة أحاديث سمعها، كما رؤي أنه رحل إلى مصر لسمع حديث القصاص من عبد الله بن أنيس قال: إن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني».

وجاء الحديث أيضاً عند الخطيب البغدادي المتوفى في سنة ٤٦٣ هجرية في كتابه (آداب الجامع) برقم ١٣٥٠ رواية بالسند الآتي: «حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن إبراهيم القزويني، أنا علي بن إبراهيم بن سلمة القطان، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي نا آدم بن أبي إياس، نا ورقاء بن عمر، عن جابر الجعفي، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن ثابت، خادم النبي ﷺ قال: جاء عمر بصحيفة فقال: يا رسول الله بعث إلي بهذه الصحيفة رجل من بني قريظة فيها جوامع من التوراة أقرأها



عليك فجعل عمر يقرأ وجعل وجه رسول الله يتغير فرمى عمر بالصحيفة بشأله وقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، فما زال يقولها حتى أسفر وجه رسول الله ثم قال: والذي نفسي بيده لو أصبح اليوم فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من الأنبياء».

وفي حديث آخر أورده الخطيب البغدادي في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)، أن عمر قال: «يا رسول الله، إن أهل الكتاب يحدّثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا، وقد هممنا أن نكتبها، فقال ﷺ: أمتهوكون أنتم كما يتهوكون اليهود والنصارى؟ أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولكني أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الحديث اختصاراً».

وورد الخبر عند الهيثمي في كتابه (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)، كتاب المناقب، مناقب عمر بن الخطاب، قال: «وعن أبي الدرداء وهو أبو الدرداء الأنصاري المتوفى في سنة ٣٢ هـ، صحابي وفقيه وقاض وقارئ قرآن وأحد رواة الحديث النبوي، وهو من الأنصار من بني كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. أسلم متأخراً يوم بدر، ودافع عن النبي يوم أحد، وشهد ما بعد ذلك من المشاهد، وكان من المجتهدين في التعبد وقراءة القرآن، رحل إلى الشام بعد فتحها ليُعلّم الناس القرآن، ولُيُفقههم دينهم، وتولى قضاء دمشق، ظل فيها إلى أن مات فيها في خلافة عثمان بن عفان قال: جاء عمر بجوامع من التوراة إلى رسول الله ﷺ وسلم فقال: يا رسول الله جوامع من التوراة أخذتها من أخي من بني زريق، فتغير وجه رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن زيد الذي أُرِيَ الأذان: أمسخ الله عقلك ألا ترى الذي بوجه رسول الله ﷺ، فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً، فسرى عن رسول الله ﷺ، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ضلالاً بعيداً، أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين».



ويبرز القرآن الكريم ما كان يحرك اليهود من حسد وحقد على النبي ﷺ بعد أن كانوا يتمنون أن يكون النبي الجديد الذي بشرت به كتبهم واحداً من بينهم، يجمع شملهم وينصرهم على خصومهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة: ١٠٥)، وقال الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩).

(٢)

تميزت البدايات الأولى لحركة الاستشراق في أوروبا الوسطى في حوالي مطلع القرن الثامن عشر للميلاد -وبما له علاقة بالدراسات عن الإسلام والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وبشكل أخص بما يعيننا في هذه الدراسة المتواضعة عن حياة رسول الله ﷺ وسيرته- بعدد من السمات والخصائص، ومن بين أهمها غلبة دراسات المستشرقين اليهود ممن تخرج من جامعات بون وبرلين في ألمانيا، وليدن في هولندا، وغيرها من جامعات أوروبا الوسطى، وقد كتب هؤلاء دراساتهم باللغة الألمانية بدرجة أساس، كما فعل المستشرق اليهودي المجري جولد تسيهر، وإسرائيل فريدلاندر Israel Friedlaender الدانماركي، وآخرون، فضلاً عن اللغة الهولندية ولغات أوروبية أخرى. والأمور المهم هو أن هذه الدراسات -دراسات المستشرقين بخصوص السيرة النبوية في مرحلة بداية الحركة الاستشراقية في أوروبا الوسطى- قد توزعت على عدد من الرؤى والاتجاهات، أولها الاتجاه المتمثل بدراساتهم -وأقصد دراسات المستشرقين اليهود- تلك التي هيمنت عليها أيديولوجية ثابتة تستند إلى التشديد على التأثير التوراتي العبراني في الإسلام والقرآن الكريم وسيرة النبي ﷺ، تلك الإيديولوجية التي تتمثل بإثبات فضل اليهودية على الإسلام، وبالادعاء أن اليهودية -بحسب نظرهم- تعد المصدر الأساس

للإسلام. وهذا واضح في دراسة المستشرق اليهودي الألماني أبراهام جيغر الذي يعدّ أول مستشرق يهودي عاش في الربع الأول من القرن التاسع عشر، في رسالته للدكتوراه الموسومة بـ: (ما الذي استعاره أو ما الذي اقتبسه محمد من التوراة:

Was hat Mohammed vom Judentum oder der hebräischen Tora erhalten oder zitiert?) .

فضلا عما كان يفكر به المستشرقون اليهود في هولندا من عدم الاعتراف بالإسلام بوصفه دينًا، وإنّما يعدّونه مأخوذاً ومقتبسا من العبرانية اليهودية. ولتحقيق منهجهم هذا فإن علماء اليهود ومفكرهم قد وجدوا أن أفضل وسيلة للوصول إلى هذا الهدف القومي المتعصب هي ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة العبرانية ترجمة هي بحدود تلك الحقبة المبكرة التي قد ابتدأت بفرض عناصر التحريف والتشويه وعدم الأمانة والصدق في ترجماتهم. فمن بين أوائل من ترجم القرآن الكريم يعقوب بن إسرائيل هاليفي JACOB BEN ISRAEL HA-LEVI في القرن السابع عشر، وعنوان ترجمة هاليفي:

A translation of the Koran from the Latin into Hebrew, with an essay on the history of Mohammed and his religion. This translation is still in manuscript (Neubauer, "Cat. Bodl. Hebr. MSS." No. 2207).

أي: ترجمة القرآن من اللاتينية إلى العبرية، مع مقال عن تاريخ محمد ودينه. وما تزال هذه الترجمة مخطوطة^(٤).

وتوجهت اتهامات المستشرقين لحقل ترجمة القرآن الكريم، إذ انصرف عدد من المستشرقين اليهود منذ منتصف القرن التاسع عشر لهذا العمل، فقام حاييم هرمن ريكندروف HAYYIM ZEBI BEN RECKENDORF، SOLOMON بأول ترجمة عبرية للقرآن، وأصدرها في عام ١٨٥٧م في مدينة ليبزج الألمانية. وريكندروف كان حاخاما يهوديا وعمل أستاذا للغات السامية في جامعة هيدلبرج بألمانيا، وترجمته العبرية للقرآن كانت تحت عنوان: "Al-Kuran o ha-Mikra"، تحتوي مقدمتها -التي كتبها المترجم- على مقال عن تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل العصر المحمدي، وسيرة محمد، ومقال عن



القرآن نفسه، وأطروحات صغيرة أخرى حول موضوعات متحالفة.

وتسيفي حايم هيرمان ركندورف (צביחי הרמן רנדורף) ولد عام ١٨٢٥ م في مورافيا، وتوفي عام ١٨٧٥ م في هايدلبرج، وهو مستشرق وأديب يهودي، نال تعليمه في يشفوت مورافيا، ثم انتقل إلى جامعة لينج، حيث أتم تعليمه هناك، وقد ألقى بعض المحاضرات في جامعة هايدلبرج حول الفنون العبرية، وكذلك حول اللغات السامية، وقد ألف فيما بين عامي ١٨٥٦ م - ١٨٥٧ م مجموعة قصص يهودية تاريخية بعنوان: Die Geheimnisse der Juden، وذلك في خمسة أجزاء، وأما أهم أعماله على الإطلاق فهو ترجمته لمعاني القرآن الكريم عام ١٨٥٧ م، وقد أشار في نهاية مقدمته إلى أنه أتمها عن عمر يناهز اثنتين وثلاثين عاماً وأربعة أشهر^(٥). وقد عنون ترجمته بالعنوان العبري: אלקוראן או המקרא נעתק מלשון ערבית ללשון עברית ומבואר، أي: نسخة القرآن أو الكتاب المقدس من العربية إلى العبرية وتفسيره "Al-Kuran o ha-Mikra"، فضلاً عن ترجمة ريكندورف كتاب الله العزيز إلى اللغة العبرية فقد كتب دراسة بعنوان: (محمد وعائلته Mohammed und die Seinen).

والنسخة نادرة الوجود؛ إذ لم يتبق منها سوى ثلاث نسخ، وقد استعمل المترجم فيها الأسلوب التوراتي، ومن يتصفح هذه الترجمة يجد أن المترجم أسقط ترجمة العديد من المفردات والآيات القرآنية، بالإضافة إلى عدم إدراكه معنى العديد من معاني القرآن الكريم، الأمر الذي أثر وأخل بالسياق العام للنص القرآني. وقسم ريكندورف القرآن على وفق التقسيمات الاستشراقية، وليس كما كان يتماشى مع النص القرآني، وتضمنت الترجمة هوامش عديدة، أورد فيها فقرات من مصادر دينية ويهودية، بزعم منه أن هناك اتفاقاً بينها وبين بعض الآيات القرآنية.

وقد أفصح عدد من النقاد الغربيين واليهود المعنيين بالدراسات العربية والإسلامية عن عدم موضوعية ريكندورف في ترجمة معاني القرآن الكريم، وعن وجود كثير من الأخطاء في الترجمة، سواء في فهم محتوى السور القرآنية الكريمة أو حتى في الترجمة نفسها.

من هذا كله يمكننا القول: إنه لا غرابة في أن يكون تاريخ الترجمات العبرية للقرآن الكريم وتفسير معاني سوره وآياته الكريمة يدور - هو أيضا - ضمن تلك الإيدولوجية التوراتية الممنهجة، الهادفة إلى تشويه القرآن الكريم.

وهناك ترجمة قام بها الدكتور أهارون بن شيمش Aharon bin Shemesh، صدرت الطبعة الأولى منها عام ١٩٧١م، تحت عنوان: הקוראן הקדוש תרגום חופשי (القرآن المقدس... ترجمة حرة)، أما الطبعة الثانية فصدرت عام ١٩٧٨ تحت عنوان: הקוראן ספר הספרים של האשלאם תרגום מערבית، (القرآن كتاب الإسلام الأول، ترجمة من العبرية). وتختلف عن الترجمات السابقة لها في عدم تقيد المترجم بالتقسيم المعروف لآيات القرآن الكريم، بل قام بترجمة كل خمس آيات مجتمعة، ويحيى الترقيم في نهاية كل خمس آيات، وليس في نهاية كل آية، كما أغفل في بعض الأحيان ذكر بعض فواتح السور المكونة من حروف منفصلة، معتقدا أن هذه الحروف اختصار لأسماء من أسماهم بـ "حفظة المخطوطات الأصلية للقرآن"، كما أن الترجمة بشكل عام تغلب عليها الانطباعات الشخصية؛ لهذا فإنها تعدّ من أكثر الترجمات رواجاً بين اليهود من غير المتخصصين في الدراسات الإسلامية أو من لا يعرف اللغة العربية الفصحى.

وهناك الترجمة التي قام بها البروفيسور أوري روبين، ويمكننا عدّها الترجمة العبرية الأحدث زماناً، والأهم من الناحية العلمية عن القرآن الكريم، أصدرتها جامعة القدس في تل أبيب في شهر مارس عام ٢٠٠٥م، بوصفها باكورة سلسلة أعمال مترجمة لروائع الأدب العربي إلى العبرية، والبروفيسور أوري روبين - كما سننوه عن ترجمة حياته أدناه - أستاذ الدراسات الإسلامية في قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة تل أبيب، وقد نالت هذه الترجمة أهميتها؛ لسبب أنها - كما يقول عنها البروفيسور نفسه - جاءت تلبية للحاجة الماسة إلى ترجمة عبرية جديدة للقرآن؛ بغية التصحيح والتنقيح للترجمات السابقة لها. ويذكر روبين في مقدمة ترجمته أن الهدف من ترجمته وضع نسخة مقروءة



لا تستوجب معرفة مسبقة باللغة العربية الفصحى؛ لذا فقد حرص على الترجمة بلغة عبرية مبسطة وقريبة من القارئ العادي، فضلاً عن ذلك فقد بين المترجم في المقدمة أنه قد استعان بعدد من التفاسير الإسلامية للقرآن الكريم، تلك التي قد تمّ تصنيفها خلال القرون الإسلامية الأولى؛ وذلك بهدف إعانته على إعداد ترجمة عبرية للقرآن الكريم، تعكس التفسير الأكثر قبولاً لدى عامة المسلمين، إضافة إلى اعتماده على هذه التفاسير بشكل كبير في إضافة ملاحظات وتعليقات نقدية حول الآيات القرآنية في هوامش الترجمة وحواشيها، مضيفاً إلى ذلك أنه اعتمد على أربعة تفاسير، وهي:

- ١- تفسير «بحر العلوم»، لـ «أبي الليث السمرقندي»، المتوفى عام ٣٧٥هـ - ٩٨٥م.
- ٢- تفسير «زاد المسير»، لـ «عبد الرحمن بن الجوزي»، المتوفى عام ٥٩٧هـ - ١٢٠٠م.
- ٣- تفسير «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، لـ «القاضي البيضاوي»، المتوفى عام ٦٨٥هـ - ١٢٨٦م.
- ٤- تفسير «الجلالين»، لـ «جلال الدين السيوطي»، المتوفى عام ٩١١هـ - ١٥٠٥م، وجلال الدين المحلي، المتوفى عام ٨٤٦هـ - ١٤٥٩م^(٦).

إذن فالمستشرقون اليهود اشتهروا بكونهم من أوائل الذين بادروا إلى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة العبرية واللغات الأوروبية، وكان مسعى هؤلاء في عملهم هذا من أجل تحقيق أهداف ثقافية ودينية، وربما سياسية أيضاً، من وراء تلك الترجمات، وقد حظيت هذه الترجمات بأهمية كبيرة، وأحدثت تياراً علمياً مهماً في الدراسات التاريخية وغيرها؛ غير أنها -واقعيًا- قد وفرت للمستشرقين اليهود وغير اليهود ترجمات مضللة؛ لأنها -في الأساس- كانت قد اشتملت على أغلاطٍ وخلطٍ في الموضوعات والمطالب، الأمر الذي كان له التأثير العميق في الدراسات الإسلامية في الغرب، فكان هناك كثير من سوء الفهم والتسرع في استخلاص النتائج، وسطحية ناشئة عن الترجمات الخاطئة للقرآن في أوروبا.

بقيت هذه الرؤية التوراتية سائدة في دراسات المستشرقين اليهود في أوروبا الوسطى بعد دراسة جيجر وريكندروف، متمثلة بما قام بدراسته المستشرق إغناز جولدتسيهر Ignaz Goldziher في كتابه المعروف: Muhammadanische Uber kitab—Ahl gegen Polemikm، بمعنى: «نبذة عن الجدل المحمدي ضد أهل الكتاب»، ودراسة المستشرق الألماني جوزيف هوروفتز Josef Horovitz أسطورة محمد zur Muhammadlegende، والمستشرق الألماني الآخر رودولف زهايم Rudolf Sellheim، والبروفسور اليهودي الألماني هائم زيف هيرشبرغ Haim Zeef Hirschberg المتوفى سنة ١٩٧٦ م، والمستشرق كارل هاينز أوهلغ Karl- Heinz Ohlig، ومايكل لسكير Michael M. Laskier، والبروفسور مايكل كوك وغيرهم.

وقبالة هذا الاتجاه اليهودي المتعصب شهدت أوروبا الوسطى ظهور تيار واتجاه آخر، متمثل بدراسة الأحاديث النبوية وتحليل الروايات الإسلامية، الشفاهية منها والمدونة في مؤلفات السيرة النبوية المطهرة، وهو موضوع مهم جداً، جئت على دراسة أهم محاوره، وأشهر المستشرقين الألمان وغير الألمان في الكتاب الذي صدر حديثاً بعنوان: «جدلية جمع القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر».

فالمستشرق البروفسور أوري روبين (بالعبرية: אורי רובין) هو أستاذ في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة القدس في إسرائيل، ومجالات بحثه تتركز على الإسلام المبكر، مع التركيز بشكل خاص على القرآن الكريم، وسيرة النبي ﷺ، وتفسير القرآن الكريم، والرواية الإسلامية المبكرة المتعلقة بالسيرة النبوية والحديث النبوي، وقد نهد بتأليف عدد من الكتب حول تلك الموضوعات، كما أسهم في نشر مقالات في موسوعة الإسلام وغيرها من الأعمال، وعمل روبين أيضاً في المجلس الاستشاري لموسوعة القرآن، وألف إلى سنة ٢٠١١ أربعة كتب، وهي (The Quran: The Divine



،Voice Speaks to Muhammad the Messenger. Jerusalem 2019in Hebrew
القرآن: الصوت الإلهي أو صوت الله وهو يخاطب محمد الرسول وهو باللغة العبرية)،
ومحمد النبي والجزيرة العربية، Variorum، Collected Studies Series، Ashgate، 2011
، وبين القرآن والتوراة: بنو إسرائيل
والصورة الإسلامية Between Bible and Qur'an: the Children of Israel and
،the Islamic Self-Image. The Darwin Press، Princeton، New Jersey، 1999
وكتاب عين الناظر: حياة محمد كما يراها المسلمون الأوائل -The Eye of the Beholder: the Life of Muhammad as Viewed by the Early Muslims(a Textual
er: the Life of Muhammad as Viewed by the Early Muslims)، The Darwin Press، Princeton، New Jersey، 1995
الذي سيكون محورا للمحاجة مع الآراء التي وردت فيه، وله-أيضاً- ترجمة للقرآن
الكريم باللغة العبرية بعنوان: The Qur'an: Hebrew Translation from the Arabic. New Edition. Tel Aviv 2016
، abic. New Edition. Tel Aviv 2016
معودكنت ومورحبت. تل أبيب 2016 ،" القرآن: ترجمة عبرية من اللغة العربية، وكان قد
ترجم القرآن الكريم مع حواش وملاحق وفهرسة قبل ذلك التاريخ، وطبعه في القدس
في سنة ٢٠٠٥ . فكما يرى القارئ فإن كتابه الثالث الموسوم: «بين التوراة والقرآن: بنو
إسرائيل والصورة الإسلامية»، يبين بجلاء الأهداف الحقيقية من وراء نتاجه الشر^(٧) .
والمستشرق في الواقع يعتمد في مؤلفاته على المظان الإسلامية، سواء كانت مؤلفات
الطبقات والتاريخ والتفاسير، أم الصحاح والسنن والمصاحف، أم غير ذلك، واهتم اهتماما
ملحوظا بمسألة أسانيد الروايات المتواترة والمرسلة والمقطوعة وما إلى ذلك من موارد وأصول
في علم الحديث، سواء كانت على شكل كتب، أم بحوث بلغت حوالى السبعين بحثاً ومشاركةً
في المجلات العالمية وفي دوائر المعارف، نظير دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية) و (الطبعة
الثالثة)، وفي موسوعة القرآن (طبعة بريل في ليدن)، ودائرة معارف هابريكا (باللغة العبرية)



1995 (Encyclopaedia Hebraica، 3rd supplement volume). وإن نظرة إلى قائمة بحوثه تؤكد اهتمامه بالكتابة عن سيرة سيد المرسلين محمد ﷺ وعن القرآن الكريم، نظير بحثه: The Seal of the Prophets and the Finality of Prophecy: «خاتم الأنبياء واختتام النبوة»، وبحثه:

(Muhammad's message in Mecca warnings, signs, and miracles, «رسالة محمد في مكة»: (The case of the splitting of the moon Q 54: 1-2) إنذار (حالة انفلاق القمر)، ورحلة محمد الليلية (الإسراء) إلى المسجد الأقصى: مظهر من مظاهر أصول الإسلام المبكرة جدا لقداسة القدس»، وبحثه: «الأنبياء والنبوة Muhammad the Exorcist: Aspects of Islamic-Jewish Polemics» وبحثه: «محمد طارد الأرواح الشريرة: مظهر من «The life of Muhammad and the Qur'an: the case of Muhammad's Hijra» حالة هجرة «Muhammad's Curse of Mudar and the Blockade of Mecca» وبحثه: لعنة محمد على مضر وحصار مكة»، وغيرها من الأبحاث - التي لم نأت على ذكرها - المتعلقة بالقرآن الكريم، وبالعلاقة اليهود في المدينة، إلى غير ذلك^(٨). والمستشرق روبين لا يخفي عصبية اليهودية في دراساته تلك، ففي مجال دراساته وأبحاثه عن السيرة النبوية بالتوراة ﷺ المطهرة نراه دائما يشدد على التأثير التوراتي في الإسلام، وعلى تأثر النبي والزبور، وواقعا فإن هذا الرأي لم يكن من اكتشافات البروفسور روبين، إنما هو رؤية وتخرص قديم قد شددت عليه مدرسة الاستشراق الألمانية أكثر من غيرها من المدارس الاستشراقية الأوروبية منذ منتصف القرن التاسع عشر، والبروفسور روبين الذي ربما تكون عائلته أيضا من أصل ألماني؛ إذ هو يؤكد اعتماده فعلا على عدد من المستشرقين The Eye of the الألمان القدامى في رؤيته التوراتية هذه، ففي الصفحة الأولى من كتابه:



Beholder: The Life of Muhammad as Viewed by the Early Muslims، أي «عين الناظر: حياة محمد كما يراها المسلمون الأوائل» الذي نتعرض لمحااجة آراء فيه في أدناه، في هذه الصفحة رقم ١ من مقدمته يعقبها فيذكر المستشرق النمساوي المعروف في كتابه المترجم إلى اللغة Ignaz Goldziher الذي يكتب باللغة الألمانية جولدتسيهر الإنجليزية الموسوم بـ: «دراسات إسلامية»، وكذلك يشير إلى المستشرق الألماني جوزيف «أسطورة محمد»، وإلى zur Muhammadlegende في بحثه: Josef Horovitz هورفتز في بحثه: «نبي، خليفة Rudolf Sellheim المستشرق الألماني الآخر رودولف زهايم Prophet، Chalif und Geschichte. Die Muhammed-Biographie des Ibn Ishāq» ، ودراسة جولدتسيهر الأخرى: "Über Muhammedanische Polemik gegen Ahl—kitab ضد نبذة عن الجدل المحمدي بعدد Biblische Nachwirkungen in der Sirat أهل كتاب"، وكتاب هورفتز الأخر: الكتاب المقدس السيرة». إذ احتل هؤلاء المستشرقون الألمان مركز الصدارة فيما يتعلق برؤيتهم عن التأثير التوراتي في الإسلام والسيرة النبوية المطهرة. والمثير أن البروفسور روبين متعلق بالتركيز على هذه الرؤية التوراتية، بل ومتعصب إزاءها، ليس في كتابه الذي نخضع بعض فصوله للمحااجة فحسب، بل وفي بحوثه ودراساته التي لها علاقة بالسيرة النبوية، نظير دراسته الموسومة بـ: خاتم الأنبياء وختام النبوة في تفسير سورة The Seal of the Prophets and the Finality of Prophecy: On الأحزاب (٣٣) ودراسته الموسومة بـ: the Interpretation of the Qur'anic Siirat al-Ahzab 33 ودراسة PHROPHETS AND CALIPHS: THE Umayyad Authority في بحثه، MUHAMMAD THE EXORCIST: ASPECTS OF ISLAMIC-JEWISH POLEMICS هذه، ويكرر مثل هذه

الرؤية في دراسته الموسومة بـ: رسالة محمد في مكة: التحذيرات والعلامات والمعجزات ليس. Muhammad's message in Mecca: warnings, signs, and miracles. كان سائداً عند المسلمين في نهاية المطاف، إذ يبدو أن هذا التفسير التوراتي وتأثيره في رسول الله عند أغلبية المستشرقين اليهود المعاصرين للمستشرق أوري روبين، والذين ألفوا بحوثاً ، فقد Alexander Toepel ، كالبروفسور الكسندر توبيل عليه السلام بخصوص سيرة النبي وقف على الموضوع نفسه في دراسته الموسومة: «الخاتم والمعزي: في نبوة نهاية العالم ماني Seal and Comforter: On the Apocalyptic Prophethood of Elkasai Mani, and Muhammad» ، والكساي فرقة يهودية - مسيحية كانت تقطن الأهموار في العراق، دعاها ابن النديم في فهرسته بالمناينة. وكذلك الدراسة التي نشرها يوهنان فريدمان المستشرق الإسرائيلي الموسومة: «خاتم النبوة Yohanan Friedmann FINALITY OF PROPHETHOOD IN SUNNI ISLAM . في الإسلام السني

(٣)

في القسم الثالث من كتاب البروفسور روبين (عين الناظر... إلخ) والموسوم بـ: «الوحي revelation»، الذي نخضع تفسيره التوراتي هاهنا للمحاججة، قد ابتدأ فصل الوحي بإثارة موضوعه المباشر فقط، ألا وهو «قصة خديجة - ورقة بن نوفل The Khadija - Waraqa Story»، وسرد في بدايته هدفه من دراسة الوحي، وكان موضوع الوحي الإلهي الذي أنزله الله تعالى على رسوله الكريم بواسطة الملك جبرئيل، إذ قال الله تعالى في سورة فصلت الآيتين ١، ٢: ﴿حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ١ - ٣)، وفي سورة أخرى قال تعالى: ﴿حَمْدٌ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (الدخان: ١ - ٣)، فالمستشرق بعد كل هذا يستسهل عملية نزول الوحي بقصة جاءت بها رواية تاريخية شفهية مضطربة وضعيفة المباني، وعلى هذا الأساس فقد قال في فاتحة حديثه



عن رواية هذه القصة المضللة قائلاً: إن الهدف من هذا العمل ومن هذا التوجه هو الوحي، ففي الفصول السابقة كانت الإشارة بالفعل إلى الروايات التي تصف البداية الحقيقية للإحياءات النبوية لمحمد، وقد رأينا أنه في بعض الروايات هذه الحادثة قد ارتبطت بمسألة شق صدر محمد (الفصل الثالث)، وبعض النماذج والصيغ للمشهد نفسه قد حدثت في قصة الهداية (الفصل الرابع)، فالفصل الحالي يؤشر إلى دراسة أكثر تركيزاً وكثافة لروايات ونسخ إضافية من الروايات لبدايات الإحياءات النبوية لمحمد، فهذه اللحظة قد أثارت انتباه كثير من الإسلاميين، غير أن الجميع حاولوا الكشف عن الخلفية الواقعية للقصة، وليس عن التاريخ المتعلق بنص القصة بحد ذاتها. وهذا كله كلام غامض، ليس له من أهمية في الموضوع الحقيقية التي يريد تحليلها المستشرق.

ويقول روبين بعد أن يبين هدفه من الحديث عن الوحي، وبعد أن ربطه ببقية فصول كتابه ما يأتي: «إن لحظة أول الوحي، تلك التي كان حاسمة جداً وعصية جداً في القصص بخصوص كثير من الأنبياء، قد صاحبت بل وقد ارتبطت بحدث لم يكن أقل أهمية حينها تروى ثانية وبشكل آخر عن محمد، فهي تحتوي على عناصر أساسية اعتيادية، نظير رؤى لأصوات ولضوء، وظهور مروع لشخصية فوق-طبيعية (على الأكثر ملاك)، وإن خوف النبي الذي كان قليل الخبرة بل عديمها، وكذلك عن الخطاب الذي وجهه الملاك... إلخ. وإن هذه العناصر قد بنيت في قضية محمد الخاصة، النبي الذي ظهر في مكة. ومن الطبيعي أن قصته قد دونت ووضعت في مسرح الأحداث في مكة، وأن حبكة الرواية plot كانت تدور حول شخصيتين من عائلته القريبى الصلة به جداً: زوجته وابن عمها ورقة بن نوفل، ذلك المتعلم أو المثقف scholar العربي النصراني، وهما هنا قد أخطأ المستشرق؛ لأن ورقة لا يمت بصلة قرابة إلى النبي ﷺ، لكن ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي هو ابن عم خديجة بنت خويلد عليها السلام، زوجة النبي محمد ﷺ، إذ كان والده نوفل بن أسد هو أخ والدها خويلد بن أسد. عبد الجبار ناجي.



وأن الأخير قد ذكر في المصادر جنباً إلى جنب مع زيد بن عمرو والأحناف الآخرين من الذين تركوا وتحلّوا عن الشرك المكّي، وأخذوا يبحثون عن الديانة الحقيقية لإبراهيم، وكان دوره يتعلق بربط القصة بموضوع البرهان التوراتي «biblical attestation» .

والمستشرق هاهنا يشير إلى ما سبق أن وقف عليه هو في الفصل الأول من كتابه من ص(٢١ - ٢٣)؛ وأن معرفته وعلمه بالكتب المقدسة sacred scriptures قد جعلته قادراً على أن يؤكد بل ويصرّ على أن الرؤية الأولى التي خبرها وشهدها محمد هي في الحقيقة رؤية نبوية أصيلة وخالصة، وأن محمداً هو في حقيقة الأمر النبي الذي أشارت إليه البراهين والبشارات في الكتب المقدسة التوراتية. ومما يجدر ذكره أن ما تناوله روبين في هذا الفصل -أي الفصل الأول من كتابه- ينقسم على جانبين، الأول منهما الذي يركز عليه هو بعنوان البشارة التوراتية التي جاء في صفحتها الأولى ما يتعلق برؤيته التوراتية، ألا وهي: أن المسلمين كان عليهم أن يبنوا ويؤسسوا قصة حياة محمد على النموذج الأدبي نفسه المستعمل في سير الأنبياء الآخرين، ولما كان هؤلاء الأنبياء جميعهم شخصيات توراتية، وخاصة ما هو موجود في الكتاب المقدس، فإن سيرة محمد ﷺ كان ينبغي لها أن تشكل وأن تتخذ شكلاً معتمداً النماذج التوراتية، وبهذه الصورة يكون من المفترض أن يقتنع أهل الكتاب الذين رفضوا الاعتراف بمحمد ﷺ بوصفه نبياً يشابه أنبياءهم. وكان مصدر المستشرق روبين في هذه النقطة بحسب هامش تلك الصفحة التي يقول فيها: «إن مهمة المعلومات اليهودية والنصرانية والمواد الأخرى في السيرة كانت قد تمّت ملاحظتها منذ أمد طويل من قبل هيروفتزر في دراسته باللغة الألمانية الموسومة: zur Muhammadlegend، أي: أسطورة محمد، وكذلك في دراسة زلهاميم Sellheim في بحثه باللغة الألمانية أيضاً المعنون: (نبي، خليفة وتاريخ) ص ٥٣-٧١، عبد الجبار ناجي. ثم يردف المستشرق يوري روبين موضحاً أن تشكيل صورة نبي الإسلام على غرار الكتاب المقدس يتجسد عادة بشكل بينّ ونموذجي في موضوع البشارة، ويستمر



المستشرق بعرض رؤيته التوراتية التي وقف عليها في الفصل الأول من كتابه، فيقول: إن تشكيل صورة نبي الإسلام مع التصاميم والخطوط التوراتية يتمثل بشكل على نحو نموذجي في موضوع البشارة، وباعتباره النبي الذي كان اختياره مقدرًا، فإن الظهور الحقيقي والفعلي لمحمد في الجزيرة العربية قد بشر به من قبل الأنبياء السابقين الذين تكشف لهم هدف مخطط، وفكرة الله التاريخية مقدما وسلفا، والذين كانت مهمتهم وواجباتهم تعبيد الطريق لظهور محمد. فخلال بحثهم وتنقيبهم عن دليل أدبي للبشارة بنبيهم، استعمل المسلمون الصورة نفسها والوسيلة تلك التي استعملها المسيحيون بالنسبة إلى المسيح؛ فلقد تفحصوا ونظروا إلى دليل وبرهان في الكتب المقدسة السابقة، ثم عينوا شخصية نبيهم بالمنقذ والمخلص المسيحي الذي كان ظهوره - كما يعتقد - قد تنبئ به في كثير جدا من الآيات التوراتية، واقتبسوا تلك الآيات حرفيا بالترجمة العربية في كثير من المقالات والرسائل اللاهوتية الجدلية من قبل المؤلفين المسلمين الذين مسح ودرس أسماءهم بالفعل جولدتسيهر وآخرون»^(٨).

هوامش الفصل الثاني

١-أ ينظر: Literaturzei- Orientalistische in Grimme 1864-1942 Hubert

Bib- hebraische die fur Zeitschrift in Horovitz .J ; 226ff.pp : (1904)7 tung
Erzalungen biblischen Die ،Speyer Heinrich ;10.p : (1903)6 liographie
semitischen zur Beitrage Neue ،Grunbaum Max ;1931،Berlin،Qoran im
.1893،Brill :Leiden،Sagenkunde

كذلك ينظر: أصول القرآن : بحوث كلاسيكية عن الكتاب الإسلامي المقدس The Origins
of The Koran: Classic Essays on Islam's Holy Book، edited by Ibn War-
raq.P.165-226. الذي حرّره ابن الوراق.

٢- ينظر، الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٧٠ ؛ Kenneth Grayston ؛
; The Meaning of PARAKLĒTOS.University of Bristol,England(1981).
Donzel، E. Van and B. Lewis، Ch. Pellat. "Isa" in Encyclopedia of Islam
Volume 4، 1997، 83.Montogemery Watt، W. Montgomery(April 1953).
"His Name is Ahmad". The Muslim World. 43(2): 110 -117. A. Guthrie and E. F.
F. Bishop، The Paraclete، Almunhamanna and Ahmad، Muslim World XLI(Octo-
ber، 1951)، p.254-255; Anthony، Sean; Muḥammad، Menaḥem، and the Para-
clete: New Light on Ibn Ishāq's(d. 150/767) Arabic Version of John 15: 23-16:
- السيرة النبوية- Bulletin of the School of Oriental and African Studies 79.2
سيرة ابن إسحاق، المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، المحقق: أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار
الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢٤ - ٢٠٠٤، ص ١٢٤ - ١٢٦ .

٣- المصادر عن الوثيقة: ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى (ت ٧٣٤هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشئائل والسير، بيروت، دار الآفاق، ١٩٧٧م؛ ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، بيروت - الكويت، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر: السيرة النبوية، بيروت، مكتبة المعارف، (د.ت.)؛ ابن هشام، أبو محمد بن عبد الملك: السيرة النبوية، دمشق، دار الفكر، (د.ت.)؛ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت: ٥٨١هـ): الروض الأنف، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، القاهرة، ١٩٦٧م.



٤- ينظر: . Ency. Judaica (edition second), Jerusalem, 1973. vol 13, P.161 (هامش مير فرحات شحاته)، ترجمة بن شيمش العبرية لمعاني سورة آل عمران، دراسة نقدية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣ ص ١٥ .

5-Hava Lazaras yafeh :intertwind worlds ,Princeton University New Jersey, 1992P. 149. Myron .M .Weinstein ,Washington D.C Hebrew Quran Manuscript ,in studies in Bibliography and booklore ,Jewish institute of Religion N.G .vol x .Winter ..1971 ,vol x ,P ;4 Ency .Judaica Encyclopedia Judaica-2 ,nd printing ,Jerusalem, ;1973

(حمد الشحات هيكل)، الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم... أهداف سياسية ودينية، مجلة القدس)، العدد ٩٤، أكتوبر ٢٠٠٦، ص ٨٧.

٦- محمد محمود أبو غدیر، ترجمة أوري روبين لمعاني القرآن الكريم في ضوء الترجمات العبرية السابقة، مجلة لوجوس، مركز اللغات والترجمة المتخصصة، جامعة القاهرة، العدد الأول، يوليو ٢٠٠٥، ص ١٠٥ .

Myron .M .Weinstein ,Washington D.C :Hebrew Quran Manuscript, in studies in Bibliography and booklore ,Jewish institute of Religion N.G .vol x .Winter ;1971 ,Hava Lazarus-Yafeh ;Intertwined Worlds :Medieval Islam and Bible Criticism

7-Wikipedia ,the free encyclopedia Prof .Uri Rubin's Web Site-6 ; Prof .Uri Rubin's Web Site

٨- ينظر: جولدتسيهر بالألمانية uber Mohammadanische polemic بمعنى: حول الجدل المحمدي ضد أهل الكتاب (١٨٧٨) ص ٣٤١-٣٨٧، ينظر أيضا: كستر M.J.Kister «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» (١٩٧٢)؛ جون ونزبورو: دراسات قرآنية، كذلك الدراسة الحديثة التي كتبها كاميلية أدنغ Adang Camilla بالإنجليزية: «المؤلفون المسلمون عن اليهودية والتوراة العبرية من ابن ربن إلى ابن حزم»، أطروحة دكتوراه (١٩٩٣) .





بطلان المسلمات التوراتية للمستشرقين اليهود
المعاصرين بما له علاقة بحياة رسول الله ﷺ وسيرته

لا غرو من القول: إن موضوع السيرة النبوية المطهرة وحياة رسول الله ﷺ يعدّان من الموضوعات الرئيسة التي تكثفت حولهما الدراسات الاستشراقية، وانشدت إليهما أقلام المستشرقين من مؤرخين وأدباء وفلاسفة، منذ زمن طويل جدا يرجع إلى زمن الحروب الصليبية وعصر النهضة الأوروبية في القرن السادس عشر الميلادي. وواقعا فلعلنا لا نغالي القول: إنه نادراً ما نقرأ في إسهام أي مستشرق عن التاريخ الإسلامي أنه لم يتناول حياة الرسول ﷺ وشخصيته وسيرته، أو الدعوة الإسلامية في سنواتها الأولى، سواء أكان ذلك عن طريق تأليف كتب مستقلة عنه ﷺ، أم بتخصيص فصول كاملة من دراساتهم ومؤلفاتهم عن التاريخ الإسلامي بصورة عامة.

وقد اختلفت رؤى المستشرقين والمبشرين منذ بداية الاهتمام بدراسة السيرة النبوية بين رؤى متعصبة وسلبية ومجحفة، ولا سيما في العصر الكنسي، إلى رؤى عقلانية إلى حدّ ما أنتجها عصر ما بعد عصر الكنيسة، تلك المتمثلة بتطور مناهج البحث العلمي للعلوم عامة ولعلم التاريخ خاصة، وكذلك لما تمّ اكتشافه من مخطوطات إسلامية تقع ضمن محور مجموعة مؤلفات التاريخ والطبقات والحديث والتفسير والأدب واللغة، والمصنفات تلك لا بدّ أنها وفّرت للمستشرقين الأوروبيين حشدا لا يستهان به من الأدلة والاستشهادات والروايات المساعدة في تثبيت تأويلاتهم وتركيز مواقفهم المغايرة لتأويلات العقلية الكنسية وتخرصاتها التي سادت خلال العصور الأوروبية المظلمة، بما له علاقة بالسيرة النبوية وحياة رسول الله ﷺ، والقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف. وقد أشار بعض المستشرقين إلى أهم الدوافع التي شجعت على ظهور مثل هذه القصص الخرافية والتفسيرات الحاقدة في العصر الكنسي؛ إذ إنها كانت تستغل كمحفزات فعّالة لإمداد الجندي أو المقاتل الصليبي في ساحة المعركة.



ومع كل ذلك فإن تلك الكتابات قد أنتجت آثاراً بعيدة وسيئة، ما زالت إلى الآن تحتل مكانة غير قليلة الأهمية من حيث رسوخها وثبوتها في عقلية الفرد الأوروبي، ورُبَّ سائل يستوقفه سؤال عن السبب أو مجموعة الأسباب التي دفعت بالمستشرقين إلى هذا الاهتمام بتاريخ السيرة النبوية، وهو سؤال يرتبط ارتباطاً أساسياً بسببين:

أولاً: التطور السريع الذي شهدته الدراسات التاريخية، سواء العربية والإسلامية أم الغربية على حدّ سواء. وثانيهما: وكما عبّر عنه المستشرق الإسكتلندي موننغمري وات، والمستشرق الإيطالي غبريلي بقولهما: «كان الإسلام لقرون عديدة هو العدو الأكبر للعالم المسيحي»؛ فلذلك توجه المستشرقون إلى دراسة الإسلام عقدياً وسياسياً وحضارياً واقتصادياً. فالمدارس الاستشراقية بصورة عامة الأوروبية منها والأمريكية قد تأثرت في تطورها ونموها عبر التاريخ بالمستجدات والظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية، ومن ثمّ الفكرية التي سادت العالم، وبالأخص ما يتعلق منها بالمنطقة التي يقع ضمن جغرافيتها مهد الإسلام ومهد مولد الرسول العظيم ﷺ.

فقبل أكثر من قرن ونصف من الآن انشغل مجموعة من العلماء الغربيين من الألمان بالمتابعة والتقصي للروايات التاريخية والحديثية الموجودة في ما تمّ تحقيقه آنذاك من المؤلفات التي تعرف بالصحاح والسنن والمصاحف، والحقيقة أن عدد المحقق من هذه المؤلفات كان آنذاك غير قليل؛ إذ نجح -بامتياز- المستشرق الألماني فنسك فاعتمد في كتابه الرائع المعجم الفهرس لحديث النبي ﷺ على ست من تلك الصحاح والمساند في تخريجه الأحاديث الشريفة، فاستعملت في جمع الروايات الحديثية عن العملية الكبرى في الإسلام، ألا وهي السيرة النبوية وجمع القرآن الكريم والدراسات القرآنية. وكثا في بداية الأمر نغزو اهتمام المستشرقين الألمان بهذا المضمار الذي يرجع فضله إلى المستشرق المعروف ثيودور نولدكه Th.Noldeke الذي بادر إلى تأليف كتاب مهم جداً ما زال العلماء الغربيون والعرب والمسلمون يعتمدونه عند الكتابة أو المحاضرة أو الحديث عن تاريخ القرآن الكريم،

ألا وهو كتاب تاريخ القرآن Geschichte des Qurans المطبوع في سنة ١٨٦٠ .
والحقيقة أن الدراسات الغربية قد أولت اهتماماً يعدّ من بين الاهتمامات الرئيسة في
دراساتها الإنسانية عن سيرة حياة سيد المرسلين محمد المصطفى ﷺ منذ القرن السادس
عشر للميلاد، وهو موضوع قد حققت فيه دراسة مفصلة هي الآن تحت الطبع، على
الرغم من أن بدايات اهتمام المستشرقين هذا كانت سلبية ومؤذية، لا تقل إيذاءً وغطرسة
عن موقف المكين في مكة المكرمة عند بعثته ﷺ وبعدها، وقد عبّر رسول الله ﷺ تعبيراً
مباشراً عن إيذاء قريش في مكة حين قال ﷺ: ما أؤذي أحد مثل ما أؤذيت في الله،
أو كما ورد في رواية أخرى قوله ﷺ: (ما أؤذي نبي بمثل ما أؤذيت). وقال عزّ من
قائل: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى
وَلَئِنْ اتَّبَعَتِ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)
(البقرة: ١٢٠)، فقد قاسى ﷺ من قومه الأميين، فكم تأذى الأنبياء ﷺ من قومهم،
لكن كل ذلك لم يبلغ الأذية التي تعرض لها نبي الإسلام منذ بداية أمره إلى نهايته، وكأنها
سنّة في حياة قومه، وقد ختمها أحدهم بقوله: «إن رسول الله ليهجر». وسبحان الله
فلقد بدأ المستشرق الإسكتلندي المتخصص في دراساته عن رسول الله ﷺ، إذ يتحدث
في كتابه (محمد في المدينة) واصفاً عدوانية الكتابات التبشيرية الحاقدة ضد النبي ﷺ، إذ
قال ضمن موضوع «الإخفاقات الأخلاقية المزعومة The alleged moral failures»،
من كتابه هذا ما نصّه باللغة الإنجليزية:

(Of all world's great men none has been so much maligned as Muhammad.
For centuries Islam was the great enemy of Christendom)(32)

وترجمة هذا النصّ هي: (ليس هنالك بين جميع الرجال العظام في العالم شخصية
قد أفتري عليها أو أؤذيت كما أؤذي محمد. فكان الإسلام لقرون عديدة العدو الأكبر
للعالم المسيحي)(١).

فالمستشرق مونتغمري وات William Montgomery Watt المتوفى في سنة ٢٠٠٦ مؤرخ إسكتلندي ومستشرق وقسّ أنجليكاني وأكاديمي، ومنذ عام ١٩٦٤ إلى ١٩٧٩ كان أستاذًا للدراسات العربية والإسلامية في جامعة إدنبرة، وكان وات من أوائل المترجمين غير المسلمين للإسلام في الغرب، واعتمادا على كارول هيلينبراند Hillenbrand Carole الذي وصفه قائلا: «إنه كان باحثا مؤثرا بشكل كبير في مجال الدراسات الإسلامية، وهو اسم يحظى باحترام كثير من قبل العرب والمسلمين في جميع أنحاء العالم»^(٢).

وعلى الرغم من أنه قد عيّن في مرحلة مبكرة من عمره شماسا في الكنيسة الأسقفية-Epis copal الإسكتلندية في سنة ١٩٣٩، ثم صار قسّا بعد سنة، وخدم بوصفه راعياً للأبرشية في لندن من تلك سنة حتى سنة ١٩٤٣، فهو منذ سنة ١٩٤٣ إلى سنة ١٩٤٦ كان قد خدم بصفته مختصا في اللغة العربية للأسقف الانجليكاني في القدس. وبعد عودته إلى الأوساط الأكاديمية في عام ١٩٤٦ لم يعقد مرة أخرى موعداً دينياً بدوام كامل، ومع ذلك واصل عمله بدوام جزئي وشرفي من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٦٠، كان شرفياً في مدرسة القديس بولس القديمة في إدنبرة، وهي كنيسة أنجلو كاثوليكية في إدنبرة، وأصبح عضوا في مجتمع Iona المسكوني في إسكتلندا في عام ١٩٦٠، من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٦٧، وكان هو المنسق الفخري في سانت كولومبا باي كاسل، بالقرب من قلعة أدنبرة، بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٣ م بعد تقاعده من الأوساط الأكاديمية، وكان شرفياً في كنيسة القديسة مريم العذراء، ودالكيث وكنيسة سانت ليونارد، لاسوادي... فإنه كان في مؤلفاته عن رسول الله ﷺ نظير: (محمد في مكة) Mecca at Muhammad (1953)، و(محمد في المدينة) at Muhammad Medina (1956)، و(محمد: النبي ورجل الدولة) Muhammad: Seal of the Prophet and Statesman (1961)، و(محمد: خاتم النبيين) Muhammad: Seal of the Prophet and Statesman (1961)، و(مكة محمد) Mecca's Muhammad (1988) (يُصوّر رسول الله ﷺ بأنه واحد من أعظم أبناء آدم عليه السلام، إنه خاتم الأنبياء بمعنى أنه أعظم نبي بين الأنبياء).



Montgomery Watt calls Muhammad, one of the Greatest sons of Adam. The expression, seal of the Prophets means the Greatest Prophet.

يقول عنه كارول -وهو أستاذ في التاريخ الإسلامي في جامعة أدنبرة-: إن وات «لم يكن خائفاً من التعبير عن آراء لاهوتية متطرفة إلى حد ما، وهي آراء مثيرة للجدل في بعض الدوائر الكنسية المسيحية، وكان يفكر في كثير من الأحيان في مسألة، ألا وهي: ما مدى تأثير دراسته للإسلام التي قد مورست عليه في عقيدته المسيحية، وكنتيجة مباشرة، فقد توصل إلى نتيجة في أن يحاجج بأن التشديد والتأكيد الإسلامي على وحدانية الله المطلقة قد سببته إلى أن يعيد النظر في العقيدة المسيحية الثلاثية، تلك التي تعرضت إلى هجوم قوي في القرآن على أنها تقويض للتوحيد الحقيقي، فقد تأثر بالإسلام، بأسماء الله التسعة والتسعين وكل اسم منها يعبر عن صفات مميزة خاصة بالله. فهو يعتقد أن الثالوث المسيحي يمثل ثلاثة (وجوه) مختلفة لله الواحد وهو الله ذاته»^(٣).

قبالة هذا المسح المختصر الهادف لسيرة المستشرق الإسكتلندي مونتغمري وات، لعل من الصواب المقارنة بينه وبين المستشرق اليهودي أوري (أو يوري) روبين، وهو من المستشرقين المعاصرين للمستشرق وات أيضاً، مع أن مدة نشاطاته العلمية وإصداراته قد تحققت بين سنة ١٩٩٥ حتى سنة ٢٠١١، بمعنى أنه في دراساته أكثر معاصرة من دراسات مونتغمري وات. والفارق بينّ جدا في توجههما وأهدافهما وفلسفتهما؛ فالبروفسور وات على الرغم من أنه كان بعد تقاعده عن العمل الجامعي يمارس خدمته الكنسية بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٣م، وكان راعيا فخرياً في كنيسة القديسة ماري العذراء، في مدينة دالكيث في إسكتلندا، وكنيسة القديس ليونارد، في قرية لاسوادي التي تبعد تسعة أميال عن مدينة أدنبرة، مع ذلك فإنه لم يفصح عن مهنته الكنسية عبر العناوين التي اختارها لدراساته عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام، وواقعاً فإنه قد كتب



كتابا في السبعينيات يراد به الإفصاح عن مدى تأثير الإسلام في أوروبا في العصر الوسيط
عنوانه: Europe، Medieval on Islam of Influence The :Surveys Islamic، 1972، بمعنى: نظرة إسلامية عامة: تأثير الإسلام في أوروبا في العصر الوسيط^(٤).
أما المستشرق البروفسور أوري روبين -وكما قلنا سابقا- فقد ركّز مجالات بحثه
على الإسلام المبكر، وبشكل خاص على القرآن الكريم وسيرة النبي ﷺ، وهو لا يخفي
عصبية اليهودية خلال دراساته تلك؛ ففي مجال دراساته وأبحاثه عن السيرة النبوية
المطهرة نراه دائما يشدد على التأثير التوراتي في الإسلام، ويركز على تأثر النبي ﷺ
بالتوراة والزبور.

وهذه الرؤية التي تقول بتأثير التوراة في الإسلام والقرآن الكريم هي -كما ذكرنا
سلفاً- رؤية قديمة الجذور في الاستشراق الألماني، فالمستشرق اليهودي إبراهيم جيغر
Abraham Geiger يعدّ أول مستشرق ألماني دشن نظرية تزعم بتأثير اللغة العبرية
والتوراة والكتب أو الترجمات اليهودية في الإسلام والقرآن الكريم وسيرة نبينا ﷺ^(٥).
والكتاب الذي ألفه المستشرق أوري روبين المعني هاهنا الموسوم بـ: «عين الناظر:
حياة النبي كما يراها المسلمون الأوائل The Eye of the Beholder: the Life of
Muhammad as Viewed by the Early Muslims» يعدّ من بين أوائل إصدارات
المستشرق روبين؛ إذ طُبِعَ في سنة ١٩٩٥، وقد شدّد في دراسته عن سيرة سيد المرسلين
محمد ﷺ على التأثير اليهودي - التوراتي في جميع مفاصل السيرة النبوية المطهرة، وجعله
في ستة فصول، واختار كلمة واحدة للدلالة على كل فصل من هذه الفصول، تلك
الكلمات التي وجدنا بعضها ذات مدلول توراتي أيضاً، وسوف نستعرض من هذا
الكتاب مسألة جوهرية في المحاجة مع المستشرق، ألا وهي تفسيره التوراتي فيما يتعلق
بالسيرة النبوية وبشخصية رسول الله ﷺ، وفصول الكتاب كالاتي:-



عناوين الفصول:

- ١ - القسم الأول الدليل والبرهان attestation .
 - البشارة التوراتية Biblical Announciation .
 - البشارة العربية .
- ٢ - الإعداد preparation .
- ٣ - القسم الثالث الوحي Revelation .
 - قصة خديجة - ورقة .
 - فتور الوحي .
- ٤ - التجلي (ويقصد بالكلمة عيد التجلي لمريم العذراء في الهيكل) presentation .
 - الإعلان .
 - ردّ فعل أبي لهب .
 - ردّ فعل أبي طالب .
 - الانعزال Isolation الآيات الشيطانية .
- ٥ - وسيلة الخلاص salvation .
 - لقاءات العقبة .
- ٦ - الخاتمة تعيين تواريخ الأحداث في حياة محمد .
- ٧ - الاستنتاج .

يحدد المستشرق أوربي روبين في مقدمة كتابه، وبالتحديد في السطر النهائي من صفحة ٣ وبداية الصفحة التالية صفحة ٤ تفسيره لشخصية رسول الله ﷺ وسيرته بقوله (ونصّ ترجمة رؤيته): «الإسلام في العصر الوسيط كان مشغول البال بوضعيته الخاصة في تاريخ العالم، وهو يحاول أن يبني ويؤسس لنفسه موقعا بوصفه وريثا جديرا وكفووا للمجتمعات التوحيدية التي أصبحت تحت سيطرته، وبالأخص للمجتمعين



اليهودي والمسيحي؛ فلذا صوّر المسلمون سيرة نبيهم الخاص بهم وحياته بالصورة نفسها التي كانت مرسومة في اعتباراتهم وفي أذهانهم. وفي الواقع فإنهم قد سعوا وجدّوا لأن يوفروا لنبيهم سيرة حياة ليست أقل بريقاً من سيرة الأنبياء السابقين وحياتهم، ومن أجل أن يقوموا بذلك فقد وضعوا لسيرته وطبقوا عليها أفكاراً رئيسة توراتية متأصلة في صلب القصص عن هؤلاء الأنبياء». لقد عملت على ذكر النصّ الإنجليزي ثمّ ترجمته؛ من أجل إبراز رؤية المستشرق حرفياً، فهذا النصّ بالإنجليزية:

«And in order to do so, they applied to it biblical themes inherent in the stories about those prophets»^(٦).

ومن يقرأ هذا النصّ الغامض للمستشرق والمتضمن تعبيرات عمومية ليس لها وقائع تاريخية، وهي بحدّ ذاتها تثير مجموعة تساؤلات، من بينها -على سبيل المثال- ما الذي يقصده المستشرق بتعبيره «المسلمون»؟ أنهم المقصود بهم أولئك الذين كانوا في مكة قبل الهجرة إلى المدينة؟ أم يقصد بهم صحابة رسول الله ﷺ عموماً كما ينطوي عليه عنوان كتابه بتعبير «المسلمون الأوائل»؟ وهل المقصود من اعتنق الإسلام أولاً وأعني هنا أبا طالب وخديجة الكبرى والإمام عليّاً عليه السلام وزيد بن حارثة، بمعنى من صلى خلف رسول الله ﷺ، أم النفر الذي أسلم بعدهم كأبي بكر وعمر بن الخطاب والزبير بن العوام وغيرهم؟ وأقصد بهذا التساؤل المهم: هل هي روايات هؤلاء الصحابة تلك التي «وفّرت للنبي سيرة ليست أقل بريقاً من سير الأنبياء السابقين وحياتهم»؟! بحسب ما ذكر المستشرق! وبالمناسبة فإن أبا طالب عليه السلام قد قال أشعاراً كثيرة في وصف خلق رسول الله وصدق دعوته وهي موجودة في سيرة ابن إسحاق لا سيرة ابن هشام الذي حذف كثيراً جداً منها بحجة أنها غير موثوقة، كذلك الحال بما له علاقة بالإمام علي عليه السلام الذي كان المصدر الأساس عن سيرة رسول الله ﷺ، لكن الخليفة الثاني ومعاوية بن أبي سفيان بعد استحواذهما على الملك قد أعلنّا محاربتهما هذه الرواية وطمسها، أو إحراقها بأساليب القهر لكل من كان يرويها أو يجمعها أو حتى من يدونها.



ويبدو أن المستشرق كان على قناعة بأن الصحابة الأوائل بل ومؤلفي السيرة النبوية هم الذين رسموا مباني حياة رسول الله ﷺ لتكون سيرته وحياته على غرار سير الأنبياء السابقين وحياتهم، وكأنها شخصية مجهولة وغير معروفة؛ فلذلك جاء شرحيل بن سعد وعروة بن الزبير وابن شهاب الزهري ومحمد بن إسحاق ومحمد بن سعد البصري فوضعوا سيرته ﷺ على وفق ما صورته التوراة للنبي موسى عليه السلام!.

ألم يقرأ المستشرق روين ما ورد في مسند ابن حنبل قوله في الحديث رقم ١٥١٩٥: حدثنا سريج بن النعمان قال حدثنا هشيم أنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله «أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقراه النبي ﷺ فغضب فقال أمتهكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني»، وجاء الحديث أيضا عند الخطيب البغدادي المتوفى في سنة ٤٦٣ هجرية في آداب السامع: ١٣٥٠ حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن إبراهيم القزويني، أنا علي بن إبراهيم بن سلمة القطان، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي نا آدم بن أبي إياس، نا ورقاء بن عمر، عن جابر الجعفي، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن ثابت، خادم النبي ﷺ قال: جاء عمر بصحيفة فقال: يا رسول الله بعث إلي بهذه الصحيفة رجل من بني قريظة فيها جوامع من التوراة أقرأها عليك فجعل عمر يقرأ وجعل وجه رسول الله يتغير فرمى عمر بالصحيفة بشماله وقال: «رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا، فما زال يقولها حتى أسفر وجه رسول الله ثم قال: والذي نفسي بيده لو أصبح اليوم فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتهم، أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من الأنبياء»، وفي حديث آخر أورده الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أن عمر قال: «يا رسول الله، إن أهل الكتاب يحدّثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا، وقد



هممنا أن نكتبها، فقال ﷺ: أمتهوكون أنتم كما يتهوكون اليهود والنصارى؟ أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولكني أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الحديث اختصاراً»، وورد الخبر عند الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب المناقب، مناقب عمر بن الخطاب، قال: «وعن أبي الدرداء قال: جاء عمر بجوامع من التوراة إلى رسول الله ﷺ وسلم فقال: يا رسول الله جوامع من التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق، فتغير وجه رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن زيد الذي أُرِيَ الأذان: أمسح الله عقلك، ألا ترى الذي بوجه رسول الله ﷺ، فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً، فسرى عن رسول الله ﷺ، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتكم ضللاً بعيداً أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين»^(٧).

وقد تغافل بل وتناسى -ربما متعمداً- المستشرق، وهو الذي ترجم القرآن الكريم إلى اللغة العبرية، ما جاء في القرآن الكريم تلك الوثيقة الربانية التي سبقت أيّاً من المسلمين الأوائل ومن مؤلفي السيرة النبوية ورواتها، فقد جاءت آيات القرآن الكريم عن الرسول ﷺ مركزة على أخلاقه العليا، وأنه نعم الأسوة لأصحابه وللعالمين جميعاً، فكانت الآيات الكريمة شهادات ربانية عن أخلاق الرسول العليا وعن شخصيته. ونلاحظ أن الآيات التي تناولت الشرائع المحمدية جاءت بصيغة تقريرية مباشرة، تثبت الخلق الكريم، وتنفي الغلظة والجفاء، وتوصي بالتراحم والمشاورة وحسن الخطاب، فالمولى تبارك وتعالى ينعت نبيه ﷺ من فوق سبع سماوات بشهادة ربانية: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)، فرسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة، وهذه الآية تعدّ الأصل الكبير في التأسي برسول الله ﷺ، في أقواله وأفعاله وأحواله، بمعنى: يا أيها الصحابة، هلاً اقتديتم به وتأسيتم بشأله. فالأسوة هي



القدوة، والرسول كان الأنموذج الأنقى والأصفى لأصحابه، وهو في دعوته ليس منظراً فيلسوفاً، بل مريئاً هادياً داعياً، قولا وفعلاً، وسلوكاً طيباً في قدوته لأصحابه، وهي آية كريمة تنبه الجماعة المؤمنة التي ترجو رضا الله تعالى والنجاة يوم القيامة أن تتأسى بالرسول ﷺ في حياتها. وروى البراء بن عازب، قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس خلقاً». وقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ويقول المولى تعالى أيضاً: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، فالآيات الكريمة تحاطب الجماعة المؤمنة، وتذكرهم أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - من نفس جنسهم ومن أصلهم، أي عربي قرشي، مبلعاً رسالة الله تعالى، ويشق عليه عنتهم ويعزّ عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشقيها، وهو ﷺ حريص على هداية أمته، ينبغي لهم جميعاً النفع الدنيوي والأخروي.

وقال سبحانه: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٣)، وهذه الآية الكريمة تصف شجاعته ﷺ وثباته في مواقف البأس الشديد، ففي معركة أحد عندما دارت الدائرة على المؤمنين، وفزعوا واضطربوا فانهزموا متجهين إلى المرتفعات هروبا من المعركة، فكانوا يصعدون ولا يلوون على أحد، ورسول الله ﷺ والإمام علي وجمع من أصحابه الثقة ثابتون لم يتزلزلوا. وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٣)، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (فاطر: ٨).

وفي حديث للبخاري في صحيحه عبر فيه بعض أصحاب رسول الله ﷺ تعبيرا صريحا عما كان بعض المسلمين يأخذونه من الكتب اليهودية، وهو الحديث رقم ٢٥٣٩



من كتاب الشهادات، جاء سنده عن يحيى بن بكير: حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم^(٨). وذكر البخاري عن عبد الله بن عمر قوله: «جاء اليهود إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفصضهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتُم إن فيها الرجم. فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحداهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، قال عبد الله فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة». حديث رقم (٣٦٣٥).

قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهري أنه سمع رجلا من مزينة، من أهل العلم، يحدث سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة حدثهم: «أن أحبار يهود اجتمعوا في بيت المدارس، حين قدم رسول الله ﷺ المدينة، وقد زنى رجل منهم بعد إحصانه بامرأة من يهود قد أحصنت، فقالوا: ابعثوا بهذا الرجل وهذا المرأة إلى محمد، فسلوه كيف الحكم فيهما، وولوه الحكم عليهما، فإن عمل فيهما بعملكم من التجية - والتجبية: الجلد بحبل من ليف مطلي بقر، ثم تسود وجوههما، ثم يحملان على حمارين، وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين - فاتبعوه، فإنما هو ملك، وصدقه، وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبي، فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه، فأتوه، فقالوا: يا محمد، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت، فاحكم فيهما، فقد وليناك الحكم فيهما، فمشى

رسول الله ﷺ حتى أتى أحبارهم في بيت المدارس، فقال: يا معشر يهود، أخرجوا إلي علماءكم، فأخرجوا له عبد الله بن صوريا. قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض بني قريظة: أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ، مع ابن صوريا، أبا ياسر بن أخطب، ووهب بن يهوذا، فقالوا: هؤلاء علماءنا، فسألهم رسول الله ﷺ، حتى حصل أمرهم، إلى أن قالوا لعبد الله بن صوريا: هذا أعلم من بقي بالتوراة، فخلا به رسول الله ﷺ، وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا، فألظ به رسول الله ﷺ المسألة، يقول له: يا بن صوريا، أنشدك الله وأذكرك بأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصائه بالرجم في التوراة؟ قال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون إنك لنبي مرسل ولكنهم يحسدونك، قال: فخرج رسول الله ﷺ فأمر بهما فرجما عند باب مسجده في بني غنم بن مالك بن النجار. ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا، وجحد نبوة رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: «وحدثني صالح بن كيسان عن نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، قال: لما حكموا رسول الله ﷺ فيها، دعاهم بالتوراة، وجلس خبر منهم يتلوها، وقد وضع يده على آية الرجم، قال: فضرب عبد الله بن سلام يد الخبر، ثم قال: هذه يا نبي الله آية الرجم يأبى أن يتلوها عليك، فقال لهم رسول الله ﷺ: ويحكم يا معشر يهود! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم؟ قال: فقالوا: أما والله إنه قد كان فينا يعمل به، حتى زنى رجل منا بعد إحصائه، من بيوت الملوك وأهل الشرف، فمنعه الملك من الرجم، ثم زنى رجل منا بعده، فأراد أن يرجمه، فقالوا: لا والله، حتى ترجم فلانا، فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجبية، وأماتوا ذكر الرجم والعمل به، قال: فقال رسول الله ﷺ: فأنا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به، ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده».

قال ابن إسحاق: «وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: أن الآيات من المائدة التي قال الله فيها: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، إنما أنزلت



في الدية بين بني النضير وبين بني قريظة، وذلك أن قتلى بني النضير، وكان لهم شرف، يؤدون الدية كاملة، وأن بني قريظة كانوا يؤدون نصف الدية، فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله ذلك فيهم، فحملهم رسول الله ﷺ على الحق في ذلك، فجعل الدية سواء. قال ابن إسحاق: فالله أعلم أي ذلك كان».

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن أسد، وابن صلوبا، وعبد الله بن سوريا، وشأس بن قيس، بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه، فإنما هو بشر، فأتوه فقالوا له: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم، وأنا إن اتبعناك اتبعتك يهود، ولم يخالفونا، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة، أفنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدقك؟ فأبى ذلك رسول الله ﷺ عليهم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿المائدة: ٤٩ - ٥٠﴾ (٩). إن الله أخذ العهد والميثاق على جميع الرسل والأنبياء أن يؤمنوا به ﷺ ويتبعوه إذا ظهر في عهدهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١)، وعن الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي (١٠).

وقد علم رسول الله ﷺ أَنَّهُ أُمَّتُهُ أَنَّ رَسُلَ اللَّهِ وَأَنْبِيََاءَهُ السَّابِقِينَ كَالْبَنَاءِ الْعَمَلِقِ الْقَائِمِ عَلَى التَّكَامُلِ وَالتَّعَاوُنِ؛ لِأَدَاءِ مَهْمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ تَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ. قَالَ: فَإِنَّا اللَّبَنَةُ،

وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»^(١١). لذلك نجد رسول الله يُعَلِّمُ أُمَّتَهُ تعظيم الأنبياء، بل ويخص بالذكر الزعماء الكبار للديانتين اليهودية والنصرانية، فيقول رسول الله ﷺ عندما عَلِمَ أَنَّ اليهود يصومون يوم عاشوراء؛ احتفالاً بإنجاء الله تعالى لموسى عليه السلام وبني إسرائيل من عدوهم: «أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ»، فصامه وأمر بصيامه^(١٢). وقال رسول الله ﷺ عن عيسى عليه السلام: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ...»، وقال رسول الله ﷺ أيضاً: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَاتٍ، وَأُمَمَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»^(١٣). هكذا كان ينظر رسول الله ﷺ إلى أنبياء الله، فشتان بين نظرة مستمدة من قيم الإسلام الأصيلة وغيرها من النظرات المحرفة القاصرة، وهذه هي مكانة هؤلاء الأنبياء الكرام في عين رسول الله ﷺ، وحتى عندما كان يتمنى ﷺ من نبي فعلاً غير الذي فعل، كان يُقَدِّمُ أُمْنِيَّتَهُ بالدعاء له، فتجده -مثلاً- عندما يتمنى أن لو كان موسى عليه السلام قد صبر في رحلته مع الخضر يقول: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوِ دِدْنَا لَوِ صَبَرَ حَتَّى يَقْصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا»^(١٤). وعندما رأى رسول الله ﷺ أَنَّ هناك كلمة أولى من الكلمة التي قالها لوط عليه السلام وحكاها عنه القرآن الكريم عندما قال: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٨٠)، قال رسول الله ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ»^(١٥).

فالمستشرق في القسم الأول من كتابه الموسوم بعنوان: «الدليل attestation» الذي انقسم على قسمين، الأول منهما عنوانه: «البشارة التوراتية» يقول في مقدمته على صفحة ٢١-٢٢ ما نصّ ترجمته: «إن تشكيل وتحديد صورة أو أيقونة نبي الإسلام في موازاة السلسلة التوراتية يتمثل على نحو نموذجي في موضوع البشارة، فلكونه نبيا وكان اختياره محتما بقضاء وقدر، فإن ظهور محمد الفعلي في الجزيرة العربية قد بشر به من قبل الأنبياء السابقين الذين تتجلى فيهم مسبقا هدف الفكرة الإلهية التاريخية، والذين كانت مهمتهم هي تمهيد الطريق لظهور محمد. فالمسلمون خلال بحثهم عن دليل أدبي للبشارة والبلاغ لنبیهم، قد استعملوا الوسيلة نفسها كتلك التي استعملت من قبل



المسيحين عن عيسى، فكانوا ينظرون للبشارة والإبلاغ في الكتب المقدسة القديمة، فحددوا هوية نبيهم بالمخلص المسيحي المهدي، ذلك الذي كان ظهوره حسبما يعتقد قد تنبئ به في كثير من الآيات والشواهد التوراتية. وقد اقتبس المسلمون هذه الآيات والشواهد التوراتية حرفيا بترجمتها العربية في كثير من الرسائل والمقالات الجدلية التي كتبها الكتّاب المسلمون، تلك التي تمّ مسحها بالفعل من قبل جولدتسيهر وآخرين. وأحد هؤلاء الكتّاب، كتّاب الرسائل، كان علي بن ربن الطبري المتوفى حوالي سنة ٢٥٠ هجرية، الذي خصّص معظم كتابه: (الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد) للاقتباسات التوراتية التي كان يعتقد بأنها تؤشر إلى نبي الإسلام. وكتّاب متأخرون لم تتم مناقشتهم من قبل جولدتسيهر وآخرين قد أوردوا الاقتباسات نفسها، حتى أن المسلمين المعاصرين ما زالوا يكررونها؛ «وذلك للأغراض الدفاعية والتبريرية».

ففي إشارة المستشرق إلى ابن ربن، فقد رجعت إلى كتاب علي بن ربن؛ إذ يذكر في الباب العاشر من كتابه: (الدين والدولة) بابا عنوانه: «في نبوات الأنبياء على النبي ﷺ وعليهم» فيقول ما نصّه: وقد قدّمتيني ما أورده على صفحة ١٣٠ من موضوع عنوانه: «في أنه لو لم يظهر النبي ﷺ لبطلت نبوات الأنبياء» إلى صفحة ١٣٧ وهو الباب العاشر ذكر أربع نبوات في إسماعيل عليه السلام فيها من الشواهد على حقيقة أمة النبي ﷺ ما لا يحمله إلا جاهل، ولا يحجده إلا غبي، وبأنه لو لم يبعث النبي ﷺ لبطلت النبوات واستحالت. وأنا ذاكر مما بقي من نبوات الأنبياء ﷺ ما هو كالمشاهدة والعيان، فإن منهم من قد وصف زمانه وبلده ومبعثه وتبعه وأنصاره وصّرح باسمه تصرّحا. فالنبوة الخامسة الدالة عليه المشيرة إلى نبوته وحقه قول موسى عليه السلام في الفصل الحادي عشر من التوراة من السفر الخامس، وهو الأخير لبني إسرائيل: «إن الربّ إلهكم يقيم نبيا مثلي من بينكم ومن إخوتكم فاسمعوا له». وقالت التوراة في هذا الفصل بعينه مؤكدا لهذا القول وموضحا له، إنه قال الرب لموسى عليه السلام: «إني مقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوتهم، وأيا رجل لم



يسمع كلماتي التي يؤديها ذلك الرجل باسمي أنا أنتقم منه»، ولم يقم الله نبيا من إخوة بني إسرائيل إلا محمدا ﷺ. وقوله من بينهم تأكيدا وتحديدا أنه من ولد أبيهم لا من ولد عمومته، فأما المسيح ﷺ وسائر الأنبياء صلى الله عليهم فإنهم كانوا منهم أنفسهم.

ومن ظنّ بأن الله تعالى لم يُميز بين مَنْ هو مِنَ القوم أنفسهم وَمَنْ هو مِنَ إخوانهم فقد ظنّ عجزا، فأما من ادعى أن هذه النبوة في المسيح ﷺ فقد ظلم بختلين وتجاهل من وجهين، أحدهما أن المسيح ﷺ من ولد داوود، وداوود منهم أنفسهم وليس من إخوانهم، والثانية أن من قال مرة إن المسيح هو خالق غير مخلوق، ثم زعم أن المسيح مثل موسى، فقد تناقض خبره وتذبذب قوله، وأن من زعم أن هذه في يشوع بن نون فقد أخطأ؛ لأن يشوع ليس يعدّ من الأنبياء، ولم يؤد عن الله تعالى إلى بني إسرائيل شيئا سوى ما أداه موسى ﷺ؛ ولأنه من القوم أنفسهم وليس من إخوانهم، والنبّي الذي أقامه الله تعالى من بني إخوانهم هو محمد ﷺ، وهو الذي من خالفه انتقم الله منه، فقد ترون آثار النعمة بيّنة على من خالفه، ودلائل النعمة ظاهرة على من قبله.

فهذا الأنموذج الذي أورده علي بن ربن الطبري في الردّ على اليهود الذين كانوا قد حرّفوا ما جاء في التوراة، تلك التي اطلع عليها ابن ربن، وكانت هي الوثيقة الدامغة في المحاججة مع اليهود ومع من أنكر نبوة النبي ﷺ، فهي - كما يظهر جليّا - على خلاف ما أراده وما هدف إليه المستشرق روين تماما. فعلي بن ربن الطبري كان يهدف من وراء تأليفه هذه الرسالة كما يبين ذلك في مقدمته على صفحة ٣٣ من كتابه المحقق التي جاء نصّها: «إنه، الله تعالى، المّان الحكيم الذي أظهر الحق وأناره، وفطر العباد وأرسل رسوله وحبيبه وخليله إلى الشاكين فيه يدعوهم إلى الفوز الدائم والنور الساطع، حتى إذا دنت واقتربت الساعة بعث الله تعالى نبينا محمدا ﷺ إلى كافة الخلق بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا، فصعد بأمر ربه وأهاب أعداءه بترغيب وترهيب وتعليم وتقويم، يحثّ على الملكوت ونعيمها، ويؤدي عن الله ما نزل به جبريل الملك إليه من التنزيل الذي لا



يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يغادر حقاً جاءت به الأنبياء قبله بل يؤكده ويؤيده ويأمر بالإيمان بهم أجمعين، والصلاة على الأولين منهم والآخريين».

فهدف العالم علي بن ربن -إذن- لم يكن دفاعياً ولا تبريرياً كما يزعم المستشرق، إنما هو -وفي القسم الذي نوهنا عنه من الباب العاشر من الكتاب- محاكاة منطقية معتمدة على الأصل العبري من التوراة؛ لأنه كان في الأصل يهودياً ثم اعتنق الإسلام، فكان يتقن العبرانية؛ ولذلك جاءت معلوماته مباشرة من التوراة والزبور المزبور الخامس والأربعين والثامن والأربعين والخمسين والثاني والسبعين والمائة وعشر... إلخ، ونبوات إشعيا من كتابه ونبوة ميخا ونبوة صفنيا... إلخ.

فعلي بن ربن الطبري هو أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري، قد أسلم على يد المعتصم وقربه وظهر فضله، وهو معلم الرازي صناعة الطب، وكان مولده ومنتشؤه طبرستان. وله من الكتب كتاب فردوس الحكمة، وذكر القفطي في كتابه أنه كان يهودياً طبيباً منجماً من أهل طبرستان، وكان والده ربن متقدماً في علم اليهود، والربن والربين والراب أسماء مقدماتي شريعة اليهود، وكتابه «الدين والدولة» قصد منه الدفاع عن الدين الإسلامي ونبوة النبي ﷺ، والرد على اليهود وعلى أصناف النصارى^(١٦).

وهذا هو ما نطق به القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة التي تصرّح بمخالفة اليهود للنبي ﷺ وتحريفهم ما جاء به كتابهم المقدس. قال الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة في الآيات ٤١، ٤٣، ٤٤: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا مَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ



فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٧﴾ من سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾، وقوله تعالى في الآية ٤٦ من سورة النساء: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْسِتِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وهناك عدد من الآيات الكريمة التي تدعم ما ذكرناه توا. ولم يقتصر المستشرق رويين على توكيد التأثير التوراتي في المسلمين وفي رواية السيرة النبوية ومؤلفيها الذين -بحسب تفسيره السابق الذكر- إنما صمموا مؤلفاتهم عن سيرة النبي ﷺ لمجرد أن يقلدوا سير الأنبياء معتمدين على التوراة والزبور، وهو تفسير بعيد عن الحقيقة التاريخية سواء كان ذلك بالنسبة لرواية الصحابة أم لمؤلفي السيرة النبوية المطهرة الأوائل، بل نراه يطرح المفهوم نفسه في كثير من موضوعات السيرة النبوية في خاتمة كتابه، وهو ما سنتناوله على وفق الآتي:

أولاً:

في موضوع ذكره المستشرق في خاتمة كتابه يحمل عنوان: «جدولة بالتسلسل الزمني للأحداث في حياة محمد» يذكر على صفحة ١٩٠ قائلاً: «إن التسلسل الزمني يعدّ موضوعاً رئيساً في جميع السير الذاتية vita المكتوبة عن أي ملك بارز في الكتاب المقدس، أو عن أي بطيريك، أو عن أي نبي؛ وهذه تعتمد في كثير من الأحيان الصيغة العددية والرقمية المتناسقة، وهي تدل ضمناً على كونه المسلك الإلهي المقدر في حياة ذلك الزعيم»، ويستمر المستشرق في قوله فيذكر: «ففي حالة محمد، يظهر هذا التوافق والتناسق في تكرار التاريخ نفسه وهو يوم -الاثنين، ١٢ ربيع الأول- في كل حدث رئيس من الأحداث في سيرة حياته. فالرواية تؤكد أن هذا كان تاريخ ولادته، وهو يمثل أيضاً تاريخ وحيه



الأول، وتاريخ رحلته الليلية وصعوده إلى السماء، وتاريخ هجرته، وكذلك تاريخ وفاته، والروايات الأكثر شيوعاً التي تشير إلى أن هذا التاريخ هو تاريخ وفاة النبي. ولعل اختيار ربيع الأول هو انعكاس للرواية اليهودية بشأن موسى، فالنبي قد ولد وتوفي في الشهر نفسه، أدر. وفي تحويل هذه الرواية للرواية الإسلامية فإن أدر قد حلّ محله شهرٌ مساوٍ آخر في التقويم العربي ألا وهو ربيع الأول. وتعبير ربيع لا يكون فقط كشهر تقويمي، بل كذلك يشير أيضاً إلى أنه فصل، وهو الفصل نفسه الذي يقع فيه أدر العبري - أي الربيع فيه. وبشكل أكثر تحديداً، يقع أدر في الاعتدال الربيعي النضر الجديد (٢١ آذار)، ذلك الذي يطلق عليه العرب اسم الاستواء الربيعي؛ ولذلك فإن أدر، في الواقع يؤثر بالفعل إلى الانتقال من الشتاء إلى الربيع. أما في ما يتعلق الأمر بالرواية اليهودية، فمن المحتمل أنه قد تمّ اختيار أدر للتسلسل الزمني لحياة موسى؛ وذلك لأنه يمثل الشهر الأخير بحسب التقويم العبري القديم، ولذلك فإن مولد موسى قد حدث على حافة - أو على حدّ - سنة جديدة، ويبدو أن الشيء نفسه ينطبق على عيسى، الذي كان تاريخ ميلاده هو الشهر الأخير من التقويم الروماني. والرواية اليهودية لم تكن هي الرواية المتفق عليها بالإجماع على أنه اليوم المحدد بالضبط من أدر الذي كان موسى قد ولد وتوفي فيه، والرأي الأكثر انتشاراً أنه كان في يوم ٧ أدر، غير أن بعضهم يرى أنه في الأول من أدر^(١٧).

إلى هنا انتهى استنتاج المستشرق في بنائه القسري للتوافق بين يوم الاثنين من شهر ربيع الأول على أنه اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ، واليوم الذي بعث فيه، والذي هاجر فيه إلى المدينة المنورة، وهو اليوم الذي توفي فيه، وبين ما يهدف إليه المستشرق بأن المسلمين اختاروه كذلك تقليداً للتوقيت التوراتي لولادة النبي موسى ﷺ ولوفاته، علماً أن المستشرق في نهاية استنتاجه قد رجّح تاريخاً آخر وهو يوم ٧ من شهر أدر على حساب رأي آخر وهو اليوم الأول من هذا الشهر، بمعنى أنه قد وقع أيضاً في خطأ الاختيار الدقيق لولادة النبي موسى ﷺ!



فالنقاط التي أوردتها المستشرق روبين في هذا النص تقتضي بالضرورة أن العرب في الجزيرة العربية والمسلمين في مكة والمدينة المنورة في عهد رسول الله ﷺ كانوا على معرفة دقيقة، وعلى متابعة دقيقة ومستمرة أيضاً بالتقويم العبري، وبالتاريخ العبري، وبما يتعلق بتاريخ النبي موسى عليه السلام منذ ولادته حتى وفاته؛ ولذلك فإنهم اختاروا شهر ربيع الأول وهو شهر أدر اليهودي، وأنه الشهر الذي ولد فيه النبي موسى عليه السلام، فاتخذوه المسلمون (الصحابة منهم والرواة ومؤلفو السير) شهراً لسيرة نبينا ﷺ وحياته، كذلك فإنهم اختاروا يوم الاثنين وهو اليوم الذي ولد فيه النبي موسى والنبي عيسى عليه السلام على حد قول المستشرق، فاختاروه يوماً لولادة رسول الله ﷺ (١٨).

لكن ثمة ملاحظات على مثل هذا التخطئ والتخرص ومحاولة توظيف الأحداث التاريخية لمصلحة عقيدة هادفة من المستشرق، فليس هنالك من دليل على انتشار التقويم العبراني، وكذلك ليس هنالك من دليل على انتشار اللغة العبرانية أيضاً في الجزيرة العربية، اللهم إلا بعد هجرة المسلمين المهاجرين إلى المدينة، فأصبحوا على معرفة بحياة اليهود الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية وربما اللغوية؛ إذ يذكر لنا الترمذي في كتابه الجامع الكبير أن رسول الله ﷺ قد أمر - في السنة الرابعة من الهجرة إلى المدينة - زيد بن ثابت أن يتعلم اللغة العبرانية، معللاً ذلك بأنه لا يأمن اليهود على كتابه، «قال زيد بن ثابت: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كتاب يهود، قال: «ما آمن يهود على كتاب، قال: فما مرّ بي نصف شهر، حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم» (١٩)؛ على الرغم من عداوة اليهود للمسلمين منذ اللحظات الأولى للإسلام في المدينة، وعلى الرغم من غطسة اليهود وتكبرهم وازدراءهم بالمهاجرين والمسلمين على حد سواء؛ لاعتقادهم أن المسلمين أقل تحضراً منهم.

وواقعاً فإن التقاويم التي كانت متداولة آنذاك في الجزيرة العربية ومكة والمدينة وبلاد الشام ومصر هي: التقاويم الشمسية، والتقويم الروماني، والتقويم اليوناني، والتقويم



القمرى، والتقويم الهجرى، وتقويم الإسكندر، والتقويم المصرى القديم، والتقويم القبطى، والتقويم الفارسى، فضلا عن التقويم العبرى. ولغرض مناقشة المستشرق ومحاججته سأتناول هذه المسألة على وجه التحديد على وفق عدة اتجاهات كالآتى:

أولاً: ما له علاقة بالمفهوم العربى الإسلامى للتقويم (نقطة عامة):

الحمد لله فإن هناك عددا من العلماء المسلمين ممن صنف كتباً عن التقاويم والأزمنة، نظير المسعودى المتوفى فى سنة ٣٤٦ هجرية فى كتابه المعروف مروج الذهب ومعادن الجوهر، وأبى الریحان أحمد بن محمد البيرونى المتوفى فى سنة ٤٤٠ هجرية فى كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية، وأحمد بن محمد المرزوقى الأصفهاني المتوفى فى سنة ٤٢١ هجرية فى كتابه الأزمنة والأمكنة. وهذه المؤلفات تعدّ من أوائل الكتب التى كتبت عن التقويم باللغة العربية.

فالملاحظ أن العرب فى عصر قبل الإسلام (الجاهلية) لم يكونوا جاهلين بالمرّة بل لم يكونوا غافلين عن أى تقويم خاص بهم بشأن معانى الشهور والأيام وخصائصها وأهميتها؛ فلنلاحظ أن العرب قبل الإسلام قد عرفوا أسماء الشهور قبل أن تستقر على أسمائها التى نستعملها الآن، ولم يستعملوا هذه الأسماء فى زمن واحد ولا مكان واحد، بل فى أزمنة الشهور العربية قبل الإسلام، والتقويم الهجرى والتقويم القمرى يُطلق عليه أيضاً التقويم الإسلامى، وكان العرب قبل الإسلام يستعملون السنة القمرية منذ أقدم العصور، لكن لم يكن كلُّ العرب فى أنحاء الجزيرة مجتمعين على تقويم محدّد يعتمدونه لقياس الوقت أو لتأريخ أحداثهم. وعلى الرغم من اختلافاتهم فإنهم عرفوا التقويم القمرى، وبنوا شهورهم على أساسه.

ولم يقتصر التاريخ الهجرى على مجرد تحديد الأيام والشهور والتقويم، بل كان أثره كبيراً فى المسلمين؛ إذ ارتبط بحياة المسلمين وعباداتهم ارتباطاً وثيقاً؛ وأصبح رمزاً وهويةً للمسلمين، فكانت السنة القمرية عند العرب قبل الإسلام تتكوّن من اثني عشر



شهرًا كما هو الحال الآن، وقد نبّه الله تعالى على عدد هذه الشهور في كتابه الكريم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ (التوبة: ٣٦)، ويعتمد المسلمون فيها على الأهلة؛ فكلُّ اثني عشر هلالًا سنةً، فيكون عدد أيامها ثلاثة مائة وأربعة وخمسين يومًا، وأعطى العرب قبل الإسلام أسماءً خاصّةً للشهور قبل أن يستقرُّوا على الأسماء المعروفة بها الآن، أمّا الشهور التي نستعملها الآن فقد استقرّت أسماؤها في مستهلّ القرن الخامس الميلادي على الأرجح، ويُقال: إنَّ أوَّل من سمّاها كعبُ بن مُرّة، الجدُّ الخامس لرسول الله ﷺ. وأسماء الشهور في الجاهليّة هي: المحرم: (المؤتمر)، وصفر: (ناجر)، وربيع الأوّل: (خَوَّان أو خُوَّان)، وربيع الآخر: (وَبْصَان أو وَبْصَان)، وجمادى الأولى: (الحنين)، وجمادى الآخرة: (رُتَي أو رُبَي)، ورجب: (الأصم)، وشعبان: (عادل)، ورمضان: (ناتق)، وشوّال: (وَعِل)، وذو القعدة: (وَرَنَة، أو هَوَاع)، وذو الحجة: (بُرك)، وقد أجهل الشاعر أسماء هذه الشهور في قوله:

أَرَدْتُ شُهُورَ الْعُرْبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ *** فَخَذَّهَا عَلَى سَرْدِ الْمُحَرَّمِ تَشْرِكُ
فَمُؤْتَمِرٌ يَأْتِي وَمِنْ بَعْدُ نَاجِرٌ *** وَخَوَّانٌ مَعَ صَوَّانٍ يُجْمَعُ فِي شَرْكِ
حَنِينٍ وَرَبَاٍ وَالْأَصَمِّ وَعَادِلٍ *** وَنَافِقٍ مَعَ وَغْلٍ وَرَنَةٌ مَعَ بُرْكَ^(٢٠)

وقد أفرد المرزوقي في كتابه (الأزمة والأمكنة) بابا هو الباب الخامس عشر يتعلق بأسماء الشهور على اختلاف اللغات، وذكر اشتقاقاتها، وجعل هذا الباب في فصلين: فصل في بيان معنى الشهر، قال في ذلك: «إِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْهلالِ فيشهرونه يقال: محرّم ومحرّمان ومحاريم ومحرمات؛ وإنما سمّي محرّمًا لأنهم كانوا يحرمون القتال فيه. وصفر وصفران وأصفار؛ وسمّي صفرا لأنهم كانوا يغزون الصّفرية، وهي مواضع كانوا يمتارون الطّعام منها، وقيل: لأنهم كانت أوطانهم تخلو من الألبان، ومن كلامهم: نعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء».



وثانياً: ما يتعلق برؤية المستشرق روبرين التوراتية في سيرة نبينا ﷺ:

المهم جداً أن البروفسور روبرين قد غالى كثيراً جداً في تفسيراته عن التأثير التوراتي في المسلمين، سواء كانوا من الصحابة أم من الرواة أم من مؤرخي سيرة النبي ﷺ، والحقيقة أنه اضطر في سبيل تحقيق هدفه هذا إلى عدم الصراحة بل وإلى التحريف والتزوير لمجرد استغلال النص في إثبات مزاعمه في توكيد مثل هذا التأثير اليهودي.

ولنبداً بأول بمسألة عرضها في النقطة أولاً بشأن التسلسل الزمني لحياة سيد المرسلين محمد ﷺ التي مفادها أن المسلمين أرادوا لسيرة النبي ﷺ أن تكون مشابهة لسير الأنبياء السابقين، وعلى وجه الخصوص لسيرة النبي موسى عليه السلام وبدءاً من ولادته - أي النبي موسى عليه السلام - إلى خروجه من مصر، إلى وفاته. وذلك باختيارهم - والمقصود المسلمون بشكل عام من دون تحديد كما أسلفنا ذكره - يوم الاثنين يوماً لولادة سيد المرسلين وبعثته وهجرته إلى المدينة المنورة إلى وفاته ﷺ. وهو أمر مغالى فيه إلى أبعد الحدود؛ إذ ليس هنالك من مفصل في ولادة نبينا ﷺ وحياته يتشابه مع سيرة النبي موسى عليه السلام وحياته؛ لأنه بحسب ما أورده القرآن الكريم في عدة آيات مباركات، وبحسب التوراة والكتب المقدسة اليهودية كسفر الخروج، وفي الكتاب اليهودي الذي يعتمد عليه المستشرق «آثار العصور القديمة لليهود THE Antiquities of the Jews»، بقلم Flavius Josephus فإنه قد ولدته أمه سرّاً خوفاً من الملك في مصر (فرعون) الذي كان قد اتخذ قراراً، اعتماداً على أحد كتّابه الذي كان مفسراً للأحلام، وهذا هو الذي أبلغ الملك بأن طفلاً سيولد اليوم لبني إسرائيل، من دون ذكر اسم يوم ولادته، وأنه إذا بقي حياً سيؤدي إلى إنهاء الهيمنة المصرية وسيُعطي من شأن الإسرائيليين، وسينال المجد والعظمة وسيبقى مذكوراً في التاريخ من قبل جميع الأعمار، وأدناه النص بالإنجليزية، وهي لغة مترجم النص العبراني^(٢١):

told the king, that about this time there would a child be born to the Israelites, who, if he were reared, would bring the Egyptian dominion low, and would raise the Israelites; that he would excel all men in vir-



tue, and obtain a glory that would be remembered through all ages.

فأمر الملك أن يلقي بكل طفل إسرائيلي يولد في هذا اليوم في نهر النيل. وهكذا كانت قصة ولادة النبي موسى، وكيف أن أمه قد وضعت في سلة وألقته في النهر، ثم ما جرى على النبي موسى من أحداث لاحقة إلى حين خروجه إلى مدين ثم إلى زواجه حتى وفاته عليه السلام. فجميع هذه الأحداث لم يمر بها نبينا ﷺ، فكيف -إذن- وجد المسلمون أو رواة السيرة النبوية ومؤرخوها -بحسب رؤية المستشرق- تلك الأسوة ليتبنوها ويتخذوها بل ويقلدوها في روايتهم عن نبيهم، وعن سيرة سيد المرسلين ﷺ.

فضلا عن ذلك فإن يوم ولادة النبي موسى ﷺ مجهول، وولادته كانت سرية؛ خوفا من الملك، حتى أن الآيات القرآنية الكريمة والروايات المعتمدة على التوراة ومؤلف كتاب آثار العصور القديمة لليهود -الآنف الذكر- فلافيوس جوزيف Flavius Josephus قد اكتفى في عنوان الفصل المتعلق بأحداث الولادة بذكر عنوان الفصل الذي هو:

CHAPTER 9. Concerning The Afflictions That Befell The Hebrews In Egypt, During Four Hundred Years.

وترجمته: الفصل التاسع: «ما يتعلق بالآلام التي كانت تحيق بالعبرانيين في مصر خلال أربعمئة عام». وقد راجعت عددا من المصادر اليهودية بضمنها سفر الخروج الذي يعدّ ثاني أسفار العهد القديم، الجزء ١ ص ١٠، والجزء ٢ من ص ١ إلى صفحة ١٠ وهي الصفحات التي ترد فيها المعلومات عن القصة التي ذكرناه تواء، وكتبنا أخرى عن ولادة النبي موسى ﷺ فلم أجد شيئا إطلاقا عن اليوم والشهر اللذين ولد فيهما النبي موسى. فمما يذكر نصّا في سفر الخروج -وهو نصّ توراتي- في الجزء ٢ النصّ



المترجم إلى الإنجليزية الآتي:

The birth of Moses occurred at a time when Pharaoh had commanded that all male children born to Hebrew captives should be thrown into the Nile (Ex. ii.; comp. i.). Jochebed, the wife of the Levite Amram, bore a son, and kept the child concealed for three months. When she could keep him hidden no longer, rather than deliver him to death she set him adrift on the Nile in an ark of bulrushes. The daughter of Pharaoh, coming opportunely to the river to bathe, discovered the babe, was attracted to him, adopted him as her son, and named him "Moses." Thus it came about that the future deliverer of Israel was reared as the son of an Egyptian princess (Ex. ii. 1-10)

وترجمة هذا النصّ حرفياً: «إن ولادة موسى قد حدثت في الوقت الذي كان فرعون قد أمر بقتل جميع الأطفال الذكور الذين ولدوا للebraانيين الأسرى وأن يلتقوا في نهر النيل. وإن جوشبد، زوجة أمram اللاوي، قد ولدت ابناً، فأخفته مدة ثلاثة شهور. ولما علمت بأنها لا يمكنها إخفاؤه مدة أطول، وإلا تسلمه إلى الموت هيأت له طاف من غبر مرساة adrift تحت رحمة التيار والرياح في النيل في صندوق من البردي. وكانت ابنة فرعون قد جاءت بالصدفة إلى النهر لتستحم، فاكتشفت الطفل الرضيع، وانجذبت إليه، وتبنته على أنه ابنها، وأطلقت عليه اسم «موسى». وهكذا حدث بأن المنجي المستقبلي لإسرائيل تم تربيته كابن لأميرة مصرية».

وفي رواية أخرى كذلك وردت في سفر الخروج الجزء الأول الصفحة رقم ١٠ وفيها تفصيل آخر للرواية المذكورة قبل أسطر، والقصة تدلي بمعلومات توضيحية إضافية ترجمتها: «اعتماداً على كتاب سفر الخروج إن موسى ولد في وقت حينما كان شعبه، الإسرائيلون، أقلية مستعبدة، قد تزايد حجمها ونتيجة لذلك فإن فرعون مصر أصبح قلقاً بشأن تزايد السكان الإسرائيليين؛ لأنهم ربما يتحدون ويتحالفون فيما بينهم. ولهذا فإن أم موسى العبرانية، جوشبد Jochebed، أخفته سرا عندما أمر فرعون بقتل جميع

الأولاد المولودين حديثا وذلك من أجل تقليل عدد السكان الإسرائيليين. ومن خلال ابنة الفرعون (تلك التي قد حددت هويتها بالملكة بثيا Bithia) التي تبنت الطفل بكونه طفلا قد وجد في نهر النيل، وبذلك تربى مع العائلة المصرية الملكية».

(Exodus 1: 10 ; Douglas K. Stuart(2006). Exodus: An Exegetical and Theological Exposition of Holy Scripture Publishing Group. pp.110-13.

هذان النصّان من المصدر اليهودي المعترف به من قبل المستشرق روين، وهما لا يشيران من قريب أو من بعيد إلى ذكر أي تاريخ لليوم ولا للشهر الذي ولد فيه النبي موسى (عليه السلام)؛ فمن أين جاء المستشرق بتلك المعلومة التي بنى عليها استنتاجاته الغريبة التي أراد عبرها أن يفرض رؤيته التوراتية على هذا الفصل المهم جدا من حياة نبينا محمد ﷺ؟!

According to the Book of Exodus, Moses was born in a time when his people, the Israelites, an enslaved minority, were increasing in population and, as a result, the Egyptian Pharaoh worried that they might ally themselves with Egypt's.9 Moses' Hebrew mother, Jochebed, secretly hid him when the Pharaoh ordered all newborn Hebrew boys to be killed in order to reduce the population of the Israelites. Through the Pharaoh's daughter (identified as Queen Bithia in the Midrash), the child was adopted as a foundling from the Nile river and grew up with the Egyptian royal family.

Exodus 1: 10, Exodus 1: 10; Ex. ii.; Filler, Elad. "Moses and the Kushite Woman: Classic Interpretations and Philo's Allegory". TheTorah.com. Retrieved 11 May 2019; Miller, Robert D. (25 November 2013). Illuminating Moses: A History of Reception from Exodus to the Renaissance. BRILL. (25 November 2013). p. 21; Douglas K. Stuart (2006). Exodus: An Exegetical and Theological Exposition of Holy Scripture. pp.110-13.



كذلك ليس هنالك أي ذكر -في النصّ الآنف الذكر- لشهر أدر على أنه الشهر الذي ولد فيه النبي موسى. إن هذا التحريف والتشويه سيكون عنصراً للمحاجة في أدناه في مسألة ولادة رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول، ذلك الذي يراه المستشرق إن هو إلا انعكاس للرواية اليهودية عن ولادة موسى عليه السلام، أن المسلمين أرادوا أن يكتبوا لسيرة رسول الله ﷺ سيرة تشابه سير الأنبياء السابقين، وبالأخص سيرة النبي موسى عليه وعليهم السلام، اللهم إلا في أنهما -أي رسول الله ﷺ، والنبي موسى عليه- يشتركان في المعتقد الإلهي نفسه، ويشتركان في الاتهامات الباطلة التي اتهمها بها قومها، المكيون القرشيون في مكة والمصريون أتباع الفرعون في مصر، بحسب ما ورد في القرآن الكريم في سورة القصص الكريمة الآية ١٩ التي يقول فيها عزّ من قائل: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾،

وما ورد في سورة يونس التي قال فيها الله تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ* قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ* (يونس: ٧٥-٧٨).

فالنصّ الحرفي لكلام المستشرق عن ولادة النبي موسى في شهر أدر هو:

This prophet was born and died in the same month, Adar. In the converted Islamic version of this tradition, Adar was replaced by its most natural equivalent in the Arabian calendar, Rabi' al-awwal. The term rabi' does not just stand for a calendar month, but also denotes a season, the very season in which the Hebrew Adar always falls-spring. More specifically, Adar falls on the vernal equinox(21 March), which the Arabs called al-istiwa' al-rabi'i. Therefore, Adar actually marks the

transition from shitá'(winter) to rabi'(spring). 10 As for the Jewish tradition, Adar was probably chosen for the chronology of Moses because it was the last month in the ancient Hebrew calendar, so that the birth of Moses occurred on the verge of a new year. The same seems to apply to Jesus.

وترجمة هذا النصّ: «هذا النبيّ عني موسى قد ولد وتوفي في الشهر نفسه، أدر. وبتحويله إلى الرواية الإسلامية فإن أدر قد حلّ محله ما يعادله تقريبا في التقويم العربي، ربيع الأول. وإن مصطلح الربيع لم يكن المقصود به الشهر التقويمي، ولكن أيضا يشير إلى فصل، الفصل نفسه الذي يقع فيه دائما الربيع. وعلى وجه التخصيص فإن أدر يقع في الاعتدال الربيعي ٢١ آذار، ذلك الذي يطلق عليه العرب الاستواء الربيعي. وبناء على ذلك، فإن أدر يشير إلى التحول من الشتاء إلى الربيع. وفيما يتعلق بالرواية اليهودية، فإن أدر ربما قد اختير للتسلسل الزمني لسيرة موسى؛ وذلك لأنه الشهر الأخير في التقويم العبري القديم؛ ولهذا فإن ولادة موسى تقع على حافة سنة جديدة، والشيء نفسه طبق وصحّ على عيسى».

أقول: إن هذه الاستنتاجات المتخبطة والمحرفة غير موجودة إطلاقا في القصة اليهودية، سواء في سفر الخروج، أو في الكتاب اليهودي «آثار العصور القديمة لليهود»، أو في دائرة المعارف اليهودية، أو دائرة المعارف الإسلامية، أو المصادر المذكورة تواء، فمن أين أتى المستشرق روبين بكل ذلك؟! والأنكى من كل ذلك أن البروفسور روبين لم يذكر مصادر معلوماته هذه، فليس هنالك ذكر لأي من الأسفار اليهودية أو المصادر اليهودية القديمة والحديثة؛ ولم أجد في هوامشه سوى استشهاد بكتاب فلافيوس جوزيفوس Flavius Josephus الموسوم بـ: «آثار العصور القديمة لليهود»، الذي ترجمه وليم وستون Whiston William إلى الإنجليزية وصدر في سنة ٢٠٠٩. والكتاب هذا يتألف من سبعة أسفار أو كتب عبرية، فالكتاب الأول يحتوي على قصة الخلق منذ



بدء الخليقة لحقبة تمتد إلى ثلاثة آلاف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين سنة، والسفر أو الكتاب الثاني يحتوي على مدة مائتين وعشرين سنة - من موت إسحاق إلى الخروج من مصر -، والفصل التاسع من هذا الكتاب هو الذي يتعلق بولادة موسى عليه السلام، والكتاب السابع والأخير يحتوي على مدة أربعين سنة، بدءاً من موت شاؤول إلى وفاة داوود. ^(٢٢) وهو المصدر الوحيد الذي أثبتته المستشرق لتوكيد معلوماته عن ولادة النبي موسى يوم الاثنين وفي شهر أدر، الفرضية التي استنتج منها التأثير التوراتي اليهودي في سيرة المصطفى رسول الله صلى الله عليه وآله. فضلاً عن الذي سبق ذكره علينا أن نقف على مسألة مهمة أخرى، وهي أن المستشرق رويين كأنه يعتقد أن العرب قبل الإسلام كانوا لا يعرفون شهر ربيع الأول وربيع الآخر، بل كانوا لا يعرفون خصائصهما الطبيعية والاقتصادية، ولا يميزون بين أيام الأسبوع وخصائصها ومزاياها!

ففيما يتعلق بشهري ربيع الأول وربيع الآخر اللذين يميزان عن غيرهما في سيرة سيد الأنام صلى الله عليه وآله فقد سُمِّيَا بربيعين لارتباع الناس والدواب فيهما، وهما بحسب أبي الريحان البيروني «شهر الربيع للزهر والأنوار وتواتر الأندية والأمطار وهذه نسبة إلى طبع الفصل الذي يسمى الخريف وكانوا يسمونه ربيعاً أي إقامتهم». ولهذين الشهرين معان واشتقاقات في أسمائهما، فقليل ربيع الأول هو خَوَّان أو خُوَّان، فهو من «الخون وهو النَّقْص؛ لأنَّ الحرب يكثر ويشتدُّ فيه فيتخَوَّنهم أي يتنَقَّصهم، وقد يكون من الخيانة». أما ربيع الآخر فهو «وَبْصَان أو وَبْصَان، فهو من الوبيص أي البريق، ومن قال: «بُصَان فهو من البصيص». وابن درستويه المتوفى في سنة ٣٤٦ هجرية في كتابه (كتاب الكتاب) يقول: إن الربيع هو الغيث فهو شهر غيث.

فالعرب -إذن- كانوا على معرفة بخصائص شهورهم وصفاتها، لا كما تعكسه رؤية المستشرق رويين. ويقال: «شهر (ربيع الأول) والأوّل فمن خفض ردّه على ربيع ومن رفع رده على الشهر، وكذلك شهرا ربيع الأوّل والأوّل وشهور ربيع الأوائل



والأوّل - وكذلك حكي ربيعا الأول وأربعة الأول - وقالوا: أربعة الأوليات والأوّل، وربيعا الآخر وأربعة الأواخر والآخر).

وسمّيا ربيعين لارتباع القوم، أي إقامتهم، ويسمّى ربيع الأوّل (خوان) مخفف، وقال الفراء: بعضهم يقول خوان والجمع أخونة وخوانات، قال لقيط الإيادي:
وخاننا خوان في ارتباعنا *** فانفذ للسّارح من سوامنا
وقال الآخر:

وفي النّصف من خوان ودّ عدونا *** بأنّه في أمعاء حوت لدى البحر
واشتقاقه من الخون وهو النّقص، لأن الحرب يكثر ويشد فيه فيتخونهم أي يتقصهم
ويسمّى ربيع الآخر (ويصان) مضموم خفيف وقال الفراء: بعضهم يقول: بصان،
وبعضهم يجعل الواو أصلا فيقول: وبصان فيجزم الباء والجميع بصانات وأبصنة، قال:

وسيّان بصان إذا ما عددته *** وبرك لعمرى في الحساب سواء
واشتقاقه من الويص وهو البريق، أو من البصيص. وأنشد شعرا:

ويوم كأنّ النّار يوقدها له *** هواجر وبصان عسفت به الحرقا

على ما يرى الضّبعين يشبهه دالجا *** أحال بدلوليه على حوضه دفقا^(٢٣).

وقد عرّف العرب الشهور الأخرى أيضا فقالوا: (جمادى الأولى) وجماديان وجماديات
وجماديا الأولى، وقالوا: الأوليين. وجماديات الأولى والأوّل والأوائل، و(جمادى
الأخرى) والأخريين وجماديات الأخرى والآخر والأواخر قال الشاعر:

إذا جمادى منعت درّها *** زان جنابي عطن مغضف

ورمضان ورمضانات ورماضين، وسمّي رمضان لشدة وقع الشّمس وتناهي الحرّ
فيه، ويقال: هذا شهر رمضان وهذا رمضان. وشوّال وشوّالان وشوّالات وشواويل،
وسمّي بذلك لشولان الإبل بأذناها عند اللّقاح، ويقال سمّي بذلك لأنّ الألبان تشول
فيه وتقل. ويقال: شال اللّبن وشال الميزان إذا خفّا. وذو القعدة وذوات القعدة وذوات



القعدة، سَمِّيَ بذلك لقعودهم في رحالهم لا يطلبون كلاً ولا ميرة. وذو الحجة وذوات الحجة لحجَّهم وقالوا: ذواتا القعدتين، وذوات القعدات وكذلك قيل في ذي الحجة، ويقال: شهر ناجر لشدة الحر، ومنه نجر من الماء إذا جعل يشرب فلا يروى.

ولأبي الريحان البيروني رأي أيضاً في مسألة الشهور عند العرب فيذكر: «ولقد قيل في علل أسامي الشهور أقاويل منها أنه قيل في تسمية المحرم بهذا الاسم لكونه من جملة الحرم، وصفر لامتيارهم في فرقة تسمى صفريّة، وشهري الربيع للزهر والأنوار وتواتر الأندية والأمطار وهو نسبة إلى طبع الفصل الذي نسميه نحن الخريف وكانوا يسمّونه ربيعاً». وقال المسعودي في مروج الذهب: «وربيع لارتباع الناس والدواب فيهما»، أمّا ابن درستويه في كتابه (الكتاب) فيقول: «وربيع إنّما هو اسم الغيث وليس الغيث بالشهر ولكن الشهر شهر غيث وصار ربيع اسماً للغيث». وشهراً جمادي لجمود الماء فيهما، ورجب لاعتمادهم الحركة فيه لا من جهة القتال، وأرجبة العمداد ومنه قيل عذق مرجّب، وشعبان لتشعب القبائل فيه، وشهر رمضان للحجارة ترمض فيه من شدة الحرّ، وشوّال لارتفاع الحرّ وإدباره، وذو القعدة للزومهم منازلهم، وذو الحجة لحجّهم فيه. ويوجد للشهور العربية أسام أخر قد كان أوائلهم يدعونها بها، وهي: المؤتمر، ناجر، خوّان، صوّان، حنتم، زباء، الأصم، عادل، نافق، واغل، هواع، برك^(٢٤). وهناك تفاصيل أخرى بيّنها أبو الريحان البيروني عن هذه الشهور لا مجال لذكرها جميعها هنا^(٢٥).

لكن العرب على الرغم من اعتمادهم على شهور السنة القمرية، فإنهم لم يعتمدوا تقويمًا خاصًا بهم يؤرخون به أحداثهم دائماً، إنما كانوا يعتمدون في تأريخهم لأحداث حياتهم الهامة حوادث تاريخية محددة، إذ أَرخُوا لبناء الكعبة من قبل إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام، وبعام العذر، وهو العام الذي نهب فيه بنو يربوع ما أنفذه بعض ملوك بني حمير إلى الكعبة عام ٤٦١ (ق. م.)، وبانهيار سد مأرب في اليمن في سنة ١٢٠ (ق. م.) تقريباً، وبوفاة كعب بن لؤي،



الجد السابع لرسول الله محمد ﷺ سنة ٥٩ (ق. م.)، وبعام الفيل، وهو العام الذي ولد فيه رسول الله محمد ﷺ سنة ٥٧١ م، وبحرب الفجار^(٢٦).

وهناك ملحوظة مهمة وهي أن العرب في عصر قبل الإسلام قد تأثروا بالسريان في تسمية الأشهر الميلادية، ومن بين هذه الشهور آذار ونيسان، فيقول البيروني: «وقد اشتهرت هذه الشهور، يقصد السريانية حتى استظهر المسلمون وقيدوا بها ما احتاجوا إليه من أوقات الأعمال، فعربوا قديم (في أصل تشرين قديم) الأول، وعربوا حراي (في أصل شهر تشرين حراي) وهو الآخر، وزادوا في شهر إير ألفا حتى صار أيار»^(٢٧).

والحقيقة أن السريان قد أخذوا نظامهم التقويمي هذا من السومريين والبابليين، فكان نيسان في البابلية نيسانو أو نيسان، وكان الاحتفال بالسنة الجديدة يجري عموماً في أواخر شهر آذار وبداية شهر نيسان، إذ يجري الاحتفال بعيد الربيع وتجدد دورة الفصول وما يسمى (عيد اكيثو). وقد بقي هذا اللفظ السومري (اكيثو) حتى اليوم بصيغة (القوت) التي تدل على الغذاء. وفي شهر نيسان تتم قيامة إله الخصوبة فحينئذ يعود الغذاء إلى البشر.

والأمر المثير أيضاً أن الصفات التي بينها المسعودي والبيروني عن صفات شهري شباط وآذار متشابهة، فشهر شباط كان في السومرية باسم (زيز-ام)، وفي البابلية باسم (شباطو) وهو الوقت الذي تنزل فيه زخات المطر. أما شهر آذار فكان اسمه في السومرية (شي-غور-كو)، وفي البابلية (ادر-أو ادارو) كاللفظ الذي أشار إليه المستشرق روبين. ونرى في اسمه البابلي صيغة در-يدر، أي: نزول المطر^(٢٨). ويذكر البيروني أن العرب «تعلموا الكبس من اليهود المجاورين وذلك قبل الهجرة بقرابة من مائتي سنة فأخذوا يعملون بها بما يشاكل فعل اليهود من إلحاق فضل ما بين سنتهم وسنة الشمس شهراً بشهورها»^(٢٩). فيوم الاثنين مثلاً، ذلك الذي يعتقد المستشرق روبين أن المسلمين قد اختاروه إنما هو مستمد من stem from الرواية اليهودية. وهذا



غير صحيح فالمرزوقي المتوفى في سنة ٤٢١ هجرية قد أشار إلى معنى يوم الاثنين وأهميته فقال: إن العرب يسمّون الاثنين: أهون وأوهد فأهون من الهون وهو السكون من قوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان: ٦٣)، وأوهد يدلّ على هذا المعنى؛ لأنّ الوهدة الانخفاض كأنهم جعلوا الأوّل أعلى ثم انخفضوا في العدّ. وروى سيبويه: هذا يوم اثنين مباركا فيه، ص ١٩٩. وذكر أصحاب السير أنّ أولاد نوح (عليه السلام) عزموا على المسير في الأرض ليروها، ويختاروا منها موطنًا لمطافهم وأوطانهم فبدؤوا بمسيرهم في يوم الأحد فسَمّي الأوّل، ثمّ لما كان اليوم الثّاني كان السير الذي شقّ عليهم في الأوّل أخفّ فسَمّي الاثنين أهون، (م. ن. ص ٢٠١).

وللعرب في ذكر الأيام معانٍ وخصائص، فيوم الأحد ها هنا اسم وأصله: وحد، وقد يكون صفة مثل قوله: بذى الجليل على مستأنس وحد. ومعنى الواحد الذي لا ثاني له، وإنّما لم يثنّ وهو اسم؛ لأنه متى ثنّي خرج من أن يكون واحدا، فلذلك لم يقل: وحدان، وإبدال الهمزة من الواو المفتوحة جاء في أحرف معدودة. والاثنان من ثنيت الشيء إذا ضعّفته ثنيا ثم يسمّى المثنى ثنيا، ولا يقال في أحد اثن؛ لأنّه إذا أفرد عما يثنّى به لم يستحقّ هذا الاسم. فأما الثلاثاء والأربعاء والخميس فإنّها وإن أريد بها ما يراد من أسماء العدد إذا قلت ثلاثة وأربعة وخمسة، فإنّ في تغيير الأبنية لها قصد. وسيبويه قال: أحبّوا في الأوقات أن يحصوها بأبنية تلزمها من بين سائر المعدودات، وشبّوها بقولهم: عدل وعديل ووزين ووزان في الفصل بين الأجناس. والعروبة للجمعة كذلك، والسبب سمّي به قيل: للراحة، ومنه السّبات النّوم، ويقال: انسبت الرّجل إذا اعترته سكتة. وقيل: أصل السّبب القطع. ومنه السّبات لأنّه يحول بين التمييز وصاحبه، ويقطعه عن عاداته وتصرفه، ويقال: سبتوا عنقه إذا قتلوه. والمنسبت من النّخل: ما يجري الإرتاب في جميعه، فكأنّه انقطع من حدّ البسر، ويقال لضرب من النّعال: السّبب، وإنّما هي التي قد نثر شعرها. ويقال: إنّ السّبب إنّما سمّي لما أخذ على اليهود في السّبب ونهوا عنه في



هذا اليوم مما هو مباح في غيره، وانقطاع حكمه من حكم غيره، ومن جعل السبت إنمّا يسمّى به للراحة، يقول: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (سورة ق: ٣٨) هو ردّ على اليهود في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ آخرها يوم الجمعة واستراح في يوم السبت، فردّ الله ذلك عليهم وأبطل قولهم. وسمّي السبت: شيارا واشتقاقه من شيرت الشيء إذا أظهرته وبيّنته، ويقال: شياري حسن الشيارة وهي ظاهر منظره، ومن هذا قيل: القوم يتشاورون أي يظهرون آراءهم كأنّ كلّ جماعة منهم يظهرون ما عندهم ويعرضونه. ويجوز أن يكون قولهم لخيار الإبل الشّيار من هذا الذي ذكرناه.

وقالوا للثلاثاء الجبار أي جبر به العدد، وأعظم به العدد وقوي، لأنّه حصل به فرد وزوج. وقال الخليل وقيل للخميس: مؤنس لأنّه يؤنس به لقربه من الجمعة وفي الجمعة التأهب للاجتماع. وقيل للجمعة: العروبة؛ لبيانها عن سائر الأيام، والإعراب في اللّغة الإبانة والإفصاح، والعرب شوك البهمي والواحدة عربة؛ سمّي بذلك لأنّ الورق يسقط منه فيظهر الشّوك، فالتأويل أنّه قد بان من الورق. (المصدر نفسه: من صفحة ١٩٩ إلى ٢٠٥).

وثالثا:

قوله على الصفحة التالية أي صفحة ١٩١ من كتابه: إن «اختيار مؤلفي السيرة النبوية المطهّرة من المسلمين ليوم الاثنين يبدو أيضا أنه نشأ عن جذر من الرواية اليهودية التي كان فيها يوم الاثنين ويوم الخميس من أيام الصيام عند اليهود. وإن هذين اليومين أيضا قد ثبتا في الرواية الإسلامية عن سيرة محمد من أجل أن تنسجم مع التسلسل الزمني لحياة محمد». ويردّف قائلا: «إنه في واحدة من هذه الروايات الإسلامية فإن يوم الاثنين كان هو اليوم المقبول والموصى به للصيام؛ وذلك لأنّ محمدا قد ولد فيه، وهو اليوم الذي بعث فيه».



وقد صيغت هذه بصيغة حديث وقول للنبي نفسه، ثم دوّنت أيضا في المصادر التاريخية، وكذلك في مؤلفات المصنف. فهناك رواية أخرى تجمع قداسة يوم الاثنين بوصفه يوم صيام مع يوم الخميس. فيقول مكحول الشامي (المتوفى في سنة ١١٢ هجرية): إنه قد اعتاد الصيام في يومي الاثنين والخميس؛ فالنبي قد ولد يوم الاثنين، وبعث يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين. وإن أعمال الإنسان ترفع إلى السماء يوم الخميس، هاهنا انتهى قول المستشرق.

“The Islamic tradition chose for Muḥammad the typological number 12, and also a day in the week based on the same typology, Monday. The selection of Monday seems also to stem from Jewish tradition, in which Monday and Thursday in particular were known as days of fasting. 12 This is also the case in Islamic traditions anchoring these days to Muhammad’s harmonious life chronology. In one tradition Monday is recommended as a day of fasting because Muhammad was born on it and was sent as a prophet on it. This is formulated as a statement of the Prophet himself,¹³ and is recorded in the biographical sources,¹⁴ as well as in the muṣannaf compilations. 15 Another tradition combines the sacredness of Monday as a fast day with that of Thursday. The Syriac Makhūl(d. AH 112) states that he used to fast on Monday and Thursday; the Prophet was born on a Monday, was sent as a prophet on a Monday, and died on a Monday”.

إذن، فالمستشرق روين لم يكتف بجعل اليوم والشهر لولادة رسول الله ﷺ متأثرا بالرواية اليهودية، وإن هي إلا تقليد لها في سيرة النبي موسى عليه السلام، بل امتدت تخيلاته إلى مفصل آخر من سيرة النبي محمد ﷺ، ألا وهو ما ورد بشأن الأيام المفضلة لصيام النبي ﷺ، وإن اختياره ليوم الاثنين والخميس هو أيضا مقتبس من الرواية اليهودية، تلك التي حددت يومي الاثنين والخميس على أنهما أيام الصوم عند اليهود، وأن النبي موسى عليه السلام اعتاد على صيامهما.



ف نقول للمستشرق رويين: إن كتاب الله العزيز قد جعل الصيام من الفرائض والشعائر الإسلامية المهمة على كل مسلم مؤمن، فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)، فكأن الآية الكريمة تخاطب من كان يؤمن بالله تعالى وبضمنهم من كان على شريعة موسى، فأنتم الأحياء في وقت نزول القرآن قد ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ في الشريعة الجديدة، الإسلام، ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أباًؤكم الذين كانوا عليها من قبل نزول القرآن. فأنتم أيها الأحياء في وقت نزول القرآن يجب عليكم الصيام مع أصحاب النبي ﷺ، ولكن ليكن صيامكم في شهر رَمَضَانَ كما تبينه الآية الكريمة ١٨٥ من سورة البقرة. وبمعنى آخر فإن هذه الآيات تظهر للعيان أن شريعة القرآن قد نسخت شريعة التوراة، فبدل الله اليوم واللييلة التي كانت في شريعة التوراة إلى شهر رمضان، وبيدأ فيه الصيام من الفجر حتى الغروب، ذلك قول الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فبدل اليوم بشهر، وبدل اللييلة بقوله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ (البقرة: ١٨٧)، ومعنى ﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾، أنه كان محرماً في الشريعة اليهودية السابقة، وكذلك بدل اليوم الواحد بأيام، فقال: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، فبعد أن كان يوماً ولييلة صار أياماً معدودات من غير ليالٍ، هكذا ينبغي على المستشرق أن يفهم وحدة الأديان وتطور الشعائر وتغير الطقوس.

وواقعاً فإن العرب قبل الإسلام لم يعرفوا الصوم إلا ما كان متبوعاً في الديانتين اليهودية والمسيحية، أو ما كان متبوعاً لدى الحنفاء منهم الذين كانوا على ما تبقى من دين إبراهيم وإسماعيل، غير أنه يروى أن قريش كانت تصوم يوم عاشوراء، وكانوا يكسون في هذا اليوم الكعبة بكسوة جديدة، وذلك عندما أصابهم قحط ثم رفع عنهم ذلك القحط، فكانوا يصومونه شكراً وتعظيماً لألهتهم وأصنامهم، ومن الأكثر تحقيقاً القول: إن صومهم لم يكن يعني الامتناع عن الأكل والشراب، بل كان يعني الامتناع عن الكلام لأوقات محدودة.



وَمَا يَجْدُرُ ذَكَرُهُ هَاهُنَا أَنَّهُ وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ الْحَدِيثَ رَقْمَ ١٩٠٠ الَّذِي جَاءَ فِيهِ: «حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ جَبْرِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى، فَقَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ»، وَالْحَدِيثَ رَقْمَ ١٩٠١ وَجَاءَ فِيهِ: «حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا أَبُو أَسَامَةَ عَنْ أَبِي عَمِيْسٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ مَسْلَمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ تَعْدُّهُ الْيَهُودُ عِيدًا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَصُومُوهُ أَنْتُمْ» (٣٠).

وَكَانَ الْفَرِيسِيُّونَ يَصُومُونَ يَوْمِي الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ مِنْ كُلِّ أَسْبُوعٍ بِدَافِعٍ مِنْ تَقْوَاهُمْ الْخَاصَّةَ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْخَمِيسَ هُوَ يَوْمٌ ذَهَابَ مُوسَى النَّبِيُّ إِلَى الْجَبَلِ لِاسْتِقْبَالِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْجَبَلِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ. وَيَصُومُ الْيَهُودِيُّ فِي أَيَّامِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ مِنْ كُلِّ أَسْبُوعٍ، فَهِيَ الْأَيَّامُ الَّتِي تُقْرَأُ فِيهَا التَّوْرَةُ فِي الْمَعْبَدِ. وَالصِّيَامُ عِنْدَ الْيَهُودِ نَوْعَانِ: صِيَامٌ فَرْدِي لِلتَّكْفِيرِ عَنْ خَطِيئَةٍ أَوْ ذَنْبٍ ارْتَكَبَهُ الْفَرْدُ، وَصِيَامٌ جَمَاعِي، وَفِيهِ يَصُومُ الْيَهُودُ جَمِيعًا عِنْدَ وَقُوعِ كَارِثَةٍ عَامَةٍ، كَهَزِيمَةٍ فِي حَرْبٍ أَوْ ذِكْرَى الْاضْطِهَادِ وَالتَّشْرِيدِ أَوْ دِمَارِ مَحْصُولٍ أَوْ أَيِّ بَلَاءٍ عَامٍ يَقَعُ بِالْيَهُودِ، وَيَنْدَرِجُ هَذَانِ النَّوْعَانِ تَحْتَ تَصْنِيفَاتِ الصِّيَامِ الْيَهُودِيَّةِ، وَهِيَ: الصَّوْمُ الْفَرَضُ كَصَوْمِ يَوْمِ الْغُفْرَانِ، وَيَبْدَأُ قَبْلَ غُرُوبِ الْيَوْمِ الْتَّاسِعِ مِنْ تَشْرِينَ «رَأْسُ السَّنَةِ الْعِبْرِيَّةِ» بِرَبْعِ سَاعَةٍ، وَيَسْتَمِرُّ إِلَى مَا بَعْدَ غُرُوبِ شَمْسِ الْعَاشِرِ مِنْ تَشْرِينَ بِنَحْوِ رُبْعِ سَاعَةٍ، بِحَيْثُ تَصِلُ مَدَّةُ الصِّيَامِ إِلَى ٢٥ سَاعَةً مُتَتَالِيَةً، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ يَوْمُ «كَيُور»، وَيرتدي فيه الرجال وشاحًا أبيض، وترتدي النساء ملابس بيضاء. وصوم النفل، كصوم يوم ٩ من أغسطس، في خراب الهيكل المقدس. والصيام التطوعي كصيام يومي الاثنين والأربعاء، وصوم الحاخامات. ومن أيام الصيام التطوعي يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع، وقد اختلفت الآراء حول أصل الصيام في هذين اليومين،



ف قيل: إن اليهود يصومون فيه؛ لأن النبي موسى ﷺ قد ذهب يوم الخميس إلى الجبل لاستقبال الوحي الإلهي ثم عاد من الجبل يوم الاثنين^(٣١). وجاء في سفر أستير Esther صيام استير الذي يقع في يوم الثالث عشر من شهر أدر^(٣٢)، على الرغم من أن بعض اليهود اعتادوا على صيام ثلاثة أيام: الاثنين الأول والثاني ويوم الخميس الذي يعقب ذلك، وهو عيد البوريم اليهودي^(٣٣). فكان لليهود -إذن- عدد من الأيام للصوم، فما هو الوجه الذي يتخذ فيه رسول الله ﷺ والمسلمون يومين يتعلقان بذهاب النبي موسى إلى الجبل وعودته منه أياما مفضلة للصيام؟ اللهم إلا إذا ما ورد في الحديثين اللذين ذكرهما البخاري اللذين سبق ذكرهما.

وبالمناسبة فإن المستشرق استشهد بالحديث الذي رواه التابعي مكحول الشامي أو مَكْحُولُ الهُذَلِي، وهو مكحول بن عبد الله، أبو عبد الله الشامي، محدث وفقه وحافظ، وهو عالم أهل الشام، وكان من كبار أعلام التابعين، وأشهر فقهاءهم في بلاد الشام، روى أحاديث مرسلّة عن جماعة من الصحابة والتابعين، وذكر أنه قد أرسل في أحاديث له عن النبي ﷺ، وأرسل عن عدد من الصحابة لم يكن قد أدركهم. وحديثه أنه -أي مكحول- (كان يصوم يوم الاثنين والخميس، وكان يقول: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وبعث يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، وترفع أعمال بني آدم يوم الخميس)، وفي رواية أخرى للحديث فيه ذكر ليوم الاثنين من دون ذكر يوم الخميس قوله: (إن رسول الله ﷺ قال لبلال: ألا لا يغادرك صيام الاثنين، وأوحي إلي يوم الاثنين، وهاجرت يوم الاثنين، وأموت يوم الاثنين)^(٣٤).

والحقيقة أن هناك اهتماما كبيرا من المحدثين، ومن رواة السيرة النبوية المطهرة ومؤرخيها بمسألة صوم رسول الله ﷺ وأن القارئ لهذا التراث الضخم لن يجد فيه أي نبرة أو مبحث يفيد بكون هذا الصوم -أي صيام يوم الاثنين أو الاثنين والخميس- هو تقليد لما كان بعض اليهود في المدينة المنورة يمارسونه في صيام



هذين اليومين كما يرى المستشرق، فقد وردت هذه الأحاديث والروايات بأسانيد متنوعة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام نظير: معاني الأخبار للشيخ الصدوق، وكتابه الآخر الخصال، وكتابه الثالث ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، وكتاب قرب الإسناد للشيخ أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري، وكتاب تفسير العياشي لمحمد بن مسعود العياشي، وكتاب المحاسن للشيخ أحمد بن محمد البرقي، وكتاب إعلام الوري بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي، عن أبان بن عثمان البجلي الأحمر عن الأئمة الأطهار عليهم السلام. وهناك اهتمام واسع بصوم رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه المؤلفات الشيعية وغيرها بما يتعلق بالأيام التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار يصومونها فهناك باب (في كتاب بحار الأنوار) للمجلسي عنوانه: صوم الثلاثة الأيام في كل شهر وصوم البيض وصوم الأنبياء عليهم السلام. فجاء في كتاب قرب الإسناد للحميري: «قال: سألت عن الرجل يكون عليه صيام الأيام من قبل شهر رمضان، يصومها قضاء وهو في شهر لم يصم أيامه؟ قال: لا بأس. وسألته عن الرجل يؤخر صوم الأيام الثلاثة من كل شهر حتى يكون في الشهر الآخر فلا يدركه الخميس ولا الجمعة من الأربعاء يجزيه ذلك؟ قال: لا بأس. وسألته عن صيام الأيام الثلاثة من كل شهر يكون على الرجل يصومها متوالية أو يفرق بينها؟ قال: أي ذلك أحب»^(٣٥). وورد في كتاب قرب الإسناد أيضا عن «ابن طريف، عن ابن علوان، عن الصادق، عن أبيه عليه السلام أن عليا عليه السلام كان ينعت صيام رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: صام رسول الله صلى الله عليه وآله الدهر كله ما شاء الله، ثم ترك ذلك وصام صيام أخيه داود عليه السلام يوما لله ويوما لله ما شاء الله ثم ترك ذلك فصام الاثنين والخميس ما شاء الله، ثم ترك ذلك وصام البيض ثلاثة أيام من كل شهر، فلم يزل ذلك صيامه حتى قبضه الله إليه»^(٣٦).



وجاء في كتاب الخصال للشيخ الصدوق عن «ابن موسى، عن الأسدي، عن النخعي، عن النوفلي، عن علي بن أبي حمزة، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عما جرت به السنة في الصوم من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ثلاثة أيام في كل شهر: خميس في العشر الأول، وأربعاء في العشر الأوسط، وخميس في العشر الأخير، يعدل صيامهم صيام الدهر، يقول الله عز وجل (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) فمن لم يقدر عليها لضعف فصدقة درهم أفضل له من صيام يوم»^(٣٧). وورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «فلم جعل في كل شهر ثلاثة أيام في كل عشرة أيام يوماً؟ قيل: لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾، فمن صام في كل عشرة أيام يوماً فكأنما صام الدهر كله، وكما قال سلمان المحمدي: «صوم ثلاثة أيام في الشهر صوم الدهر كله، فمن وجد شيئاً غير الدهر فليصمه»، فإن قال: فلم جعل أول خميس من العشر الأول، وآخر خميس في الشهر وأربعاء في العشر الأوسط؟ قيل: أما الخميس فإنه قال الصادق عليه السلام: يعرض كل خميس أعمال العباد على الله فأحب أن يعرض عمل العبد على الله تعالى وهو صائم، فإن قال: فلم جعل آخر خميس؟ قيل: لأنه إذا عرض عمل ثمانية أيام والعبد صائم كان أشرف وأفضل من أن يعرض عمل يومين وهو صائم، وإنما جعل أربعاء في العشر الأوسط لأن الصادق عليه السلام أخبر أن الله عز وجل خلق النار في ذلك اليوم، وفيه أهلك الله القرون الأولى، وهو يوم نحس مستمر فأحب أن يدفع العبد عن نفسه نحس ذلك اليوم بصومه»^(٣٨).

وعن ابن مسرور، عن ابن عامر، عن عمه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الصوم في الحضر، «فقال: ثلاثة أيام في كل شهر: الخميس من جمعة، والأربعاء من جمعة، والخميس من جمعة، فقال له الحلبي: هذا من كل عشرة أيام يوم؟ قال: نعم»، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «صيام شهر رمضان وثلاثة أيام في كل شهر يذهب ببلابل الصدر، إن صيام ثلاثة أيام في كل شهر يعدل صيام الدهر، إن الله عز وجل يقول: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾»^(٣٩).



وجاء في كتاب الكافي للشيخ الكليني: «روي عن الصادق (عليه السلام) أن آخر خميس من الشهر ترفع فيه الأعمال، وهذا الحديث ذكره جدي أبو جعفر الطوسي ورويته أيضا بإسنادي إلى جدي أبي جعفر الطوسي، عن أحمد بن عبدون، عن الحسين بن علي بن شيبان القزويني من كتابه كتاب علل الشريعة. أقول: ولعل قائلا يقول: «إن كل يوم اثنين وخميس من كل أسبوع ترفع فيه أعمال العباد فما وجه هذه الأحاديث في تخصيصها الخميس الآخر من الشهر وهي صحيحة الإسناد؟ والجواب أن الأعمال يعرض عرضا في آخر خميس في الشهر بعد عرضها في كل يوم اثنين وخميس، فيكون العرض الأول عرضا خاصا من غير كشف للملائكة وأرواح الأنبياء (عليهم السلام) في الملأ الأعلى بل بوجه مستور عنهم، ثم يعرض أعمال كل الشهر آخر خميس فيه عرضا عاما بتفصيل أعمال الشهر عن جملتها أو على وجه مكشوف للروحانيين، وإظهار ملك الأعمال على صفتها؛ لأن العرض للأعمال ما هو جنس واحد على التحقيق، من كل طريق؛ لأن الملكين الحافظين بالنهار يعرضان عمل العبد في نهاره كما يختصان به، وملكي الليل يعرضان ما يعمل العبد في ليله كما ينفردان به. وأقول: لو أن ملكا استعرض كل يوم عمل صانع من المصنوعات في شهر، ثم لما تكملت تلك الأعمال عرضها عليه آخر الشهر دفعة واحدة، لم يعد جاهلا بل حكيما؛ لأن عرضها جملة إما لنفع صانعها وإظهار حذفه، إن كان أعماله من المرضيات، وإما لضرورة وإظهار عدم معرفته، إن كانت أعماله من المسخطات، وليكون الملك أعذر في مؤاخذه الصانع وعدمها»^(٤٠).

جميع هذه الأحاديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) الواردة في صحيح البخاري ومسلم لا تشير من قريب أو بعيد إلى رؤية المستشرق روبين التوراتية، وهي تؤكد أن الصيام في الإسلام هو من المبادئ الإسلامية المتأصلة.

وفي مؤلفات الجمهور كصحيح البخاري وصحيح مسلم والمسند والطبري وابن عساكر وابن كثير وغيرهم، يتفق عدد منها على أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان معتادا على



صوم يوم الاثنين من كل أسبوع ؛ فروى مسلم في الحديث رقم (١١٦٢) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ المتوفى في سنة ٥٤ هجرية أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الْاِثْنَيْنِ فَقَالَ: (فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ)، وقيل في رواية مماثلة عن مسلم: (فِيهِ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَنْزَلْتُ عَلَيْهِ فِيهِ النُّبُوءَةُ)، وعن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي قتادة أيضا أن رجلا سأل النبي ﷺ عن صوم يوم الاثنين قال: (فيه ولدت وفيه أوحى إلي)، وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّ (رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الْاِثْنَيْنِ، فَقَالَ: ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ) (٤١) .

رابعا:

وفي الوقت الذي يصرّ فيه المستشرق على التأثير التوراتي في اليوم والشهر الذي ولد فيه رسول الله ﷺ، وأنهم -أي المسلمين- لما عرفوا بيوم ولادة النبي موسى (عليه السلام)، يوم الاثنين وفي شهر ربيع الأول، عند اليهود أدر أو آدار، اقتبسوا هذين التاريخين وبدلوا شهر أدر إلى ما يقابله في التقويم الإسلامي وهو شهر ربيع الأول شهر التجدد والرخاء. أقول للمستشرق: إن رواة السيرة النبوية المطهرة ومؤرخيها واقعا اتفقوا على ولادة نبينا ﷺ في يوم الاثنين وجعلوا هذا اليوم يوما لولادته ﷺ وهو يوم بعثته وتلقيه الوحي بالقرآن الكريم، وهو يوم هجرته إلى المدينة المنورة، وهو اليوم الذي انتقل فيه إلى جوار ربّه الأعلى، لكن هذا لا يمنع من ظهور آراء لتواريخ مختلفة في اليوم والشهر على حدّ سواء.

فهناك الرواية الشيعية التي أرجعها الرواة الشيعة إلى الإمام الصادق (عليه السلام)، وهذه بحسب السلسلة السنديّة الذهبية ترجع إلى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فهي تكون على الأرجح الصحيحة. ويلخص هذه الروايات الشيعية العلامة المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) الجزء ١٥ بدءا من صفحة ٢٤٨، فيقول: «اعلم أنه اتفقت الإمامية إلا من شذّ منهم على أن ولادته ﷺ في سابع عشر شهر ربيع الأول، وذهب أكثر المخالفين إلى أنها كانت في الثاني عشر منه، واختاره الكليني رحمه الله على ما سيأتي إما



اختياراً أو تقيّة». ويستمر العلامة المجلسي في قوله: «فأما يوم الولادة فالمشهور بين علمائنا ومدلول أخبارنا أنه كان يوم الجمعة، والمشهور بين المخالفين يوم الاثنين، ثم الأشهر بيننا وبينهم أنه ﷺ ولد بعد طلوع الفجر، وقيل: عند الزوال، وذكر جماعة من المؤرخين وأرباب السير أنه كان في ساعة الولادة غفر الشمس في الحمل في الشرف، والزهرة في الحوت في الشرف، والعطارد أيضاً في الحوت، والقمر في أول الميزان، والرأس في الجوزاء، والذنب في القوس».

وها هنا يوضح اليعقوبي في تاريخه الخصائص الفلكية لميلاد رسول الله ﷺ التي لم يرد ذكرها في المصادر التوراتية بخصوص ولادة النبي موسى عليه السلام تماشياً مع رؤية المستشرق روبين، فقال اليعقوبي: «وولد على ما قال أصحاب الحساب بقران العقرب، قال ما شاء الله المنجم: كان طالع السنة التي كان فيها القرآن الذي دل على مولد رسول الله ﷺ الميزان اثنين وعشرين درجة حد الزهرة وبيتها، والمشتري في العقرب ثلاث درجات وثلاثاً وعشرين دقيقة، وزحل في العقرب ست درجات وثلاثاً وعشرين دقيقة راجعاً، وهما في الثاني من الطوالع، والشمس في نظير الطالع في الحمل أول دقيقة، والزهرة في الحمل على درجة وست وخمسين دقيقة، وعطارد في الحمل على ثماني عشرة درجة وست عشرة دقيقة، والقمر وسط السماء في السرطان درجة وعشرين دقيقة، وقال الخوارزمي: ثماني عشرة درجة وست عشرة دقيقة، والقمر وسط السماء في السرطان درجة وعشرين دقيقة، وقال الخوارزمي: كانت الشمس يوم ولد في الثور درجة والقمر في الأسد على ثماني عشرة درجة وعشر دقائق، وزحل في العقرب تسع درجات وأربعين دقيقة راجعاً، والمشتري في العقرب درجتين وعشر دقائق راجعاً، والمريخ في السرطان درجتين وخمسين دقيقة، والزهرة في الثور اثنتي عشرة درجة وعشر دقائق».

علماً أن محمد بن إسحاق في سيرته قد أورد رواية قال: حدثه فيها الإمام أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام «أن يوم الفرقان الذي التقى فيها رسول الله بالمشركين في بدر كان يوم الجمعة



صبيحة السابع عشر من رمضان وليس يوم الاثنين». وعلى الرغم من أن الإمام عليه السلام لم يشير إلى أنه يوم نزول الوحي، فالإمام هنا يصحح فقط ما ورد بشأن معركة بدر على أنها وقعت صبيحة يوم الاثنين، وبحسب روايته عليه السلام فقد أتى الوحي يوم الاثنين بالرسالة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، وقيل: في الرابع والعشرين منه، وعنه عليه السلام برواية عبيد بن عمير: كان نزول الوحي يوم الاثنين وقيل: من شهر ربيع الأول^(٤٢). وذكر شيخنا المفيد في كتاب حقائق الرياض: كانت في السابع عشر منه ولادة سيدنا رسول الله ﷺ عند طلوع الفجر من يوم الجمعة عام الفيل، وقال رحمه الله في كتاب التواريخ الشرعية: نحوه، وفي كتابه الكافي: «ولد النبي ﷺ لاثني عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال»^(٤٣).

وذكر الشيخ الطبرسي في كتابه^(٤٤) مولده ونسبه إلى آدم عليه السلام ووقت وفاته: ولد ﷺ يوم الجمعة عند طلوع الشمس السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل. (ينظر: الفصل الأول من الركن الأول ص ١٣). أمّا بحسب الروايات السنية: فقد ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، ثم اختلفوا في أي من الاثنين، فمن قائل: لليلتين من شهر ربيع الأول، ومن قائل يقول: لعشر ليال خلون. (ينظر: إعلام الوري بأعلام الهدى الفصل الأول من الركن الأول ص ١٣)، وبحسب الطبرسي: «وذلك لأربع وثلاثين سنة وثمانية أشهر مضت على ملك كسرى) أنو شيروان بن قباد وهو قاتل مزدك والزنادقة وميرهم)، وهو الذي عنى رسول الله ﷺ -بحسب ما يزعم أنصار هذا الرأي- في حديث له ﷺ قال فيه: (ولدت في زمان الملك العادل الصالح). ويقف العلامة المجلسي على الموضوع نفسه فيقول: «وذهب شاذ من المخالفين من أهل السنة إلى أنه ولد في شهر رمضان؛ لأنهم اتفقوا على أن بدء الحمل به ﷺ كان في عشية عرفة، أو أوسط أيام التشريق، واشتهر بينهم أن مدة الحمل كانت تسعة أشهر، فيلزم أن تكون الولادة في شهر رمضان، وذهب شاذة منهم إلى أن الولادة كانت في الثامن من ربيع الأول».



وشخص المقرئ في المتوفى في سنة ٨٤٥ هجرية في كتابه (إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والخفدة والمتاع) أقوال العامة في ولادته ﷺ فقال: «ولد محمد ﷺ بمكة في دار عرفت بدار ابن يوسف من شعب بني هاشم يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، وقيل: لليلتين خلتا منه، وقيل: ولد ثالثه، وقيل: في عاشره، وقيل: في ثامنه، وقيل: ولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من رمضان حين طلع الفجر، وقد شذ بذلك الزبير بن بكار. وقيل: في صفر، وقيل: في يوم عاشوراء، وقيل: في ربيع الآخر»^(٤٥).



هوامش الفصل الثالث

1- See William Montgomery Watt; Muhammad at Medina(Oxford University Press,1956 ,p.324.

See also: Muhammad and the Conquests of Islam. Paperback - January, 1968 by Gabrieli, Francesco

فرانشيسكو غبريلي، محمد والفتوحات الإسلامية (١) المركز الأكاديمي للأبحاث ترجمة وتحقيق: د. عبد الجبار ناجي.

٢- ينظر: The Independent. Retrieved 1 June 2016

تعدّ سيرة وات الشاملة للنبي ﷺ في كتابيه محمد في مكة (١٩٥٣) ومحمد في المدينة (١٩٥٦).

3- Muslim-Christian Encounters: Perceptions and Misperceptions ; Hillenbrand, Carole(8 November 2006). "Professor W. Montgomery Watt". The Independent. Retrieved 1 June 2016.(1991) و A Christian Faith For Today(2002)

4- Islamic Surveys: The Influence of Islam on Medieval Europe(1972)

5- See Theodor Noldeke ;Geschite des Qura'n(Gottingen Verlag der Dietrichschen ,Buchhandlung,1860);Morteza Karimi-Nia ;" The Historiography of the Qura'n in theMuslim World : The influence of Theodor Noldeke" in Journal of Qura'nic Studies(15,1).(2013) ,Edinburgh University Press.Pp.46-68.; Abraham Geiger ; Judaism and Islam Trans. By F.M.Young ,New York 1970 ,introduction P. V111;

6- Uri Rubin ; the Eye of beholder. P. 4

٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: الأرنؤوط وآخرين، الناشر: مؤسسة الرسالة؛ أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر؛ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الطبعة الثالثة، الرسالة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦، جزء ٢ ص ٢٢٨؛ الحافظ الهيثمي المتوفى في سنة ٨٠٧ هجرية، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.

٨- ينظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير، سنة النشر: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، جزء ٢ ص ٩٥٤.

٩- سيرة ابن هشام ص ٤٠٤ - ٤٠٧.

١٠- ينظر: ابن أبي شيبه، المصنف ٦/ ٢٢٨.

١١- البخاري: باب خاتم النبيين ٣٣٤٢، ومسلم: كتاب الفضائل، باب كونه خاتم النبيين، حديث ٢٢٨٦.



١٢- البخاري عن أبي هريرة: كتاب المناقب، باب خاتم النبيين (٣٣٤٢)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب كونه خاتم النبيين (٢٢٨٦).

١٣- البخاري عن أبي سعيد الخدري: كتاب الديات، باب إذا لطم يهوديًا عند الغضب (٦٥١٩)، البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) (الصفحات: ١٣٩)، (٣٢٣٣)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ٢٣٧٣.

١٤- البخاري عن أبي بن كعب: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيك العلم إلى الله (١٢٢)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر (٢٣٨٠)؛ البخاري عن عبد الله بن عباس: كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء (١٩٠٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء (١١٣٠).

١٥- البخاري عن أبي هريرة: كتاب الأنبياء، باب قوله: ﴿وَبَشِّرْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الحجر: ٥١)، (٣١٩٢)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل (١٥١).

١٦- ينظر: ابن النديم؛ فهرست ابن النديم، طبعة طهران ص ٣٥٤؛ القفطي؛ أخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة في مطبعة السعادة في مصر سنة ١٣٢٦ هجرية، عني بتصحيحه محمد أمين الخانجي ص ١٥٥.

17- Spier, Arthur (1986), The Comprehensive Hebrew Calendar, Feldheim Publishers.

١٨- الجامع الصحيح للترمذي، ج ٥، ص ٦٧-٦٨؛ سنن الترمذي: الجامع الكبير، الترمذي أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦؛ السنن الكبرى (سنن البيهقي الكبرى)، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣، ج ٦، ص ٢١١؛ السيرة النبوية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، المحقق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٥ - ١٩٧٦، ج ٣، ص ١٧٦.

١٩- الترمذي في كتابه الجامع الكبير.

٢٠- ينظر: المرزوقي؛ الأزمنة والأمكنة، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هجرية، الجزء الأول، ص ٢٠٥ - ٢١١.

21- THE Antiquities of the Jews; CHAPTER 9. Concerning The Afflictions That Befell The Hebrews In Egypt. During Four Hundred Years. Flavius Josephus .

22- Antiquities of the Jews؛ Flavius Josephus; Translator: William Whiston; Release Date: January 4, 2009 Flavius Josephus; Translator: Wil-



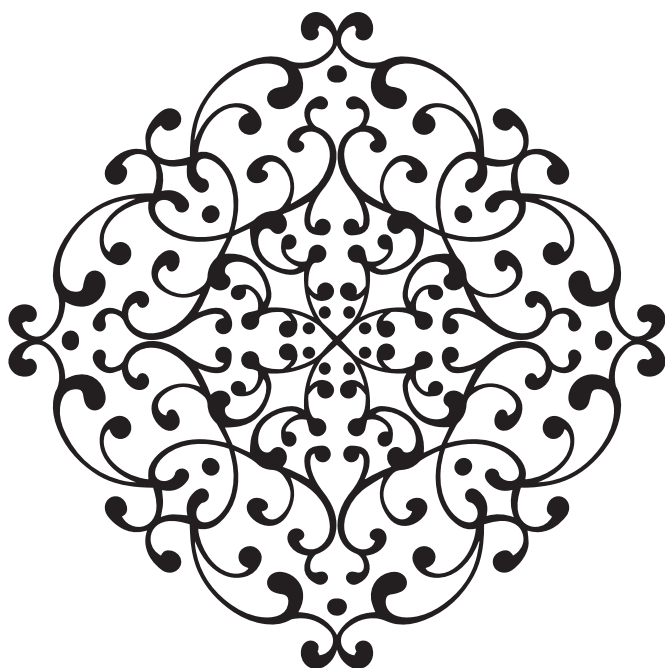
liam Whiston; Release Date: January 4, 200 .

- ٢٣- ينظر: المرزوقي؛ الأزمنة والأمكنة، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هجرية الجزء الأول، ص ٢٠٥-٢١١؛ أبو الريحان البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٦٠-٦١.
- ٢٤- ينظر: المسعودي؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به: كمال حسن مرعي، بيروت، ٢٠٠٥، جزء ٢ ص ١٥٨؛ أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد المشهور ابن درستويه؛ كتاب الكتاب، نشر: الأب لويس شيخو، بيروت، ١٩٢١، ص ٩٠-٩١.
- ٢٥- ينظر: المرزوقي؛ الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ص ١٢٦، ٢٠٦، ٢١٠؛ المسعودي؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به كمال حسن مرعي، بيروت ٢٠٠٥، جزء ٢، ص ١٥٨؛ أبو محمد عبد الله بن جعفر المشهور بابن درستويه، كتاب الكتاب، نشر: لويس شيخو، بيروت ١٩٢١، ص ٩٠-٩١؛ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي ص ٦٠.
- ٢٦- المسعودي، مروج مروج الذهب، جزء ١، ص ٢٤٩؛ البيروني ص ٣٨-٣٩؛ دكتور جواد علي؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جزء ١، ص ٥١٠٤.
- ٢٧- الآثار الباقية ص ٦٠.
- ٢٨- ينظر: ابن درستويه؛ كتاب الكتاب ص ١٤٩-١٥٠؛ البيروني الباقية ص ٦٠.
- ٢٩- الآثار الباقية ص ٦٢.
- ٣٠- صحيح البخاري، المصدر السابق.
- ٣١- سفر اللاويين Leviticus، وهو يتألف من ٢٧ فصلا، الفصل ٢٣: ٢٦ و ٣٢.
- ٣٢- سفر استير ix. 31; comp. iv. 3, 16.
- ٣٣- هامش سفر Soferim xvii. 4، xxi. 2.
- ٣٤- ابن عساكر؛ مختصر تاريخ دمشق (السيرة النبوية)، تحقيق: روحية النحاس، طبعة دار الفكر، ١٩٨٤، جزء ٢، ص ٣٤ (٤٥).
- ٣٥- أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري من أعلام القرن الثالث الهجري؛ قرب الإسناد؛ تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث ص ٥٠.
- ٣٦- م. ن. ٥٩.
- ٣٧- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي الحسين بن بابويه القمي، الناشر: قم، تاريخ النشر: ١٤٢٤، جزء ١، ص ٧٧.
- ٣٨- أمالي الصدوق، ص ٩٤.
- ٣٩- الشيخ الصدوق؛ كتاب عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ٢، ص ١١٨؛ المجلسي؛ بحار الأنوار، جزء ٩٤، من صفحة ٩٢ إلى صفحة ١٠٩.



- ٤٠- الكافي للشيخ الكليني المتوفى في سنة ٣٢٩ هجرية، الجزء: ١، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ هجري، جزء ٤، ص ١٤٤؛ المجلسي؛ بحار الأنوار، المكتبة الشيعية، جزء ٩٤، ص ١٠٧.
- ٤١- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله، الناشر: دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ١٤٢٣- ٢٠٠٢.
- ٤٢- ابن كثير، السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٢٩، البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٠؛ م.ن.ج ٢ ص ٣٩؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ١، ص ١١٩.
- ٤٣- المجلسي؛ بحار الأنوار، جزء ١٥، ص ٢٥٠.
- ٤٤- إعلام الوري بأعلام الهدى، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٧، مع الهامش جزء ١، ص ٤٢.
- ٤٥- إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة المتاع؛ أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرئ تقي الدين، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ - ١٩٩٩، جزء ١، ص ٦-٧.







المستشرقون الألمان وغير الألمان ورؤيتهم التوراتية
للسيرة النبوية وشخصية رسول الله ﷺ
(خاتم الأنبياء)

لقد رأينا في الفصول السابقة أن المستشرقين اليهود القدامى منهم والمعاصرين سلطوا منذ أوائل القرن التاسع عشر الضوء على عدد من من المفصلات الحيوية والأساسية في حياة رسول الله ﷺ، وكذلك في عموم سيرته ﷺ. ولعلنا لا نبالغ القول بأن هؤلاء المستشرقين اليهود وغيرهم من المستشرقين غير اليهود ومن غيرهم سواء كانوا من العرب أم من المسلمين أم غير العرب قد توجهوا بشكل مكثف نحو هذه الجدلية، ألا وهي جدلية الخاتمية في الأديان بالقدر الذي يوازي في قيمته وأهميته التوجهات الجدلية بخصوص الأسبقية في الإسلام، وراحت كل طائفة من هؤلاء تدلي برؤاها في مسألة تقويمهم وتحليلهم لهذه الخاتمية، بمعنى آخر فإن الحالة هذه تتركز حول الآية الكريمة التي وردت في سورة الأحزاب برقم ٤٠ إذ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، وهي الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي عبّرت بهذا التعبير الواضح، وهذا الامتياز الإلهي الأزلي لنبي الأمة محمد ﷺ. وواقعاً فقد أثارت هذه الآية الكريمة وهذه الخصوصية الإلهية حفظة الأعداء -سواء كانوا من المستشرقين أم من غير المستشرقين- ليتغلغلوا في مفهومية هذه الخاتمية بالشكل الذي نجدهم فيها تارة يحاولون التقليل من أهميتها وفاعليتها على المستوى الديني، وهو الامتياز الذي حقّقه الدين الإسلامي بين الأديان والملل والفرق الأخرى؛ ولذلك راحوا يحاولون السعي في التضييق من سمو مبدأ الخاتمية في النبوة إلى القول بالتعبير الخاتم (بفتح التاء) أو الختم المشتق من الخاتم (بفتح التاء)، وهذا ما ركّز عليه المستشرقون باستعمالهم تعبير Seal أي: Seal of the Prophets، وبالمناسبة فإن القرآن الكريم يضيف إلى رؤية هذه المفهومية الضيقة والمحددة تعبيراً آخر هو (الطبع) بمعنى الختم،



جاء ذلك في عدد من الآيات الكريمة، نظير ما جاء في سورة البقرة في الآية رقم ٧ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾، وفي الآية رقم ٤٦ من سورة الأنعام إذ قال تعالى: ﴿لَأَرَأَيْتُمْ إِن أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾، وفي الآية الكريمة رقم ٦٥ من سورة يس بقوله عزَّ من قائل: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾، وفي الآية رقم ٢٤ من سورة الشورى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشِإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾، وفي الآية الكريمة رقم ٢٣ من سورة الجاثية: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾.

وهناك آيات تشير إلى استعمال "طبع على قلبه" بما يقابل "ختم على قلبه"، ففي الآية ٩٣ من سورة التوبة يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِضْوَانًا يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وكذلك في الآية ٨٧ من السورة الكريمة نفسها بقوله تعالى: ﴿رِضْوَانًا يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفي الآيتين الكريمتين: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٥٩)، والآية: ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (يونس: ٧٤)، فطبع الله على قلبه بمعنى ختم الله تعالى وغطى على قلبه، فلا يعي ولا يوفق، وطبع الطبع أي أن تصور الشيء بصورة ما، كطبع السكة، وطبع الدراهم، وهو أعم من الختم وأخص من النقش، والطابع والخاتم: ما يطبع به أو يختم به. عبد الجبار ناجي. من كل هذا فقد جهد هؤلاء -المستشرقون منهم وغير المستشرقين- في محاولاتهم التضييق والتحجيم من مفهومية الخاتمية الرسالية بما تتضمنه من شمولية وموسوعية إلهية مرتبطة ارتباطاً إلهياً أيضاً بالنبي محمد ﷺ، إلى افتراض فرضيات باهتة وضعيفة في طائفة من الرؤى البعيدة كل البعد عن امتياز الخاتمية الرسالية لخاتم الأنبياء رسول الله ﷺ ومن بينها الآتية.



• فرضية عامة لا ترتبط بجوهر نعمة الله تعالى في الخاتمية الرسالية الإلهية، إذ يرى بعضهم أن المرء لا يتصور أمراً أخطر في نهايته وتوقعاته من توقف الرسالة السماوية في الهداية والرحمة الربانية.

• وتمشياً مع ما سبق ذكره في أولاً فإن (خَاتَمَ النَّبِيِّينَ) لم تتكرر في القرآن الكريم إلا في موضع واحد، ولم يرد هذا الذكر مؤكداً بصورة قاطعة أو في سياق الحديث عن رسالات الله، وإنما ورد ذكره مرة واحدة في معرض الثناء على الرسول ﷺ لمنحه هذا الامتياز عن بقية أنبيائه ورسله بمفهومه كلمة خاتم -بفتح التاء- على أنها تعظيم لقدر الرسول بين الأنبياء.

• ولا سيما أن هناك بعض مفسري القرآن الكريم من فسّر الآية الكريمة ٤٠ في سورة الأحزاب، نظير الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم بما يمكن تسميته بحديث: «رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها». وهاهنا لا بدّ من القول إن القراء اختلفوا في قراءة قوله: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، فقرأ ذلك قراء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين، بمعنى: أنه ختم النبيين. ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ﴿وَلَكِنْ نَبِيًّا خَتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء، بمعنى: أنه الذي ختم الأنبياء ﷺ وعليهم أجمعين، وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم: (خَاتَمَ النَّبِيِّينَ) بفتح التاء، بمعنى: أنه آخر النبيين، كما قرأ: (مَخْتُومٌ خَاتَمُهُ مِسْكٌ)، بمعنى: آخره مسك من قرأ ذلك كذلك. وأنه قد ذهب كثير من الناس إلى تعميمه ليشمل الرسالة أيضاً. والذين يقولون بهذا الرأي لم يفتنوا إلى الفصل الصريح في الآية المباركة بين منزلة النبي ومقام الرسول، فالرسول هو من يبعثه الله بشريعة، والنبي من يسوس الناس على وفق شريعة موجودة، وقد ذكر القرآن الكريم أن بعض الرسل كانوا أيضاً أنبياء كقوله تعالى: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾ (مريم: ٥١)، ولو كان كل الرسل أنبياء لما خصّ القرآن بعضهم فقط بهذا الوصف.



إذ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ (سورة الحج: ٥٢) قال النسفي: وهذا دليل واضح على ثبوت التغاير بين الرسول والنبى بخلاف ما يقوله بعضهم من أنهما مصطلح واحد ذو خاصية واحدة.

• وهناك من يعتمد تلك الفرضيات التي تفيد أن كل أمة قد اعتقدت أن رسولها خاتم الرسل، ودينها ختام الأديان، وعلى الأخص اليهود الذين أصروا على هذا الزعم متقصدين - بقولهم - أن الله أمسك عن إرسال الرسل بعد موسى ﷺ، وبه انقطع الرزق الروحاني عن البشر، فردّ سبحانه وتعالى على هذا الافتراء بلوهمهم على إصرارهم على الباطل وتكذيبهم للسيد المسيح ثم لمحمد ﷺ فقال عزّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ (غافر: ٣٤)، فالمراد هنا ليس بسط الرزق المادي الذي يفيض به الرزاق على المؤمن وغير المؤمن ولكن المراد هو الرزق الروحاني الذي يختص به الله سبحانه وتعالى على من هو أهله.

في الجانب الآخر فإن بعض المستشرقين وغير المستشرقين افترضوا أن الخاتمية في الرسالات هي حالة موجودة في بعض الديانات السماوية وغير السماوية، وفي بعض الفرق الإسلامية التي وصفت بالغلو، فقد ذكر مثل هذا التبجيل الإلهي الذي تميز به النبي الكريم ﷺ فقل إن ماني مؤسس الديانة المانوية الفارسية كان موصوفاً، أو بالأحرى قد وصف هو نفسه في كتابه الموسوم الشابورقان بأنه خاتم الأنبياء. ومن الفرق الإسلامية الغالية الخطابية؛ إذ ادعى زعيمها أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الكوفي الأسدي النبوة، وزعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة. وقال بالهية الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ، وإلهية آبائه ﷺ، وهم أبناء الله وأحباؤه. والإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة، ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار. وكذلك عمير بن بيان العجلي وبزيغ بن موسى الحائك وهما أيضا ادّعى النبوة، وقد لعنهم الإمام أبو



عبد الله الصادق عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام. وكذلك الفرقة البيانية نسبة إلى أتباع بيان بن سمعان الذي زعم أن روح الإله قد حلّت في الأنبياء ثم في عليّ ومن بعده في محمد ابن الحنفية ثم في ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ثم حلّت بعد أبي هاشم في بيان بن سمعان يعني بيان نفسه. والبهائية إذ يعترف البهائيون بمقامات مؤسسها وبأنه نبي بعثه الله، ويعتقد البهائيون أن أحدث الأنبياء والرسل هو الباب وبهاء الله^(١).

كذلك -وبهدف الابتعاد عن المعنى الأساسي الإلهي للخاتمية- فقد اعتمد المستشرقون على ما ركّز عليه بعض المفسرين في الجانب اللغوي، بمعنى أن الخاتمية الإلهية مصدرها لغوي، وهي مأخوذة من الختم، فراح المستشرقون يشددون على هذا الافتراض غير الإلهي في الخاتمية. والختم المادي (حلقة الخاتم)، وختم النبي محمد ﷺ هو أحد الآثار المحفوظة في قصر توب كوبى سراي في اسطنبول من قبل السلاطين العثمانيين، بوصفه جزءاً من مجموعة الآثار المقدسة، ويُزعمون أنها نسخة طبق الأصل من الختم الذي كان يستعمله رسول الله ﷺ على عدة رسائل مرسلّة إلى الملوك. فيزعم الداعمون لهذا الافتراض أنه لا بدّ من شرح تعبير الخاتم الواردة في الآية الكريمة في سورة الأحزاب؛ إذ يطلق الخاتم في اللغة العربية على ما يختم به في آخر الرسائل، وكانت العادة في استعمال ختم الإنسان بدلا من إمضائه، ويعدّ ختم الكتاب أو الوثيقة دليلاً على اختتامها وانتهائها فضلاً عن شهادته على صحة انتساب ذلك الكتاب أو تلك الوثيقة إلى صاحب الختم، والنتيجة تكون الوثيقة ذات قيمة واعتبار متى ما تمّ توقيعها في نطاق الختم، وما وقع منها خارج ذلك النطاق يعدّ لاغياً ولا يمت بصلّة إلى صاحب الختم. وكان الملوك في الزمن السابق يستعملون القير أو الطين المخصوص أيضاً لإغلاق الأوعية الحاوية على العسل والخل ونظائرها من الوسائل بدل الأدوات المستعملة اليوم، ثم يختمونها للدلالة على بكارتها وعدم لمسها. كذلك الحالة في البحث الذي كتبه المبشر المستشرق الأمريكي إدوين كالفيرلي Edwin E. Calverley



الذي درس في مدرسة كندي للبعثات التبشيرية Kennedy School of Missions المتخصص في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وكان عالمًا في دراسات اللغة العربية والتاريخ الإسلامي، وبحثه بعنوان: "محمد، هل هو خاتم الأنبياء؟"، MOHAMMED، SEAL OF THE PROPHETS؟، الذي نشره في مجلة The Muslim World، المجلد ٢٦، العدد الأول في سنة ١٩٣٦، في الصفحات من ٧٩ إلى ٨٢.

وخلاصة القول ان هذه الرؤى البسيطة والمعروفة لأي إنسان بأن يكون الخاتم ما تختم به الوثائق والكتب والمراسلات، ولئن سمي الخاتم الذي يلبس في اليد خاتماً فلاجل أنهم كانوا يستعملونه للختم سابقاً. فعندما عزم النبي ﷺ على نشر الدعوة الإسلامية وكتابة الرسائل للملوك والحكام في زمانه كان يرسلها بواسطة مبعوثيه، فأمر بإعداد خاتم له تنقش عليه عبارة (محمد رسول الله)، وكان يختم جميع رسائله بذلك الخاتم. وبناءً على هذا ليس الخاتم هو المعنى الأولي لما يلبس في اليد، بل هو تلك الوسيلة التي تختم بها الرسائل والوثائق وفوهات الأوعية أحياناً. وتطلق اليوم لفظة (ختم) في الدول العربية على أنواع الأختام التي كانت في الأعم معدنية ومطاطية تمهر بها الكتب والوثائق الرسمية أو الأختام المستعملة في ختم البيت والمستودع والمؤسسة بالشمع الأحمر. ولم يتفق في اللغة العربية أن استعار العرب لفظة الخاتم للتدليل على الزينة، فلا يقال عند العرب: فلان خاتم القوم، ويُقصد به زيتهم وحليتهم، فكيف ينسب ذلك للقرآن الكريم وهو معجزة في البلاغة؟! ثم لو صحَّ أن تشبيه النبي الأكرم ﷺ في الآية بالخاتم للتدليل على كونه زينة الأنبياء، لكان من باب أولى أن يستعمل القرآن الكريم لفظة (التاج) أو (الإكليل)؛ لأنهما أبلغ في بيان معنى الزينة والحلية من لفظة (الخاتم).

وهناك نفر من المستشرقين فهموا خطأ ما جاءت به الآية الكريمة في سورة الأحزاب بهذا الفهم السطحي، ومن بين هؤلاء المستشرق الأمريكي كارل دبليو آرنست Carl W. Ernst، وهو أستاذ متميز في الدراسات الإسلامية في قسم



الدراسات الدينية في جامعة نورث كارولينا، وهو أيضاً مدير مركز كارولينا لدراسات الشرق الأوسط والحضارات الإسلامية، حاصل على دكتوراه في الأديان المقارنة في جامعة ستانفورد Stanford University عام ١٩٧٣، ودكتوراه في جامعة هارفارد عام ١٩٨١، وعمل أستاذاً في كلية بومونا Pomona College من ١٩٨١ إلى ١٩٩٢. لقد حصل كتاب إرنست الأخير، في أعقاب محمد: إعادة التفكير في الإسلام في العالم المعاصر Following Muhammad Rethinking Islam in the Contemporary World, 2003 North Carolina Press على العديد من الجوائز الدولية. وفي مجال بحثنا فقد ذكر في الفصل الثالث الذي كان بعنوان: خاتم الأنبياء: النبي محمد The Seal of the Prophets: The Prophet Muhammad والعنوان كما هو جلّي يعكس أن المستشرق سوف يقف على رؤيته بخصوص الخاتمية في الرسالة الإسلامية، ولكنه بخلاف ذلك فقد جعل خاتم الأنبياء عنواناً عاماً ليتحدث به عن مجمل السيرة النبوية المطهرة وحياة رسول الله ﷺ، من مبعثه إلى حين استشهاده ﷺ، ولم يتحدث كثيراً عن مسألة الخاتمية سوى بما يمكن ترجمته من كلامه بالآتي، فهو يقول: "يلمح القرآن إلى خصوصية محمد وقربه من الله في عدة مواضع منها الآية: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٧٠).

إن موقعه بوصفه ممثلاً لله جعل أي عقد معه يعادل العقد مع الله"، ويقول في هذه الفقرة: «على الرغم من أن القرآن في بعض مواضعه يرفض التمييز بين الأنبياء، فقد جرى تمييز محمد على أنه (خاتم الأنبياء) (سورة الأحزاب: ٣٣) الذي تعدّ بصماته في التاريخ نهائية وخاتمية مثل ختم الشمع على الرسالة. وعلى مرّ القرون، كان من المعتاد عند الفقهاء الجمع بين دراسة الأقوال النبوية والتبجيل العميق للنبي، تلك التي تشكل أحاديث محمد المعروفة من هذا المنظور، تصرف محمد في المقام الأول بوصفه مصدر التشريع والأخلاق»^(٢).



هكذا - وبكل بساطة - فقد نحى الافتراض اللغوي منحى المعاكسة غير الواقعية للفحوى المقدس والمركزي، وللهدف الإلهي المتمثل في مبدأ الخاتمية، بالنسبة للتعبير الوارد في الآية الكريمة من سورة الأحزاب، وبحسب ما يرى القارئ اللبيب أن هذا افتراض لا قيمة له سوى أنه شمل حروف كلمة (الخاتم)، أي خاتم الأنبياء. وكذلك الحالة فيما يتعلق بالافتراضات السابقة، إذ إنها لا تشكل أية إشكالية واقعية بالنسبة للإشارة الإلهية لخاتم الأنبياء والمرسلين. فالافتراضات الأولى ضعيفة وباهتة؛ وذلك لأن الرسالة السماوية إنما هي رحمة للعالمين، وأنها الرسالة الخاتمة وأن الدين الإسلامي الذي ارتضاه المولى تعالى لخلقه ليكون آخر الأديان هو الإسلام، وعليه فإذا ما تعلّق مفهوم الخاتمية بشخص النبي الأكرم محمد ﷺ، يكون المعنى المفهوم من الخاتمية هو تمامية سلسلة الأنبياء والرسل بنبي الإسلام محمد ﷺ. ورسول الله ﷺ إنما بعثه الله تعالى هدى ورحمة للعالمين، فإنه كما أرسله بالعلم والهدى، والبراهين العقلية والسمعية، فقد أرسله بالإحسان إلى عموم الناس، وبالرحمة لهم وبالصبر على أذاهم وعلى احتمال هذا الأذى، فبعثه بالعلم، والكرم، والحلم، فهو عليم، هاد، كريم محسن، قال سبحانه وتعالى في سورة الشورى الآيات ٥٢ - ٥٣: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾، وقال عزّ من قائل في سورة إبراهيم الآية رقم ١: ﴿الرَّكَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، وقد شملت رحمته ﷺ الأعداء حتى في ميدان القتال والجهاد؛ فقوة الجهاد في سبيل الله تعالى في شريعته ﷺ لها ضوابط ينبغي أن يلتزم بها المجاهدون في سبيل الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٩٠: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، فيدخل في ذلك ارتكاب جميع المناهي من المثلة، والغلول، وقتل النساء والصبيان والشيوخ



الذين لا رأي لهم ولا قتال والرهبان والمرضى والعُميان وأصحاب الصوامع، لكن من قاتل من هؤلاء أو استعان الكفار برأيه فإنه يقتل.

فإذا ما دققنا التأمل في المسألة الافتراضية الأخرى، ألا وهي أن بعض المستشرقين وغير المستشرقين قد هيأوا افتراضاً على أن الخاتمية في رسالة النبي ﷺ هي حالة موجودة في الأديان السماوية وغير السماوية وعند بعض الفرق الغالية والمذاهب وحتى عند أشخاص معينين، فهو افتراض ساقط من أساسه؛ وذلك لأن ماني مؤسس المانوية لم يكن نبياً مرسلًا من الله تعالى وهو كما يذكر ابن النديم في فهرسته وأبو الريحان البيروني في كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية): أنه ظهر في بابل بعد البار ابن ديصان وهو عالم وفيلسوف سرياني غنوصي توفي في سنة ٢٢٢ ميلادية وبعد الغنوصي الآخر مرقيون السينوبي المتوفى في سنة ١٦٠ ميلادية، وهو ابن أسقف سينوب في إقليم البنطس على شاطئ البحر الأسود، وقد تأثر بالأفكار الغنوصية أيضاً. وقد زعم ماني في كتاب ألفه وهو الموسوم بالشابورقان وهو الذي ألفه لشابور بن أردشير بأنه خاتم الأنبياء. غير أن المهم ما أشار إليه البيروني بأن ماني كان قد عرف "مذهب المجوس والنصارى والثنوية فتنبأ"^(٣). وفي هذا الصدد يذكر ابن النديم: "أنهأي ماني الفارقليط المبشر به عيسى (عليه السلام)، وقد استخرج ماني مذهبه من المجوسية والنصرانية"، وكان شعار أتباعه "مبارك هادينا الفارقليط رسول النور"^(٤). واسم ماني عند النصارى على ما ذكره يحيى بن النعمان النصراني قوربيقوس بن فتق، ولما ظهر كثر مصدقوه وأتباعه وألف كتباً كثيرة لإنجيله والشابورقان... إلخ، ولم يزل أمره يزداد أيام أردشير وابنه سابور وهرمز ابنه إلى أن ملك بهرام بن هرمز فطلبه حتى وجده فقتله^(٥). وكذا الحالة بالنسبة إلى من ادّعى النبوة من زعماء الفرق الغالية الذين سبق ذكرهم. ويذكر أن محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائفي الأندلسي الشهير بمحيي الدين ابن عربي المتوفى في سنة ٦٣٨ هجرية، وهو من المتصوفة أن



أتباعه أو هو نفسه قد تلقب بمثل ذلك وبالشيوخ الأكبر، إذ لقب نفسه بخاتم الأولياء، وجعل نفسه في مرتبة تضاهي مرتبة النبي ﷺ كما جاء في كتابه الموسوم بـ: (فصوص الحكم)، وكتابه المشهور الآخر (الفتوحات المكية).

ولما كانت أغلب تلك الافتراضات التي تمت مناقشتها أعلاه تتركز حول الجانب اللغوي لتعبير (خاتم) و(ختم)، فبات من اللازم علينا أن نبدأ أولاً بتكثيف المعلومات عن هذا الجانب اللغوي؛ ذلك لأن المستشرقين اليهود وغير اليهود قد وقفوا على التفسير اللغوي للخاتم ودلالاته؛ بهدف تحديد غرضه وتحجيم مبعاه إلى أمر خارج مفهومية الخاتمية الرسالية.

وهنا لا مندوحة من أن نشير إلى أن المستشرق الأمريكي جون ونزبورو John Wans-brough في كتابه: "دراسات قرآنية: مصادر وطرق أو أساليب تفسير الكتاب المقدس Quranic Studies: Sources and Methods of the Interpretation" قد بين على صفحة ٦٤ من الكتاب أن في أحد جوانب بحثه عن خاتم النبيين ظهر أن التعبير يقصد به الطبع، "إن تعبير خاتم الأنبياء يفسر على نحو تقليدي بوصفه إشارة إلى آخر حلقة وصل في سلسلة الاختيار النبوي (آخر الأنبياء) يمكن -إذا كان بشكل اعتباطي arbitrarily إلى حد ما- أن يكون مرتبطاً بحدوث أشكال محددة من الفعل (ختم) khatama بمعنى: "وضع ختماً على"، في القرآن طبع (كما جاء في سورة ٢ الآية ٧، وسورة ٦: ٣٦ ٦٥: ٤٢: ٤٥ ٢٣)، يقصد المستشرق سورة البقرة الآية ٧ وسورة الأنعام الآية ٤٦ وسورة يس الآية ٦٥ وسورة الشورى الآية ٢٤ وسورة الجاثية الآية ٢٣. عبد الجبار ناجي، وهي بهذا مرادفة لكلمة "طبع" القرآنية في سورة ٩ الآية ٩٣، ومساوية لـ (طابع: خاتم)، وهي كذلك في الرواية التاريخية والتفسير الحديثي^(٦).

مع أن معنى (خاتم) واضح جداً؛ لأنّ مادة ختم في معاجم اللغة العربية كافة تعني إنهاء الشيء، يقول اللغويون كالخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠ هجرية -



وهو من أقدم المؤلفين والمحققين في لغة العرب - عن معنى خاتَمٍ وخاتَمَ ما نصّه: "ختم يختم ختماً أي: طبع فهو خاتم. والخاتم: ما يوضع على الطينة، اسم مثل العالم، والختام: الطين الذي يختم به عليه كتاب. ويقال: هو الختم، يعني: الطين الذي يختم به. وختام الوادي: أقصاه، ويقرأ: (خاتمه مسك) أي ختامه، يعني عاقبته ريح المسك، ويقال: بل أراد به خاتمه يعني ختامه المختوم، ويقال: بل الختام والخاتم ها هنا ما ختم عليه. وخاتمة السورة: آخرها. وخاتم العمل وكل شيء: آخره. وختمت زرعِي إذا سقيته أول سقية، فهو الختم، والختام اسم لأنه إذا سقي فقد ختم بالرجاء. وختموا على زرعهم ختماً أي سقوه وهو كراب بعد" (٧). كذلك فسّر ابن فارس مثلاً في كتابه معجم مقاييس اللغة، فقال: "الخاء والتاء والميم أصلٌ واحد، وهو بُلُوغُ آخِرِ الشَّيْءِ. يقال خَتَمْتُ الْعَمَلَ، وَخَتَمَ الْقَارِئُ الشُّورَةَ. فَأَمَّا الْخَتَمُ، فَهُوَ الطَّبْعُ عَلَى الشَّيْءِ... والخاتَمُ مشتقٌّ منه؛ لأنَّ به يُخْتَمُ. ويقال الخاتِمُ، والخاتام، والخَيْتَامُ. قال:

*** أَخَذَتِ خَاتَامِي بِغَيْرِ حَقٍّ ***

والنبي ﷺ خاتَمَ بفتح التاء الأنبياء" (٨). وقولهم: ختم حينما يضعون ختماً (مهرًا) على الشيء، ولا سيما بعد إنهاء شيء، وذهب سائر أصحاب اللغة أيضاً إلى هذا المعنى نفسه ففسروا (خاتم) بمعنى الشيء الذي يؤدّي إلى النهاية أو الختم الذي يضعونه في النهاية. وفي كتاب (التحقيق) - الذي يعد تحقيقاً جامعاً في مصادر اللغة المهمّة - بعد أن ينقل أقوال كبار اللغويين العرب يقول: فالمتحقق أنّ لهذه المادة جذرٌ واحد وهو في قبالة بدأ، أي: إكمال الشيء وإيصاله نهايته. وفي هذا المضممار فإن بعضهم قد تجاوز هذا المعنى اللغوي إلى معنى بعيد فقال: إن الخاتم تعني الزينة.

وبناء عليه فإنّ مفهوم الآية هو أنّ النبي ﷺ كان زينة لكل الأنبياء وليس خاتمهم، لكن ينبغي علينا أن نستفهم من هذا إلى أنّ التعبير (خاتم) في هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب لم يكن معناه الزينة؛ إذ ليس من المقبول ولا المعقول تماماً أن يقال



عن النبي ﷺ هو خاتم أصابع النبين، فضلا عن ذلك فالمعنى اللغوي الأصلي للخاتم لم يكن أبداً الزينة أو خاتم الإصبع، إنما الختم الذي يختمون به عند الانتهاء من الرسائل أو الكتب.

وواقعاً فإن الختم الأصلي للأشخاص في عصر نزول القرآن والقرون التي أعقبته، كان على الخواتيم التي يحملونها على أصابعهم وبواسطتها كانوا يختمون رسائلهم؛ ولهذا السبب جاء في سيرة النبي ﷺ أن خاتم رسول الله كان من فضة نقشه محمد رسول الله ﷺ، فجاء في كتاب فروع الكافي للشيخ الكليني الآتي: سهل بن زياد، عن بعض أصحابه، عن واصل بن سليمان، عن عبد الله بن سنان قال: ذكرنا خاتم رسول الله ﷺ فقال: تحب أن أريكه؟ فقلت: نعم، فدعا بحق مختوم ففتحه وأخرجه في قطة فإذا حلقة فضة وفيه فصّ أسود عليه مكتوب سطران "محمد رسول الله ﷺ" قال: ثم قال: إن فص النبي ﷺ أسود.

وفي رواية أخرى عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الثاني (عليه السلام) قال: قلت: له إنا رويناه في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يستنجي وخاتمة في إصبغه، وكذلك كان يفعل أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان نقش خاتم رسول الله ﷺ "محمد رسول الله" قال: صدقوا، قلت: فينبغي لنا أن نفعل؟ قال: إن أولئك كانوا يتختمون في اليد اليمنى وإنكم أنتم تتختمون في اليسرى، قال: فسكت فقال: أتدري ما كان نقش خاتم آدم (عليه السلام)؟ فقلت: لا، فقال: "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وكان نقش خاتم النبي ﷺ "محمد رسول الله"، وخاتم أمير المؤمنين (عليه السلام) "الله الملك"، وخاتم الحسن (عليه السلام) "العزة لله"، وخاتم الحسين (عليه السلام) "إن الله بالغ أمره" (٩).

وقيل أيضاً: ختم فلان القرآن إذا قرأه إلى آخره، واختتمت الشيء: نقيض افتتاحه. ومن هذا الباب الختم بمعنى الطبع؛ لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره، والختام: الطين الذي يختم به على الكتاب، وهو ما جاء في قول الأعشى:



وصهباء طَافَ يهوديها***وأبرزها وعليها خُتِم

أي عليها طينة مختومة، مثل: نقض بمعنى منقوض، وقبض بمعنى مقبوض^(١١). ولهذه المادة عدة تعبيرات كالخاتم والخاتم، بكسر التاء وفتحها، والختم والخاتم والخيتام كلها بمعنى واحد، وهي من الحلي كأنه لأول وهلة ختم به فدخل أي باب الطابع، ثم كثر استعماله لذلك، وإن أعد الخاتم لغير الطبع. وتجمع هذه المادة على خواتم وخواتيم، وأنشد الزجاج:

إِن الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرَبَلَهُ***سَرَبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ^(١٢)

والمسألة اللافطة للنظر هي أَنَّ المعنى نفسه قد استعمل في آيات متعددة من القرآن الكريم، فيقول الله تعالى في الآية رقم ٧ من سورة البقرة بخصوص الكفار: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾، وقال عزَّ من قائل في الآية ٦٥ من سورة يس: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾. ومهما يكن فإنَّ أقلَّ اطلاع على معاني هذه المفردة في الأدب العربي وجذورها الأصلية وموارد استعمالها يثبت بوضوح أَنَّ كلمة (خاتم النبيين) ليس لها أي معنى سوى معنى متمم عدة الأنبياء وخاتمهم. بهذا البيان تكون الإجابة عن السؤال المذكور واضحة تماماً، فعندما يكون شخص ما خاتماً للأنبياء فأولى به أن يكون خاتماً للرسول أيضاً؛ لأنَّه كما قلنا قبل قليل: إِنَّ كلَّ رسول هو نبي؛ لأنَّ مرحلة الرسالة أشمل من النبوة.

سيتضمن البحث ثلاثة مضامين هي: مناقشة الكتابات الغربية، سواء من المستشرقين أم غيرهم عن خاتم النبوة، ثم المستشرقون اليهود القدامى وموضوع خاتم النبيين، وأخيراً المستشرقون اليهود المعاصرون وموضوع خاتم النبيين.

ولعل من المناسب ذكره أننا في المضمون الأول سوف نتطرق إلى الكتابات التي سلَّطت الضوء على أن تعبير خاتم الأنبياء هو تعبير قديم ظهر في ديانات أقدم من الديانة الإسلامية، وفي هذه الحالة لا بد من ذكر المستشرق غي جداليا سترومسا Guy

Gedalyah Stroumsa وهو أستاذ فخري في الأديان المقارنة في الجامعة العبرية في القدس، وأستاذ فخري لدراسة الأديان الإبراهيمية في جامعة أكسفورد، وكان زميلاً فخرياً في Lady Margaret Hall في جامعة أكسفورد، وعضواً في الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم والعلوم الإنسانية. ألف سترومسا كتاباً عنوانه: (The Making of the Abrahamic Religions in Late Antiquity) تكوين أو صنع الديانات الإبراهيمية في أواخر العصور القديمة)

المطبوع في مطبعة أكسفورد في سنة ٢٠١٥. وخلاصة قوله في القسم الثاني من كتابه بأنه يستعرض في هذا القسم من كتابه ما نصّه: "تزايد الاهتمام بالنبوءات الكاذبة في سياق التوقعات الأخروية المتزايدة في مواضيع مختلفة في أواخر العصور القديمة، ولا سيما في ظهور مفهوم سلسلة الأنبياء التي بلغت ذروتها في "خاتم الأنبياء" وهو مفهوم إسلامي سبقته تطورات مانوية ويهودية ومسيحية". ويبين سترومسا في هذا الفصل ما نصّ ترجمته: "أن التعبير الذي يعتقد بأنه استعمل لأول مرة في ما يتعلق بمحمد، هو الذي قصد به خاتمية النبوة، فقد استعمل في الواقع لأول مرة في الأدب المانوي. ويشير إلى أن تلاميذ ماني كانوا يعتقدون بنبوة ماني وكونها الخاتمية للنبوة" (١٢).

وقد سبق أن بيّنا أعلاه خطأ وجهة نظر سترومسا، واعتماداً على ما ذكره ابن النديم في فهرسته وأبو الريحان البيروني في كتابه (الآثار الباقية)، وقد فصل ابن النديم كثيراً عن ماني ومذهبه وما جاء به من تعاليم، فقال: "وماني بن فتق بابك بن أبي برزام. قيل: إنه كان أسقف قنّى والفرياب، انتقل إلى بابل وكان ينزل المدائن في الموضع الذي يسمى طيسفون، وبها بيت الأصنام. وكان فتق يحضر كما يحضر سائر الناس الأصنام، فلما كان في يوم من الأيام هتف به هاتف يا فتق لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ولا تنكح بشراً"، ثم يذكر ابن النديم أن ماني قد استخرج مذهباً من المجوسية



والنصرانية حتى ان اسمه عند النصارى كان قوربيقوس بن فتق، وكان "ينتقص سائر الأنبياء في كتبه، ويزري عليهم ويرميهم بالكذب و(يزعم) أن الشياطين استحوذت عليهم، وتكلمت على ألسنتهم، بل يقول في مواضع من كتبه: إنهم شياطين. فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى فيزعم أنه شيطان". ويكرر البيروني القول بأن ماني كان قد عرف مذهب المجوس والنصارى الثنوية وزعم في أول كتابه الموسوم بالشابورقان - وقد سماه ابن النديم بالشارقان - أن الوحي "نزل وجاءت النبوة في هذا القرن على يديّ أنا ماني رسول إله الحق إلى أرض بابل. أي أن سلسلة الوحي الإلهي وصلت إلى العالم عن طريق بوذا وزردشت والمسيح وأخيرا ماني نفسه الذي ادعى أنه الفارقليط الذي بشر به السيد المسيح وأنه خاتم النبيين. وعندما اشتد أمره خافه الملك الفارسي بهرام بن هرمز بن سابور فقتله وسلخ جلده وعلقه على باب جنديسابور" (١٣).

وذكر وجود زعماء للمانوية مثل يزدانبخت في بغداد خلال العصر العباسي، ويذكر ابن النديم أنهم كانوا يعلنون صراحة إيمانهم بماني وكونه خاتم الأنبياء.

فالمستشرق سترومسا هاهنا يرى أن هذا الأمر قد دفع المسلمين إلى أن يجددوا مفهوميتهم عن النبوة بتأكيد مسألة خاتمية الوحي وخاتمية النبي محمد ﷺ، وهو استنتاج بعيد عن الصحة؛ لأن الآية الكريمة في القرآن الكريم، وأن سورة الأحزاب مدنية لم يكن عندها قد حكم العباسيون بعد، صحيح أنه كان من رؤسائهم في المذهب -أي المذهب المانوي- في الدولة العباسية أبو يحيى الرئيس، وأبو علي سعيد، وأبو علي رحا يزدان بخت، وهو الذي أحضره المأمون من الري، بعد أن آمنه، فقطعه المتكلمون، فقال له المأمون: أسلم يا يزدان بخت، فلولا ما أعطيناك إياه من الأمان، لكان لنا ولك شأن، فقال له يزدان بخت: نصيحتك يا أمير المؤمنين مسموعة، وقولك مقبول، ولكنك ممن لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم. فقال المأمون: أجل. وكان أنزله بناحية المحرم، ووكل به حفظة؛ خوفا عليه من الغوغاء وكان فصيحاً لسنّا (١٤).



وفي هذا التوجه نفسه عند المستشرقين لا مندوحة من الإشارة إلى مستشرق ألماني آخر، شدد على المذهب المانوي ومذهب آخر بخصوص خاتم النبيين، وهو المستشرق الألماني الكسندر توبيل Alexander Toepel وهو مستشرق يهودي له عدد من الدراسات عن الأدب اليهودي، وهو رئيس أول مشروع للبحوث في مركز بوامان AG Project Research at Baumann Unternehmensberatung. تخرج في جامعة سانكت جورجين الفلسفية اللاهوتية -Philosophical-Theological University of Sankt Georgen، قسم اللاهوت، مساعد دراسات الفلسفة وعلم الآثار وشرق آسيا. ومن بين دراساته البحث المتعلق بالخاتمية الموسوم بـ: الخاتم والمعزي: حول النبوة النهائية للعالم للكاساي ومانى ومحمد في سفر الرؤيا Seal and Comforter: On the Apocalyptic Prophethood of Elkasai, Mani, and Muhammad، وهو بحث جرى تقديمه في الاجتماع السنوي للـ SBL الذي عقد في أتلانتا، جورجيا Atlanta، Georgia في ٢٠-٢٣ من شهر تشرين الثاني من سنة ٢٠١٠ م، وهو منشور هنا ضمن بحوث الكتاب الموسوم بـ: The Bible, the Qur'an, & Their Interpretation: Syriac Perspectives CORNELIA B. HORN، Editor Printed in the United States of America 2013، وبحسب ما جاء في الوكوبيديا Wikipedia فإن الكصائي أو كما ورد Elchasaites، Elkasaites، Elcesaites أو Elchasaites هي فرقة يهودية مسيحية قديمة في أسفل بلاد ما بين النهرين، وكانت ضمن مقاطعة آشورستان Asoristan في إقليم عربستان (خوزستان) في الإمبراطورية الساسانية. واسم الطائفة مشتق من اسم مؤسس الفرقة الذي يدعى إلخاساي: (Elkhasai Koinē) وفي اليونانية: Elkesai (Ελκεσαι)، أو (Hippolytus)، Elksai (Ἠλξάι) في (Hippolytus)، أو (Elkesai (Ελκεσαι). وقد حدد المؤلفون الأوائل هوية الطائفة بالصابئة. عبد الجبار ناجي.



وفي هذا البحث يذكر المستشرق أن هناك نسخة أكثر شمولية نشرت باللغة الألمانية تحت عنوان: "المعزي والخاتم. مساهمة في علم النبوة" - Tröster und Siegel. Ein Beitrag zur Prophetologie. المستشرق يعيد إلى الأذهان الرؤية التي سبق أن سلطنا الضوء عليها، وهي العلاقة بين خاتم النبيين والمانوية، وأظهرنا ضعفها ولا علاقة لها بالخاتمية الرسالية لرسول الله ﷺ؛ اعتمادا على التفصيلات التاريخية التي قدمها كل من ابن النديم في (الفهرست) والبيروني في (الآثار الباقية عن القرون الخالية)، والمستشرق يعرض أيضا علاقة خاتم الأنبياء بفرقة يهودية - مسيحية قديمة تُعرف بالخاساي، والفرقة يحتمل أنها الصابئة الذين كانوا يقطنون جنوب العراق في البطائع (الأهوار)، من كل هذا لعل من الصحيح القول: إن المستشرق كما الحال في غيره من المستشرقين يهدفون إلى التقليل من أهمية الخاتمية الرسالية المذكورة في القرآن الكريم. عبد الجبار ناجي.

فالمستشرق يبدأ بحثه بفرضية عليها علامات تساؤل، فيقول على صفحة ١٥٧-١٥٨: "صرحت البحوث بشكل متكرر أن هوية محمد مع البارقليط Para-clete الذي ذكره يوحنا ١٤: ١٦-١٧، ٢٦؛ ٢٦: ١٥؛ و ١٣: ١٦ ليست موجودة في القرآن، وإنما قد ظهرت أولا في سيرة محمد بن إسحاق لنبي الإسلام". وهنا يقصد المستشرق إنجيل يوحنا ١٤ في الآيتين ١٦-١٧، ونصهما: ﴿١٦- وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْأَبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، ١٧ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكُثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ﴾. والآية ٢٦، ونصها: ﴿وَأَمَّا الْمُعْزِي، الرُّوحُ الْقُدُّسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْأَبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ﴾. وإنجيل يوحنا ١٦ الآية ١٣، ونصها: ﴿وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ﴾. فالمتعارف



عليه أن المعزي المنصوص عليه يقصد منه البشارات بمجيء رسول الله ﷺ، لا كما عكسه رؤية المستشرق الكسندر تويليل. عبد الجبار ناجي.

ويقول المستشرق بعد طرحه هذه المفهومية غير الصحيحة ما نصّه: "وأن هذا غير موجود في القرآن نفسه، لكنه قد ظهر لأول مرة عند محمد بن إسحاق في سيرته عن النبي الإسلامي، وقد كتبت هذه السيرة حوالي عام ٧٣٣م أو نحوها. فالتعبير الذي استعمله ابن إسحاق munahhemanā موناّهيمنا، هو في الواقع كلمة سريانية-آرامية. ففي الآرامية المسيحية الفلسطينية المقصود من هذه الكلمة "المعزي" وترجم في الإغريقية بتعبير paraklētos. فابن إسحاق ربط التعبير بمحمد على أساس التشابه اللفظي، وذهب بل وتصرف إلى القول في التعريف بهوية محمد بالباراكليت الذي تنبأ به إنجيل يوحنا".

ويستمر المستشرق بقوله ذاك فيقول: "فالكلمة تعني "المعزي"، وترجم للكلمة اليونانية paraklētos، ومع ذلك فإنها في اللغة السريانية تعني: "الذي يرفع وينهض الموتى". وفي هذا المعنى الأخير، فإنها تشير عمومًا إلى المسيح في الأدب السرياني، وتتوافق وتتطابق مع التعبير العبري menahem مناهيم، اللقب الذي يشير إلى المسيح المعروف بالتلمود والمدراش. وربط ابن إسحاق التعبير بمحمد على أساس التشابه اللفظي واستمر في تحديده للهوية الشخصية أنه محمد الباراكليت الذي تنبأ به في إنجيل يوحنا. علما أن الرواية المسيحية الأرثوذكسية بخصوص الباراكليت يفهم منها أن إنجيل يوحنا إنما يشير إلى روح القدس، الذي لا ينبغي أن تحدد هويته بشخص تاريخي معين. وبالتالي فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف للرواية الإسلامية أو الحديث الإسلامي ربط هذا التعبير بالنبي محمد، ورأته كأنه تأكيد نبوته؟ فالتعبيران العبري والسرياني مناهيم وموناّهيمنا menahem و munahhemanā، وهما يشيران إلى المسيح، وللهذه الأولى يحتمل وجود أصل لهما في الرواية اليهودية-المسيحية،



حيث هناك علينا البحث عن الأصول المحتملة لهذا الاستعمال في الروايات الإسلامية. فالمانوية ظلت قوية في القرن الثامن الميلادي، مما جعلها لذلك أكثر صلة بالدراسة الحالية؛ إذ إن مؤسسها ماني لم يكن يلقب فقط ليكون "باراكليت"، بل قد دعي أيضًا بخاتم الأنبياء. وهذا التعبير -بالطبع- قد استعمل لقبًا لمحمد في سورة الأحزاب ٣٣: ٤٠. يفهم من كلام المستشرق أن الآية المباركة من سورة الأحزاب: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ إنما نزلت على رسول الله ﷺ وكأن المقصود بها ماني زعيم المانوية، وهذا كلام لا يمكن استيعابه، وقد سبق لنا أن أتينا بالمعلومات التي فصلها كل من ابن النديم وأبي الريحان البيروني فلا حاجة بنا إلى التعليق على استنتاجه الحاقده.

ويقول مؤكدا قوله السابق: "كلا النعتين قد حقق قدرا أكبر من الوضوح حينما ننظر إليهما في سياق نشأة ماني وتجربته في تحوله من المسيحية. وبحسب ما يبدو أن ماني قضى سنوات شبابه بينوهي الفرقة اليهودية - المسيحية Elkasaites، فهو يهودي - معمودي مسيحي من مجتمع في جنوب بلاد ما بين النهرين التي تتميز بقوة في اتجاهاتها الغنوصية".

ويقول المستشرق على صفحة ١٦٢-١٦٣: "إن الخاتم وبخاصة مفهوم خاتم الأنبياء هو التعبير المذكور في دان ٩: ٢٤". ويقصد سفر دانيال ٩ إصحاح ٢٤ الذي كان نصّه كالآتي: "٢٤- سَبْعُونَ أُسْبُوعًا قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى مَدِينَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَكْمِيلِ الْمَعْصِيَةِ وَتَنْمِيمِ الْخَطَايَا، وَلِكَفَّارَةِ الْإِثْمِ، وَلِيُؤْتَى بِالْبَرِّ الْأَبَدِيِّ، وَلِخْتِمِ الرُّؤْيَا وَالنُّبُوءَةِ، وَلِمَسْحِ قُدُوسِ الْقُدُوسِينَ"، فالتعبير ختم الرؤيا والنبوة تتعلق بالرؤيا وليس لها علاقة بالخاتمية الرسالية لرسول الله ﷺ. عبد الجبار ناجي. ويقول المستشرق معلقا على تعبير الخاتم: "يبدو من المهم في هذا الصدد فهم طبيعة الختم ومهمته. فالختم هو في الأساس ختم أي الطبع والدمغة".



وفي نهاية بحثه يسلط ضوءاً على رؤيته فيقول على صفحة ١٦٦ ما يأتي: "من الواضح - إذن - أن "خاتم الأنبياء" في هذا الفهم لا يمكنه أن يعبر أو يشير إلى شخص بشري حقيقي؛ بل إنه بالأحرى واقع أخروي بكل ما في الكلمة من معنى، حيث يفتح بوابة إلى العالم السماوي. وعلى النقيض من ذلك، فإن مفاهيم "الخاتم" و"المعزي" كما وجدت في الرواية الإسلامية فإنها لا تظهر أي سمات إلى الواقع الأخروي. وعلى العكس من ذلك، فالآخرة هاهنا تبدو أنها تعيد إلى الذاكرة في الوقت المناسب، وذلك عن طريق فهم كلا التعبيرين في المعنى الزمني، فكان محمد خاتم الأنبياء بقدر ما كان هو النبي الأخير. والخاتم قد فهم هنا كثيراً بالطريقة نفسها التي يفهم بها ما جاء في سفر دانيال ٩: ٢٤.

كذلك فقد جرى تفسير "باراكليت" على خط مماثل. فالتعبير يُنظر إليه على أنه يشير إلى شخص قادم بعد يسوع. وهذا الشخص من وجهة النظر الإسلامية لا يمكن أن يكون سوى محمد. وليس من الواضح فيما إذا كان محمد نفسه كان يتوقع أن تكون النهاية وشيكة، لكن إذا كان ذلك فأتباعه يمكن أن يواجهوا مشكلة مماثلة من تأخر المجيء والحضور، تماماً كما حدث مع تلاميذ يسوع الأوائل. ومع ذلك، فيبدو من الواضح أن التوتر والشدة الأخروية كانت واحدة من أهم العوامل التي أسهمت في بعثة النبي محمد^(١٥).

كذلك فإن المستشرق كارستن كولبي Carsten Colpe المتوفى في سنة ٢٠٠٩ في برلين، كان عالماً دينياً ألمانياً وباحثاً في العهد الجديد Testament وعالماً في الدراسات الإيرانية. وفي عام ١٩٥٤ حصل على الدكتوراه في الدراسات الدينية تحت إشراف المستشرق الألماني البروفسور هانز هاينريش شيدر في جامعة غوتنغن، وفي عام ١٩٦٢ كان تعيينه أستاذاً متفرغاً لتاريخ الدين، وله اهتمام خاص بالعهد الجديد، في عام ١٩٩٧ تقاعد عن العمل، وفي ١٩٦٣/٦٤ كان أستاذاً زائراً في جامعة ييل في نيو هافن (كونيتيكت Yale University in New Haven)،



ثم تنقل في جامعات أخرى، ففي سنة ١٩٦٩ كان في الأكاديمية البريطانية في لندن، ثم في جامعة شيكاغو، وفي سنة ١٩٧٤ - ١٩٧٥ في المعهد البريطاني للدراسات الفارسية. كان كولبي عضوًا في أكاديمية هايدلبرغ للعلوم وتوفي في ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٩ في برلين. وفي عام ٢٠٠٦، تم التبرع بجزء من مكتبته الخاصة إلى مكتبة الولاية والجامعة في بريمن University Library in Bremen وكانت تقريبًا ٣٠٠٠ مجلد من الأدب المتخصص عن التاريخ الديني في العصور القديمة المتأخرة، وفي الشرق الأوسط وفي الدراسات الإيرانية. ألف كولبي عدة مؤلفات باللغة الألمانية، من بينها كتابه باللغة الألمانية: خاتم الأنبياء: العلاقات التاريخية بين اليهودية والمسيحية اليهودية والثنية والإسلام المبكر، وهو دراسة في لاهوت العهد الجديد والتاريخ المعاصر^(١٦).

The Seal of the Prophets: Historical Relationships Between Judaism, Jewish Christianity, Paganism and Early Islam- Works on New Testament Theology and Contemporary History.

والمستشرق كولبي في دراسته هذه يرى أيضا أن تعبير خاتم الأنبياء كان يطلق على ماني مؤسس الديانة المانوية، وهو يعتقد أن المانوية قد وجدت طريقها إلى الجزيرة العربية، ليس هذا فحسب إنما يرى أن التعبير قد وجد بوصفه لقبًا في المسيحية، حيث تلقب به أب الكنيسة اللاتينية ترتليان Tertullian. فقد استعمل ترتليان التعبير في قرطاج بعد فترة وجيزة من سنة ٢٠٠م، أي قبل أن يستعملها ماني في بلاد فارس؛ علما أننا قد ذكرنا أعلاه أن ابن النديم والبيروني ذكرا أن ماني قد استخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية حتى ان اسمه عند النصارى كان قوربيقوس بن فتق. أما بخصوص ترتليان (/ tər'taliən /)، وهو في اللغة اللاتينية Quintus Septimius Florens Tertullianus فقد عاش في حوالي سنة ٢٤٠م، وكان كاتبًا مسيحيًا غزير الإنتاج من مدينة قرطاج في مقاطعة



إفريقيا الرومانية. وهو من أصل بربري وفينيقي، وكان كتابه أول مؤلف مسيحي ينتج مجموعة واسعة من الأدب المسيحي اللاتيني. وكان مدافعاً مسيحياً مبكراً ومُجادلاً ضد أهل البدع، بما في ذلك الغنوصية المسيحية المعاصرة. ويُطلق على ترتليان لقب "أبو المسيحية اللاتينية"، وهو يعدّ "مؤسس اللاهوت الغربي". وعلى الرغم من أنه كان محافظاً في نظرته للعالم، فقد ابتكر ترتليان مفاهيم لاهوتية جديدة وطوّر عقيدة الكنيسة المبكرة، باستعمال مصطلح ثالث^(١٧).

ويدلي المستشرق كارستن كولبي برأيه الذي جاء فيه أن "تعبير خاتم النبيين هو لقب تلقب به يسوع كما سجله المؤلف المسيحي اللاتيني ترتليان المتوفى في حوالي سنة ٢٢٠م، وكذلك عبر تفسير دانيال ٩:٢٤ الوارد في كتابه Adversus Judaeos "رسالة ضد اليهود"، حوالي ١٩٧م. والحقيقة فقد راجعت تفسير دانيال إصحاح ٩ الآية رقم ٢٤ ونصّها الآتي: «٢٣ فِي ابْتِدَاءِ تَضَرُّعَاتِكَ خَرَجَ الْأَمْرُ، وَأَنَا جِئْتُ لِأُخْبِرَكَ لَأَنَّكَ أَنْتَ مَحْبُوبٌ. فَتَأَمَّلِ الْكَلَامَ وَافْهَمْ الرُّؤْيَا. ٢٤ سَبْعُونَ أُسْبُوعًا قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى مَدِينَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَكْمِيلِ الْمَعْصِيَةِ وَتَتِمِّمِ الْخَطَايَا، وَلِكُفَّارَةِ الْإِثْمِ، وَلِيُؤْتَى بِالْبَرِّ الْأَبَدِيِّ، وَلِيُخْتَمَ الرُّؤْيَا وَالتَّنَبُّؤُ، وَلِمَسْحِ قُدُّوسِ الْقُدُّوسِينَ». (عبد الجبار ناجي)^(١٨). فهذا النصّ (ختم الرؤيا والنبوة)، لا يفهم

منه المفهوم نفسه الذي بيّنته بصورة جليّة الآية الكريمة في سورة الأحزاب في تعبیر «خاتم النبيين»؛ إذ يفهم من نصّ تفسير دانيال نهاية الرؤية والنبوة، وهو ما يتبين من الآيتين السابقتين، وفي الآية اللاحقة للآية ٢٤. إذ ورد فيهما ما نصّه: «٢١ وَأَنَا مُتَكَلِّمٌ بَعْدَ الصَّلَاةِ، إِذَا بِالرَّجُلِ جِبْرَائِيلَ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي الرُّؤْيَا فِي الْابْتِدَاءِ مُطَارًا وَاعْغَا لِمَسْنِي عِنْدَ وَقْتِ تَقْدِمَةِ الْمَسَاءِ. ٢٢ وَفَهَّمَنِي وَتَكَلَّمَ مَعِيَ وَقَالَ: يَا دَانِيَالُ، إِنِّي خَرَجْتُ الْآنَ لِأُعَلِّمَكَ الْفَهْمَ. ٢٣ فِي ابْتِدَاءِ تَضَرُّعَاتِكَ خَرَجَ الْأَمْرُ، وَأَنَا جِئْتُ لِأُخْبِرَكَ لَأَنَّكَ أَنْتَ مَحْبُوبٌ. فَتَأَمَّلِ الْكَلَامَ وَافْهَمْ الرُّؤْيَا. ٢٥ فَاعْلَمْ وَافْهَمْ أَنَّهُ



مِنْ خُرُوجِ الْأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبِنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةَ أَسَابِيعَ وَأَثْنَانِ وَسِتُونَ أَسْبُوعًا، يَعُودُ وَيُبْنَى سُوقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضِيقِ الْأَزْمِنَةِ». وهو تعليل واضح للردّ على استنتاج المستشرق كولبي، لا كما عبّر عنه بقوله: "كان يسوع بالفعل ختمًا، ليس بصفته ابن الله، ولكن أيضًا بوصفه نبيا"، "جبار الأعمال والكلمات أمام الله وكل الناس"، كما قال تلاميذ عمواس. بالمعنى الدقيق للكلمة" (١٩).

وقد تبنى مستشرق ألماني آخر رؤية المستشرق المشار إليه في أعلاه كارستن كولبي، وهو المستشرق المعاصر هرتموت بوبزين hartmut bobzin المولود في سنة ١٩٤٦ م. والمستشرق بوبزين قد درس من عام ١٩٦٦ إلى عام ١٩٧٣ اللاهوت البروتستانتي والدراسات الدينية والسامية وعلم الإندولوجيا في جامعة ماربورغ University of Marburg. وشهر هذا المستشرق في مؤلفاته الكثيرة التي تشمل على البحث في القرآن وفي تاريخ تلقي الإسلام في أوروبا. وهو أحد مؤسسي "مجلة اللغويات العربية"، ومحرر مشارك لـ "مقالات أو خطابات عن الدراسات العربية". والمستشرق بوبزين مهتم بشكل خاص بالأعمال الاستشراقية للمستشرق الألماني فريدريك روكيرت Friedrich Rückert المتوفى في سنة ١٨٦٦ الذي كان شاعرا ومترجما وأستاذا للغات الشرقية. وقد نهد لتدريس اللغات الشرقية في إرلانجن Er-langen من ١٨٢٦ إلى ١٨٤١. ومن أبرز تأثيرات المستشرق روكيرت في بوبزين أن هذا الأخير قد نشر ترجمة روكيرت للقرآن الكريم، وهي ترجمة اشتهرت بشكل خاص بلغتها الشعرية. ومنذ سنة ١٩٩٥ حتى عام ٢٠٠٠ إلى بداية عام ٢٠١٠، كان بوبزين يعمل على ترجمة جديدة تماما للقرآن الكريم وتاريخ الجدل اللاهوتي للقرآن في الغرب. نُشرت الترجمة الجديدة للقرآن الكريم، التي خطط المستشرق لها أن يكملها بجزء يكون ملحقا للترجمة، وقد تم نشر هذا الجزء في ٢٠١٠. ولذا فإن نشاطات المستشرق بوبزين تركزت بصورة رئيسة على القرآن الكريم، ومن بينها



دراسته: (القرآن في عصر الإصلاح: دراسات في التاريخ المبكر للدراسات العربية والإسلامية في أوروبا) The Koran in the Age of Reformation. Studies on the early history of Arabic and Islamic studies in Europe. وقد نشر الدراسة في بيروت - شتوتغارت Beirut / Stuttgart في سنة ١٩٩٥^(٢٠). وقد ألف دراسته عن (نبوة محمد خاتم الأنبياء) في كتاب:

Qur'ānic Milieu : Historical and Literary Investigations into the, ed. by Nicolai Sinai and Michael Marx, LEIDEN • BOSTON 201

إن رؤية المستشرق بوبزين نصّها: "وكما هو معروف أن سورة ٣٣ الآية ٤٠ تصف محمداً بأنه "رسول الله وخاتم الأنبياء"، وهو بيان يُفهم منه اليوم عموماً معنى النهائية، بمعنى آخر: هو ادعاء بأن لن يكون هناك نبي بعد محمد. ومع ذلك فإن مجرد حقيقة أن الحركات "النبوية" في الإسلام قد نشأت وظهرت مراراً وتكراراً؛ ولهذا يظهر أن كلمة "الختم" قد فُهمت أيضاً بشكل مختلف، ليس فقط على أنها تشير إلى النهائية والخاتمية لنبوة محمد^(٢١)، ولكن أيضاً تؤشر إلى "التأكيد والتصديق"، وأعني بذلك شكلاً من أشكال الاستمرارية مع الأنبياء السابقين. وهذا ما يؤكد التدقيق في الشرح المستفيض الذي بينه السيوطي (المتوفى ١٥٠٥ م) في تفسيره للقرآن "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، الذي يكشف عن مجموعة متنوعة من تفسيرات لمصطلح "الخاتم". فعلى سبيل المثال، قيل: إن عائشة قالت: قل: خاتم الأنبياء وليس "لن يكون هناك نبي بعده"! وفي حديث آخر نقله السيوطي قال رجل ذات مرة في حضور المغيرة (بن شعبة): "صلى الله على محمد خاتم الأنبياء، لا نبي بعده!" فأجاب المغيرة: اكتف co-tent بالقول: خاتم الأنبياء، ولا تقل: ليس هناك نبي بعده". اعتمد هارتموت بوبزين في هذا الاستنتاج على قول للسيوطي المتوفى في سنة ٩١١ هجرية في كتابه في التفسير الموسوم بـ: "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، فكان تفسيره بما يأتي:



"وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المُنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: (وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ)، قَالَ: أَخْرَجَنِي. وأخرج عبد بن حميد عن الحسن في قوله: (وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ)، قَالَ: خَتَمَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَكَانَ آخِرَ مَنْ بَعَثَ. وأخرج أحمد ومسلم عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مِثْلِي وَمِثْلُ النَّبِيِّينَ كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا إِلَّا لَبْنَةً وَاحِدَةً فَجِئْتُ أَنَا فَأَتَمَمْتُ تِلْكَ اللَّبْنَةَ. وأخرج البخاري ومسلم والتِّرْمِذِيُّ وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مِثْلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمِثْلِ رَجُلٍ ابْتَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ فَكَانَ مَنْ دَخَلَهَا فَنَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ: مَا أَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ اللَّبْنَةِ! فَإِنَا مَوْضِعَ اللَّبْنَةِ فَخْتَمَ بِي الْأَنْبِيَاءُ). جزء ٦ ص ٣١٧. وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن مردويه عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مِثْلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا بَنَاءً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَتَعَجَّبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبْنَةَ! فَإِنَا لَبْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ. وأخرج أحمد والتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مِثْلِي فِي النَّبِيِّينَ كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَحْسَنَهَا وَأَكْمَلَهَا وَأَجْمَلَهَا وَتَرَكَ فِيهَا مَوْضِعَ هَذِهِ اللَّبْنَةِ لَمْ يَضَعْهَا فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِالْبَنِيَانِ وَيَعَجَّبُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ: لَوْ تَمَّ مَوْضِعَ هَذِهِ اللَّبْنَةِ! فَإِنَا فِي النَّبِيِّينَ مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبْنَةِ. وأخرج ابن مردويه عن ثوبان قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ كُلَّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي. وأخرج أحمد عن حذيفة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فِي أُمَّتِي كَذَابُونَ وَدَجَالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي. وأخرج ابن أبي شيبة عن عائشة قَالَتْ: قُولُوا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا تَقُولُوا لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ. وأخرج ابن أبي شيبة عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي شُعْبَةَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: حَسْبُكَ إِذَا قُلْتَ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَا كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَارَجَ



فإن هُوَ خرج فقد كَانَ قبله وَبعده. وَأخرج ابنُ الأنْبَارِي فِي الْمَصَاحِفِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ قَالَ: كنت اقرىء الحسن والحسينَ فمر بي علي بن أبي طالب عليه السلام وأنا اقرئهما فقال لي: اقرئهما وخاتم النبیین بفتح التاء "ص ٣١٨.

ويستشهد المستشرق في الهامش بحكاية أوردها النويري في كتابه نهاية الأرب، بشأن امرأة انتحلت لنفسها صفة نبيّة فجيء بها إلى الخليفة، فسألها الخليفة قائلاً لها: من أنت؟ فأجابت: أنا فاطمة النبية. فسألها: هل تعتقدين بنبوة محمد؟ قالت: نعم، جميع ما دعا إليه فهو حقّ. فقال لها: ولكن هل تعرفين أن محمداً قال: لا نبي بعدي؟ فأجابت: أعرف ذلك جيداً، ولكنه هل قال لا نبيّة بعدي؟

أقول: إن الحكاية هذه التي أوردها النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب حدثت في زمن الخليفة العباسي المأمون وجاءت على الوفق الآتي:

قال التُّوَيْرِيُّ فِي (نهاية الأرب في فنون الأدب): "ادّعت امرأةُ النَّبُوَّةِ على عهد المأمون، فأحضرتُ إليه، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا فاطمةُ النَّبِيِّ. فقال لها المأمون: أتؤمنين بما جاء به محمد ﷺ؟ قالت: نعم. كلُّ ما جاء به، فهو حق. قال المأمون: فقد قال محمد ﷺ: "لا نبيَّ بعدي". قالت: صدق عليه الصلاة والسلام، فهل قال: لا نبيّة بعدي؟ قال المأمون لمن حضره: أمّا أنا فقد انقطعت، فمن كان عنده حُجَّةٌ، فليأت بها، وضحك حتى غطّى وجهه". هذه المرأة -التي ادّعت النَّبُوَّةَ على عهد المأمون- لم تَلَقَّ وَحْيَ بُرُوتِهَا مِنَ الْوَحْيِ، كما تَلَقَّى وَحْيَ بُرُوتِهِ. لذلك فالمرأة لم تفهم معنى البَعْدِيَّةِ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، كما فهمه هو وأتباعه. ذلك الحديث الذي نفى فيه ﷺ نفياً جازماً أن يكون نبيٌّ بعده إلى قيام الساعة؛ لأنه (خاتمُ النَّبِيِّينَ)، كما وصفه الله تعالى بذلك، ووصف هو به نفسه في كثير من أقواله المتواترة، كقوله ﷺ لعلي عليه السلام حين خلفه في أهله في غزوة تبوك: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي؟" (٢٢).



ويقف المستشرق اليهودي البروسي الأصل البريطاني الجنسية هارتويج هيرشفيلدHartwig Hirschfeld موقف الصدارة لأولئك المستشرقين المشككين والحاقدين على الإسلام وعلى رسول الله ﷺ، والمشككين في خصوصية الخاتمية. والمستشرق هيرشفيلد ولد من عائلة يهودية في ثورن بروسيا Thorn، Prussia، وكان والده الدكتور آرون هيرشفيلد حاخامًا من ديرشاو Dirschau كذلك كان جدّه لأمه الحاخام المميز سالومون بليسنر. وبعد تخرجه من Royal Marien Gymnasium في Posen، درس هيرشفيلد اللغات الشرقية والفلسفة في جامعة برلين، وحصل على الدكتوراه من جامعة ستراسبورغ عام ١٨٧٨، وبعد عام من الخدمة الإجبارية في الجيش البروسي، حصل على منحة سفر في عام ١٨٨٢ مكنته من دراسة اللغة العربية والعبرية في باريس وعلى يد المستشرق جوزيف ديرينبورغ-Joseph Derenbourg المتوفى في سنة ١٨٩٥ وكان مستشرقًا فرنسيًا ألمانيًا. وقُد في ماينز(التي كانت تسيطر عليها فرنسا آنذاك)، وكان والده قوة لا يستهان بها في البعث التعليمي للثقافة اليهودية في فرنسا. وله عدة إسهامات علمية باللغتين العربية والفرنسية. ثم هاجر هيرشفيلد إلى إنجلترا في عام ١٨٨٩، حيث أصبح أستاذًا للتفسير التوراتي واللغات السامية والفلسفة في كلية مونتيفيوري Montefiore College. وفي عام ١٩٠١م دعت نقابة جامعة كامبريدج لدراسة الأجزاء العربية في مجموعة تايلور شيشتر Taylor-Schechter collection وتحقيقها، وفي العام نفسه عُيّن أمينًا للمكتبة وأستاذًا للغات السامية في كلية اليهود Jews' College، وهو المنصب الذي شغله حتى عام ١٩٢٩. في الوقت نفسه كان هيرشفيلد، محاضرًا في الكتابات والنقوش السامية في كلية لندن الجامعية في عام ١٩٠٣، ومحاضرًا في اللغة الإثيوبية عام ١٩٠٦ وأستاذًا جامعيًا(٢٣).



والمستشرق هيرشفيلد مستشرق وباحث يهودي في غاية التعصب ضد الإسلام وضد رسول الله ﷺ، ويظهر ذلك واضحا وجليا في رؤيته بخصوص الآية الكريمة ٤٠ من سورة الأحزاب وهو يتناول موضوع رسول الله ﷺ وزواجه من زينب بنت جحش والجانب الآخر من الآية الكريمة الذي يتعلق بخاتم النبين. فنراه يقدر ويسرد تخرصاته ضد النبي ﷺ، تلك المتوافرة على الصفحتين ٧١ و٧٢ من كتابه باللغة الألمانية: (Beiträge zur Erklärung des Korān) إسهامات في شرح وتفسير القرآن). وواقعا أردنا من ذكر رؤيته هاهنا القول: إنه يعدّ من المستشرقين اليهود المشككين والحاقدين، ومع هذا فقد صار -في رؤيته للخاتمية الرسالية- مصدرا للمستشرقين والحاقدين الآخرين، سواء كانوا من المستشرقين أم من غيرهم، اليهود منهم وغير اليهود، نظير: يوهنان فريدمان وويلفريد مادولنك وكارستن كولبي وهرموت بوبزين وديفد باورز وآخرين. وللمستشرق هيرشفيلد عدة دراسات، من بينها الكتاب المذكور أعلاه: (إسهامات في شرح وتفسير القرآن)، وهو الكتاب الذي يعيننا في هذا الشأن، وله كتاب آخر هو: (أبحاث جديدة في تأليف وتفسير القرآن).

يقول على صفحة ٧١ من كتابه باللغة الألمانية: (Beiträge zur Erklärung des Korān إسهامات في شرح وتفسير القرآن) ما نصّ ترجمته إلى اللغة العربية: "حقيقة إن الآية قد ذكرت نغمة Ton لاسم محمد لقد استعمل المستشرق هذه الكلمة Ton ليعبر بها عن مدى نظرت الاستعلائية الحاقدة على رسول الله ﷺ، تلك التي تترجم إلى نغمة أو ذكر أو شهرة. عبد الجبار ناجي وهي أيضا نغمة أجنبية تماما، ولم يسبق أن استعملها محمد للتحدث بها بهذه الطريقة علينا أن نميّز بين تعبيراته التي يفهم منها أيضا أنه يعتقد أن رسول الله ﷺ هو الذي ألف القرآن الكريم حاشاه الله تعالى، شأنه شأن المستشرقين والحاقدين الآخرين فيقول: إذ تبدأ الآية الثالثة التي تحمل اسم محمد بشكل غامض وتبين الفكرة فجأة أن محمدا ليس أبا لأحد من الرجال، بل



هو رسول الله وخاتم النبيين والله عليم بكل شيء. فلم يكن محمد قد اعتاد على أن يتحدث بمثل ذلك. وكان اتجاه الآية واضحاً من أنها كُتبت عن زيد بأسلوب غير نظيف جداً ضد ابنه بالتبني زيد. بالإضافة إلى هذا السبب فهناك أيضاً سبب خارجي، فإن خاتم النبيين هو عنوان استثنائي ونادر في مضمونه ولا يتناسب كثيراً مع تعبير محمد ولا يظهر إلا مرة واحدة في القرآن. وفي رواية للبخاري عدّد فيها أسماء محمد، لكن ليس هناك ذكر لخاتم النبيين من بينها".

أقول: إن البخاري في صحيحه يذكر من حديث جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: "لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءَ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ" (٢٤). أما رواية ابن سعد فقد ذهبت إلى ذكر مجموعة من الأسماء ونصّها: "قال أخبرنا عفان بن مسلم أخبرنا حماد بن سلمة عن جعفر بن أبي وحشية عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا محمد وأحمد والحاشر والماحي والخاتم والعاقب. قال: وأخبرنا عفان بن مسلم أخبرنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش عن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في سكة من سكك المدينة: أنا محمد وأحمد والحاشر والمقفى ونبي الرحمة. قال: أخبرنا محمد بن عبيد الطنافسي والفضل بن دكين أبو نعيم وكثير بن هشام وهاشم بن القاسم الكناني قالوا: حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى الأشعري قال سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال: أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبي الرحمة والتوبة والملحمة. قال: أخبرنا عبد الله بن نمير عن مالك يعني ابن مغول عن أبي حصين عن مجاهد عن النبي ﷺ قال: أنا محمد وأحمد أنا رسول الرحمة أنا رسول الملحمة أنا المقفى والحاشر بعثت بالجهاد ولم أبعث بالزراع. عبد الجبار ناجي (٢٥).



ثم يردف المستشرق قائلا: "فالجملـة برمتها مشكوك في أمرها. وتـقارن هذه الآية بالآية رقم ٣٨ التي جاء فيها: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ والتي لها ما يشابهها في الآية ٣٧". ويقصد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ وهي آية مباركة بخصوص الصحابي زيد بن الحارثة. عبد الجبار ناجي. ثم يقول المستشرق هيرشفيلد: "وأن ابن سعد قد نقل هذا الحديث باسم جبير بن مطعم ولكن بإسناد مختلف مرة أخرى، ولم يذكر فيه اسم خاتم.

والواقع فإن الكلمة تثير تحفظا جديًا ليس بالوسع إنكاره، والتحفظ نفسه ينطبق على جميع الآية، تلك التي -حسبما يبدو- قد صيغت على نسق آية من الآيات السابقة، لكن باستثناء كلمة خاتم، ونفس الآية (سورة رقم ٤٧ الآية ٢) ويقصد المستشرق سورة محمد الآية ٢ التي يقول فيها عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾. عبد الجبار ناجي تلك التي تحتوي أو تتضمن اسم محمد، ولا تقدم -في الواقع- أي شيء لافت للنظر ما عدا الاسم وأن الكلام هو بصيغة الغائب. وهذه الحالة حالة نادرة واستثنائية بما فيه الكفاية. يبدو أن الآيات الثلاث الأخرى تدل على عدم الرغبة في أن يكون لاسم محمد ذكر في القرآن، ها هنا يعلق المستشرق تعليقا مشحونا بالمغالطات والحققد والتخرص على الآيات الكريمة، وعلى رسول الله ﷺ؛ فالآيات الثلاث التي تأتي بعد الآية رقم ٢ من السورة الكريمة سورة محمد ﷺ هي قول الله تعالى في الآيات ٣، ٤، ٥: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ* فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنْخَسْتُمُوهُمْ



فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ* سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ* . عبد الجبار ناجي وإلا فلم يكن هنالك أي اسم مقرر له على الإطلاق. فالنعت أو اللقب لهذا الاسم قد أكدّه بشكل صحيح سبرنجر Sprenger وهو مستشرق نمساوي توفي في سنة ١٨٩٣م، له عدة مؤلفات من بينها كتاب عن (حياة محمد) طبع في سنة ١٨٥١م. عبد الجبار ناجي^(٢٦).

هذا ما كتبه المستشرق الحاقه هيرشفيلد، وواقعا فإن المستشرقين الذين اعتمدوا على كتابه قد اقتصروا -في ترجماتهم من هذا الكتاب الألماني- على جزء يسير جدا، أو بالأحرى على نصّ واحد من تعامله مع مسألة خاتم النبيين، نظير ما تطرق إليه المستشرق الأمريكي ديفيد س. باورز، والمستشرق يوهنان فريدمان الذي ستناول رؤيته في أدناه. فمثلا نجد أن فريدمان طرح رأيا لم يكن هيرشفيلد قد ذكره في كتابه فقال: "إن هيرشفيلد تجنب هذه المسألة يقصد مسألة خاتم النبيين تماما وذلك لاعتقاده أن تعبير خاتم النبيين إن هو إلاّ تبديل وتغيير لتعبير ختم النبوة، وهو علامة النبوة التي كانت على جسد محمد". وهذا في الحقيقة غير وارد في كلام هيرشفيلد^(٢٧).

وقد طعن المستشرق فريدمان بقول هيرشفيلد قائلا بأنه "لا تبدو حجته صحيحة إزاء صحة الآية"، وهو تعليق لا ينطبق على ما كان هيرشفيلد قد وقف عليه، بل وأبان عن رأيه فيه بشكل جلي^(٢٨).

أقول: إن من المؤسف جدا أن يكون البروفسور هيرشفيلد قد تحمّل مسؤولية علمية في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية وخصوصا في دراسات القرآن الكريم، بأن يكون هكذا متعصبا وحاقدا وبعيدا عن الموضوعية والمنهجية العلمية التي ينبغي أنه قد تعلمها أثناء دراساته في الجامعات. فهو في محاججته للقرآن الكريم والعقيدة الإسلامية التي تخصص فيها من المفروض أن لا يكون مبغضا إلى هذا



الحدّ للحقل الدراسي المتخصص فيه، ألا وهو القرآن الكريم وسيرة رسول الله ﷺ. والحقيقة أن رؤيته لموضوع الخاتمية في الرسالة السماوية تكاد تكون لا معنى لها على الإطلاق؛ فافتراضه أن تعبير (خاتم النبيين) تعبير نادر وشاذّ لأنه ذكر مرة واحدة في القرآن الكريم افتراض خاطئ تماما، وإنني - بوصفي باحثًا في التاريخ الإسلامي - باستطاعتي أن أفترض أن الأسفار التوراتية بل التوراة نفسها قد كتبتها أحد الحاخامات مثلا، وأن توصيف سفر حاجي وسفر إرميا وغيرهما للنبي موسى ﷺ بأنه خاتم أو خاتم الأنبياء هو تعبير قد كتبه مؤلف هذه الأسفار، وهو تعبير نادر وشاذّ؛ لأنه غير موجود أصلا، وأن النبي موسى ﷺ لم يكن خاتم النبيين. فمن حقي أن أقول ذلك على وفق هذه الجدلية النمطية التي يطرحها المستشرق هيرشفيلد وغيره من المستشرقين. وقوله: "إنها وردت مرة واحدة" كذلك لا معنى له أبدا؛ لأن هناك كثيرا من الحالات والتعبيرات والأحداث في القرآن الكريم قد ذكرت مرة واحدة أو مرتين.

فضلا عن هذه المحاججة فالمستشرق يبدو أنه لم يدرك المعنى الربّاني في نزول الآية ٤٠ من سورة الأحزاب التي قالها الله تعالى في محكم سورة الأحزاب: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، فالمستشرق يقول: إنها آية تخصّ موضوع زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش زوجة الصحابي زيد بن الحارثة، أعني: المقطع الأول من الآية الكريمة؛ ولذلك - وبحسب رأي المستشرق - فإن المقطع الثاني الذي يتضمن تعبير الخاتمية ليس من أصل الآية، وهو مضاف إليها. وعلى عكس ما يراه المستشرق فإن المقطعين من الآية المباركة يعبران عن مضمون عقدي ورسالي واضح لم يأت على عقلية المستشرق ورؤيته التعسفية الحاقدة، فالآية الكريمة كأنها ردّ فعل لما كان المنافقون في المدينة المنورة يتحدثون به عن هذا الزواج وعن موضوع آخر بالغ الأهمية في العقيدة الرسالية، ألا وهو أن زيدا ابن رسول الله بالتبني سيتولى



النبوة بعد رسول الله ﷺ على اعتبار أن رسول الله ﷺ هو الذي كان قد تنبأه بعد خديجة الكبرى عليها السلام فهو بمثابة الأب له، وهذه النقطة المهمة يضاف إليها ما قد ذكر في التفاسير القرآنية^(٢٩).

«وأنزل الله في قول الناس: إن محمدا تزوج امرأة ابنه، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ يعني: زيد بن حارثة، يقول: إن محمدا ليس بأب لزيد ﴿وَلَكِنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، يعني: آخر النبيين لا نبي بعد محمد ﷺ ولو أن لمحمد ﷺ ولدا لكان نبيا رسولا، فمن ثم قال: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، يقول: لو كان زيد ابن محمد لكان نبيا، فلما نزلت: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ قال النبي ﷺ لزيد: لست لك بأب. فقال زيد: يا رسول الله، أنا زيد بن حارثة معروف نسبي»^(٣٠).

وجاء في تفسير علي بن إبراهيم القمي قوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ فإن هذه نزلت في شأن زيد بن حارثة، قالت قریش: يعيرنا محمد أن يدّعي بعضنا بعضا وقد ادّعى هو زيدا فقال الله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ يعني يومئذ قال: إنه ليس بأبي زيد وقوله: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني لا نبي بعد ﷺ^(٣١). وأورد الطبرسي في تفسيره مجمع البيان ما نصّه: "ومن كسر التاء من (خاتم) فإنه ختمهم فهو خاتمهم. ومن فتح التاء فمعناه: آخر النبيين لا نبي بعده. قال المبرد: خاتم فعل ماض على فاعل، وهو في معنى ختم النبيين، ونصب (النبيين) على هذا الوجه، بأنه مفعول به. نزلت في زينب بنت جحش الأسدية، وكانت بنت أميمة بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ، فخطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة... ولما تزوج زينب بنت جحش قال الناس: إن محمدا تزوج امرأة ابنه، فقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الذين لم يلداهم.



وفي هذا بيان أنه ليس بأب لزيد فتحرم عليه زوجته، فإن تحريم زوجة الابن معلق بثبوت النسب، فمن لا نسب له، لا حرمة لامرأته، ولهذا أشار إليهم فقال: (من رجالكم)، وقد ولد له ﷺ أولاد ذكور: إبراهيم، والقاسم، والطيب، والمطهر، فكان أباهم. وقد صح أنه قال للحسن: (إن ابني هذا سيد). وقال أيضا للحسن والحسين: (ابناني هذان إمامان قاما أو قعدا). وقال ﷺ: (إن كل بني بنت ينتسبون إلى أبيهم إلا أولاد فاطمة فإني أنا أبوهم). وقيل: أراد بقوله (رجالكم) البالغين من رجال ذلك الوقت، ولم يكن أحد من أبنائه رجلا في ذلك الوقت. (ولكن رسول الله) أي: ولكن كان رسول الله، لا يترك ما أباحه الله بقول الجهال. وقيل: إن الوجه في اتصاله بما قبله أنه أراد سبحانه ليس يلزم طاعته وتعظيمه لمكان النسب بينه وبينكم، ولمكان الأبوة، بل إنما يجب ذلك عليكم لمكان النبوة. (وخاتم النبيين) أي: وآخر النبيين ختمت النبوة به، فشريعته باقية إلى يوم الدين. وهذا فضيلة له، ﷺ، اختص بها من بين سائر المرسلين. فإن قيل: إن اليهود يدعون في موسى مثل ذلك؟ فالجواب: إن بعض اليهود يدعون أن شريعته لا تنسخ، وهم مع ذلك يجوزون أن يكون بعده أنبياء، ونحن إذا أثبتنا نبوة نبينا ﷺ بالمعجزات القاهرة، وجب نسخ شريعته بذلك. (وكان الله بكل شيء عليما) لا يخفى عليه شيء من مصالح العباد. وصح الحديث عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: (إنما مثلي في الأنبياء كمثلي رجل بنى دارا فأكملها، وحسنها إلا موضع لبنة، فكان من دخل فيها، فنظر إليها، قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة! قال ﷺ: فإننا موضع اللبنة، ختم بي الأنبياء. أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما^(٣٢).

وجاء في تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، بتحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي^(٣٣): "القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ



عَلِيْمًا»، يقول تعالى ذكره: ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة، ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلد له محمد؛ فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل^(٣٤). وذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) قال: نزلت في زيد، إنه لم يكن بابنه، ولعمري ولقد ولد له ذكور؛ إنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر، ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ أي: آخرهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾. حدثني محمد بن عمار، قال: ثنا علي بن قادم، قال: ثنا سفيان، عن نسير بن ذعلوق، عن علي بن الحسين في قوله: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) قال: نزلت في زيد بن حارثة، والنصب في رسول الله ﷺ بمعنى تكرير كان رسول الله ﷺ، والرفع بمعنى الاستئناف؛ ولكن هو رسول الله، والقراءة النصب عندنا. قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، فيه ثلاث مسائل:

الأولى: لما تزوج زينب قال الناس: تزوج امرأة ابنه، فنزلت الآية، أي ليس هو بابنه حتى تحرم عليه حليلته، ولكنه أبو أمته في التبجيل والتعظيم، وأن نساءه عليهم حرام. فأذهب الله بهذه الآية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم، وأعلم أن محمدا لم يكن أبا أحد من الرجال المعاصرين له في الحقيقة. ولم يقصد بهذه الآية أن النبي ﷺ لم يكن له ولد، فقد ولد له ذكور: إبراهيم، والقاسم، والطيب، والمطهر، ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلا. وأما الحسن والحسين فكانا طفلين.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ قال الأخفش والفراء: أي ولكن كان رسول الله. وأجازا (ولكن رسول الله وخاتم) بالرفع. وكذلك قرأ ابن أبي عتبة



وبعض الناس: (ولكن رسول الله) بالرفع، على معنى هو رسول الله وخاتم النبيين. وقرأت فرقة (ولكن) بتشديد النون، ونصب (رسول الله) على أنه اسم (لكن) والخبر محذوف. و(خاتم) قرأ عاصم وحده بفتح التاء، بمعنى أنهم به ختموا، فهو كالخاتم والطابع لهم. وقرأ الجمهور بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم، أي جاء آخرهم. وقيل: الخاتم والخاتم لغتان، مثل طابع وطابع، ودائق ودائق، وطابق من اللحم وطابق.

الثالثة: قال ابن عطية: هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقة على العموم التام مقتضية نصا أنه لا نبي بعده ﷺ. وما ذكره القاضي أبو الطيب في كتابه المسمى بالهداية: من تجويز الاحتمال في ألفاظ هذه الآية ضعيف. وما ذكره الغزالي في هذه الآية، وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد، إلحاد عندي، وتطرق خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد ﷺ النبوة، فالحذر الحذر منه! والله الهادي برحمته. قلت: وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (لا نبوة بعدي إلا ما شاء الله). قال أبو عمر: يعني الرؤيا -والله أعلم- التي هي جزء منها، كما قال (عليه السلام): ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة. وقرأ ابن مسعود: (من رجالكم ولكن نبيا ختم النبيين). قال الرماني: ختم به ﷺ الاستصلاح، فمن لم يصلح به فمئوس من صلاحه. قلت: ومن هذا المعنى قوله (عليه السلام): بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: مثلي ومثل الأنبياء كمثلي رجل بنى دارا فآتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة! قال رسول الله ﷺ: فإننا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء. ونحوه عن أبي هريرة، غير أنه قال: فإننا اللبنة وأنا خاتم النبيين^(٣٥).

وجاء في (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير تفسير الآية الكريمة، فقال: "ما كان محمد أباه أحد من رجالكم"، نهى تعالى أن يقال بعد هذا: "زيد بن محمد"، أي: لم يكن أباه وإن كان قد تبناه، فإنه -صلوات الله عليه وسلامه- لم يعيش له ولد ذكر حتى



بلغ الحلم؛ فإنه ولد له القاسم، والطيب، والظاهر، من خديجة فماتوا صغاراً، وولد له إبراهيم من مارية القبطية، فمات أيضاً رضيعاً. وقوله: (ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) كقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ الأنعام: ١٢٤ فهذه الآية نصّ في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأخرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس. وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة... قال الإمام مسلم: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وعلي بن حجر قالوا: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون". ورواه الترمذي وابن ماجه، من حديث إسماعيل بن جعفر، وقال الترمذي: حسن صحيح. حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى داراً فأتمها إلا موضع لبنة واحدة، فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة". ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، وأبي كريب، كلاهما عن أبي معاوية. حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرابض بن سارية قال: قال النبي ﷺ: "إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طيئته". حديث آخر: قال الزهري: أخبرني محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي". أخرجه في الصحيحين. وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن عبد الله



بن هبيرة، عن عبد الرحمن بن جبير قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما كالمودع، فقال: "أنا محمد النبي الأمي -ثلاثا- ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه، وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش، وتجاوز بي، وعوفيت وعوفيت أمتي؛ فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله، أحلوا حلاله، وحرّموا حرامه". تفرد به الإمام أحمد. ورواه الإمام أحمد أيضا عن يحيى بن إسحاق، عن ابن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة، عن عبد الله بن مريج الخولاني، عن "أبي قيس -مولى عمرو بن العاص- عن عبد الله بن عمرو، فذكر مثله سواء" (٣٦). وهذا هو تفسير الألوسي للآية الكريمة، إذ يقول ما نصّه: "ما رواه إبراهيم السدي عن أنس قال: كان إبراهيم -يعني ابن النبي ﷺ- قد ملأ المهد ولو بقي لكان نبيا لكن لم يبق؛ لأن نبيكم آخر الأنبياء عليهم السلام، وجاء نحوه في روايات أخر. أخرج البخاري من طريق محمد بن بشر عن إسماعيل بن أبي خالد قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى: رأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ؟ قال: مات صغيرا ولو قضى بعد محمد ﷺ نبي عاش ابنه إبراهيم ولكن لا نبي بعده. وأخرج أحمد عن وكيع عن إسماعيل سمعت ابن أبي أوفى يقول: لو كان بعد النبي نبي ما مات ابنه. وأخرج ابن ماجة وغيره من حديث ابن عباس لما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ وقال: "إن له مرضعا في الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا ولو عاش لأعتقت أحواله من القبط وما استرق قبطي"، وفي سنده أبو شيبه إبراهيم بن عثمان الواسطي وهو على ما قال القسطلاني ضعيف، ومن طريقه أخرجه ابن منده في المعرفة وقال: إنه غريب، وكأن النووي لم يقف على هذا الخبر المرفوع أو نحوه أو وقف عليه ولم يصح عنده فقال في تهذيب الأسماء واللغات: وأما ما روي عن بعض المتقدمين لو عاش إبراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم، ومثله ابن عبد البر فقد قال في التمهيد: لا أدري ما هذا فقد ولد نوح عليه السلام غير نبي ولو لم يلد النبي إلا نبيا لكان كل أحد نبيا لأنهم من



نوح عليه السّلام، وأنا أقول: لا يظن بالصحابي الهجوم على الأخبار عن مثل هذا الأمر بالظن، فالظاهر أنه لم يخبر إلا عن توقيف من رسول الله ﷺ، وإذا صح حديث ابن عباس المرفوع ارتفع الخصام، لكن الظاهر أن هذا الأمر في إبراهيم خاصة بأن يكون قد سبق في علم الله تعالى أنه لو عاش لجعله جل وعلا نبيا، لا لكونه ابن النبي ﷺ، بل لأمر هو جل شأنه به أعلم، و﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ الأنعام: ١٢٤، وحينئذ يرد على الشرطية السابقة أعني قوله: لأنه لو بلغ لكان منصبه أن يكون نبيا منع ظاهر، والدليل الذي سيق فيما سبق لا يثبتها؛ لما أن ظاهره الخصوص فيجوز أن يبلغ ولد ذكر له عليه الصلاة والسلام غير إبراهيم ولا يكون نبيا لعدم أهليته للنبوّة في علم الله تعالى لو عاش. وقول بعض الأفاضل: ليس مبنى تلك الشرطية على الزوم العقلي والقياس المنطقي، بل على مقتضى الحكمة الإلهية وهي أن الله سبحانه أكرم بعض الرسل عليهم السّلام بجعل أولادهم أنبياء كالخليل عليه السّلام، ونبينا ﷺ أكرمهم عليه وأفضلهم عنده، فلو عاش أولاده اقتضى تشريف الله تعالى له وأفضليته عنده، ذلك ليس بشيء؛ لأننا نقول: لا يلزم من إكرام الله تعالى بعض رسله عليهم السّلام بنبوّة الأولاد وكون نبينا ﷺ أكرمهم وأفضلهم اقتضاء التشريف والأفضلية نبوة أولاده لو عاشوا وبلغوا ليقال إن حكمة كونه ﷺ خاتم النبيين لكونها أجل وأعظم منعت من أن يعيشوا فينبؤوا، ألا ترى أن الله تعالى أكرم بعض الرسل بجعل بعض أقاربهم في حياتهم وبعد مماتهم أنبياء معينين لهم ومؤيدين لشريعتهم غير مخالفين لها في أصل أو فرع كموسى عليه السّلام ونبينا ﷺ أكرمهم وأفضلهم ولم يجعل له ذلك؟.

فإن قيل: إنه عوض ﷺ عنه بأن جعل جل شأنه له من أقاربه وأهل بيته علماء أجلاء كأبناء بني إسرائيل كالإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) كما يرشد إليه قوله ﷺ له (عليه السلام) عنه: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي"، قلنا: فلم لا يجوز أن يبقى سبحانه له ﷺ أولادا ذكورا بالغين ويعوضه عن نبوتهم التي منعت عنها حكمة



الخاتمية نحو ما عوضه عن نبوة بعض أقاربه التي منعت عنها تلك الحكمة وذلك أقرب لمقتضى التشريف كما لا يخفى، وقيل: الملازمة مستفادة من الآية لأنه لولاها لم يكن للاستدراك معنى، إذ (لكن) تتوسط بين متقابلين فلا بد من منافاة بنوتهم له ﷺ لكونه خاتم النبيين وهو إنما يكون باستلزام بنوتهم نبوتهم، ولا يقدح فيه قوله تعالى: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ كما يتوهم؛ لأنه لو سلم رسالتهم لكانت إما في عصره ﷺ وهي تنافي رسالته أو بعده وهي تنافي خاتمته اهـ، وفيه أن الملازمة في قول ولا ذلك لم يكن للاستدراك معنى ممنوعة، والدليل المذكور لم يثبتها؛ لجواز أن يكون معنى الاستدراك ما ذكرناه أولاً، على أن فيما ذكره بعد ما لا يخفى، وقيل في توجيه الاستدراك: إنه لما كان عدم النسل من الذكور يفهم منه أنه لا يبقى حكمه ﷺ ولا يدوم ذكره استدراك بما ذكر وهو كما ترى. وقال بعض المتأخرين: يجوز أن لا يكون الاستدراك بـ (لكن) هنا بمعنى رفع التوهم الناشئ من أول الكلام، كما في قولك: ما زيد كريم لكنه شجاع، بل بمعنى أن يثبت لما بعدها حكم مخالف لما قبلها نحو: ما هذا ساكن لكنه متحرك، وما هذا أبيض لكنه أسود، وقد جاء كذلك في بعض آي الكتاب الكريم كما في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف: ٦٧ فإن نفي السفاهة لا يوهم انتفاء الرسالة ولا انتفاء ما يلزمها من الهدى والتقوى حتى يجعل استدراكا بالمعنى الأول. اهـ، فليتأمل" (٣٧). فجميع هذه التفاسير الشيعية منها والسنية تؤكد ما أشرنا إليه في الآية المباركة ٤٠ من سورة الأحزاب المباركة على أنها متكاملة ويضمها جامع مشترك واحد، على عكس ما كان يهدف إليه هذا المستشرق من تخربات وافتراضات لا وجود لها، فإن (ما كان محمد أباً لأحد من رجالكم) موجهة إلى أولئك المنافقين وأولئك الصحابة الذين كانوا كالمنافقين وربما أكثر حقدا وحسدا لرسول الله وأهل بيته الأطهار بشأن مسألة زينب بنت جحش. والكلام (كلام المفسرين) واضح جداً، ويعدّ ضربة قاضية لما كان هيرشفيلد يتكهن به ظناً وبهتاناً.



وليتأمل المستشرق المتعصب ما قاله الشيخ القمي والشيخ الطبرسي أعلاه؛ ليصح أنصاره والمرددون لرؤيته أفكارهم. وكذا الحال تماما في التفاسير الإسلامية الأخرى، لا تفسير المستشرق هيرشفيلد المبني على تكهنات وتخربات، فهو كما بينا يستنتج أنها -أي الآية الكريمة- قد جاءت بهذا المضمون مرة واحدة؛ ولذلك فهي فريدة ومشكوك فيها. فهل يعلم المستشرق أن هناك أحداثا وأخبارا ومسميات وأوصافا في القرآن الكريم قد ذكرت لمرة واحدة أو مرتين؟! ثم ما علاقة أنها -الآية الكريمة- لا صلة لها بالآيات السابقة لها أو التالية لها؟! ألا يعلم أن القرآن الكريم يحتوي على عدد من الآيات الكريمات التي تتضمن تعبير "ختم" أو "طبع"؟! نظير الآيات الآتية:

- ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾ (البقرة: ٧).
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾ (الأنعام: ٤٦).
- ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠).
- ﴿لَيَوْمٍ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ (يس: ٦٥).
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (الشورى: ٢٤).
- ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ (الجاثية: ٢٣).

- ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ (المطففين: ٢٥).
- ﴿خَتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٦).

وهناك نقطة مهمة أخرى، ألا وهي أن الآية الكريمة قد نزلت في الصحابي زيد بن حارثة والصحابية زينب بنت جحش بنت رثاب الأسدية، تلك التي أصبحت زوجة لرسول الله ﷺ في شهر صفر من السنة الخامسة للهجرة/ حزيران من سنة ٦٢٦ م.

ومن المناسب الإشارة إليه في هذا الصدد أن تعبير (خاتم النبيين) ظل يتردد على لسان النبي ﷺ بعد تاريخ نزول الآية الكريمة التي تضمنت تعبير الخاتمية الرسالية إلى وقت متأخر من حياة رسول الله ﷺ؛ ففي غزوة تبوك وهي الغزوة الأخيرة للنبي ﷺ التي وقعت أحداثها في سنة ٩هـ / ٦٣٠م، حينما جهّز ﷺ المسلمين في عام العسرة وخرج بهم إلى ملاقات الروم الذين خططوا للهجوم على المدينة المنورة، وحينها تخلف بعض المنافقين عن هذه الغزوة، فنزل كثير من آيات سورة التوبة أو البراءة التي سميت أيضاً بسورة الفاضحة فيهم، وهي الغزوة التي التحق فيها بعض المنافقين فقاموا بعدة أمور تفضح خيانتهم لله ورسوله ﷺ وللمؤمنين من أجل تشييط المسلمين عن الجهاد، وهي الغزوة التي عمّد مجموعة من الصحابة المنافقين إلى اغتيال النبي الأكرم ﷺ في العقبة. وعلى أية حال فقد أرجف المنافقون باستخلاف النبي ﷺ علياً بن أبي طالب (عليه السلام) في المدينة، خلفه على أهله في المدينة وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً وتخففاً منه، فأخذ علي (عليه السلام) سلاحه ولحق بالنبي ﷺ وأخبره بما قالوا، فقال ﷺ: كذبوا ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبيّ بعدي^(٣٨). حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء، قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي^(٣٩).

إن مقولة النبي ﷺ علي: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى" قد تكرر ذكرها من النبي ﷺ في مناسبات عدة، فحين آخى النبي ﷺ بين أصحابه، قال الامام علي (عليه السلام): أخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد، فقال: والذي بعثني بالحق نبياً ما أخرجت إلا لنفسي فإنني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وعن عبد الله بن



عباس قال: سمعت عمر وعنده جماعة فتذكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر: أما علي فسمعت رسول الله ﷺ يقول فيه ثلاث خصال، لوددت أن تكون لي واحدة منهن، وكانت أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه، إذ ضرب ﷺ على منكب عليّ فقال: له يا عليّ أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى. ابن أبي الحديد^(٤٠). وعن سعد بن أبي وقاص: أن النبي ﷺ قال لعلي: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" أخرجه البخاري ومسلم. وعن أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اللهم إني أقول كما قال أخي موسى: واجعل لي وزيراً من أهلي أخي علياً اشد به أزرى وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً". قال رسول الله ﷺ: أنا خاتم النبيين وأنت يا علي خاتم الوصيين إلى يوم الدين. وعن الإمام جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: كان الامام علي عليه السلام يرى مع رسول الله ﷺ قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت، وقال له: لولا أنني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة، فإن لم تكن نبياً فإنك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء^(٤١). إلى غير ذلك من المواطن المتعددة، فالمسألة -أيها المستشرق المتعصب- مؤكدة، ولا مجال للتشكيك فيها وإثارة اللغط في أنها ليست من القرآن وأنها فريدة أو استثنائية.

ومن الجانب الآخر فإن هناك عدداً من المستشرقين ممن يرى رأياً آخر، ويمكننا عدّهم من المشككين بهذه المفهومية الخاتمية للرسالة الإسلامية أيضاً، ولعل أول مستشرق معاصر قد درس بالتفصيل تاريخ عقيدة خاتمية النبوة هو يوهانان فريدمان Yohanan Friedmann. وقد ولد فريدمان في تشيكوسلوفاكيا، وهاجر إلى إسرائيل مع والديه عام ١٩٤٩، وفي عام ١٩٥٦ بدأ دراسته الجامعية في الجامعة العبرية في القدس، قسم اللغة العربية وآدابها، وحصل على البكالوريوس في عام ١٩٥٩، وفي عام ١٩٦٢ أنهى درجة الماجستير في الأدب العربي. وكانت



أطروحته عن الشاعر العربي أبي علاء المعري. بعد ذلك التحق بجامعة ماكجيل في مونتريال McGill University in Montreal للحصول على الدكتوراه، وقد تعلم اللغة الأردية وركز اختصاصه على تاريخ الإسلام في الهند، إذ كانت أطروحته للدكتوراه عن المفكر الديني المسلم الشيخ أحمد السرهندي Ahmad Sirhindi وحصل عليها عام ١٩٦٦، والتحق فريدمان بالجامعة العبرية وعُين محاضراً في الدراسات الإسلامية. وفيما يتعلق بمجال بحثنا فقد كتب دراسة مهمة بخصوص: النهائية أو الخاتمية في المؤلفات التفسيرية السنيّة Finality of the prophethood in Sunni Islam. علينا ها هنا أن نشير إلى أن بحث البروفسور المستشرق فريدمان يعدّ من البحوث القيمة، وليس بالوسع مقارنته بأبحاث المستشرقين الآخرين، سواء كانوا من اليهود أم من غيرهم، فضلاً عن البحوث التي ألفها الباحثون العرب والمسلمون؛ وذلك للجوانب الآتية:

١ - محتوى البحث من أوله إلى نهاية عرضه متفق تماماً مع العنوان الذي اختاره، ألا وهو: "نهاية النبوة في الإسلام السنيّ". فقد تنقل بين المصادر السنيّة الأساسية معتمداً أقوالهم ومقتبساً النصوص الخاصة بالخاتمية في العربية وترجمتها إلى الإنجليزية بمهارة. ومن الجدير ذكره أيضاً أن المستشرق حينما يتناول جنة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ والأحاديث التي روتها مؤلفات الصحاح والتفسير السنيّة يعرج على موقف المؤلفات الشيعة ورأي العلماء الشيعة في هذه المسألة أي نبوة إبراهيم.

الأبحاث الاستشراقية التي عرضناها في أعلاه، والتي تأتي بعد ذلك لم تقف على مسألة خاتم النبيين بشكل منصف وتفصيلي، بينما هي تحمل عنواناً مغرياً، كأن يكون: "محمد خاتم الأنبياء" - The Seal of the Prophets: The Prophet Muhammad، أو باللغة الألمانية Das siegel der Propheten، أو عنوان: "صنع آخر نبي" The Making of the Last Prophet ... إلخ، لكنها مختصرة في متونها، وبعض



منها إنما يركز على المقطع الأول من الآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾، المتعلق بالصحابي مولى رسول الله ﷺ زوج زينب بنت جحش، وعلى زواج رسول الله ﷺ بها بعد أن طلقها الصحابي زيد. بينما استعرض المستشرق فريدمان بحثه استعراضاً علمياً دقيقاً مع عنوان بحثه، وسوف نشهد أنه والبروفسور المستشرق اليهودي الآخر أوري روبين الذي جاء بعده قد تميزا بهذا الجانب الدقيق. والمستشرق -بهدف دعم رؤيته في مسألة الخاتم والمعاني والتعريفات التي عرّفها بها العرب- يستند إلى ما ورد في الشعر العربي الجاهلي والإسلامي والأبيات الشعرية التي ورد فيها تعبير "خاتم" أو "ختم". ويقول المستشرق أيضاً: "وكما رأينا في سياق هذه الدراسة أن المجموعات المبكرة والأولى من مؤلفات الحديث تحتوي على عدد من الأقوال التي تتعارض مع -أو التي لا تدرك- الاعتقاد بنهائية نبوة محمد وخاتميتها، كذلك وكما رأينا الأسلوب والطريقة التي جرى بها تغيير هذه الأقوال وتحويرها وتفسيرها وشرحها بشكل بعيد، إن كان في نطقها أو تلفظها المزيف. وأن بعضها قد اختفى تدريجياً من أدب الحديث، فكان لا بد من مواءمته مع مواد العقيدة وبنودها المعترف بصحتها، أما الأحاديث المتعلقة بالمكانة الروحية تلك التي قد تتحقق إبراهيم إن بلغ إبراهيم سن الرشد فهي في هذه تكون حالة ومسألة وثيقة الصلة بالموضوع، فنحن نشهد هنا مثلاً بارزاً وموثقاً بشكل جيد من التفاعل بين تطور العقيدة والحديث والتفسير في العقيدة الإسلامية". انتهى نصّ كلام المستشرق فريدمان. والحقيقة أن المستشرق فريدمان يستشهد بل ويستند إلى عدد من المستشرقين من جيل سابق؛ من أجل أن يعزز موقفه المشكك في معنى الخاتمية في رسالة النبي محمد ﷺ. فيقول في هذا الصدد ما ترجمته: إن العلماء الذين حاولوا أن يفسروا الآية لم يصلوا إلى استنتاج تام وجليّ بخصوص هذه المسألة. وهو يذكر موقف المستشرقين المشككين في تفسير الآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا



أَحَدٍ مِّن رَّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٠﴾، نظير المستشرق البروسي البريطاني هارتوج هرشفيلد Hartwig Hirschfeld وستحدث عن موقفه في أدناه، والمستشرق بهل Buhl، والمستشرق جولدتسيهر Goldziher، والمستشرق هورفتنز Horovitz، والمستشرق سبير Speyer، والمستشرق وانزورو Wansbrough. ويقول المستشرق على صفحة ٢١٤ ما يفهم منه أنه يحاول أن يعطي تفسيراً لا تعليقاً، فيقول: "إن هذه الأمور المشكوك فيها - في الشأن الذي نبحت فيه الآن - قد تزيد حجمها للحقيقة المتعلقة بحركة الردة، تلك الحركة التي وقعت مباشرة بعد وفاة محمد، وهي التي - كما رأينا - ربما قد أثرت في مفهومية خاتم النبيين. وعلى أية حال فيمكن للمرء أن يغامر في القول: إن مفهومية خاتم النبيين في الآية ٤٠ من سورة الأحزاب مؤكدة على الإطلاق، وكما أظهرتها الرواية التفسيرية، فالآية ٤٠ من سورة الأحزاب كان المقصود منها بشكل واضح مدح محمد، في الإشارة إلى أنه إذا كان موقفه الديني بكونه رسول لله يؤخذ بالحسبان، فإذا أخذنا بنظر الاعتبار مكانته الروحية والدينية بوصفه رسول الله، فإن السؤال عما إذا كان له أبناء أم لا سيصبح سؤالاً تافهاً. فإن كان تعبير خاتم النبيين قد فهم منذ البداية على أنه "النبي الأخير والخاتم"، فيكون من الصعب أن نقبل بالتفسير والشرح للروايات، تلك التي لا يكاد يتوافق معها في مؤلفات الصحيح من الحديث. وقد أظهر جولدتسيهر بوضوح أن الخاتم كثيراً ما كان يستعمل بمعنى الأفضل best. لقد رأينا أن أدب الرواية والتفسير قد احتفظ ببعض الإحالات والمراجع لهذا التفسير". انتهى قول المستشرق فريدمان. واقعاً فإن المستشرق فريدمان قد اعتمد على كثير من المؤلفات العربية السنية على وجه الخصوص، كالصحيح والسنن والمؤلفات التفسيرية، ولم يراجع مؤلفات التفسير الشيعية، ولا سيما تلك التي اعتمدت على أحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، نظير: تفسير فرات الكوفي والعياشي وعلي بن إبراهيم القمي والبحراني. ولهذا السبب



فقد تباينت آراؤه باختلاف تفسيرات المؤلفات السنّة التي اعتمدت روايات الرواة الشفاهيين المختلفة مشاربهم ورؤاهم؛ ولذلك ترددت موافقه أيضا حتى أنه جاء برأي المستشرق جولدتسيهر المذكور في أعلاه عن موضوع أولاد رسول الله ﷺ.

وهنا لابدّ من القول: إن المستشرقين في هذا الشأن يرجعون إلى تفسير الآلوسي (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني) لمحمود شكري الآلوسي البغدادي، الذي شخص عدداً من آراء المفسرين والعلماء من أهل السنّة بما يتعلق بتعبير خاتم النبيين؛ ووقف على القول الآتي: "وقيل: إنه جيء به لدفع ما يتوهم من قوله تعالى: ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ من أنه ﷺ يكون أبا أحد من رجاله الذين ولدوا منه ﷺ بأن يولد له ذكر فيعيش حتى يبلغ مبلغ الرجال؛ وذلك لأن كونه ﷺ خاتم النبيين يدل على أنه لا يعيش له ولد ذكر حتى يبلغ؛ لأنه لو بلغ لكان منصبه أن يكون نبيا فلا يكون هو ﷺ خاتم النبيين، ويراد بالأب عليه الأب الصلب؛ لثلا يعترض بالحسنين، ودليل الشرطية ما رواه إبراهيم السدي عن أنس قال: كان إبراهيم -يعني ابن النبي ﷺ- قد ملأ المهد ولو بقي لكان نبيا لكن لم يبق؛ لأن نبيكم آخر الأنبياء ﷺ، وجاء نحوه في روايات أخر. أخرج البخاري من طريق محمد بن بشر عن إسماعيل بن أبي خالد قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى: رأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ؟ قال: مات صغيرا، ولو قُضِيَ بعد محمد ﷺ نبي عاش ابنه إبراهيم، ولكن لا نبي بعده. وأخرج أحمد عن وكيع عن إسماعيل: سمعت ابن أبي أوفى يقول: لو كان بعد النبي نبي ما مات ابنه. وأخرج ابن ماجة وغيره من حديث ابن عباس: لمّا مات إبراهيم ابن النبي ﷺ وقال: ((إن له مرضعا في الجنة، ولو عاش لكان صديقا نبيا، ولو عاش لأعتقت أخواله من القبط، وما استرق قبطي)) (٤٢).

مع ذلك فإن الآلوسي يتعرض بالنقد لبعض العلماء السنّة ولا يوافق على ما جاء به بخصوص نبوة إبراهيم ابن النبي ﷺ؛ إذ يعقب على رأي ابن حجر الهيتمي



المتوفى سنة ٩٧٤ هجرية في كتابه: (الفتاوى الحديثية) قائلا: "ومن العجيب أن ابن حجر الهيثمي قال في فتاواه الحديثية: إنه لا بعد في إثبات النبوة لإبراهيم ابن النبي ﷺ في صغره، وقد ثبت في الصغر لعيسى ويحيى عليهما السلام، ثم نقل عن السبكي كلاما في حديث: "كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد"، حاصله: أن حقيقته ﷺ قد تكون من قبل آدم آتاها الله تعالى النبوة بأن خلقها مهية لها وأفاضها عليها من ذلك الوقت وصار نبيا، ثم قال: وبه يعلم تحقيق نبوة سيدنا إبراهيم في حال صغره. اهـ، وفيه بحث" (٤٣).

أما قول الهيثمي فنصّه: "مطلب ما ورد في حق إبراهيم ابن نبينا ﷺ: وسئل -نفع الله به وبعلمومه- عما وقع في تهذيب النووي: وأما ما روي عن بعض المتقدمين: "لو عاش إبراهيم لكان نبيا" فباطل، وجسارة على الكلام على المغيبات، ومجازفة وهجوم على عظيم، فهل ما قاله صحيح؟ فأجاب بقوله: قد تعجب منا شيخ الإسلام في الإصابة وقال: إنه ورد عن ثلاث من الصحابة ولا يظن بالصحابي أنه هجم على مثل هذا بظنه، ويّين الحافظ السيوطي أنه صح عن أنس: "أنه سئل النبي ﷺ عن ابنه إبراهيم قال: لا أدري رحمة الله على إبراهيم لو عاش لكان صديقا نبيا"، وفي رواية عن أنس أنه رفع ذلك إلى النبي ﷺ (٤٤).

والألوسي أشار أيضا إلى أن الخاتم اسم آلة لما يختم به كالطابع لما يطبع به، فمعنى خاتم النبيين الذي ختم النبيون به، ومآله: آخر النبيين، وقال المبرد: (خاتم) فعل ماض على فاعل وهو في معنى ختم النبيين، ف(النبيين) منصوب على أنه مفعول به (٤٥). وهناك نقطة مهمة أخرى في بحثه؛ إذ أفصح عن موقفه من الآراء والرؤى الاستشراقية التي توصل إليها المستشرقون الذين سبقوه ممّن كتب عن (خاتم النبيين) فقال منتقدا آراء المستشرق الألماني اليهودي هيرشفيلد المتعصب الذي سبقت الإشارة إليه أعلاه، وعلى صفحة ٢١٢ من بحثه ما ترجمته: "الواقع أن العلماء الذين حاولوا تفسير الآية لم يتوصلوا



إلى استنتاجات جليّة ولا لبس فيها. فقد شكك هيرشفيلد Hirschfeld بصحة هذه الآية وادعى أنها قد كتبت من أصل متأخر، لكن حججه لا تبدو أنها كانت مقنعة. كذلك قوله: تعبير خاتم النبيّن هو تعبير أمر غير مألوف ونادر، فهو يظهر لمرة واحدة فقط في القرآن، وأن الكلمة غير عربية، فجميع هذه الحجج لا تبدو صحيحة وشرعية ضد موثوقية الآية وصحتها. وفي عمل له متأخر عن ذلك الكتاب فإن هيرشفيلد تجنب التطرق إلى هذه الجنبه كلياً وتاماً وعدّ تعبير خاتم النبيين كتغيير وتحويل لخاتم النبوة، وهو علامة النبوة على جسم النبي، وهو الخاتم المذكور في أسطورة legend بحيرى، والمناسب أن هيرشفيلد قد ذكر هذا الاستنتاج المتهافت في كتابه الآخر الموسوم بـ: (أبحاث جديدة في تصنيف أو تأليف وتفسير القرآن new researches into the composition and exegesis of the Quran) المطبوع في لندن سنة ١٩٠٢، ص ١٣٩. عبد الجبار ناجي، والمستشرق بول Frants Buhl مستشرق دانماركي توفي في سنة ١٩٣٢، كتب مقالة في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) بعنوان: محمد. عبد الجبار ناجي وقد اتفق فيها على المعنى الحديثي لخاتم النبيين من أن المقصود به النبي الأخير. ثم بين وجهة نظره في رؤية المستشرق اليهودي الألماني جوزيف هورفتز Horovitz بخصوص خاتم النبيين، فيقول فريدمان: إنه سلّم بقبول تفسيرين محتملين لخاتم النبيين: أما أنه النبي الأخير أو ذلك الذي يصدق ويثبت صحة الأنبياء الذين سبقوه، والمناسب قوله: إننا في أدناه سوف نقف على رؤية المستشرق هوروفتس الذي كتب كتاباً باللغة الألمانية عنوانه Beiträge zur Erklärung des Korān أي إسهامات في شرح وتفسير القرآن) عبد الجبار ناجي ويقول المستشرق فريدمان: إن هوروفتس في تلك الرؤية قد تأثر بالمستشرق الألماني المعاصر له هنريش شباير Heinrich Speyer. وهنريش شباير توفي في ٧ أكتوبر ١٩٣٥، وهو مستشرق ألماني درس مع جوزيف هوروفتس في المدرسة الشرقية بجامعة فرانكفورت، حيث حصل على الدكتوراه عام ١٩٢١. وفي حوالي عام ١٩٣٤ كان



لديه وظيفة في المدرسة الحاخامية في بريسلاو. والعمل الرئيس لشباير باللغة الألمانية هو: (القصص التوراتية في القرآن Die Biblischen Erzählungen im Qoran) الذي يعدّ من أكثر الأعمال شمولاً وتفصيلاً، وهو يتعامل مع أوجه التشابه بين اليهودية والمسيحية والغنوصية والسامرية مع مادة النصّ التوراتي في القرآن.

طُبِعَ كتاب القصص التوراتية في القرآن في عام ١٩٣٥ قبل وقت قصير من وفاة شباير. ومع ذلك، فإن بصمة الناشر للطبعة الأولى تشير إلى عام ١٩٣١، وربما تأخرت طباعته إلى عام ١٩٣٥ لأسباب سياسية؛ إذ لم يعد يُسمح بطباعة الكتب "اليهودية" في ألمانيا الاشتراكية القومية، ولذلك تقرر تأجيل طبعه إلى أن أُعيد طباعة الكتاب لأول مرة عام ١٩٦١ م. فعلى صفحة ٤٢٢ - ٤٢٣ كتب في كتابه موضوعاً عنوانه: (محمد خاتم النبيين Mohammad das Siegel der propheten) تطرق في هذه الجنبه من كتابه إلى رأي هيرشفيلد، ثم وقف على أن التعبير قد وجد في الديانات السابقة، واعتمد على رواية البيروني في الآثار الباقية من أن ماني زعيم المذهب المانوي قد لقبه أتباعه بخاتم النبيين. عبد الجبار ناجي.

ويستمر المستشرق فريدمان في عرضه لموقفه من الدراسات الاستشراقية التي سبقته فيقول: "وقد اقترح البروفيسور ونزبورو Wansbrough عدداً من التفسيرات، من ذلك المقترح الذي يقول فيه إن الآية التي قيد المناقشة لها أهمية أخروية، وهو مقترح يتطلب توضيحاً وبحاجة إلى تفسير؛ فالحديث الذي يربط بين فكرة نهائية نبوة محمد والاعتقاد بأنه يعيش في الجيل الذي يسبق مباشرة يوم القيامة ربما يمكن عدّه هكذا ملائم له. والأحرى فإن اقتراح ونزبورو هو مقترح متردد إلى حد ما ليقيم علاقة سببية بين الخاتم بالفعل ختم (أي وضع الختم على) وهذا الرأي مدعوم من بعض القراءات القديمة. ومما ينبغي اعتباره وفهمه بالتزامن مع وجهة نظر هوروفتر الذي قصد أن خاتم النبيين ربما يفهم منه أو يأخذ عنه معنى: المصدق للأنبياء السابقين".



والمستشرق ونزبورو John Edward Wansbrough المتوفى في سنة ٢٠٠٢م أمريكي قام بالتدريس في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن (SOAS)، ويرجع الفضل إليه في تأسيس ما يسمى بالمدرسة "التحريفية" للدراسات الإسلامية، عن طريق نقده الأساسي للمصداقية التاريخية للروايات الإسلامية الكلاسيكية فيما يتعلق ببدايات الإسلام، ومحاولته تطوير نسخة بديلة أكثر مصداقية - طبعاً من وجهة نظره - تاريخياً لبدايات الإسلام. وقال: إن القرآن قد كتب وجمع - على الأكثر - من عام ٢٠٠ هجرية، فالقرآن - بحسب قول ونزبورو - لم يكن مكتوباً في القرن الأول الهجري في العراق العباسي. أكمل دراسته في جامعة هارفارد، وقضى بقية حياته الأكاديمية في SOAS، جامعة لندن. طلابه أندرو رابين، ونورمان كالدر، وجيرالد ر. هوتنغ، وباتريشيا كرونه، ومايكل كوك. كتب كتاباً معروفاً هو: (دراسات قرآنية Qura'inc Studies) توقف فيه على مسألة الخاتمية في صفحة ٦٤. فالبروفسور جون ونزبورو - في الواقع - أورد عدة أفكار مقتبسة من المستشرقين، لم يأت على ذكرها المستشرق فريدمان، وهي تعكس بشكل واضح أنه لا يمتلك معلومة توضيحية مباشرة عن تعبير خاتم النبیین؛ لذلك نراه يعتمد على المستشرق الألماني هيرشفيلد من جهة التشكيك بالخاتمية، ومن جهة أخرى يتأثر بالمستشرق الألماني الآخر هوروفتزر، وهو يعيد ما اقتبسه من الأسفار اليهودية، وبالأخص سفر حجي وسفر إرميا. فقال على تلك الصفحة ٦٤: "إن الكتاب المقدس عند المسلمين قد استعمل اسمين لمحمد، الأول منهما اسمه أحمد، والثاني اسمه محمد، وجاء في الآية: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، وقد وقع ذلك في سياق تصوير وتشبيه مسياني أي مسيحي messianic بشكل واضح. والأهمية الأخروية لسورة ٣٣ أي سورة الأحزاب: ٤٠ جليّة ولا لبس فيها، والآية يمكن فهمها بكونها تشكل استثناءً للمبدأ الموثق والمصدق بأن نبيا سيكون مختاراً



من بين أمته. وهكذا، فإن محمداً لم يكن أباً لأحد، ولكن رسول الله وخاتم الأنبياء. وإن سورة ٣٣: ٤٠ تحتوي على واحد من أربع مرات يذكر في الكتاب المقدس ما يشير إلى اسم محمد، وهذا يوحى إلى جدل استثنائي محدد، وهذا الجدل لا يقتصر الأمر فيه على المبعوث، بل كذلك على هوية النبي العربي كامتناع فيه".

ويستمر ونزبورو في أطروحته الضعيفة المباني فيقول: "إن المقترح الثيولوجي الذي اقترحه جيفري Jeffery، يتوافق وينسجم مع التفسير الإسلامي التقليدي، وكذلك وثق في الأدب المانوي. فقط الاقتراح والعرض الأخير يعمل بطريقة جديرة للصفة الأخروية الغالبة للآية ٤٠ من سورة ٣٣ يقصد سورة الأحزاب وللآية ٦ من سورة ٦١ ويقصد سورة الصف والآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ حيث -وبشكل تصادفي وعرضي- إنه يسوع، وليس هو من سيأتي بعدي الذي يرمز له ويسمى مصدق". انتهى قول ونزبورو في ما له علاقة بخاتم النبيين.

وسنعرض إلى رؤيته التي اعتمد فيها على رأي جولدتسيهر في كتابه: (دراسات إسلامية Muslim Studies) المطبوع في لندن سنة ١٩٧١م، الجزء الثاني، الصفحة ١٠٣-١٠٤: "ناقش جولدتسيهر Goldziher بعض الأحاديث المتعلقة بابن النبي ﷺ (إبراهيم)، وعدّها أحاديث إنّما وضعت لكونها جزءاً من التيار المناهض للشيعة. والفكرة (أنها تكون جزءاً من التيار المعادي للشيعة) قد صممت من أجل تقويض فكرة الطابع الوراثي للمنزلة الروحية. ومع ذلك، يبدو أنه لا يوجد سبب حقيقي للنظر إلى حديث إبراهيم في سياق الجدل السني الشيعي، فالفكرة بأن إبراهيم كان سيصبح نبياً لو عاش لمدة كافية فقط هي فكرة مهمة؛ لأنها لا تعكس -على ما يبدو- إدراك العقيدة بنهائية نبوة محمد. وهكذا فإن الحديث يعكس إما المدة التي لم تتطور



فيها العقيدة بختم النبوة أو لم تكن قد تطورت بعد، أو إنه يعكس تفكير الناس الذين كانوا مستعدين لتجاهله حتى بعد أن أصبحت عقيدة راسخة. إن أحد الجوانب الأكثر روعة في هذه القضية هو النتيجة الناتجة عن تلاقي ختم النبوة مع فكرة أن النبوة قد تنتقل من الأب إلى الابن، فالفكرة بأن إبراهيم لو لم يمت -كما قيل لنا- فإن إمكانية أن يأتي نبي بعد محمد حالة لا يمكن استبعادها".

ويقول المستشرق فريدمان على صفحة ٢١٣ ما يمكننا ترجمته إلى الآتي: "بما أنه ليس لدينا أي مفتاح ذاتي يمكن اعتماده لحل واستنباط أو استخراج لغز معنى خاتم النبيين الواردة في الآية ٤٠ من سورة الأحزاب، فإن الإشكاليات التي واجهها العلماء ممّن حاول تفسيرها إنّما هي إشكاليات وصعوبات يمكن فهمها. وكذلك فإن هذا الكاتب يقصد نفسه يوهنان فريدمان أيضا ليس بوسعه أن يتحدث بثقة بأن هذه الصعوبات والإشكالات هي مرضية جدا لحل المضمون للمسألة المزمع حلها تحت البحث، فالمعنى لتعبير خاتم النبيين في سياقه القرآني الأصلي ما يزال موضع شك. فقد رأينا أن العبارة قد ترجمت وفسرت بطرق وأساليب مختلفة، واقترحت أو أوحيت إلى عوامل معينة بنفسها، تلك التي ربما قد أثرت في المتغيرات لتفسيرها. مع ذلك فإن الشكوك والأمور المجهولة تلك على الباحثين في التاريخ الإسلامي المبكر أن يتلمسوها grabble، وهي جليّة وواضحة في النقطة من الموضوع تحت البحث. وهذه الشكوك والأمور المجهولة في حالتنا هذه تتأيد بحقيقة أن حركة الردة تلك التي حدثت بعد وفاة محمد مباشرة -كما رأينا- لعلها أثّرت في مفهومية خاتم النبيين، يبدو أن المستشرق قد تأثر -في فهم الآية المباركة ومدلولاتها، وزمن نزولها، وأنها لا علاقة لها مباشرة بحركة الردة المفتعلة أصلا- برواية سيف بن عمر الأسدي الراوية غير الموثوق في رواياته، مع ذلك فإنه يعلق أهمية مركزية على أن حديث (خاتم النبيين) إنما هو من نتائج حروب الردة، وهو استنتاج لا يعدّ جوابا شافيا. عبد الجبار



ناجي، فالاعتبارات التي أعقبت ينبغي لذلك أن تعدّ مؤقتة tentative وغير قابلة للتحقق. مع ذلك فإن المرء قد يتجرأ ويغامر ليقول: إن دلالة (خاتم النبيين) في الآية ٤٠ من السورة رقم ٣٣ على "النبي الأخير" ليست مؤكدة بأي حال من الأحوال، وإن الأحاديث والروايات التفسيرية جعلتها أو أدت بها إلى الظهور. وإن الآية قد أصبحت مجسدا locus probans أو تحقيقاً لعقيدة نهائية النبوة، فإنها بالكاد أدت من مصداقية هذا التفسير. فالآية ٤٠ من سورة ٣٣ تهدف بشكل واضح إلى مدح النبي، وعندئذ يكون السؤال: (هل كان له أبناء أم لا؟) سؤالاً تافهاً. إنه من غير المحتمل أن تحمل فكرة النبي الأخير دلالات مفهومة -بسهولة- بأنها مدح لمعاصري محمد. فإذا ما فهم التعبير (خاتم النبيين) من البداية على أنه يعني النبي الأخير، يكون -إذن- من الصعوبة بمكان قبول الأحاديث التي لا تكاد تتسق وتنسجم معه في مؤلفات الصحاح الحديثية. أما بخصوص التفسيرين الآخرين المحتملين فينبغي لهذا السبب أن نأخذهما بنظر الاعتبار، فالفكرة بأن محمداً يصدق ويؤكد صحة الرسالات التي جاء بها الأنبياء السابقون لها من الأفضلية أن يتم تصديقها في القرآن، وهذا أيضاً يبدو أن يكون هو المعنى، إذ إن جذر ختم الذي استعمل في الآية المذكورة أعلاه منسوب إلى أمية بن أبي الصلت. "كان أمية بن أبي الصلت شاعراً يطوف بالبلاد كالشام واليمن والحجاز، وإن كان ثقفي الأب إلا أن أمه كانت من قريش، وتحديدًا من آل عبد شمس بن عبد مناف، أبناء عمومة بني هاشم، وكان خلال ارتحاله في بلاد الشام التي غلبت عليها المسيحية، يختلف إلى الرهبان ويدي ولعاً بسماع حكايا الكتاب المقدس، خاصة تلك التي تنبئ بمبعث نبي رسول يكون "خاتم المرسلين" وآخر الأنبياء، تمهيداً لنهاية الزمان. ولما كانت تلك النبوءات تصف ذلك النبي المنتظر أنه من بلاد العرب، وأنه من بلد فيه بيت مقدس يحجّ إليه العرب، وكانت بالطائف كعبة الرب "اللات" التي يحج لها المتعبدون، فقد شطح أمية بطموحه، فرجا أن يكون هو المقصود بالنبوة، فخلع عبادة الأصنام

وارتدى مسوح الرهبان، وراح يتربص الأحداث؛ علّ أمله يتحقق. ويوماً بعد يوم راح هذا الأمل يتصاعد في أعماقه، حتى أنه كان يحدث نساء قومه ثقيف بخبر ذلك النبي. ولم يكتف أمية بن أبي الصلت بانتظار مبعث النبي ﷺ، بل عاش على أمل أن يكون هو ذلك النبي، وأنه هو من سيصبح خاتم الأنبياء والمرسلين^(٤٦).

ويقول المستشرق أيضاً: "قديّن جولدتسيهر Goldziher أن الخاتم يستعمل بمعنى الأحسن والأفضل في كثير من الأحيان. ولقد رأينا أن أدب الحديث والتفسير احتفظا ببعض المعلومات والإشارات إلى هذا التفسير، وأن هذه الإشارات والمعلومات - في الحقيقة - هي قليلة ومتباعدة بعضها عن بعضها الآخر؛ ولذلك لا ينبغي عدّها مؤشراً يؤشر إلى ندرتها في السابق؛ ولا يؤشر إلى عدم مقبوليتها. وعلى العكس، فإن بقاءها - على الرغم من الضغط العقدي - للقضاء على الأفكار المنشقة وغير المتطابقة، وهي التي تثبت وتظهر استمراريتها وحيويتها وتداولها وانتشارها".

وقبل أن نختم مناقشتنا لبحث البروفسور المستشرق فريدمان -الذي قدمت ترجمة كاملة لبحثه هذا للنشر في إحدى المجلات العلمية العربية- لا بدّ من بيان الرؤية الواقعية بالتحديد من دراسته القيمة والمتشعبة هذه. وحقيقة فإنه قد لخص بحثه والمطالب التي يهدف إليها على صفحة ٢١٢ من بحثه فيقول ما نصّه: "كما رأينا في أعلاه فالحديث الذي استمد منه فكرة أن محمداً كان النبي الأخير هو من القرآن من سورة ٣٣ يقصد سورة الأحزاب المباركة الآية ٤٠. ومع ذلك، فإن المعنى الأساسي لعبارة خاتم النبيين في تلك الآية غير مؤكدة تماماً أو على الإطلاق وهي وجهة نظر غير واقعية؛ لأن المستشرق فريدمان قد أدلى بكثير من المعطيات التي تشير إلى صحة الآية المباركة، وإلى وضوح فهمها لغويا وقرآنيا وعقدياً، فأين يا ترى تكمن الصعوبة في إدراك أن رسول الله ﷺ هو خاتم النبيين؟! . عبد الجبار ناجي. وفوق ذلك، فإن التسلسل المنطقي بين



إنكار أبوة محمد، وكونه خاتم النبيين لا يمكن فهمه بسهولة ويسر". هاهنا أيضاً يعارض المستشرق نفسه بنفسه، وليقرأ موقفه نفسه من آراء هيرشفيلد وجون ونزبورو التي أوردناها قبل أسطر قليلة، والتي يعارض فيها القول إن الآية الكريمة غامضة.

والمستشرق يواصل ملخص بحثه وتحديد ما تبين له من ذلك، فيرجع ليقول على صفحة ٢١٥ من بحثه ما نصّ ترجمته: "لقد رأينا في سياق هذه الدراسة أن المجموعات الحديثية الأولى والمبكرة تحتوي على عدد من الأقوال التي تتضارب، أو التي هي غير مدركة unaware of لعقيدة نهاية نبوة محمد. كذلك فقد رأينا الأسلوب والطريقة التي قد جرى فيها تغيير هذه الأقوال وتحويرها وتعديلها، أو تفسيرها وشرحها باتجاه آخر، أو تلفظها ونطقها بشكل منحول وزائف. وأن بعضاً منها قد اختلفت تدريجياً من أدب الحديث، الأمر الذي يجب أن يتماشى مع بنود العقيدة المتلقاة أو الواردة received articles of faith. فالأحاديث المتعلقة بالمكانة الروحية تلك التي كان من الممكن أن يبلغها أو يصلها إبراهيم إذا ما بلغ سن الرشد هي مثال على ذلك. ونحن هنا نشهد مثلاً رائعاً وموثقاً توثيقاً جيداً للتفاعل بين تطور العقيدة الإسلامية والحديث والتفسير. ما نريد بيانه في هذه الخلاصة الواضحة للمستشرق فريدمان عن بحثه "خاتم النبيين" أنه بنى جميع معطياته واستنتاجاته على ما ورد في الأحاديث والروايات السنّة، وقد أبدع في ذلك. ولكن بخصوص الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ ينبغي عليه أن يغطيها عند الشيعة والسنة أيضاً، لماذا؟ لأن المصادر الشيعية لا تذكر المضامين والعبارات الصادرة عن النبي ﷺ بشأن نبوة ابنه إبراهيم عليه السلام؛ فالمؤلفات الشيعية الموثوقة تتحدث عن ولادة ابن رسول الله ووفاته على النمط الآتي:



١- فأبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (المتوفى ٣٢٨هـ) يقول في كتابه فروع الكافي: "عن العدة، عن سهل، عن البزنطي، عن حماد بن عثمان، عن عامر بن عبد الله قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان على قبر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ عذق يظله من الشمس، يدور حيث دارت الشمس، فلما يبس العذق درس القبر فلم يعلم مكانه" (٤٧).

٢- والشيخ محمد بن علي بن حسين بن موسى بن بابويه القمي (٣٠٥-٣٨١ق) المعروف بالشيخ الصدوق في كتابه: (علل الشرائع)، ص ٥٥ ينقل عن علي بن حاتم القزويني، عن القاسم بن محمد، عن "حمدان بن الحسين، عن الحسين بن الوليد، عن عبد الله بن حماد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: لأي علة لم يبق لرسول الله ﷺ ولد؟ قال: لأن الله عز وجل خلق محمدا ﷺ نبيا، وعليه ﷺ وصيا، فلو كان لرسول الله ﷺ ولد من بعده كان أولى برسول الله ﷺ من أمير المؤمنين، فكانت لا تثبت وصية أمير المؤمنين".

٣- وفي كتابه الآخر الخصال يقول: "فيما احتج به أمير المؤمنين عليه السلام على أهل الشورى قال: نشدتكم بالله هل علمتم أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ: إن إبراهيم ليس منك وإنه ابن فلان القبطي، قال: يا علي اذهب فاقتله، فقلت: يا رسول الله ﷺ إذا بعثني أكون كالمسمار المحمى في الوبر أو أثبتت؟ قال: لا بل تثبت، فذهبت فلما نظر إلي استند إلى حائط فطرح نفسه فيه فطرح نفسي على أثره، فصعد على نخل وصعدت خلفه، فلما رأيته قد صعدت رمى بإزاره فإذا ليس له شيء مما يكون للرجال، فجئت فأخبرت رسول الله ﷺ فقال: الحمد لله الذي صرف عنا سوء أهل البيت؟ فقالوا: اللهم لا، فقال: اللهم اشهد" (٤٨).

٤- وفي كتاب الغرر للسيد علي بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام (٣٥٥-٤٣٦هـ) يذكر أنه "روى محمد ابن الحنفية عن أبيه عليه السلام قال: كان

قد كثر على مارية القبطية أم إبراهيم الكلام في ابن عم لها قبطي كان يزورها ويختلف إليها، فقال لي النبي ﷺ: خذ هذا السيف وانطلق فإن وجدته عندها فاقتله، قلت: يا رسول الله أكون في أمر كالسكة المحممة أمضي لما أمرتني، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال لي النبي ﷺ: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فأقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف، فلما أقبلت نحوه عرف أنني أريده، فأتى نخلة فرقى إليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشجر برجليه، فإذا إنه أجب أمسح ماله مما للرجل قليل ولا كثير، قال: فغمدت السيف ورجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته، فقال: الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت".

٥- وفي كتاب أمالي الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هجرية ورد الخبر بما نصّه: "عدد أولاد النبي ﷺ وأحوالهم، (وفيه بعض أحوال أم إبراهيم): أخبرنا ابن مخلد، عن ابن السماك، عن أحمد بن بشر، عن موسى بن محمد بن حنان، عن إبراهيم بن أبي العزيز، عن عثمان بن أبي الكنت، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: لما مات إبراهيم، بكى النبي ﷺ حتى جرت دموعه على لحيته، فقليل له: يا رسول الله تنهى عن البكاء وأنت تبكي؟! فقال: ليس هذا بكاء، إنما هذا رحمة، ومن لا يرحم لا يرحم" ص ٢٤٧.

٦- وابن شهر آشوب يروي في كتابه: "مناقب آل أبي طالب"، وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني (٤٨٨ - ٥٨٨ هـ)، إذ يقول: "تفسير النقاش بإسناده عن سفيان الثوري، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس قال: كنت عند النبي ﷺ وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي، وهو تارة يقبل هذا، وتارة يقبل هذا، إذ هبط جبرئيل بوحي من رب العالمين، فلما سري عنه قال: أتاني جبرئيل من ربي فقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: لست أجمعهما فافد أحدهما بصاحبه، فنظر النبي ﷺ إلى إبراهيم فبكى، ونظر إلى الحسين فبكى، وقال: إن إبراهيم أمه أمة، ومتى مات لم يحزن عليه غيري،

وأم الحسين فاطمة، وأبوه علي ابن عمي لحمي ودمي، ومتى مات حزنت ابنتي، وحزن ابن عمي، وحزنت أنا عليه، وأنا أؤثر حزني على حزنهما، يا جبرئيل يقبض إبراهيم فديته للحسين، قال: فقبض بعد ثلاث، فكان النبي ﷺ إذا رأى الحسين مقبلاً قبله وضمه إلى صدره ورشف ثناياه وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم" (٤٩).

فهذه الأقوال جميعها تفتقر إلى المضامين التي تحدثت بها الأحاديث الواردة في مؤلفات أهل السنة؛ ولذلك فإن مدى موثوقيتها أمر مشكوك فيه، وإن روايتها -بطبيعة الحال- تقود إلى التضعيف في الخاتمية الرسالية لنبينا ﷺ. وكان من المفروض على المستشرق الذي اتّبع منهجاً علمياً في بحثه أن يعتمد رؤية أهل البيت (عليهم السلام)، لا أن يهملها تماماً، بينما هو نفسه قد وقف في صفحة ١٩٠ من البحث على تشديد الشيعة في مسألة الإمامة على أن يكون الإمام منحدرًا من صلب فاطمة الزهراء (عليها السلام).

وهناك نقطة أخرى تتعلق بالبحث، فالمستشرقون اليهود يسلّطون الضوء في كل مناسبة من تاريخ السيرة النبوية المطهرة على النبي موسى (عليه السلام)، والمستشرق فريدمان لم يشذ عن هذه الإشكالية أيضاً، فنراه على صفحة ١٩٧-١٩٨ يتحدث قائلاً: "إن ظهور المطالبين بالنبوة بعد قيام الإسلام يعدّ الخلفية التي ينبغي على المرء أن يفسر على أساسها الحديث بشأن "الثلاثين كاذباً". ومن المنطقي أن الادعاءات النبوية - بشكل خاص - في زمن الردة كانت بمثابة قوة دافعة لتطوير عقيدة خاتم النبوة (قيد المناقشة). فكانت بخاتم النبوة عنصراً أساسياً في سعي المسلمين لتقويض شرعية أي ادعاء نبوي. إن استعمال مثل هذا الاعتقاد كدرع يحمي النظام الديني الراسخ ليس ظاهرة فريدة في تاريخ الديانات، ويمكن أن يُعزى الغرض نفسه إلى العقيدة بانقطاع النبوة وتوقفها في الرواية اليهودية. فقد أوضح البروفيسور أورباخ Urbach أنه على الرغم من كون النبوة قد فقدت كثيراً من أهميتها خلال حقبة الهيكل الثاني Second Temple، إلا أن تعبيرها أو صوتها كان ما يزال مسموعاً، ولم تكن إشكالية

توقفها أو انقطاعها مسألة قائمة في ذلك الوقت. فقط عند ظهور المسيحية بدأ حكماء اليهود يجادلون بأن النبوة قد توقفت بالفعل مع تدمير الهيكل الأول First Temple، وبسبب ذلك فإنه من الخطأ الاعتقاد بنبوة يسوع أو حتى رسله.

إن كلا من الإسلام واليهودية قد استثمر العقيدة (قيد المناقشة) كأداة جاهدوا بها وناضلوا بها للرفض، وعدم منح الشرعية لأولئك المدعين النبوة غير المقبولين بالنسبة إليهم. ومهما يكن فهناك اختلاف جوهري بين التقليدين في هذا الصدد؛ إذ إن عقيدة خاتم النبوة قد تطورت بعد تأسيس الدين بمدة وجيزة. أما في حالة نظيرتها اليهودية - من ناحية أخرى - فلم تظهر إلى الوجود إلا بعد اكتمال مجموعة الكتاب المقدس Biblical corpus التي شكلت فيها كتب الأنبياء جزءاً مهماً منها. وليس هنالك من تناقض بين الظهور المتكرر للأنبياء من جانب، والقانون الموحى غير القابل للتغيير من جانب آخر. كانت مهمات الأنبياء في التقليد التوراتي أو في الرواية التوراتية Biblical tradition مختلفة، فقد أسس موسى الأمة أو المجتمع وأبلغ أعضائها بالشرعية أو القانون الإلهي. بينما جاهد وسعى الأنبياء اللاحقون إلى دعم هذه الشريعة وأرشدوا وأوصوا المجتمع إلى طرق البر والصلاح والورع والعدل. بينما كانت هناك بعض الاختلافات في الرأي حول ما إذا كان الأنبياء بعد موسى يتلقون الوحي، ذلك الذي يمكنهم ويمنحهم الفرصة من أجل تعديل نقاط الشريعة أو أن يضيفوا شرائع غير مدرجة في أسفار موسى الخمسة، فإن معظم الحكماء يؤمنون ويعتقدون أن "الأنبياء (بعد موسى) لم يكن مسموحاً لهم بالابتكار والابتداع"؛ وحتى أولئك الذين اعتقدوا وآمنوا بأن الأنبياء قد يدخلون تعديلات وتغييرات طفيفة على الشريعة، فإنهم لا يعتقدون ولا يعتبرون أن أنشطتهم وفعاليتهم تقوض وتشوه شرعية الشريعة والناموس الموسوي، أو تشكك وترتاب بالأولوية والأسبقية لموسى بين الأنبياء. والميزة الواضحة بين النبوة التشريعية لموسى والمهام النبوية لخلفائه في



المهمة النبوية والمنصب النبوي خول ومكن الرواية والتقليد اليهودي قبول النبوة بوصفها وسيلة شرعية لتوصيل الإرادة الإلهية للإنسان، من دون مخالفة وانتهاك حرمة ثبوتية الشريعة والقانون الإلهي، أو تعريض المجتمع لخطر التفكك الذي أقيم وأسس من أجل أن يتحقق. وما يستحق ذكره أن الحديث الإسلامي والرواية الإسلامية مدرك التمييز بين النبوة التشريعية، وتلك غير التشريعية".

وهناك مستشرق مشكك آخر وهو ويلفريد مادولنك Wilferd Madelung المستشرق الألماني الأصل الأمريكي الجنسية المعاصر، أستاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد من ١٩٧٨م إلى ١٩٩٨م. وقد كتب كثيرًا عن التاريخ المبكر للإسلام، وكذلك عن الطوائف الإسلامية مثل الشيعة والإسماعيليين، كما كتب مقالات في المجلات الأكاديمية ومحاضرات عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وعن التشيع وكتب عن الإباضية. وعمل في مجالس تحرير عدد من المجلات الأكاديمية، بما في ذلك مجلة الدراسات العربية والإسلامية، وهو حاليًا زميل باحث أول في معهد الدراسات الإسماعيلية.

فالمستشرق مادولنك في دراسته: A Study The Succession to Muhammad A Study of the Early Caliphate عن خلفاء محمد: دراسة في مدة الخلافة في مراحلها الأولى، قد قبل برؤية فريدمان، وأقصد النتيجة التي توصل إليها بخصوص تعبير خاتم النبیین، وأن معناه الأصلي غير مؤكد؛ لذلك فإنه يقول في دراسته عن (خلفاء محمد: دراسة عن الخلافة في مراحلها الأولى) وعلى صفحة ١٧ من المقدمة: "إن القرآن -بالتأكيد- لا يعكس بالكامل آراء محمد بخصوص الرجال والنساء المحيطين به، وكذلك عن موقفه تجاههم. ومع ذلك، فإنه لم يكن بإمكانه رؤية خلافته لمن يعقبه بشكل أساسي إلا في ضوء قصص القرآن عن خلافة الأنبياء السابقين، تمامًا كما رأى دعوته بوصفه نبيًا، ومناهضة قومه ومقاومتهم تلك التي جابهها منهم، ونجاحه في



آخر المطاف بنعمة الله في ضوء تجربة الأنبياء السابقين كما هو مذكور في القرآن. وقد عدّ هؤلاء الأنبياء السابقون هذا الأمر أسمى نعمة إلهية لأن يخلفهم ذريتهم أو أقرباؤهم، أولئك الذين من أجلهم ناشدوا ربهم والتمسوه. وقد جادل المدافعون السّنة المعاصرون ضد هذا على أساس القرآن وفي سورة الأحزاب (الثالثة الثلاثين) الآية رقم ٤٠ التي تصف محمدا بخاتم النبيين". ويستمر المستشرق مادولنك في بنائه لمسألة خاتم الأنبياء فيقول: "إنهم يؤكدون بالدليل على أن محمداً -بصفته آخر الأنبياء- لذلك فإنه لم يكن يخلفه أي فرد من عائلته بحسب إرادة الله. ومن أجل أن يكشف الله عن هذا التخطيط والإرادة، فإن الله أيضاً جعل كل أبناء محمد يموتون في طفولتهم. وللسبب نفسه فإن محمداً لم ينصب ولم يعين خلفاً؛ نظراً لأنه كان يرغب في ترك أمر الخلافة ليتم حسمها من قبل المجتمع الإسلامي على أساس المبدأ القرآني الشورى". ثم يردف المستشرق قائلاً: "ومهما يكن من أمر فإن الجدل قائم حول التفسير الواسع والخيالي أو التعبير الغريب، تعبير "خاتم النبيين"، وهو جدل يستند إلى حديث؛ إذ استناداً إلى روايات منسوبة إلى عدد من الصحابة فإن ابن محمد إبراهيم لم يبق حيّاً؛ لأنه لو بقي حيّاً فإنه سيكون نبياً، كما ذكر جولدتسيهر وفريدمان، لأنه حتى وإن قبل معناه في القرآن على أنه "آخر الأنبياء"، وهو بحدّ ذاته ليس مؤكداً تماماً كما يرى ويشكك أيضاً فريدمان وسترومسا، وليس هنالك من سبب وليس هناك من داع يدعو بأن تكون الآية تعني أن محمداً الزعيم الروحي والديني للمجتمع الإسلامي، إلى جانب نبوته، ولا ينبغي أن يخلفه ويعقبه أحد من أهله. ففي القرآن، هناك نسل الأنبياء وأقاربهم هم الذين ورثوهم أيضاً بما يتعلق بالملك، والحكم، والحكمة، والكتاب، والإمامة. إن المفهوم السني للخلافة الحقيقية نفسها يعرفها بأنها خلافة النبي في كل ما عدا نبوته. لماذا يجب أن لا يخلفه أحد من أهله مثل الأنبياء السابقين؟ إذا أراد الله حقاً أن يشير إلى أنه لا ينبغي أن يخلفه أي منهم، فلماذا لم يترك



أحفاده وأقاربه يموتون مثل أبنائه؟ وهكذا هناك سبب وجيه للشك في أن محمدا فشل في تعيين خليفة له لأنه أدرك أن التخطيط والإرادة الإلهية تستبعد الخلافة الوراثية لعائلته وأنه يريد أن يختار المسلمون زعيمهم عن طريق الشورى".

أقول: إن هذا الرأي الاستشراقي مبني على رأي المخالفين فقط، وقد سبق لي أن ناقشت البروفسور مادولنك عن هذا الموضوع في كتابي: "شيعة العراق"، وبينت أن المستشرق لا يعتمد إلا على المؤلفات السنية من كتب الصحاح والتاريخ، كالبخاري والطبري. وأسدل ستار تفكيره نهائيا عن المؤلفات الشيعية في التاريخ والتفسير؛ وإلا كيف له أن يدلي بهذا الرأي معتقدا أن رسول الله ﷺ الذي ناضل مع أهل بيته في مرحلة التنزيل، يترك المجتمع الإسلامي من دون قيادة؟! كيف تصور هذا؟! ثم ما بال المستشرق يتغاضى بالمرة عن ما حدث في بيعة الغدير التي لم يقف عليها الطبري، والخطبة التي خطبها رسول الله ﷺ في البيعة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟! وقد بين تفصيلها ما جاء في كتاب السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس في الجزء الثاني من كتابه: (الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة بالسنة)، الذي اعتمد على صاحب مصنف كتاب الخالص، المسمى بكتاب (النشر والطّي) من صفحة ٢٤١ إلى صفحة ٢٤٨، وقد روى صاحب النشر والطّي ذلك عن الإمام الرضا (عليه السلام). ووصف صاحب النشر والطّي ما جاء في خطبة الغدير، وما فيها من المعلومات التي لم ترد في مصادر شيعية أخرى، فقال ما نصّه:

"قال صاحب كتاب النشر والطّي في تمام حديثه ما هذا لفظه: فهبط جبرئيل فقال: **اقْرَأْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**»، وقد بلغنا غدير خم في وقت لو طرح اللحم فيه على الأرض لانشوى، وانتهى إلينا رسول الله فنادى: الصلاة جامعة، ولقد كان أمر علي (عليه السلام) أعظم عند الله ممّا يقدر، فدعا المقداد وسلمان وأبا ذر وعمار، فأمرهم أن يعمدوا إلى أصل



شجرتين فيقمّوا ما تحتهما فكسحوه، وأمرهم أن يضعوا الحجارة بعضها على بعض كقامة رسول الله ﷺ، وأمر بثوب فطرح عليه، ثم صعد النبي ﷺ المنبر ينظر يمنة ويسرة ينتظر اجتماع الناس إليه. فلما اجتمعوا فقال: الحمد لله الذي علا في توّحّده ودنا في تفرّده، إلى أن قال: أقرّ له على نفسي بالعبوديّة وأشهد له بالربوبيّة وأؤدّي ما أوحى إليّ، حذار إن لم أفعل أن تحلّ بي قارعة، أوحى إليّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. معاشر النَّاس ما قصّرت في تبليغ ما أنزله الله تبارك وتعالى، وأنا أبين لكم سبب هذه الآية، إنّ جبرئيل هبط إليّ مرارا أمرني عن السلام أن أقول في المشهد وأعلم الأبيض والأسود، أنّ علي بن أبي طالب أخي وخليفتي والإمام بعدي. أيّها النَّاس علمي بالمنافقين -الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونهم هيّنا وهو عند الله عظيم، وكثرة أذاهم لي مرّة سمّوني أذنا لكثرة ملازمته إيّاي وإقبالي عليه، حتّى أنزل الله: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ - محيط، ولو شئت أن أسمي القائلين بأسمائهم لسمّيت. واعلموا أنّ الله قد نصبه لكم وليّا وإماما، مفترضا طاعته على المهاجرين والأنصار وعلى التّابعين وعلى البادي والحاضر، وعلى العجمي والعربي، وعلى الحرّ والمملوك، وعلى الكبير والصغير، وعلى الأبيض والأسود، وعلى كلّ موحد، فهو ماض حكمه، جائز قوله، نافذ أمره، ملعون من خالفه ومرحوم من صدّقه. معاشر النَّاس تدبّروا القرآن وافهموا آياته ومحكماته ولا تتّبّعوا متشابهه فوالله لا يوضح تفسيره إلّا الذي أنا آخذ بيده ورافعها بيدي، ومعلّمكم أن من كنت مولاه فهو مولاه، وهو عليّ. معاشر النَّاس إنّ عليّا والطّيّبين من ولدي من صلبه هم الثقل الأصغر والقرآن الثقل الأكبر، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ولا يحلّ إمرة المؤمنين لأحد بعدي غيره. ثم ضرب بيده على عضده، فرفعه على درجة دون مقامه متيامنا عن وجه رسول الله ﷺ، فرفعه بيده وقال: أيّها النَّاس من أولى بكم من



أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله، فقال: ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، إنّما أكمل الله لكم دينكم بولايته وإمامته، وما نزلت آية خاطب الله بها المؤمنين إلّا بدأ به، ولا شهد الله بالجنة في (هل أتى) إلّا له، ولا أنزلها في غيره، ذرية كلّ نبيّ من صلبه وذريّتي من صلب علي، لا يبعض عليّاً إلّا شقيّ ولا يوالي عليّاً إلّا تقى، وفي عليّ نزلت ﴿وَالْعَصْرِ﴾، وتفسيرها: وربّ عصر القيامة، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ أعداء آل محمد، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بولايته، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بمواساة إخوانهم، ﴿وَتَوَاصَوْا الصَّبْرَ﴾ في غيبة غائبهم. معاشر النّاس آمنوا بالله ورسوله والنّور الذي أنزل، أنزل الله النور فيّ، ثمّ في عليّ، ثمّ النّسل منه إلى المهدي، الذي يأخذ بحق الله، معاشر النّاس إنّني رسول الله قد خلت من قبلي الرسل، ألا إنّ عليّاً الموصوف بالصّبر والشّكر ثمّ من بعده من ولده من صلبه. معاشر النّاس قد ضلّ من قبلكم أكثر الأوّلين، أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم أن تسلكوا الهدى إليه، ثمّ عليّ من بعدي، ثمّ ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحقّ، إنّني قد بينت لكم وفهّمتمكم، هذا عليّ يفهمكم بعدي، ألا وإنّني عند انقطاع خطبتي أدعوكم إلى مصافحتي على بيعته والإقرار له بولايته، ألا إنّني بايعت لله وعلى بايع لي، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِهُ اللَّهُ فَمَا لِي بِالْبَيْعَةِ أَجْراً عَظِيماً﴾. معاشر النّاس أنتم أكثر من أن تصافحوني بكفّ واحدة قد أمرني الله أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدتم الإمرة لعلي بن أبي طالب، ومن جاء من بعده من الأئمة منّي منه، على ما أعلمتكم أنّ ذريّتي من صلبه فليبلغ الحاضر الغائب، فقولوا: سامعين مطيعين راضين لما بلّغت عن ربّك، نبايعك على ذلك بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا، على ذلك نحيا ونموت ونبعث، لا نغيّر ولا نبذل ولا نشكّ ولا نرتاب، أعطينا بذلك الله وإيّاك، وعليّاً والحسن والحسين والأئمة الذين ذكرت، كلّ عهد وميثاق من قلوبنا وألسنتنا، ونحن لا نبتغي بذلك بدلا



ونحن نؤدّي ذلك إلى كلّ من رأينا. فبادر النَّاس بنعم نعم، سمعنا وأطعنا أمر الله وأمر رسوله آمنا به بقلوبنا وتداكّوا على رسول الله وعلي عليهما السلام بأيديهم، إلى أن صلّيت الظّهر والعصر في وقت واحد، وباقي ذلك اليوم إلى أن صلّيت العشاءان في وقت واحد ورسول ﷺ يقول كلّما أتى فوج: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى الْعَالَمِينَ). فلو أن المستشرق مادولنك قد قرأ خطبة الغدير قراءة عادلة غير محابية وغير متشنجة، وواقعا ينبغي له أن يقرأها في المصادر الشيعية، ولا يعتمد على رواية الطبري وغيره من المخالفين، لما وصل إلى تلك الاستنتاجات والنتائج غير الصحيحة، إن كان من المستشرقين المنصفين. عبد الجبار ناجي^(٥٠).

كذلك يمكننا أن نشير إلى مستشرق مشكك آخر وهو المستشرق الأمريكي ديفيد س. باورز David S. Powers ؛ وهو من مواليد كليفلاند أوهايو Cleveland، Ohio حصل على درجة الدكتوراه من جامعة برينستون Princeton عام ١٩٧٩، وبدأ التدريس في جامعة كورنيل في العام نفسه. يشغل حاليًا مناصب عدة: فهو أستاذ في قسم الشرق الأدنى، وأستاذ مساعد في كلية الحقوق في كورنيل Cornell، ومدير برنامج دراسات القرون الوسطى. تتضمن دوراته: الحضارة الإسلامية، والتاريخ والشريعة الإسلامية، والنصوص العربية الفصحى، وتركز أبحاثه على نشأة الإسلام والتاريخ الشرعي الإسلامي. محرر ومؤسس لمجلة الشريعة الإسلامية والمجتمع. وله مؤلفات عدة: من بين أهمها في ما يتعلق بموضوع الخاتمية كتابه الموسوم بـ: (محمد ليس أبا لأحد من رجالكم: صنع النبي الأخير)، وما يبدو واضحا جدا أن المستشرق قد نصّ في عنوان كتابه على أن يكون بالتحديد عن مضامين الآية الكريمة من سورة الأحزاب، تلك التي جعلها هي العنوان الأساس لكتابه: محمد ليس أبا لأي من رجالكم، إذ يتحدث فيه عن تأكيد الإسلام أن محمدا ﷺ كان النبي الأخير في سلسلة الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى للبشرية من أجل تسهيل نعمة خلاص

الإنسان. وعنوان الكتاب: "محمد ليس أبا لأحد من رجالكم: صنع النبي الأخير"^(٥١).
Muhammad is Not the Father of any of Your Men: The Making of
the Last Prophet, University of Pennsylvania Press, 2009 ,P.80.

فالمستشرق يعرض الهدف من الكتاب بقوله: "في كتاب محمد ليس أبا لأي من رجالكم، أحاول أن أسلط الضوء على ظهور هذه العقيدة اللاهوتية ويقصد الدينية الرئيسة، ومن أجل أن أظهر كيف جرى بناء قاعدة الرواية الإسلامية؛ وذلك بغية تأكيد وحدته وكماله. وعلى وجه التحديد، فإنني أركز على التداخل بين التوكيد الديني اللاهوتي من جهة، والذاكرة الجمعية للمجتمع الإسلامي المبكر، والمؤسسات الشرعية الرئيسة، والنص القرآني من الجهة الأخرى". وبعد هذا التوضيح لهدفه الأساس من كتابه يعرج على موضوع الخاتمية فيقول: "إن محمداً ليس أبا لأحد من رجالكم، إنه -بحسب التأكيد الإسلامي- كان النبي الأخير في سلسلة الأنبياء. وهذا التوكيد قد ذكر لمرة واحدة في القرآن في الآية رقم ٤٠ وفي الفصل chapter وهو هاهنا يقصد السورة الأحزاب وقد ترجم الأحزاب بالكلمة الإنجليزية Confederates وهي تعني باللغة العربية الحلفاء أو التحالفات. عبد الجبار ناجي".

يقول: "إن الآية هاهنا تخاطب جمهوراً غير محدد، وإن صيغة الصوت الذي أعلن في نص الآية هو ﴿محمد ليس أبا لأحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾. بعد ذلك مباشرة ينتقل إلى فقرة جديدة فيقول: إن معنى عبارة "خاتم الأنبياء" (في العربية خاتم النبيين) مبهم وملتبس وذو معنيين الكلمة التي عبّر عنها هي equivocal أي: مشكوك فيها وغير قابلة للتحديد، إلى أن قال المستشرق باورز: "بعض المسلمين الأوائل فهموا هذه العبارة على أنها تدل على أن محمداً قد أكد وصدّق فيها بالوحي الذي أنزل سابقاً على موسى والمسيح، بينما فهمها آخرون على أنها إشارة ودلالة على أن محمداً قد أنهى وختم مهمة office النبوة، أي ما يمكن قوله: إنه كان النبي الأخير".

وبحلول نهاية القرن الأول الهجري، ساد الفهم الأخير، ألا وهو تأكيد أن النبوة تنتهي بمحمد، وهو أمر أساسي للدعاء بأن الإسلام في هذه الحالة يحل محل اليهودية والمسيحية. فالمفهومية الأخيرة هي التي أصبحت العقيدة السائدة. وتأكيد خاتمية النبوة بمحمد يعدّ المظهر المركزي والرئيس للدعاء بأن الإسلام نسخ أو حل محل supersede اليهودية والمسيحية. ومن المفهوم أن هذه العقيدة يعدّها علماء المسلمين أمراً مفروغاً منه وصحيحة. والأقل مفهومية هو الإهمال العام لهذه العقيدة من قبل طلبة الإسلام".

أقول: إن حديث المستشرق باورز عن موضوع الخاتمية في الرسالة الإسلامية ينتهي بتلك الملاحظات التي قد ترجمتها في أعلاه، تلك التي تركزت على رؤية المستشرق بأن تعبير خاتم النبيين هو تعبير مبهم، وهو يشير إلى أن بعض العلماء فهموا التعبير على كونه تأكيد رسول الله ﷺ وتصديقه للوحي الذي أنزل على الأنبياء السابقين، النبي موسى وعيسى على وجه الخصوص، وهي رؤية لا تتفق ومنطوق الآية الكريمة ومضمونها، ولكن رؤيته الثانية هي التي وصفها بأنها الفهم السائد في الإسلام.

لكن المستشرق باورز استمر في إثارته الشكوك بخصوص الآية الكريمة، وبالأخص عندما يسلط الضوء على الصحابي مولى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وزوجته زينب بنت جحش التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد أن طلقها الصحابي زيد. فعالج هذا الموضوع معالجة كأنها بمثابة دس السم في العسل؛ ولذلك علينا أن نفق على ادّعاءاته وتخرصاته؛ وواقعاً فإن المستشرق اليهودي أوري روبين Uri Rubin في دراسته التي سنقف عليها في أدناه قد وقف معارضا لمزاعم ديفيد باورز؛ إذ يقول مانصّ ترجمته: "ففي دراسة حديثة عن الموضوع لديفيد باورز قد أعيد فتح المناقشة للآية القرآنية التي تضمنت القول: "محمد ليس والدا ل أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين" (سورة ٣٣ ويقصد سورة الأحزاب الآية ٤٠).



فالفكرة الأساسية لباورز هي أن النصّ القرآني الذي أمامنا قد خضع لعملية ثانوية من الحذف والإضافات قد جرى إعدادها لتكييف القرآن إلى عقيدة الخاتمية النبوية. وهذا من وجهة نظر باورز Powers، يمثل عقيدة متأخرة نسبياً، تلك التي لم يكن تأثيرها في البنية النصّية القرآنية فحسب، إنّما أثّرت أيضاً في أصول مختلف الروايات والأحاديث عن زيد بن حارثة، ابن محمد بالتبني. ويدافع باورز Powers بأن وجود زيد نفسه يقف في تناقض حاد مع عقيدة ما بعد القرآن بأن محمداً كان النبي الأخير، وبالتالي فقد كان من الضروري النشر والتعميم للأحاديث التي تسرد حكاية موت زيد في المعركة، وهكذا يموت قبل محمد. فلقد أعدّ تحليل باورز Powers في السورة ٣٣ الآية ٤٠ للدفاع ودعم مجموعة كاملة من الأفكار، تلك التي تشمل عدة آيات قرآنية أخرى، بما في ذلك آيات الكلاله الواردة في سورة ٤ الآية ١٢ والسورة نفسها الآية ١٧٦، (يقصد سورة النساء الآية ١٢ التي يقول فيها الله عزّ من قائل):

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنَ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾، والآية ١٧٦ التي قال الله تعالى فيها: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكِلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. عبد الجبار ناجي .

ويقف المستشرق رويين على رأي باورز - في المسألة نفسها - في خلاصته فيقول: وخلاصة ما ينبغي علينا قوله أن كتابه وإن كان يحمل مضمون الآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ



مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١﴾، لكنه في الحقيقة ركّز على المضمون الأول منها، فقام بدراسة موضوع الصحابي زيد بن الحارثة مولى النبي ﷺ، وذلك انطلاقاً من دراسته للدكتوراه التي كانت هي أيضاً حول مسألة في الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي وهي: "دراسات في القرآن والحديث: تكوين وصنع قانون وشريعة الميراث الإسلامي"، وقد طبعت رسالته في سنة ١٩٨٦. وفي الوقت الذي كان يعدّ رسالته للدكتوراه واجه تعبير "الكلالة"، وقاده هذا الاهتمام إلى الفقه الإسلامي، فألف كتاباً عن الصحابي زيد بن الحارثة الكلبي بعنوان: "زيد Zayd القصة الصغيرة المعروفة لابن محمد المتبنى The Little Known Story of Muhammad's Adopted Son"، وهو يتألف من أربعة فصول، الأول منها زيد، والثاني زينب، والثالث مؤتة، والرابع أسامة. فهو في كتابه عن: "محمد ليس أباً لأحد من رجالكم" إنّما كان اهتمامه موجهاً نحو الصحابي زيد بن الحارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ بالدرجة الأساس. يقول باورز ما نصّه: "إن بالنسبة له وفوق هذا فهي غير معروفة حتى لأصحابه المقربين خلال حياته. ولقد ظهرت هذه المسألة بعد وفاته فقط، عندما واجه المجتمع الجديد من الصحابة مهمة إقرار الزعامة وتقرير القيادة الشرعية وتفويضها. فالقرآن قد ذكر -بالفعل وبشكل خاص- أن محمداً هو خاتم النبيين، غير أن كلمة خاتم هنا قد يكون معناها تثبيت أو تصديق أو إثبات إتمام أو إنهاء النبوة، ليس فقط خاتمية أو نهاية النبوة، وإن بعض مفسري القرآن في الواقع عرفوها وأوضحوها كذلك" وطبعاً لم يدرج المستشرق من هم هؤلاء المفسرون الذين قالوا بما أشار إليه. عبد الجبار ناجي. ثم يقول: "والواقع، فإنه في الأديان التوحيدية يبدو أنها قضية عائلية، جميع أنبياء الله أتوا من عائلة إبراهيم، بضمنهم المسيح وأنبياء العرب القدماء هود وصالح. محمد مثلاً قد أتى من سلسلة النسب الإبراهيمي عبر إسماعيل، ذلك الذي تبرأ منه أو ورفض الإيمان به كل من اليهود والمسيحيين، وربما



يحق للمرء أن يجادل ويحاجج في عدم بقاء أطفال ذكور أحياء لمحمد، وأنه حقاً النبي الأخير. غير أن محمداً قد تبنى ابناً هو زيد، وهو الذي - في الأحاديث والروايات الشرعية الحضارية والثقافية للشرق الأدنى - سيكون وريثه في جميع الجوانب، لم يكن معروفاً بكونه حبيب رسول الله فحسب، إنما كان أيضاً الشخصية المعاصرة الوحيدة بخلاف محمد نفسه الذي ظهر اسمه إلى جانب محمد نفسه والذي ظهر اسمه في القرآن في سورة ٣٣ يقصد سورة الأحزاب الكريمة في الآية ٣٧ التي قال فيها الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ عبد الجبار ناجي.

ويقول المستشرق: "وعلى الرغم من أن زيدا لم يعمر بعد محمد، إلا أن ابن زيد كان موجوداً، وبذلك ترك المجال مفتوحاً أمام إمكانية ظهور أنبياء في المستقبل. وإن كل من يدرس الدين يعلم بأن حكم الأنبياء ونفوذهم تفوق حكم أي زعامة دينية أخرى ونفوذها. ماذا كان سيحدث للخلافة إن ظهر نبي جديد؟ ووفقاً لباورز، إن الأجيال الأولى من المسلمين طوّرت بعد وفاة الرسول استراتيجيات لضمان أنه لا يمكن ظهور أي نبي جديد. هذه التفسيرات قد فرضت على القرآن تعبير "خاتم النبيين"، إدخال القصة التي لها علاقة بالشرعة مع ابنه السابق زيد، وحتى التعديل ولكي تتوافق مع النص الهيكلي الساكن للقرآن وحتى التكيف مع هيكلية النص المتوافق والمنسجم للقرآن". ثم يتوجه المستشرق باورز إلى موضوع آخر بهدف تكثيف شكوكه في الخاتمية الرسالية لسيد المرسلين محمد ﷺ، وفي الآية الكريمة ٤٠ من سورة الأحزاب، فيزعم أن في الكلالة - التي وردت في الآيتين الكريمتين ١٢ و ١٧٦ من سورة النساء - استنتاجاً غريباً، ذلك الذي وصفه أحد المستشرقين

اليهود الرابي الدكتور رؤوفن فايرستون Reuven Firestone والدكتور فايرستون أستاذ مختص في اليهودية والإسلام في العصور الوسطى، وهو حالياً زميل أبحاث في مؤسسة ألكسندر فون همبولت في برلين (الصيف، ٢٠١٧-٢٠١٩)، وأستاذ زائر للدراسات اليهودية، جامعة زيورخ (٢٠١٨). وكان يعرف عدة لغات: الألمانية والفرنسية والعبرية والتركية والعربية والألبانية والصربية والكرواتية والمقدونية والإندونيسية والأردية. وحصل على الرسامة الحاخامية في سنة ١٩٨٢.

ألف كثيراً من الدراسات عن الإسلام، ومن بينها دراسته عن رسول الله ﷺ بعنوان (٥٢):

The Prophet Muhammad in Pre-Modern Jewish Literatures, in The Image of the Prophet Between Ideal and Ideology A Scholarly Investigation Edited by: Christiane J. Gruber and Avinoam Shalem De Gruyter | 2014.

ويؤشر فايرستون على نقطة مهمة في دراسة باورز ويقول بأن "من أكثر الأجزاء إثارة في هجوم باورز القوي والذي هدف إلى توكيده هو أن الكلالة كلمة تم تلفيقها واختلاقها لأجل التأكيد على أن محمدا لا يمكن أن يكون له وريث. ووفقاً لبورز، فإن "الكلمة الأصلية المستعملة في القرآن كانت (نظرياً) كلاً kalla مبنية من الجذر الساكن السامي "كله"، klh، التي تعني زوجة الابن، غير أن اللام الثانية قد أضيفت في المخطوطة يقصد مخطوطة القرآن الكريم. عبالجبار ناجي بيد أخرى مختلفة، وبذلك عيّن أو خصص لها معنى جديد. فالنسخة المصححة هي التي لدينا اليوم في القرآن". لكن ما هو الفرق في المعنى؟ ويجب باورز: إن الفارق كبير فإنها تتحول في هذه الآية التي تتعامل مع الميراث والوراثة، في حين إن الكلاً السامية الجذر قد تعني أن زوجة الابن يمكنها -وفي بعض الحالات عليها- أن ترث من والد زوجها.

فقد كانت زوجة ابن محمد زوجة ابنه الحبيب بالتبني زيد. إن كلمة kalla في السياق الأصلي قد قرنت بكلمة امرأة أي زوجة. والآن قد حدث -بحسب الحديث أو بحسب الرواية- أن زوجة ابن محمد زينب -الزوجة السابقة لابنه السابق بالتبني



زيد- أصبحت زوجته. وسواء كانت زوجة الابن أو الزوجة أو كليهما، فأى طفل لها من محمد أو زيد -وفي الواقع جميع الأطفال اللاحقين من سلسلة النسب تلك- سيشكلون إلى الأبد تهديداً للحكام لامبراطورية متنامية. وقد تمت إزالة التهديد خلال الاضطراب والهيجان اللذين عمّا الجيلين الأولين بعد وفاة النبي، عندما كان الأمة تتوسع بسرعة فائقة، إذ فتحت أراض وتأسست المؤسسات، والناس يتقدمون في جميع أنحاء الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بأعداد كبيرة، والنصّ القرآني قد تمّ الاعتراف به، والرواية أو الحديث الأدبي الواسع الاطلاع ذلك الذي سيكون القاعدة التاريخية للقصة الأخبارية للإسلام قد تمت صياغتها. وعندما استقر الغبار، فإن الرواية النصّية والأدبية تلك التي انبثقت وظهرت للعيان ضمنت أن محمد ليس له ورثة، إن كان في الجانب البيولوجي أو عن طريق التبني. غير أن أدلة كافية قد خلفت وراءه، ومن آراء أقلية من بين المعلقين، بهدف منافسة الروايات الشفاهية التي أخضعت في النهاية إلى الكتابة، إلى (وعلى الأقل) مخطوطة قرآنية واحدة قديمة احتفظت واستبقت بدليل على التلاعب باليد. واقعا إن ما تحدث به البروفسور ديفيد باورز لم يكن جديدا بالمرة، وبالأخص موقفه من الأحاديث النبوية والروايات التاريخية، ويبدو أنه يميل في تفسيراته هذه إلى مدرسة المستشرق المشهور اليهودي المجري جولدتسيهر وغيره من مدرسة الاستشراق الألمانية، نظير فردريك شاوللي وغوتهلف برجستراسر Gotthelf Bergstrasser وغيرهما من تلامذة المستشرق اللامع ثيودر نولدكه. فقد سبق هؤلاء المستشرقون المستشرق باورز في الموقف من الأحاديث والروايات التاريخية، وبالفعل فقد درستُ مواقف مدرسة الاستشراق الألمانية ومدى عنايتها بتحليل الأحاديث والروايات التاريخية في كتابي: "جدلية جمع القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر، المطبوع في دار ومكتبة عدنان في سنة ٢٠٢٠". فأراؤه لم تكن جديدة على أية حال، غير أن



المهم جدا فيها التساؤل عن: لماذا هذا الموقف الذي يبطل كثيراً من الأحاديث النبوية ويضعفها ويلغي دور الروايات التاريخية، وبالأخص روايات السيرة النبوية المطهرة، ذلك الموقف الذي صار سمة واضحة عند أولئك المستشرقين وغيرهم، وهم كثر؟ أقول: ربما هم -في كثير من مواقفهم وتفسيراتهم- على حق بالنسبة إليهم؛ لأنهم اعتمدوا في جميع دراساتهم على الرواية الأموية والعباسية التي شوهت -مع كل الأسف- كل شيء في دراساتنا الإسلامية، إن كانت في الأحداث التاريخية وإن كان ما هو متعلق بالقرآن الكريم والحديث الشريف؛ إنهم يستقون معلوماتهم في الأحاديث النبوية المطهرة من كتاب "المصنف" لابن أبي شيبه المتوفى سنة ٢٣٥ هجرية، والملقب من قبل علماء أهل السنة بـ "سيد الحُفَاط"، وهو أحد علماء الحديث ورواته عند أهل السنة والجماعة، ومن أعلام محدثيهم. وكذلك يستندون في تفسيراتهم إلى مؤلفات الصحاح كصحيح البخاري ومسلم، ومؤلفات السنن والمسند والمصاحف، ومن تفسير الطبري وتاريخه، ومن تفسير ابن كثير وتاريخه وغيرهم؛ وجميع هؤلاء لا يأتون ولا يعتمدون إلا على الرواية الأموية والعباسية، وبعيدا بل بعيدا جدا عن مؤلفات الفرق الإسلامية غير السنيّة؛ ولهذا وقعوا في أخطاء وتخرصات كثيرة حيال الواقع الأساس للأحداث التاريخية، وحيال القرآن الكريم وتفسيراته. إنهم -سواء كان عن جهل أم تغافل أم إقصاء أم تعمد- لا يراجعون مثلا المؤلفات الشيعية الإمامية منها والزيدية والإسماعيلية، وذلك يعدّ خطأ كبيرا في منهج البحث التاريخي. وهذا ما فطن إليه عدد من المستشرقين الأمريكيين والإسرائيليين على وجه الخصوص، كالمستشرق إيتان كولبرغ والمستشرق أوري روبين والمستشرق مثير ميخائيل بار آشر من الذين ألفوا عن التشيع، فإنهم راجعوا ورجعوا إلى المؤلفات الشيعية الكثيرة نوعا ما، وبالمقابل استبعدوا الاعتماد على أي رواية من المؤلفات السنيّة.

والواقع فإن هناك جملة من التفاسير الشيعية المهمة والمهملة من قبل المستشرقين ومن قبل الباحثين العرب والمسلمين على حدّ سواء، نظير تفسير فرات الكوفي وتفسير العياشي وتفسير علي بن إبراهيم القمي وكتاب الاحتجاج أو التسمية الأخرى: الاحتجاج على أهل اللجاج لأحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، وهو من علماء المذهب الشيعي الاثني عشري في القرن السادس الهجري. وقد أُلّف الكتاب في جلدتين، يحتوي على مناظرات النبي والأئمة الاثني عشر وبعض العلماء مع مخالفيهم وعلماء الأديان غير الإسلامية في شتى المجالات. ومؤلف الاحتجاج هذا الطبرسي هو غير الفضل بن الحسن الطبرسي مؤلف مجمع البيان لعلوم القرآن؛ فالمعني قد أولى اهتماما كبيرا بأحاديث الأئمة الأطهار التي اعتمدت السلسلة الذهبية في الوصول إلى نبي الرحمة محمد ﷺ، وكتاب البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني وهو كتاب اعتمد -بالأساس- على أحاديث العترة الطاهرة.

مع ذلك فحديث المستشرق باورز لا يخلو من أهمية، ولكن موقفه من الآية ٤٠ من سورة الأحزاب هو موقف متشعب، وبخاصة من موضوعه الأساس "الكلالة"، فكما توصل إليه البروفسور أوري رويين Uri Rubin من نتيجة مفادها في نصّ بحثه النهائية والخاتمية الذي سنفصل الكتابة عنه في أدناه من هذا البحث بعد ترجمته، إذ يقول: "الفكرة الأساسية لبورز هي أن النصّ القرآني الذي أمامنا قد خضع لعملية من الحذف والإضافات الثانوية تلك التي قد جرى إعدادها بهدف تكييف القرآن لعقيدة الخاتمية النبوية". فإن هذا من وجهة نظر باورز Powers، يمثل عقيدة متأخرة نسبياً، تلك التي لم يكن تأثيرها في البنية النصّية القرآنية فحسب، إنّما قد أثّرت أيضاً في أصول مختلف الروايات والأحاديث المتعلقة بزيد بن حارثة، ابن محمد بالتبني. "ويدافع باورز Powers بأن وجود زيد نفسه يقف في تناقض حادّ مع عقيدة ما بعد القرآن بكون محمد هو النبي الأخير، وبالتالي فقد كان من الضروري أنئذ النشر



والتعميم للأحاديث التي تسرد حكاية موت زيد في المعركة، وهكذا فإنه يموت قبل محمد". إلى هنا انتهى قول المستشرق أوري رويين.

أقول: "إن المصادر الشيعية تذكر الصحابي زيد بن حارثة على أنه استشهد في معركة مؤتة، وأن رسول الله ﷺ قد عقد له لواء معركة مؤتة، وذلك في السنة ٨ للهجرة، وجعله القائد الأول على ثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين، وأوصى بترتيب القيادات، فقال: "إن قُتل زيد فجعفر بن أبي طالب وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة". وهناك من المؤرخين من يقول -بحسب الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام-: "إن رسول الله جعل القائد الأول جعفر بن أبي طالب، ومن بعده زيد بن حارثة، ومن بعده عبد الله بن رواحة. واستشهد زيد بن حارثة في معركة مؤتة، مع جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وكان عمره عند استشهاده ٥٥ عاماً، وقد حزن رسول الله ﷺ لموت زيد ورفاقه حزناً شديداً، وقال: "اللهم اغفر لزيد، اللهم اغفر لزيد، اللهم اغفر لجعفر ولعبد الله بن رواحة". وقد قال حسان بن ثابت شعراً في يوم مؤتة، يبكي فيه زيد بن ثابت وعبد الله بن رواحة:

إِنَّ زَيْدًا قَدْ كَانَ مِنَّا بِأَمْرٍ *** لَيْسَ أَمْرَ الْمُكْذَبِ الْمَعْرُورِ
ثُمَّ جُودِي لِلْخَزَرَجِيِّ بِدَمْعٍ *** سَيِّدًا كَـ____انَ ثُمَّ غَيْرَ نَزُورِ

فالسؤال الذي نودّ طرحه على البروفسور باورز: أكان رسول الله ﷺ يريد الموت لهؤلاء الأبطال جميعاً وأن يتخلص منهم ولماذا؟ ثم المهم جداً أي وراثة أو خلافة يقصدها والأمر قد دبّر تدبيراً جمعياً في سقيفة بني ساعدة من قبل أصحاب الصحيفة؟! فليقرأ المستشرق ماذا حدث في السقيفة ورسول الله ﷺ مضطجعا ينتظر فرصة لقائه بالله عزّ وجل! وليقرأ شيئاً عن مسألة الدواة والقرطاس التي طلبها رسول الله ﷺ ليكتب للمسلمين كتاباً لن يضلوا بعده، وكان المفروض في هذا الكتاب أن يعين من يخلفه!، كذلك ليقرأ ماذا حدث في سقيفة بني ساعدة!، كل ذلك قد حدث وابن

زيد(أسامة) كان توا قد عاد من مسيرته العسكرية للفتح، لكن جماعة معروفين من الصحابة قد عرقلوا مشروع رسول الله ﷺ وهم أصحاب الصحيفة الذين كان رأيهم التريث في إرسال تلك الجيوش إلى المعركة التي أرادها رسول الله ﷺ لحين انجلاء موضوع وفاة رسول الله؛ لأنهم كانوا يبيتون أمرا في غير صالح الأمة الإسلامية، وقد حدث هذا بالفعل. وأود من المستشرق باورز أن يقرأ شيئا عن بيعة الغدير، بيعة الولاية لأمر المؤمنين من المصادر الشيعية؛ ليصحح من أفكاره في مسألة الصحابي الجليل زيد بن حارثة، وإلى المستشرق باورز أقدم هذه الرواية من كتاب البرهان في تفسير القرآن، في تفسير الآيتين ٤ و ٥ من سورة الأحزاب: "فلما بلغ حارثة بن شراحيل الكلبي خبر ولده زيد قدم مكة، وكان رجلا جليلا، فأتى أبا طالب، فقال: يا أبا طالب، إن ابني وقع عليه السبي، وبلغني أنه صار إلى ابن أخيك، فأسأله، إما أن يبيعه، وإما أن يفاديه، وإما أن يعتقه. فكلّم أبو طالب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: هو حرّ، فليذهب حيث شاء. فقام حارثة فأخذ بيد زيد، فقال له: يا بني، الحق بشرك وحسبك. فقال زيد: لست أفارق رسول الله ﷺ أبدا. فقال له أبوه: فتدع حسبك ونسبك، وتكون عبدا لقريش؟ فقال زيد: لست أفارق رسول الله ﷺ ما دمت حيا. فغضب أبوه، فقال: يا معشر قريش، اشهدوا أنني قد برئت من زيد، وليس هو ابني.

فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا أن زيدا ابني، أرثه ويرثني. وكان زيد يدعى ابن محمد، وكان رسول الله ﷺ يحبه، وسماه: زيد الحب. (هامش: السيد هاشم البحراني؛ البرهان في تفسير القرآن: سورة الأحزاب الآية، ج ٤، ص ٤١١، تفسير الآيتين ٤ - ٥). أمّا بخصوص موقف المستشرق باورز من الآية الكريمة من سورة الأحزاب الآية ٤٠ التي يقول فيها الله عزّ وجلّ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، فالشرط الأول من الآية الكريمة مرتبط ارتباطا جذريا بالشرط الثاني، وتكاد تكون ردّا ربانيا على ما كان يذيعه



بعض الصحابة والمنافقين، وكأنهم يرددون ما كان القرشيون الكفار وبالأخص عمرو بن العاص والحكم بن أبي العاص من أن رسول الله ﷺ لا ولد له ولا نسب له. واعتماداً على تفسير البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني وهو تفسير يعتمد فيه على أقوال الأئمة الأطهار عليهم السلام يقول: مُحَمَّدٌ بْنُ الْعَبَّاسِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَخْلَدٍ الدَّهَّانُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ شَهْدِ الْقُرَيْضِيِّ بِالرَّقَّةِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ جَنَاحٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ، قَالَ: "وَلَقَدْ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى مِنْبَرٍ مِصْرَ: مُحْيِي مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَلْفُ حَرْفٍ، وَحُرْفَ مِنْهُ أَلْفُ حَرْفٍ، وَأَعْطَيْتُ مِائَتِي أَلْفَ دِرْهَمٍ عَلَى أَنْ أُمَحِّوْا إِنَّ شَأْنَكُمْ هُوَ الْأَبْتَرُ فَقَالُوا: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ. قُلْتُ: فَكَيْفَ جَازَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَلَمْ يَجْزَ لِي؟ فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: قَدْ بَلَغَنِي مَا قُلْتَ عَلَى مِنْبَرٍ مِصْرَ، وَلَسْتُ هُنَاكَ" ^(٥٣). فلينظر المستشرق كيف كان هؤلاء يحرفون القرآن الكريم؟! وأن القرآن الكريم النسخة العثمانية كانت موجودة آنذاك، وكان مقروءاً وأقصد النسخة العثمانية منذئذ في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الأول الهجري، وأن الآية الكريمة في سورة الأحزاب كانت تقرأ أيضاً، سواء كان في زمن معاوية بن أبي سفيان أم قبله بكثير. فالمستشرق يتصور -واهماً- أن ذكرها -وأقصد خاتم النبیین- في سورة الأحزاب كان لمرة واحدة، كيف هذا وهناك عدد من الآيات الكريمات وهي تتضمن الجذر اللغوي للخاتم، وأقصد "ختم"؟! ثم ما هو الموقف مع الحديث الشريف الذي قاله رسول الله ﷺ للإمام علي عليه السلام عندما توجه إلى تبوك؟ ألم يقل له لما خرج ﷺ إلى تبوك وخلف الإمام عليه السلام على أهله في المدينة وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً وتخففاً منه، فأخذ علي عليه السلام سلاحه ولحق رسول الله ﷺ وأخبره بما قالوا، فقال عليه السلام: "كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي - أو ليس بعدي نبي - ولا ينبغي أن أذهب إلا وأنت



خليفتي؟! وقد أخرج هذا الحديث البخاري في صحيحه في غزوة تبوك، ومسلم في صحيحه في باب فضائل الإمام علي عليه السلام، وابن ماجه في سننه في باب فضائل أصحاب النبي، والحاكم في مستدركه في مناقب علي عليه السلام، وإمام الحنابلة في مسنده بطرق كثيرة. وكان تعبير خاتم النبيين موجودا ومتداولاً بين المسلمين، حتى أن في كتاب "بصائر الدرجات" للشيخ محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي رواية نقلها عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام جاء فيها: "حدثني الحسن بن علي بن عبد الله، عن علي بن حسان، عن عمه عبد الرحمن بن كثير الهاشمي مولى محمد بن علي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام بالناس يريد صفين حتى عبر الفرات، وكان قريبا من الجبل بصفين إذ حضرت صلاة المغرب، فأمعن بعيداً ثم توضأ وأذن، فلما فرغ من الأذان انفلق الجبل عن هامة بيضاء بلحية بيضاء ووجه أبيض، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، مرحبا بوصي خاتم النبيين وقائد الغر المحجلين والأغر المأثور والفاضل والفائق بثواب الصديقين وسيد الوصيين، قال له: وعليك السلام يا أخي... إلخ" ^(٥٤)، ووردت رواية عن أنس بن مالك وسندها "سهل بن عبد الله، عن محمد بن سوار، عن مالك بن دينار، عن الحسن البصري، عن أنس في حديث طويل: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا خاتم الأنبياء وأنت يا علي خاتم الأولياء. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ختم محمد ألف نبي، وإنني ختمت ألف وصي، وإنني كلفت ما لم يكلفوا" ^(٥٥). وأورد المجلسي رواية مصدرها الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام، قال: "بالإسناد إلى الشيخ الصدوق، عن ماجيلويه، عن محمد العطار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن ذكره، عن العلاء، عن الفضيل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لم يبعث الله عز وجل من العرب إلا خمسة أنبياء: هودا، وصالحا، وإسماعيل، وشعيبا، ومحمدا خاتم النبيين" ^(٥٦).



وجاء في البرهان تفسيراً للآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، عن "علي بن إبراهيم، قال: هذه نزلت في شأن زيد بن حارثة"، قالت قريش: يعيرنا محمد أن يدعي بعضنا بعضاً وقد ادعى هو زيداً! فقال الله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ يعني: يومئذ أنه ليس بأبي زيد. قال: قوله: (وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) يعني: "لا نبي بعد محمد ﷺ" (٥٧). كذلك وردت عن الأئمة الأطهار إشارات أخرى تشير إلى رسول الله بكونه خاتم النبيين ندوً منها الآتي:

عن تفسير نور الثقلين، لعبد علي بن جمعة العروسي الحويزي المتوفى في سنة ١١١٢ هجرية؛ طبعه الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي بنفقة خادم الشريعة الحاج أبي القاسم المشتهر بسالك مؤسسة آية الله العظمى الميلاني لإحياء الفكر الشيعي. إذ جاء على الصفحة ١٥٢ من الجزء الخامس من تفسير نور الثقلين الآتي: "في تفسير علي بن إبراهيم" "فأوحى إلى عبده ما أوحى"، قال: وحي مشافهة. وفيه "فأوحى إلى عبده ما أوحى"، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك الوحي؟ فقال: أوحى إلي أن علياً سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، وأول خليفة يستخلفه خاتم النبيين، فدخل القوم في الكلام، فقالوا: من الله ومن رسوله؟ فقال الله جل ذكره لرسوله ﷺ: قل لهم: "ما كذب الفؤاد ما رأى" ثم رد عليهم (٥٨).

وورد في تفسير الثقلين أيضاً: "في مجمع البيان وصح الحديث عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنما مثلي في الأنبياء كمثلي رجل بنى داراً فأكملها وحسنها إلا موضع لبنة، فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة! قال ﷺ: فإننا موضع اللبنة، ختم بي الأنبياء." أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما. جزء ٤، ص ٢٨٥. وورد كذلك في التفسير نفسه ما يأتي: "وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ألا إن العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين، في عترة خاتم النبيين".

وورد في تفسير الثقلين تفسير الآيات من سورة البقرة الكريمة ما يأتي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٢١٠). عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده

قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد ذكر عترة خاتم النبيين والمرسلين: وهم باب السلم فادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة^(٩٩). وفي كتاب المناقب لابن شهر آشوب عن أنس في حديث طويل:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: أنا خاتم الأنبياء وأنت يا علي خاتم الأولياء، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): ختم محمد ألف نبي، وإني ختمت ألف وصي، وإني كلفت ما لم يكلفوا^(١٠٠). وفي روضة الكافي بإسناده إلى علي بن عيسى رفعه قال: إن موسى ناجاه

الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته: لا يطول في الدنيا أملك، إلى قوله عز وجل له في وصيته له بالنبي (صلى الله عليه وآله): يا موسى إنه أمي وهو عبد صدق وبيارك عليه، كذلك فيما وضع يده عليه، كذلك كان في علمي، وكذلك خلقتة، به أفتح الساعة وبأتمته أختم مفاتيح الدنيا. روضة الكافي هو القسم الثالث من كتاب الكافي^(١٠١). وفي عوالي

الللثالي: وقال (عليه السلام): أنا أول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا. ص ٢٨٤. الكتاب: عوالي اللثالي، المؤلف: ابن أبي جمهور الأحسائي، الجزء: ١، الوفاة: ن ٨٨٠، المجموعة: مصادر الحديث الشيعية، القسم العام، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق: الحاج آقا مجتبی العراقي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣.

وعن مجمع البيان في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠). قال أبو علي: التذكير والتأنيث حسنان، وهذه الآية تدل على أن ما في قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ



ما كان لهم الخيرة ﴿نفى﴾، وليست بموصولة. ومن كسر التاء من (خاتم) فإنه ختمهم فهو خاتمهم. ومن فتح التاء فمعناه: آخر النبيين لا نبي بعده. قال الحسن: خاتم الذي ختم به. قال المبرد: خاتم فعل ماض على فاعل، وهو في معنى ختم النبيين، ونصب (النبيين) على هذا الوجه، بأنه مفعول به. وفي حرف عبد الله ولكن نبيا، وختم النبيين. المكتبة الشيعية جزء ٨، ص ١٦٠.

وأخرج الشيخ الكليني في كتابه الكافي حديثاً صحيحاً: عن أيوب بن الحر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذَكَرَهُ، خَتَمَ بِنَبِيِّكُمْ ﷺ النَّبِيِّينَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَخَتَمَ بِكُتُبِكُمُ الْكُتُبَ فَلَا كِتَابَ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَأَنْزَلَ فِيهِ تَبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَلَقَكُمْ وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَتَبَأَ مَا قَبْلَكُمْ، وَفَضَّلَ مَا بَيْنَكُمْ، وَخَبَرَ مَا بَعْدَكُمْ، وَأَمَرَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَمَا أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ" (٦٢).

وفي مناقب ابن شهر آشوب عن خاتم النبوة: "قال المأمون للحكيم إيزد خواه ما شاء الله لما صحح عنده إحكاما: لم لا تؤمن بنبينا وأنت بهذا المحل من العلم والكياسة؟ فقال: كيف أو من وأصدق كاذبا، وأنا أعلم كذبه، والنبي لا يكذب؟ فقال المأمون: كيف؟ قال: قوله: "أنا آخر نبي وخاتم الأنبياء، ولا يكون بعدي نبي أبدا"، وهو الذي قال في علمي كذب لا محالة، لأنه ولد بالطالع الذي لو ولد فيه مولود لا بد أن يكون نبياً، فظهر لي بهذا كذبه، إذ قال: لا نبي بعدي، فكيف أو من به وأصدق؟ فخرج المأمون من ذلك، وتحير الفقهاء، فقال متكلم: من هاهنا قلنا: إنه صادق، وإنه خاتم الأنبياء؛ لأن الحكماء كلهم اجتمعوا على أن نجمه ﷺ كان المشتري وعطارد والزهرة والمريخ، ولا يولد بها ولد إلا ويموت من ساعته، وإن عاش فيموت لا محالة، ولا يجاوز يوم السابع، وهو قد عاش وبقي ثلاثاً وستين سنة، فصح أنه آية، وقد أتى من المعجزات الباهرة بما لم يأت بمثله أحد قبله ولا بعده، فأقر إيزد خواه، وأسلم، فسمي ما شاء الله الحكيم، فمن نظر المشتري له العلم والحكمة والفطنة والسياسة والرئاسة،



ومن نظر عطارد اللطافة والظرافة والملاحة والفصاحة والحلاوة، ومن نظر الزهرة الصبابة والهشاشة والبشاشة والحسن والطيب والجمال والبهاء والغنج والدلال، ومن نظر المريخ السيف والجلادة والقتال والقهر والغلبة والمحاربة، فجمع الله فيه جميع المدائح^(٦٣). وتصرف بعض آخر تصرفاً غير مناسب آخر في لفظ (خاتم)، فقالوا: إِنَّ الخاتم في الآية يعني الختم، لكنَّ الهدف من توصيف النبي ﷺ (بخاتم النبيين) هو تصديق الأنبياء السالفين وأحقيتهم؛ لأنَّه كما يدل الختم على صحة مضمون الكتاب ومحتواه، كذلك يشهد نبي الإسلام على صحة جميع الأنبياء وثبوتهم. ومن دون شكَّ فإنَّ المستشرق باورز قد تأثر هو الآخر - من المستشرقين وغير المستشرقين - بنظرية جون ونزبورو John Wansbrough في مسألة جمع القرآن الكريم، وتشكيكه بوجود القرآن قبل القرن الثاني للهجرة كما يفترض ذلك باورز أيضاً؛ وقد وقف عدد من المستشرقين ضد هذه النظرية. وفي كتابي الذي طبع في بيروت سنة ٢٠٢٠ ناقشت نظرية ونزبورو، وقدمت عدداً من المعطيات الأثرية والتاريخية بأنَّ القرآن الرسمي الذي ألفته اللجنة التي اختارها عثمان بن عفان معتمداً على النسخة التي وضعها زيد بن ثابت بأمر من أبي بكر وعمر بن الخطاب، تلك النسخة التي تركها عمر بن الخطاب قبل موته عند ابنته حفصة، قد كانت متداولة بين المسلمين. وقد توفرت مجموعة من المعطيات التي تفند ما توصل إليه ونزبورو، فالمستشرق الأمريكي فريد دونر قد ناقش التاريخ المبكر للنصِّ القرآني في ردّه على فرضية ونزبورو، وجاءت المستشرقّة الأمريكية إستيلا ويلن Estelle Whelanfilh بما توفر من نصِّ قرآني من نقوش قبة الصخرة وكانت عبارة عن آيات مقتبسة من أجزاء مختلفة من سور قرآنية. وبحسب المعروف أن عبد الله بن مسعود قد توفي بسبب دفاعه وبسبب موقفه من مصحفه؛ إذ تجمع الروايات أن الخليفة الثالث حين عزم على جمع القرآن أو إعادة جمعه شكّل لجنة سميتها باللجنة الرباعية، وبعد الانتهاء من هذا الجمع أحرق أو أتلف المصاحف



التي كانت بحوزة الصحابة، لكن ابن مسعود امتنع أن يسلم نسخة مصحفه؛ وذلك لأنه علم أن عثمان يريد أن يحرق المصاحف، عندئذ أمر عثمان واليه على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز أن يبعث بابن مسعود مخفورا إلى المدينة، فعندما جيء به دخل المسجد الجامع، إذ كان الخليفة يخطب في المجتمعين، فقطع كلامه وقال عثمان: "طرقكم الليلة دويبة من تمشي على طعامه يقيء"، فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكنني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر وأحد وبيعة الرضوان ويوم الخندق ويوم حنين. وصاحت عائشة: يا عثمان تقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ؟! فقال عثمان: أسكتي. بعدها أمر أحد جلاوزته وهو عبد الله بن زمعة أن يخرج ابن مسعود إخراجا عنيفا، فسحل ابن زمعة هذا الصحابي ابن مسعود حتى أوصله إلى باب المسجد الجامع فضرب به الأرض فكسر ضلعا من أضلاعه، فقال ابن مسعود: "قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان" (٦٤). كل هذا حدث في سنة ٣٢ هجرية / ٦٥٤ م، ولماذا؟ لأن ابن مسعود امتنع عن تسليم مصحفه لعثمان الذي أحرق المصاحف، أليس هذا من بين الأدلة الأخرى التي تعمل بالضد من فرضية ونزبورو؟. ولعل هناك من يتساءل: كيف كان مصحف ابن مسعود؟ فقد قال محمد بن إسحق النديم نقلا عن محمد بن إسحق صاحب السيرة النبوية ما نصّه: "رأيت عدّة مصاحف ذكر نساخها أنها مصحف ابن مسعود، ليس فيها مصحفين متفقين وأكثرها في رقّ كثير النسخ، وقد رأيت مصحفا قد كتب منذ مائتي سنة فيه فاتحة الكتاب". ولعل ابن النديم أو ناسخ كتابه قد أخطأ في عبارة (مائتي سنة)، ولعل الأصح (مائة سنة)؛ لأن ابن إسحاق قد توفي -على وفق رأي أكثر العلماء- في سنة ١٥٠ هجرية / ٧٦٧ م. وقد وصف الفضل بن شاذان -وهو أحد الأئمة في القرآن والرواية- تأليف سور القرآن في مصحف ابن مسعود على هذا الترتيب، ويبدأ بذكر السور بدءا من سورة البقرة إلى سورة قل هو الله أحد الله الصمد، ومجموع السور في هذا المصحف مائة وعشر سور، وكان عبد الله بن مسعود لا يكتب

المعوذتين في مصحفه ولا فاتحة الكتاب، بحسب ما نقله ابن شاذان عن ابن سيرين. أما الدليل الآخر فهو بشأن مصحف أبي بن كعب، إذ يقول ابن النديم نقلاً عن ثقة من أصحابه: إنه رأى في أحد قرى البصرة مصحف أبي، وإنه استخرج منه أوائل السور وخواتيمها، وعدد سورته بدءاً من سورة البقرة إلى سورة الناس، فكان مجموع السور فيه مائة وستة عشر سورة، ومجموع آي مصحف أبي بن كعب ٦٢١٠ آيات، وقيل بحسب قول عطاء بن يسار: إن عدد سورته مائة وأربع عشرة سورة، وإن عدد آياته بحسب رواية عطاء ٦١٧٠ آية، وعدد كلماته ٧٧٤٣٩ كلمة، وعدد حروفه ٣٢٣٠١٥ حرفاً، وقيل أيضاً برواية عاصم الجحدري: إن عدد سور مصحف أبي مائة وثلاثة عشر سورة، ومجموع آيات المصحف على رأي يحيى بن الحارث الذماري ٦٢٢٦ آية، ومجموع حروفه ٣٢١٥٣٠ حرفاً. ولهذه الرواية أهمية بالغة تدحض رأي ونزبورو ومن يؤيده على أن القرآن المعترف به قد جمع في سنة ٨٠٠م أو في نهاية القرن الثاني للهجرة أو في القرن الثالث للهجرة، فيحيى الذماري قد توفي في سنة ١٤٥ هجرية/ ٧٦٢م، وكان لعاصم الجحدري قراءة في أهل البصرة، وسلسلة القراءات تجعل قراءة الأعشى على أبي بكر، وقراءة أبي بكر على عاصم، وقراءة عاصم على السلمي، وقراءة السلمي على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقراءة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فترتيب سلسلة قراء عاصم أقرب إلى الإمام علي عليه السلام، بمعنى أنها قديمة ترجع إلى الربع الأول من القرن الأول الهجري^(٦٥).

والخلاصة أن جميع ما تقدّم ذكره يعدّ ردّاً شافياً وكافياً على عدم دقة تاريخ جمع القرآن الكريم على وفق ما قدره المستشرق باورز والمستشرق جون ونزبورو ومن أيده من المستشرقين وغير المستشرقين. المسألة المهمة -إذن- أن المستشرق البرفسور باورز (ومعه البروفسور ونزبورو) بالنظر إلى تحديد زاوية اعتماده على ضرب محدد من المصادر الإسلامية دون الأخرى، اندفع إلى تبرير اختياره لسنة



٨٠٠م، (أو للحقبة الواسعة من القرنين الثاني للهجرة والثالث للهجرة) بوصفها سنة أو مدة للجمع. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تعصبه لرأي مسبق؛ بمعنى أن الفكرة التي بنى عليها المستشرقان وغيرهما موقفهم في مسألة جمع القرآن لم تكن واضحة في أذهانهم، وقد اختلطت عملية الجمع هذه بتاريخية الكتابة والتدوين التاريخي عند العرب.

ومع أننا نحتمل أن نكون قد جانبنا الحقيقة في هذا، إلا أن المستشرق -حقيقة- قد أقصى طبقة مهمة من المصادر حتى أنه لم يمرّ عليها ولم يأت على ذكرها؛ ربما لأنها ترتبط بالفكر الشيعي، لا بالمؤلفات التي حصر نفسه في التركيز عليها في ابتداع نظريته؛ ولذلك وصف الروايات التقليدية وانتقدها لكونها غير موضوعية وغير مفيدة في هذا الباب، وأعني ضعفها وتناقض المرويات التي أدلى بها البخاري ومن نقل عنه، وكرّر أقواله تلك التي أضحت المصدر الأساس بامتياز في عملية جمع القرآن الكريم. فالمستشرق لم يقرأ كتاب نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) الذي يتضمن كثيراً من المعلومات عن القرآن الكريم وعن جمع القرآن، ولم يقرأ ما ورد في كتاب سليم بن قيس الهلالي المتوفى سنة ٧٦ هـ / ٦٩٥ م، الذي حققه الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئلي، قم - إيران، ج ٢، ص ٥٨١، من أن الإمام علياً -وبعد انتقال رسول الله إلى جوار ربه- أقسم أن لا يخرج من داره إلا أن يجمع القرآن، وبالفعل فقد جمعه وحمله على بعير أو حمله في خروقة وجاء به إلى المسجد الجامع في المدينة حيث كان الخليفة الأول والثاني والثالث وزيد بن ثابت الذي أعطي مهمة جمع القرآن أو نسخه، والصحابة الآخرون من غير بني هاشم، فوضع الخروقة قائلًا للصحابة: هذا هو القرآن الكريم. وكانت تلك الصحائف التي قد سلّمها رسول الله له. ولعل من الصائب القول إن القرآن والكتاب هما وحدة واحدة؛ إذ يضم بين دفتيه آيات الذكر الحكيم فضلاً عن معاني القرآن وأسباب النزول والتفسير استناداً إلى ما



تحدّث به رسول الله ﷺ للإمام علي عليه السلام في مثل تلك الجوانب المهمة. فإذا ما شكّ بل أجزم أنه سيشكّك بالكتاب ونسبته ومؤلفه الهلالي، (وأقصد المستشرق ونزبور أو من كرّر رأيه) على أن كتاب قيس الهلالي مشكوك في أمره وغير موضوعي. إذن، ما هو رأيه في كتاب تاريخ يعقوبي ومؤلفه المتوفى بعد سنة ٢٩٢ هجرية / ٩٠٤م، الذي يعتمد عليه المستشرقون؟. فلينظر ماذا ورد فيه، إذ يقول يعقوبي مانصّه: "وروى بعضهم أن علي بن أبي طالب كان جمعه لمّا قبض رسول الله ﷺ وأتى به على جمل فقال هذا القرآن قد جمعته وكان قد جزأه سبعة أجزاء، وأسماء هذه الأجزاء - من دون أن نستفيض الآن في سرد محتويات كل جزء - هي كالآتي: الجزء الأول واسمه جزء البقرة وهو يقع في ٨٨٦ آية وهو في ست عشرة سورة، والجزء الثاني وأسماءه جزء آل عمران وهو يقع في ٨٨٦ آية وهو في خمس عشرة سورة، والجزء الثالث وهو جزء النساء وهو في ٨٨٦ آية وهو في سبع عشرة سورة، والجزء الرابع وهو جزء المائدة وهو في ٨٨٦ آية وهو في خمس عشرة سورة، والجزء الخامس وهو جزء الأنعام وهو في ٨٨٠ آية وهو في ست عشرة سورة، والجزء السادس وهو جزء الأعراف في ٨٨٦ آية وهو في ست عشرة سورة، والجزء السابع وهو جزء الأنفال وهو ٨٨٦ آية وهو في ست عشرة سورة^(٦٦). ومما لا شكّ فيه أن هذه التحديدات الرقمية لكل جزء من أجزاء القرآن السبعة تؤكد بوضوح وجود القرآن قبل التاريخ الذي حدّده المستشرق. ومما له علاقة بالموضوع السابق أن أبا القاسم فرات بن إبراهيم الكوفي صاحب (تفسير فرات الكوفي)، والمحدّث الشيعي أبا النضر العياشي التميمي الكوفي من أعيان علماء الشيعة صاحب كتاب التفسير المعروف بتفسير العياشي أوردا رواية وبحسب سلسلة السند الآتية: عن سوران بن مسلم عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام، قال أبو علي الحسن بن محبوب وأخبرني عمر بن عمر عن جابر أن الإمام جعفر بن محمد الصادق أخبره أبوه قال: "وجدنا هذا الكلام مكتوباً في كتاب من كتب



علي بن أبي طالب عليه السلام حول الخلق وخلق الطبائع الأربعة الريح، والبلغم، والمرة والدّم" (٦٧). وهذا المعنى يراد به كتاب للإمام بخصوص أقواله عليه السلام وعلمه في هذه الكيفية والكيفيات الأخرى، ولا يقصد منه قرآن الإمام عليه السلام بحسب رواية العياشي. لكن يذكر فرات الكوفي بسلسلة سند ترجع إلى الإمام علي عليه السلام في آية: (كتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)، أنها في قراءة الإمام: (هو كتاب علي لا ريب فيه هدى للمتقين). (هامش: أبو القاسم فرات بن إبراهيم: تفسير فرات الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، طبعة ثانية، تهران ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥، وزارة فرهنگ وإرشاد إسلامي، ص ٢٥، ٥١ - ٥٢، ٧٤). كذلك فقد أورد العياشي رواية بخصوص سورة المائدة في قوله عزّ من قائل: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (المائدة: ٤)، ونقل العياشي عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي يفتي وكنا نفتي ونحن نخاف في صيد البازي والصقور. فأما الآن فإننا لا نخاف ولا يحلّ لنا صيدهما إلا أن تدرك ذكاته، وإنه لفي كتاب علي عليه السلام أن الله تعالى قال: ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾، فهي الكلاب (٦٨).

كذلك بحسب رواية الحلبي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في تفسير الآية: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾، أنه قال: في كتاب علي عليه السلام المقصود بها الكلاب. وأورد العياشي بسند عن أبي هبيرة الحذاء عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: وجدنا في بعض كتب أمير المؤمنين عليه السلام قال: حدثني رسول الله ﷺ أن جبرئيل عليه السلام حدثه أن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله وهو ابن ثلاثين سنة. وفي رواية للعياشي بسنده عن علي بن حمزة عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام بشأن قوله تعالى في سورة هود: (إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل مظلمًا)، فقال أبو عبد الله عليه السلام: وهكذا قرأه أمير المؤمنين عليه السلام. (هامش: م. ن. جزء ٢، ص ١٥٨). وفي

هذا الاتجاه نفسه الذي يحاول فيه المستشرقون والمبشرون الاعتماد على الأناجيل المسيحية بغية العثور على آيات فيها تخبر عن أن المسيح ابن مريم ﷺ كان قد لقب بهذا التعبير الرسالي أي بخاتم النبيين، وقد أشاروا إلى إنجيل يوحنا وإنجيل متى لدعم أقوالهم. ومن بين هؤلاء المستشرق الإيطالي ماركو ديميكيليس Marco Demichelis وهو باحث من تورينو جامعة جنوة (Università degli Studi di Genova) وهي إحدى الجامعات الإيطالية الكبرى. وهو باحث أول في الدراسات الإسلامية وتاريخ الشرق الأوسط، يعمل في مركز ICS في جامعة نافارا Navarra. وقد عمل سابقاً بصفة زميل في Marie Curie Fellow في سنة ٢٠١٦ في المؤسسة الأكاديمية نفسها، وكذلك هو باحث في قسم الدراسات الدينية في الجامعة الكاثوليكية للقلب المقدس - Catholic University of Sacred Heart في ميلانو (٢٠١٣-٢٠١٦)، وأستاذ مساعد في تاريخ العالم الإسلامي في جامعة تورينو (٢٠١٠-٢٠١٢). وحصل على درجة الدكتوراه (٢٠١٠) من جامعة جنوة، قسم الدراسات السياسية. وله عدة دراسات عن التاريخ الإسلامي في اللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية؛ ومن بين هذه الدراسات الدراسة التي تهمنا، وهي البحث الموسوم بـ: (خاتم النبيين ومنظوره الإبراهيمي الشامل: محمد وعيسى ابن مريم في الحوار وتبادل الآراء)، المنشور في مجلة:

The Khatim an-Nabiyyin (The Seal of the Prophets) and Its Inclusive Abrahamic Perspective .

وعلى الوتيرة نفسها فقد نشرت عدة بحوث ومقالات من باحثين الكنيسة الأرثوذكسية في الولايات المتحدة الأمريكية Orthodox Church in America بعنوان: The seal of the prophets. من بينها المقالة التي كتبها الأب لورنس فارلي Fr. Lawrence Farley تحت عنوان: Reflections in Christ تأملات في المسيح: خاتم النبيين The seal of the Prophets، ونشرت في ٢٢ حزيران من سنة ٢٠١٨.



وفي هذين الإسهامين كليهما وغيرهما، يذهب مؤلفوها إلى إبراز المفاهيمية في الديانة الإبراهيمية كونها الديانة التوحيدية التي تجمع بين نبوة عيسى عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم. فالمستشرق ماركو ديميكليس في بحثه إنما كان يهدف إلى جعل التعبير "خاتم الأنبياء" هو التعبير الذي قد طبق على النبي عيسى عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك فهو يفتح بحثه بقول يبرز فيه تحت عنوان هادف وواضح بما ترجمناه على صفحة ١ بالآتي: "الخاتم المزدوج: عيسى ومحمد: فخاتم الأنبياء موضوع خاص للحوار الإسلامي المسيحي. وإن نتائج التحليل هاهنا تسلط الضوء على الافتراض الأخروي من ناحية أن الخلاص هو فهم مشترك لله، ولكن من ناحية أخرى، سيكون هناك أيضًا تفسير فهم تعقيداتها الإبراهيمية". ويستمر في تلخيص هدفه الرئيس فيقول: "الهدف الأساس هو التأكيد على المنطق الإسلامي الباطني والروحي لمفهوم "خاتم الأنبياء" من المنظور الإسلامي - المسيحي الإبراهيمي، متبنين المنطق نفسه الذي استعمله علماء المسلمين في عصرهم "القديم". في الوقت نفسه، يركز البحث على التجاور juxtaposition بين عيسى ومحمد بوصفها شخصيات نبوية بموازاة مع رواية السرد الإسلامي لتأطير استمرارية تأويلية من القصص الخاصة للعهدين القديم - الجديد تصل إلى فهم الآيات القرآنية".

ثم يقول ما نصّه: "بالإمكان تلخيص الخصوصية الإسلامية على أنها استمرار لهذه العقيدة بالديانات الإبراهيمية السابقة (اليهودية منها والمسيحية، ومن ثمّ الثنوية الإيرانية كالمانوية Manicheism، وكذلك أيضًا حيثما تتوافق وتتطابق مع النبي والرسول، في الأقل في شخصيات كموسى وماني وعيسى ومحمد الذين كانوا أنبياء الله". وعلى الصفحة رقم ٢ يستمر في إبراز مضمون بحثه وهدفه فيقول: "في ديناميكية الحوار الإسلامي المسيحي، من المهم علينا -عندئذ- أن نعلم كيفية أن عيسى الناصري ومحمدا قد أعطيا دور "خاتم الأنبياء"، على الرغم من الاختلافات التي ما تزال بارزة. ففيما يتعلق بعيسى، فإنه هو الخاتم الذي أكد عليه العهد القديم



المسياني (المسيحي)، والرواية اليهودية). فيسوع هو الخاتم؛ لأن عهده الذي بدأ في هذا العالم سيستمر في العالم الآخر، ومحمد من الجانب الآخر هو "خاتم الأنبياء" للتقليد الإبراهيمي، وكما يوضح القرآن: "محمد ليس أبا لأحد من رجالكم وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا. (٣٣: ٤٠)" (٦٩).

وبحسب ما أوردناه فإن المستشرق يربط بين جميع الديانات التوحيدية وغير التوحيدية للوصول إلى مقصده في تحجيم المكانة الربانية من اختيار الله تعالى لرسول الله ﷺ خاتما لجميع هؤلاء الأنبياء، موسى وعيسى عليهما السلام. غير أنه جمع معهم زعماء الديانات الفارسية الثنوية الذين لا يعدّون أنبياء بعثهم الله تعالى للهداية والإيمان بوحانيته سبحانه وتعالى، وأقصد بذلك الزرادشتية والمانيوية وغيرهما.

وهناك نقطة مهمة جدا وهي أنني قرأت جميع آيات إنجيل يوحنا وليس فقط آية ١٣ كما أشار الأب لورنس فارلي Fr. Lawrence Farley لعلّي أطلع على تعبير يشير إليها في أعلاه، ألا وهي الأطروحة التي كتبها الأب في مقالته المشار إليها، ونصّها: "إن يوحنا -في الواقع- تجسيد لرسالة العهد القديم، وعلى هذا النحو فقد وقف في نهاية الصف أو الطابور الطويل من التاريخ المقدس. "كل الأنبياء والشرعة التي تبشر وتعظ إلى عهد يوحنا" (آية ١٣)، هو الذي كان النبي النهائي أو الخاتم، وخاتم الأنبياء، وذلك لأنه لم يكن بعده نبوة من العهد القديم" (٧٠).

وقد راجعت إنجيل يوحنا ١٣، والآية ١٣ من آياته، بل من الآية ١٢ إلى الآية ١٧، فلم أعثر على نصّ ما قاله الأب لورنس؛ وهذه هي نصوص الآيات من إنجيل يوحنا ١٣:

١٢ - فَلَمَّا كَانَ قَدْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ وَأَخَذَ ثِيَابَهُ وَاتَّكَأَ أَيضًا، قَالَ لَهُمْ: "أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ؟

١٣ - أَأَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ، لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ.



- ١٤- فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَإِنَّكُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ،
 ١٥- لِأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالًا، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا.
 ١٦- الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلَا رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ.
 ١٧- إِنْ عَلِمْتُمْ هَذَا فَطُوبَى لَكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ.

فتعبير السيد المسيح (عليه السلام): بالسيد والمعلم، وكذلك تعبيره (عليه السلام): ولا رسول أعظم من مرسله، لا تتعلق بالتعبير الرسالي لرسول الله ﷺ بالخاتمية. والحالة نفسها بخصوص كلام المستشرق ماركو ديميكليس الذي يقول فيه ما نصّه: "في ديناميكية الحوار الإسلامي المسيحي، من المهم علينا -عندئذ- أن نعلم كيفية أن عيسى الناصري ومحمدا قد أعطيا دور "خاتم الأنبياء"، على الرغم من الاختلافات التي ما تزال بارزة. ففيما يتعلق بعيسى، فإنه هو الخاتم الذي أكد عليه العهد القديم المسماني (المسيحي)". معتمدا في رؤيته هذه على إنجيل يوحنا ١٩ الآيات ٢٥ إلى الآية ٣٠، وعند مراجعة إنجيل يوحنا المشار إليه والآيات المذكورة، لم أجد أمرا فيه له علاقة بخاتم النبیین. ونصوص الآيات هي: "٢٥ - وَكَانَتْ وَقِافَاتٌ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ، أُمُّهُ، وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كَلُوبَا، وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ. ٢٦ - فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ، وَالتِّلْمِيزَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفًا، قَالَ لِأُمِّهِ: "يَا امْرَأَةُ، هُوَذَا ابْنُكَ". ٢٧ - ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيزِ: "هُوَذَا أُمُّكَ". وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيزُ إِلَى خَاصَّتِهِ. ٢٨ - بَعْدَ هَذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ: "أَنَا عَطْشَانٌ". ٢٩ - وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعًا مَمْلُوءًا خَلًّا، فَمَلَأُوا إِسْفَنْجَةً مِنَ الْخَلِّ، وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ. ٣٠ - فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: "قَدْ أُكْمِلَ". وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ".

وراجعت الإنجيل نفسه رقم ١٤ كذلك لم أعر على ما ذكره المستشرق، ونصوص الآيات هي: "١٤ - إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ. ١٥ - إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا



وَصَايَايَ. ١٦ - وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْأَبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًّا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ. وفي إنجيل يوحنا ١٥ هناك تعبير المعزي، وهو تعبير يعتقد المسيحيون أنه دلالة على الخاتم، ولكنه -بوضوح- لا علاقة له بذلك، ولكن التعبير هو ما أوصى به السيد المسيح ﷺ بأن النبي محمداً ﷺ هو الذي بشر به بوصفه نبياً يأتي بعده، أي بعد السيد المسيح، "٢٥ - لَكِنْ لِكَيْ تَتِمَّ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ فِي نَامُوسِهِمْ: إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي بِلا سَبَبٍ. ٢٦ - وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزِي الَّذِي سَأَرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْأَبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. ٢٧ - وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لَأَنَّكُمْ مَعِيَ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ". وفي الوقت نفسه فإن إنجيل متى وسفر دانيال أيضا لا ينصّان على أن المسيح ﷺ كان خاتماً للأنبياء. فجاء في سفر دانيال ٩ إصحاح ٢٤ ما نصّه: "٢٤ - سَبْعُونَ أُسْبُوعًا قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى مَدِينَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَكْمِيلِ الْمَعْصِيَةِ وَتَتِمِيمِ الْخَطَايَا، وَلِكَفَّارَةِ الْإِثْمِ، وَلِيُؤْتَى بِالْبَرِّ الْأَبَدِيِّ، وَلِيَخْتَمَ الرُّؤْيَا وَالنُّبُوءَةُ، وَلِمَسْحِ قُدُوسِ الْقُدُوسِينَ. ٢٥ - فَاعْلَمْ وَأَفْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الْأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبِنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةُ أَسَابِيعَ وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ أُسْبُوعًا، يَعُودُ وَيُبْنَى سُوِّقٌ وَخَلِيجٌ فِي ضِيقِ الْأَرْمَنَةِ". ولكن يقول النصارى: إن هذه النبوءة المقصود بها المسيح، وإنه هو قدوس القدوسين وخاتم النبوة والرؤيا؛ لكن المسيح ليس خاتم النبوات والرؤيا المقصودة في النص من نبوءة دانيال.



هوامش الفصل الرابع

١- تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ٢٠٠٨؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ١٤٢٠-١٩٩٩؛ تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، Is Muhammad the Seal of the Prophets? مؤسسة الرسالة، -2006 1427 - BahaiTeachings.org

2- Following Muhammad, Rethinking Islam in the Contemporary World, The University of North Carolina Press Chapel Hill and London, 2003 Pp.80-81.

٣- ينظر: كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية، تأليف أبي الريحان البيروني، تحقيق: أشرف صالح محمد سيد، القاهرة، دار النشر الإلكتروني: ص ٢٠٧-٢٠٨.

٤- ابن النديم، فهرست ابن النديم: ص ٣٩٧؛ البيروني، كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ٢٠٨.

٥- الآثار الباقية عن القرون الخالية، تأليف أبي الريحان البيروني: ص ٢٠٨.

6- Q URANIC STUDIES, Sources and Methods of Scriptural Interpretation JOHN WANSBROUGH, : Oxford University Press. 1977 P.64-65.

٧- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢٤-٢٠٠٣، جزء ١، ص ٣٨٧-٣٨٨.

٨- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، سنة النشر: ١٣٩٩-١٩٧٩، جزء ٢، ص ٢٤٥.

٩- الفروع من الكافي، المكتبة الإلكترونية: ج ٦، ص ٤٧٣-٤٧٤، باب نقش الخواتيم.
١٠- ديوان الأعشى الأكبر: اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥، ص ١٨٧.

١١- لسان العرب: ابن منظور، المطبعة المصرية للطباعة والتأليف والنشر، (د.ت.)، جزء ٣، ص ٢٦.

12-Abrahamic Religions in Late Antiquity, Oxford: Oxford University Press. 2015.

١٣- ينظر: ابن النديم، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، ص ٣٩١-٣٩٧؛ أبو الريحان البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: برونزاذ كائي، ص ٢٥٢.

١٤- ابن النديم، الفهرست، ص ٤٠١-٤٠٢.

15- Alexander Toepel, Seal and Comforter: On the Apocalyptic Prophethood of Elkasai, Mani, and Muḥammad. The Bible, the Qur'ān, & Their Interpretation: Syriac Perspectives CORNELIA B. HORN, Editor Printed in the United States of America 2013, Pp. 157-166.

16- The Seal of the Prophets: Historical Relationships Between Judaism, Jewish Christianity, Paganism and Early Islam (Works on New Testament Theology and Contemporary History).

17- From Wikipedia, the free encyclopedia.

١٨ - شرح الكتاب المقدس، القمص أنطونيوس فكري، تفسير سفر دانيال.

19-Carsten Colpe: Das Siegel der Propheten in Orientalia Suecana, vol. XXX111-XXXV (1984-1986) Pp. 71-72.

٢٠ - وكيبيديا Wikipedia.

21-A German version of this contribution was published under the title "Das Siegel der Propheten." Maimonides und das Verständnis von Mohammeds Prophetentum," in The Trias of Maimonides: Jewish, Arabic and Ancient Culture of Knowledge, edited by Georges Tamer (Berlin, 2005), 289-306.

٢٢ - السيوطي، الدر المشثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى: ٩١١هـ، دار الفكر، بيروت؛ ibidk P. 566 hartmut bobzin ؛ يراجع كتاب: نهاية الأرب في فنون الأدب.

23-From Wikipedia, the free encyclopedia .

٢٤ - ينظر: صحيح البخاري، برقم ٣٥٣٢؛ وصحيح مسلم برقم ٢٣٥٤.

٢٥ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد المتوفى: ٢٣٠هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، جزء ١، ص ١٠٤ - ١٠٥.

26- Beiträge zur Erklärung des korān, P. 72 .

27- Hirschfeld, Hartwig (1886) P. 71. (Beiträge zur Erklärung des Korān in German). Leipzig 1886

٢٨ - ينظر: "Finality of the prophethood in Sunni Islam" Yohanan Fried-

mann، ص ٢١٣.



٢٩- تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي المتوفى: ١٥٠ هـ، تحقيق، عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هجرية.

٣٠- جزء ٣، ص ١٩٨-١٩٩.

٣١- المؤلف: علي بن إبراهيم القمي المتوفى ٣٢٩ هجرية، تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري، طبعة ١٣٨٧، جزء ٢، ص ١٩٤.

٣٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م، جزء ٨، ص ١٦٠-١٦٦.

٣٣- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري المتوفى: ٣١٠ هـ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م، جزء ٢٠، ص ٢٧٨-٢٧٩.

٣٤- تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م، جزء ٢٠، ص ٢٧٨-٢٧٩.

٣٥- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤٢٧-٢٠٠٦، جزء ١٤، ص ١٩٦.

٣٦- تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى: ٧٧٤ هـ، (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، جزء ٦، ص ٣٨١-٣٨٤.

٣٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المتوفى: ١٢٧٠ هـ، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، جزء ١١، ص ٢١١-٢١٢، جزء ١١، ص ٢٠٨-٢١٠.

٣٨- البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، د. م. الناشر: دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ، ج ٦، ص ٣.

٣٩- صحيح البخاري، ج ٦، ص ٣؛ الصواعق المحرقة على أهل الرافض والضلال والزندقة، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس المتوفى: ٩٧٤ هـ، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد

الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، جزء ٢، ص ٣٥٢.
وأخرج الحديث أهل الصحاح ومنهم البخاري ومسلم في صحيحهما في باب فضائل علي،
صحيح البخاري ج ٢، ص ٣-٥، وج ٥، ص ٤٩٢؛ صحيح مسلم ج ٢، ص ٣٦٠؛ مستدرک الحاكم
ج ٣، ص ١٠٩، كتاب المغازي باب غزوة تبوك.
٤٠- شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٢٥٨.

٤١- ينابيع المودة، للقندوزي، جزء ١، ص ٢٣٣؛ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى،
المؤلف: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المتوفى: ٦٩٤هـ، مكتبة القدسي لصاحبها حسام
الدين القدسي بالقاهرة عن نسخة: دار الكتب المصرية، ونسخة الخزنة التيمورية، عام النشر:
١٣٥٦هـ، ص ٦٣.

٤٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار
الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، جزء ١١، ص ٢١١-٢١٣.

٤٣- المصدر نفسه، جزء ١١، ص ٢١٢-٢١٣.

٤٤- ابن حجر الهيتمي، الفتاوى الحديثية، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى الحلبي، جزء ١، ص
٤٠٥-٤٠٦.

٤٥- ينظر: روح المعاني، ص ٢١٣.

٤٦- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى: ٧٧٤هـ، البداية
والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، جزء ٢،
ص ٤٠١-٤٠٥؛ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي المتوفى في سنة ٨٥٢هـ/
١٤٤٩م، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، جزء ٦، ص ٥٨٣.

٤٧- جزء ١، ص ٧٠.

٤٨- الخصال، ٢: ١٢٥ و ١٢٦.

٤٩- جزء ٣، ص ٢٣٤.

Wilferd Madelung: The succession to Muhammad :A study of the
early Caliphate. CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS. First published 1997
Reprinted 1997، 2001، 2004 .Pp.16-18.

٥٠- السيّد رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسيني الحلّي،
الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السنة، ج ٢، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، الطبعة
الثانية، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٣٧٧هـ جري، ص ٢٤٥ - ٢٤٧؛ المجلسي، بحار
الأنوار، جزء ٣٧، ص ١٣١-١٣٣.



51-Muhammad is Not the Father of any of Your Men: The Making of the Last Prophet, University of Pennsylvania Press, 2009 ,P.80.

52- The Prophet Muhammad in Pre-Modern Jewish Literatures, in The Image of the Prophet Between Ideal and Ideology A Scholarly Investigation Edited by: Christiane J. Gruber and Avinoam Shalem De Gruyter | 2014.

٥٣- البحراني، البرهان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٦، جزء ٥، ص ٧٧٨.

٥٤- محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي المتوفى ٢٩٠ هجرية، ١٤٠٤ قمري؛ بصائر الدرجات في فضائل آل محمد؛ تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، الجزء الأول، القسم ٦، ص ٥٠٠؛ وينظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، جزء ٣٩، ص ١٣٤. ٥٥- المجلسي؛ بحار الأنوار جزء ٣٩ ص ٧٦.

٥٦- ينظر: قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي المتوفى سنة ٥٣٧ هجرية، قصص الأنبياء، وهو يحتوي كتاب النبوة للشيخ الصدوق، جزء ١، تحقيق: الشيخ عبد الحليم عوض الحلبي، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠، صفحة ٣٦٩؛ م. ن. جزء ١١ ص ٤٢ (طبع مؤسسة الوفاء).

٥٧- البرهان، جزء ٤، ص ٤٧٣-٤٧٤؛ ينظر علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، جزء ٢، ص ١٩٤.

٥٨- تفسير نور الثقلين، جزء ٥، ص ١٥٢.

٥٩- تفسير الثقلين؛ سورة البقرة.

٦٠- ينظر: ابن شهر آشوب، المناقب، ط المكتبة الحيدرية، جلد: ٣، صفحة: ٥٤.

٦١- الروضة من الكافي، الجزء ٨، المؤلف: ثقة الإسلام أبو جعفر الكليني، المواضيع: الحديث الشريف، الناشر: دار التعارف للمطبوعات.

٦٢- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٩٧، رقم الحديث ٦٩٩؛ المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ١، ص ٦٢٨، رقم الحديث ٧٠٢.

٦٣- بحار الأنوار، جزء ١٥، ص ٢٧٤-٢٧٥.

٦٤- اليعقوبي، تاريخ، جزء ٢، ص ١٢٠؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، مجلد ١، ص ٢٣٥.

٦٥- فهرست ابن النديم، ص ٣١-٣٢.

٦٦- ينظر: اليعقوبي، تاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٣٧٥ هجرية/ ١٩٥٦ م، جزء ٢، ص ٩١-٩٣.

٦٧- العياشي، تفسير العياشي، دققه وحققه وصححه وعلق عليه: الحاج السيد هاشم الرسولي
المحلاتي، جابخانه علمية، قم.
٦٨- تفسير العياشي جزء ١، ص ٢.

69-The Khatim an-Nabiyyin(The Seal of the Prophets) and Its Inclusive Abrahamic Perspective. Pp.1-2. Marco Demichelis.

70- Orthodox Church in America. The seal of the prophets /June 22 ،
2018 Reflections in Christ / Fr. Lawrence Farley /June 22، 2018 Fr.





المستشرقين اليهود ورؤيتهم التوراتية
خاتم النبيين

بعد أن تطرقنا إلى المستشرقين الذين قدّموا رؤاهم بما له علاقة بالخاتمية وخاتم النبيين، ننتقل الآن إلى تفصيل ما خصّه المستشرقون اليهود من الجيل الأول الذين أطلقنا على تسميتهم بالمستشرقين القدامى، ممّن نال شهرة في كتاباته عن التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية منذ نهاية القرن الثامن عشر للميلاد. وحقيقة الأمر فإن هؤلاء وإن اصطلحنا عليهم صفة «القدامى» فذلك لا يفهم منه إطلاقاً بطلان رؤاهم أو عدم حضورها في الحاضر والمستقبل لكونها قديمة، بل العكس من ذلك تماماً؛ إذ إن المستشرقين اليهود المحدثين والمعاصرين ما زالوا يرددون آراءهم، ويجعلونها أساساً لما يؤكّدونه ويسلّطون الضوء عليه في دراساتهم. فالمستشرق اليهودي المعاصر أوري روبين في أغلب دراساته -وبالأخص ما يهتمنا في هذه الدراسة- يبدّي أهمية واهتماماً بما توصل إليه المستشرق الألماني اليهودي جوزيف هورفيتز Josef Horovitz المولود في ٢٦ يوليو ١٨٧٤ في لوبورك والمتوفى في ٥ شباط من سنة ١٩٣١، والمستشرق اليهودي الهنغاري المعروف الذي يكتب باللغة الألمانية إغناص جولدتسيهر Ignaz Goldziher المولود في ٢٢ تشرين الثاني ١٨٥٠ والمتوفى في شهر حزيران من سنة ١٩٢١، والمستشرق الألماني الآخر رودولف زلهام Rudolf Sellheim الذي كان أستاذاً في عام ١٩٥٦. وهاینرخب شباير Heinrich Speyer المولود في ١ تموز ١٨٩٧ والمتوفى في فرانكفورت في ٧ من شهر تشرين الأول من سنة ١٩٣٥، والمستشرق البروسي Hartwig Hirschfeld المولود في ١٨ من شهر كانون الأول من سنة ١٨٥٤ والمتوفى في ١٠ من شهر كانون الثاني من سنة ١٩٣٤، والمستشرق الألماني غوستاف فايل Gustav Weil المولود في ٢٥ من شهر نيسان والمتوفى في ٢٩ من شهر آب من سنة ١٨٨٩، والمستشرق الألماني اليهودي كوفمان كوهلر Kaufmann Kohler المولود في ١٠ من شهر مايس سنة ١٨٤٣ والمتوفى في ٢٨ من شهر كانون الثاني ١٩٢٦، وغيرهم. لذلك لا بدّ من أن نقدّم رؤى من كتب عن موضوع خاتم النبيين من المستشرقين اليهود القدامى.



وهناك ملاحظة جليّة وواضحة بالنسبة إلى المستشرقين اليهود، سواء كانوا من الجيل الأول أم من المحدثين والمعاصرين، وهي تتركز في أن سياقاتهم في تناول الخاتمية وخاتم النبیین لا تختلف كثيرا عن منهجهم في دراسة المفاصل الأخرى من السيرة النبوية المطهرة، ألا وهو منهج الرؤية التوراتية في متابعتهم لأصل تعبير الخاتم والختم، فهم يرجعون هذا الأصل إلى ما ورد ذكره في أسفار العهد القديم، وبذلك يصرون على أصله التوراتي وعلى الأثر اليهودي في هذا التعبير. وقبل ذلك هناك ملاحظة مهمة ألا وهي هذا التوسع في نشاطات المستشرقين الألمان في البحث والدراسة للموضوع قيد المناقشة، إذ سبق -في ما تقدم ذكره- أن وقفنا على دراسة رؤى عدد من المستشرقين الألمان اليهود وغير اليهود، ثمّ قدّم رؤى وتفسيرات مقبولة عندنا أو غير مقبولة، نظير: كارستن كولبي و ويلفريد مادولنك وفريدريك روكيرت وهرتموت بوبزين وهينريش بيسترفيلد وآخرين.

وكان لتفسيراتهم تأثير ملحوظ في دراسات المستشرقين الأوروبيين والأمريكان والإسرائيليين. لكن من الصعب علينا أن نتكهن بالأسباب الضاغطة في هذا التوجه المعرفي للمستشرقين الألمان، ولعل السبب الذي جعل الاستشراق الألماني ينجح في الولوج إلى هذا المحور العلمي فضلا عن محاور أخرى في التاريخ الإسلامي والدراسات القرآنية والعلمية والفكرية، ودراسة موضوعات صعبة -كهذه المتعلقة بالخاتمية وبعض العلوم عند العرب- على وفق منهج بحثي تحليلي وجدلي، يرجع إلى طبيعة المباني الفكرية والعلمية التي تميزت بها الحياة الفكرية في ألمانيا عبر التاريخ. ويخيل إلينا أن من بين هذه العوامل -بحسب اعتقادنا- عوامل علمية تشجيعية، نراها على الوقف الآتي:

الاتجاه الفكري الألماني المهم في منهج البحث العلمي للرواية الدينية المقدسة -أي رواية دينية، مسيحية كانت أم إسلامية- وهو اتجاه مرتبط بل منشق من ظهور منعطف جريء ومندفع ومتفاعل مع الموقف الإصلاحية الديني الذي ابتدأه القس مارتن لوتر في ألمانيا



منذ العصور الوسطى. إذ كان ذلك المصلح مارتن لوثر 1483 - 1546، المولود في مدينة أيزلبين Eisleben في ألمانيا وفيها توفي، قد تزعم مع غيره من المصلحين الدينيين الألمان والسويسريين ثورة جدية ضد كثير من المتنفذين من رجال الكنيسة ممن سعى جادا إلى تجميد عجلة العلم والعقل وإلى الحظر على عوامل النهضة العلمية والفكرية. وليس مستبعدا أن الزعيم الإصلاحى لوثر أو كالفن قد اطلع على الترجمة اللاتينية للقرآن الكريم من أجل الانتفاع منها في تقوية أفكارهم ودعمها قبالة مزاعم رجال الكنيسة وادعاءاتهم في الوقوف ضد ما ينهض به العقل الإنساني من ثورة على معتقداتهم البالية، وبالأخص عندما نهضت الحركة الإصلاحية التجديدية في موقف المفكرين الألمان من الإنجيل. وبالمناسبة هاهنا علينا القول: إن جهود الإرساليات المسيحية للانتقال إلى منطقة حوض الخليج قد بدأت مع هنري مارتن سنة ١٨١١م الذي ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة العربية، ثم تبعه آخرون حتى عام ١٨٨٩م، إذ بدأت الإرسالية العربية عملياتها على الساحل الشرقي للجزيرة العربية، فالقرآن الكريم كان معروفا ومترجما إلى اللغة اللاتينية، إذ عكف لوثر -مثلا- على التدقيق في صحة ما كان رجال الكنيسة الأوائل يدعون إليه في خطاباتهم الدينية من تشويه وتزييف لمحتويات الإنجيل؛ بهدف الوصول إلى منافع مادية واجتماعية من وراء صكوك الغفران التي ساعدت على ظهور طبقة من المتنفذين والإقطاعيين من بين رجال الدين الكنسيين. فحركة الإصلاح الديني بمثابة سهم أفلت من رماته، فتجاوز -ربما- المدى مصوبا باتجاه مديات جديدة لصالح التوليفة الاجتماعية/الاقتصادية/ الثقافية. فالحركة الإصلاحية أضحت أساساً لحركة الإنارة، إذ اضطرت إلى مجازاة عصر النهضة الذي تمثل قبل كل شيء بالتحويلات الاجتماعية والاقتصادية، والأهم من ذلك كله العقلية والفكرية، وبروز متصاعد للبورجوازية في قبالة النقيض السلبي المتمثل بالكنيسة، وهو العائق الحقيقي أمام التقدم العلمي والاقتصادي. فما إن ظهرت في أوروبا بوادر النهضة العلمية المتأثرة بحضارة المسلمين في الأندلس بعد



ترجمة العلوم الإسلامية واليونانية إلى اللاتينية، وبروز عدد من العلماء الذين بينوا بطلان آراء الكنيسة العلمية وبخاصة في الجغرافيا والفلك حتى تصدّت لهم الكنيسة استناداً إلى ما ورد في الإصحاح الخامس من إنجيل يوحنا إذ يقول: «إن كان أحد لا يثبت في أن يطرح خارجاً كالغصن فيجف، ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق». ولذلك استعملت ضدّهم الرقابة على الكتب والمطبوعات؛ لئلا يذيعوا آراءً مخالفةً للعقيدة الكاثوليكية، وتوسعوا في تشكيل محاكم التفتيش ضدّهم، وقد حكمت تلك المحاكم في المدة من ١٤٨١ - ١٤٩٩ م على تسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بأحكام مختلفة، كما أصدرت قرارات تحرّم قراءة كتب غاليليو وجيوردا نويرنو، وكوبرنيكوس، ونيوتن لقوله بقانون الجاذبية الأرضية، والتأمر على حرق كتبهم. وقد أحرق بالفعل الكاردينال إكيمنيس في غرناطة ثمانية آلاف كتاب مخطوط لمخالفتها آراء الكنيسة، فضلاً عن الآثار العلمية والثقافية الأخرى. أقول: إن ثورة لوثر الإصلاحية قد هيأت تربة علمية خصبة لمنهج التحليل والتدقيق في الكتاب المقدس المسيحي، ومن ثمّ منهجا للمستشرقين الألمان بهدف تبنيهم في دراساتهم للقرآن الكريم من أجل كشف الأدلة والبراهين الإصلاحية^(١).

كما ينبغي أن لا نغض أعيننا عن الاتجاهات الفكرية التي تميزت بها أوروبا الوسطى عامة وألمانيا على وجه الخصوص، إذ كانت رائدة في تحرير العقل الإنساني للولوج في إدراك كنه خلق الله تعالى للطبيعة والكون والإنسان، فأننت مدارس فلسفية، وغاصت عقول الفلاسفة في أعماق المثالية، مثالية هيغل، والمادية، مادية كارل ماركس، وتحليلية كانت وتعاقبية هيغل وشبنجلر.

فالمنهج العقلي كذلك تأثر بفعل المستشرقين الألمان في دراساتهم للتراث الإسلامي، إن كان في فقه جوزيف شاخت إلى تقية جولدتسيهر في كتاباته التي فضّل أن تكون باللغة الألمانية إلى دراسة سيرة سيد الأنام للويس سبرنجر من جوانبها العقديّة



والاجتماعية ثم إلى دراسة ثيودور نولدكه وتلامذته في باكورة الدراسات عن تاريخ القرآن على منهج مجدد للتاريخ، أي كتابه (تاريخ القرآن)، وفردريك شاولي وغوتلف برجستراسر Gotthelf Bergstrasser وأوتو بريetzl Otto Pretzl وغروهمان Grohmann وغوستاف فلوجل Gustav Flugel، وغيرهم.

١- وكما يرى كريمي في بحثه: The historiography of the Quran، المنشور في مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية في طهران، فيشير إشارة مهمة تفيد في تحليل سبب تميز دراسات المستشرقين الألمان، إذ يقول ما نصّه: «فالتعليم الأكاديمي الغربي كان مشغولاً بصورة عامة بالتاريخ، وبضمنه تاريخ المعرفة أو تاريخ العلم، وتاريخ المفاهيم، وفروع المعرفة الإنسانية مقارنة بالعلم أو بالتقليد البحثي الإسلامي. وإن تاريخ التوجه الغربي لدراسة الأديان والكتب المقدسة يعدّ توجهاً حديثاً في أوروبا، ويرجع إلى مدة حوالي القرنين من الزمن»^(٢).

بادئ ذي بدء فإن من المفيد القول: إن من بين أقدم المستشرقين الألمان الذين أسسوا مفهوم التشكيك في مسألة الخاتمية الرسالية هو المستشرق الذي تقدم ذكره أنفا هارتويج هيرشفيلد Hirschfeld Hartwig في كتابه: Beiträge zur Erklärung des Korān: إسهامات في شرح وتفسير القرآن)، الذي يقول ما نصّ ترجمته كلامه إلى اللغة العربية: «حقيقةً إن الآية قد ذكرت نغمة Ton لاسم محمد لقد استعمل المستشرق هذه الكلمة Ton ليعبر بها عن مدى نظرت الاستعلائية الحاقدة على رسول الله ﷺ، تلك التي تترجم أما نغمة أو ذكر أو شهرة. عبد الجبار ناجي وهي أيضاً نغمة أجنبية تماماً، ولم يسبق أن استعملها محمد للتحدث بها بهذه الطريقة طبعاً علينا أن نميز بين تعبيراته التي يفهم منها أيضاً أنه يعتقد أن رسول الله ﷺ هو الذي ألف القرآن الكريم حاشاه الله تعالى، شأنه شأن المستشرقين الحاقدين الآخرين فيقول: إذ تبدأ الآية الثالثة التي تحمل اسم محمد بشكل غامض وتبين الفكرة فجأة أن محمداً ليس أباً لأحد من الرجال، بل هو رسول الله وخاتم النبيين والله عليم بكل شيء. فلم يكن محمد قد اعتاد على أن يتحدث بمثل



ذلك. وكان اتجاه الآية واضحاً من أنها كُتبت عن زيد بأسلوب غير نظيف جداً ضد ابنه بالتبني زيد. بالإضافة إلى هذا السبب فهناك أيضاً سبب خارجي: فإن خاتم النبيين هو عنوان استثنائي ونادر في مضمونه ولا يتناسب كثيراً مع تعبير محمد، ولا يظهر إلا مرة واحدة في القرآن. وفي رواية للبخاري عدّد فيها أسماء محمد، لكن ليس هناك ذكر لخاتم النبيين من بينها». يلاحظ هنا أيضاً أن هيرشفيلد قد كان أحد المؤثرات الرئيسة في هذه الرؤية التشكيكية والمتعصبة في زميله ومعاصره المستشرق جوزيف هوروفتز، فالمستشرق هيرشفيلد هو الذي ادّعى أن تعبير «خاتم» غير عربية، إنّها عبرية، Khatam، ist nicht arabisch، sondern das hebraische، وقد أسس هذه الرؤية عند المستشرقين اليهود الذين عاصروه أو الذين جاءوا بعده.

فالمستشرق المعروف جوزيف هوروفتز Josef Horovitz المتوفى في سنة ١٩٣١، ابن ماركوس هوروفيتس (١٨٤٤-١٩١٠)، وهو حاخام أرثوذكسي، كان مستشرقاً ألمانياً يهودياً قد درس مع إدوارد سخاو Eduard Sachau في جامعة برلين بالمستشرق المشهور كارل إدوارد ساشاو (٢٠ يوليو ١٨٤٥ - ١٧ سبتمبر ١٩٣٠) درس اللغات الشرقية في جامعتي كيل ولايبزيغ Kiel and Leipzig، وحصل على الدكتوراه من جامعة هاله Halle عام ١٨٦٧. وأصبح أستاذاً استثنائياً في فقه اللغة السامية (١٨٦٩)، وأستاذاً متفرغاً (١٨٧٢) في جامعة فيينا، وفي عام ١٨٧٦ أصبح أستاذاً في جامعة برلين، حيث عُيّن مديراً للندوة الجديدة للغات الشرقية Seminar of Oriental languages (١٨٨٧). سافر إلى الشرق الأدنى في عدة مناسبات، وهو جدير بالملاحظة بشكل خاص لعمله على اللهجات السريانية والآرامية الأخرى. كان مختصاً بالموسوعيّ الفارسيّ البيرونيّ. عمل مستشاراً في تخطيط وبناء سكة حديد بغداد - برلين. وكان من بين طلابه المعروفين يوجين ميتفوخ، مؤسس الدراسات الإسلامية الحديثة في ألمانيا. عبد الجبار ناجي من Wikipedia، the free encyclopedia. وكان هوروفتز يعمل في جامعة برلين منذ

عام ١٩٠٢ بصفة محاضر. من عام ١٩٠٧ إلى عام ١٩١٥ عمل في الهند في كلية محمد أنجلو الشرقية Muhammadan Anglo-Oriental Colleg في عليكرة Aligarh (لاحقاً سميت جامعة عليكرة الإسلامية)، وقام بتدريس اللغة العربية بناءً على طلب أمين الحكومة الهندية للنقوش الإسلامية. في هذا الدور أعد مجموعة Epigraphia In-do-Moslemica (١٩٠٩-١٩١٢) «النقوش الهندية المسلمة». وبعد عودته إلى ألمانيا كان من عام ١٩١٤ حتى وفاته أستاذًا للغات السامية في الحلقة الدراسية الشرقية بجامعة فرانكفورت. وكان منذ تأسيس الجامعة العبرية في القدس عضوًا في مجلس أمنائها. وقد أسس هناك قسم الدراسات الشرقية وكان رئيسًا له. وركز هوروفتزر في دراساته في البداية على تاريخ الأدب العربي. ثم نشر فهرسًا أبجديًا للشعر العربي القديم. كان عمله الرئيس هو (تفسير وشرح القرآن الكريم)، ذلك الذي ظل غير مكتمل. وفي دراساته القرآنية (١٩٢٦) استعمل طريقته في التحليل التفصيلي للغة رسول الله ﷺ وصحابته، والرؤى التاريخية من دراسته للنصوص المبكرة، ودرس العلاقة بين الإسلام واليهودية. وواقعا فقد ظهرت أعماله عن الهند تحت الحكم البريطاني عام ١٩٢٨، وتمتد من سلالة مسلمي دلهي الأولى حتى ظهور غاندي^(٣). المهم أنه ألف كتابا باللغة الألمانية عن القرآن الكريم بعنوان: «Koranische Untersuchungen» بمعنى تساؤلات أو تحقيقات قرآنية»، ووقف في معرض كتابه على موضوع الخاتمية «خاتم النبيين» على الصفحتين ٥٣-٥٤. ولعل من المناسب طرحه هنا أن المستشرق هوروفتزر كان يهوديا متعصبا، فكان والده -كما مرّ بنا أعلاه- ماركوس هوروفتسز المتوفى سنة ١٩١٠م حاخاما أرثوذكسيا، فضلا عن أن هوروفتزر نفسه كان منذ تأسيس الجامعة العبرية في القدس عضواً في مجلس أمنائها. وقد أسس هناك قسم الدراسات الشرقية وكان رئيسا له، فنراه يشدد في تفسيره الذي سندي به في أدناه على أمرين مهمين: الأول أن أصل خاتم أو ختم يرجع إلى اللغة العبرية والآرامية، والثاني أنه يتابع التعبير خاتم وختم في أسفار العهد



القديم، التوراة، معتمدا على مستشرق ألماني يهودي معاصر وهو هارتويج هيرشفيلد Hartwig Hirschfeld المتوفى بعد ثلاث سنين بعد هوروفتز، فهما متعاصران، وربما كان هوروفتز قد اطلع على رأيه في كتابه:

Beiträge zur Erklärung des Korān(in German). Leipzig 1886، أي:

إسهامات في شرح وتفسير القرآن (باللغة الألمانية). (لايزخ ١٨٨٦).

وعلينا أن نشير هنا إلى أن بعضا ممن كتب عن المستشرق هوروفتز ممن لم يطلع فعلا على ما كتبه في كتابه المنوه عنه قبل أسطر يلخص قوله معتمدا على رأي جاهز ولم يقرأ كتابه؛ فيقول -مثلا- البروفسور إيهاب Dr. Ahab Bdaiwi ملخصا رؤية هوروفتز: «اقترح جوزيف هوروفيتس تفسيرين محتملين لخاتم النبيين: آخر نبي أو الذي يؤكد صحة الأنبياء السابقين». والحقيقة ليست كذلك كما سيأتي نصّ كلام هوروفتز.

وثالثا بما أنه -أي المستشرق هوروفتز- واسع المعرفة بالشعر الجاهلي وله عدة مؤلفات في هذا الاتجاه، فقد استشهد ببعض الشعراء الذين اعتنقوا الإسلام، وأنشدوا أبياتا تتضمن تعبير الخاتم. فيقول المستشرق البروفسور هوروفتز ما نصّه: «وفي المدينة المنورة، سمى (nennt) باللغة الألمانية تترجم إلى سمى أو دعا) محمد نفسه في سورة رقم ٣٣: ٤٠ ويقصد سورة الأحزاب الآية الكريمة رقم ٤٠، وهنا لا بدّ من التعليق على كلام المستشرق بأنه يعتقد -كما كان يعتقد عدد من المستشرقين من الجيل الأول أو حتى بعض المعاصرين منهم- أن رسول الله ﷺ حاشاه الله تعالى هو الذي كتب أو وضع القرآن الكريم فتراه يستعمل تعبيرا تشكيكيا بفعل سمى nennt نفسه. عبد الجبار ناجي بـ«رسول الله وخاتم النبيين»، وإن كلمة خاتم -جاءت من الأرامية من تعبير هاتما: hätmä-، ويمكننا بالفعل العثور على معنى خاتم أو الخاتم في الشعر الجاهلي. ومع ذلك، فقد أشار هيرشفيلد إلى أن التعبير ورد في سفر حجي جزء ٢، إصحاح ٢٣ الذي يقول (إصحاح ٢٣): «فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، أَخْذُكَ يَا

زَرْبَابِلُ عَبْدِي ابْنُ شَالْتَيْيِلَ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَجْعَلْكَ كَخَاتِمِ، لَأَنِّي قَدْ اخْتَرْتُكَ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ واقعا فقد اطلعت على سفر حجي والإصحاح الذي ورد فيه تعبير خاتم، ولكن التعبير هاهنا يختلف في موضعه وتفسيره عن تعبير الخاتمية الرسالية؛ فإذا ما أنعمنا النظر في الإصحاحات السابقة لهذا الإصحاح نكتشف أن التعبير يقصد به غير ذلك؛ ففي الإصحاح ٢٠ ينص السفر - أي سفر حجي - على الآتي: «وَصَارَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ ثَانِيَةً إِلَى حَجِّي، فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ قَائِلًا»: إصحاح ٢١ «كَلَّمَ زَرْبَابِلَ وَالْيَهُودَ قَائِلًا: إِنِّي أَرْزُلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» إصحاح ٢٢ «وَأَقْلَبُ كُرْسِيَّ الْمَلِكِ، وَأُبِيدُ قُوَّةَ مَمَالِكِ الْأُمَمِ، وَأَقْلِبُ الْمُرْكَبَاتِ وَالرَّاكِبِينَ فِيهَا، وَيَنْحَطُّ الْخَيْلُ وَرَاكِبُوهَا، كُلُّ مَنْهَا بِسَيْفِ أَخِيهِ» إصحاح ٢٣ «فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، آخُذْ يَا زَرْبَابِلُ عَبْدِي ابْنُ شَالْتَيْيِلَ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَجْعَلْكَ كَخَاتِمِ، لَأَنِّي قَدْ اخْتَرْتُكَ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، فالمعنى هنا يتلائم مع ما تقدم من إصحاحات. عبد الجبار ناجي.

ويستمر المستشرق هوروفتز في قوله: «وكذلك ورد التعبير في إرميا ٢٤: ٢٢ الذي جاء نصه: «حَيَّ أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ، وَلَوْ كَانَ كُنْيَاهُ بَنُ يَهُوَيَا قِيمَ مَلِكٍ يَهُودًا خَاتِمًا عَلَى يَدِي الْيُمْنَى فَإِنِّي مِنْ هُنَاكَ أَنْزِعُكَ» وهنا أيضا فإن نص الإصحاح في سفر إرميا يتعلق بتعبير خاتم في إصبع اليد اليمنى ولا علاقة له بتعبير الخاتمية الرسالية لخاتم النبیین، وهو ما يكون واضحا وبينا في الإصحاحين اللذين يعقبان مباشرة، وهما إصحاح ٢٥ وإصحاح ٢٦ ونصهما: «وَأُسَلِّمُكَ لِيَدِ طَالِبِي نَفْسِكَ، وَلِيَدِ الَّذِينَ تَخَافُ مِنْهُمْ، وَلِيَدِ نَبُو خَذْرَاصَرَّ مَلِكِ بَابِلَ، وَلِيَدِ الْكَلْدَانِيِّينَ. ٢٦ وَأَطْرَحُكَ وَأُمُكَ النَّبِيَّ وَلَدْتُكَ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى لَمْ تُولَدْ فِيهَا، وَهُنَاكَ تَمُوتَانِ». عبد الجبار ناجي. ويعقب المستشرق هوروفتز على هذين الإصحاحين بما له علاقة برسول الله ﷺ فيقول: «لكن محمدا يقف مع الأنبياء السابقين في علاقة مختلفة: فهو لا ينفذ أوامره، بل يؤكد - غالبًا ما يمكن تسمية نفسه مصدقهم - حقيقة مصدقهم. لذا فإن التعبير يمكن أن يكون أقرب إلى تعبير وصي

الأنبياء Beglaubigter der Propheten كما يشير إصحاح ٢٣ في سفر حجّي رقم ٢. على الرغم من أننا يجب أن نتذكر أن القرآن ليس فيه أي شيء يكشف عن الختم «ختم» الرسائل. ولكن يمكن أن يكون التركيز أيضاً على حقيقة أن محمداً كان آخر نبي. والخاتم في شبه الجزيرة العربية كما رأينا، كان معروفاً حتى قبل محمد، يمكن للمرء أن يعطي بصمة للمقارنة ولا يحتاج بعد ذلك إلا للتفكير في الاعتماد على نموذج غريب، إذ إن أنبياء آخرين كانوا قبله «أختام الأنبياء». أو هكذا ادّعى أتباعهم في ماني كما يقول البيروني». ويستشهد هوروفتر بأبيات شعرية أنشدها العباس بن مرداس فيقول: «خاطب عباس بن مرداس النبي يوم حنين»:

يا خاتم النبأ إنك مرسل *** بالحق كل هدى السبيل هداكا
إن الإله بنى عليك محبة *** في خلقه ومحمداً أسماكا

يلاحظ أن المستشرق استعمل التعبير الذي أنشده عباس بن مرداس، أقصد «النبأ»، وهو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن حيي بن الحارث بن بهثة بن سليم السلمي يكنى أبا الفضل وقيل أبا الهيثم. أسلم قبل فتح مكة ببسير، وكان من المؤلفة قلوبهم ومن حسن إسلامه منهم، ولما أعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم من سبي حنين الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الإبل، ونقص طائفة من المائة منهم عباس بن مرداس جعل عباس بن مرداس يقول إذا لم يبلغ به من العطاء ما بلغ بالأقرع بن حابس وعيينة بن حصن:

أتجعل نبي ونهب العبيد *** بين عيينة والأقرع
فما كان حصن ولا حابس *** يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما *** ومتن توضع اليوم لا يرفع
وقد كنت في القوم ذا تُدرأ *** فلم أعط شيئاً ولم أ منع
فصالاً أفائل أعطيتها *** عديد قوائمها الأربع



وكانت نهبا تلافيتها *** بكري على المهر في الأجرع

وإيقاظي القوم أن يرقدوا *** إذا هجع الناس لم أهجع

فقال رسول الله ﷺ: اذهبوا فاقطعوا عني لسانه، فأعطوه حتى رضي، وكان شاعرا

محسنا مشهورا بذلك. وهو القائل:

يا خاتم النبأ إنك مرسل *** بالحق كل هدى السبيل هداكا

إن الإله بنى عليك محبة *** في خلقه ومحمدا سهاكا

ثم الذين وفوا بما عاهدتهم *** جند بعثت عليهم الضحاكا

يغشى ذوي النسب القريب وإنها *** يبغي رضا الرحمن ثم رضاكا

رجلاً به ذرب السلاح كأنه *** لما تكنفه العدو يراكا

أخبرك أن قد رأيت مكره *** تحت العجاجة يدفع الإشراكا

طورا يعانق باليدين وتارة *** نفري الجماجم صارما بتاكا

وكان عباس بن مرداس ممن حرّم الخمر في الجاهلية، ويقال: إنه أول من حرّمها

في الجاهلية على نفسه. قال محمد بن عمر الواقدي: «لم يسكن العباس بن مرداس مكة

ولا المدينة وكان يغزو مع رسول الله ﷺ ويرجع إلى بلاد قومه، وكان ينزل بالبادية

بناحية البصرة، روى عنه ابنه كنانة بن عباس». و(الأنبياء) جمع (نبي)، وقد جاء في

جمع (نبي): (نبأ)، قال العباس بن مرداس السلمي، يمدح النبي ﷺ:

يا خاتم النبأ إنك مرسل *** بالحق حيث هدى الإله هداكا

وهو غير مهموز في قراءة الجمهور إلا نافعاً، فإنه قرأ الأنبياء، والنبيين بهمز.

يلاحظ أن البيت الشعري قد اختلف في قراءته. عبد الجبار ناجي^(٤).

ويستمر المستشرق قائلا: «في حين إن هناك شعرا نسب إلى عبد الله بن الزبعرى ليس

النبي نفسه خاتم، لكن من تعلق بشخصه كعلامة فيقول:

وعليك من علم المليك علامة *** نور أغر وخاتم مهتم



وعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُبَيْرِ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هَضِيصِ الْقُرَشِيِّ السَّهْمِيِّ الشَّاعِرِ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ بِلِسَانِهِ وَنَفْسِهِ، وَكَانَ يَنَاضِلُ عَنْ قُرَيْشٍ وَيَهَاجِي الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ، قَالَ الزُّبَيْرُ: كَذَلِكَ تَقُولُ رِوَاةُ قُرَيْشٍ: إِنَّهُ كَانَ أَشْعَرَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. ثُمَّ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ الْفَتْحِ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ، قَالَ يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ هَرَبَ هَبِيرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى نَجْرَانَ، فَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَهُوَ بِنَجْرَانَ:

لَا تَعْدَمَنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بَغْضَهُ *** نَجْرَانُ فِي عَيْشٍ أَجْدَ لَيْثِمٍ
فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ، وَقَالَ حِينَ أَسْلَمَ:
يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنِّ لَسَانِي *** رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بِوَرٍ
إِذْ أَجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغِي *** وَمِنْ مَالٍ مِيلَهُ مَثْبُورٍ
أَمِنَ اللَّحْمَ وَالْعِظَامَ بِمَا قُلْتُ *** نَفْسِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إِنْ مَا جِئْتَنَا بِهِ حَقَّ صَدَق *** سَاطِعُ نَتُورِهِ مَضِيءٌ مُنِيرُ
جِئْتَنَا بِالْيَقِينِ وَالْبِرِّ وَالصَّدَق *** وَفِي الصَّدَقِ وَالْيَقِينِ سُرُورُ
أَذْهَبَ اللَّهُ ضَلَّةَ الْجَهْلِ عَنَّا *** وَأَنَانَا الرِّخَاءُ وَالْمَيْسُورُ
وَقَالَ أَيْضًا:

مَنْعَ الرِّقَادِ بِلَابِلٍ وَهَمُوم *** وَاللَّيْلِ مَعْتَلِجِ الرِّوَاقِ بِهِمِ
مِمَّا أَتَانِي أَنْ أَحْمَدَ لَامِنِي *** فِيهِ فَبِتُ كَأَنِّي مُحْمُومُ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا *** عِيرَانَةُ سِرْحِ الْيَدَيْنِ غُشُومُ
إِنِّي لَمُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي *** أَسْدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهِيمُ
أَيَّامُ تَأْمَرْنِي بِأَغْوَى خَطَاةٍ *** سَهْمٌ وَتَأْمَرْنِي بِهَا خُزُومُ
وَأَمْدُ أَسْبَابِ الْهَوَى وَيَقُودُنِي *** أَمْرُ الْغَوَاةِ وَأَمْرُهُمْ مَشُومُ

فالـيوم آمـن بالنـبي محمـد *** قـلبـي ومـخـطـى هـذه محـروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها *** وأنت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والداي كلاهما *** وارحم فإنك راحم مرحوم
وعليك من سمة المليك علامة *** نور أغرر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه *** شرفا وبرهن الإله عظيم^(٥).

ومما يجدر التنويه إليه أن المستشرق الأمريكي جون ونزبورو قد اعتمد على ما أشار إليه المستشرق هيرشفيلد والمستشرق هوروفتز من إحالات إلى السفين حجّي وإرميا في ما له علاقة بتعبير خاتم، فيقول ما نصّه الآتي: «فالمعيار calque الذي اقترحه هيرشفيلد Hirschfeld باللغة العبرية خاتم الوارد في سفر (حجي ٢٣: ٢)، اقتضى أن يتم تفسير المتشابه العربي معه على أنه «طبع»، إشارة إلى الاختيار الإلهي. وما شرحه وطرحه هوروفتز Horovitz أنه وازن بين خاتم ومصّدق، بمعنى التصديق بالأنبياء السابقين والكتب المقدسة السابقة، وهو استعمال قرآني متكرر، مثال على ذلك ما جاء في سورة ٢ الآية ١٠١ يقصد سورة البقرة والسورة ٣ ويقصد سورة آل عمران الآية ٨١. ويقصد ونزبورو سفر حجّي ٢ الإصحاح ٢٣ الذي جاء فيه: «فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، أَخْذُكَ يَا زَرْبَابُلُ عَبْدِي ابْنُ شَالْتَيْيَل، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَجْعَلُكَ كَخَاتِمٍ، لِأَنِّي قَدْ اخْتَرْتُكَ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ». وقد علّقنا على ما ورد في سفر حجّي في حينه، إذ إن المقصود في الإصحاح «الخاتم» لا خاتم النبيين. عبد الجبار ناجي. وكذلك ما جاء في سفر إرميا ٢٢: ٢٤ وهاهنا يقصد المستشرق سفر إرميا ٢٢ الإصحاح ٢٤ الذي جاء فيه: «حَيِّ أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ، وَلَوْ كَانَ كُنْيَاهُ بَنُ يَهُوَيَاقِيمَ مَلِكُ يَهُوذَا خَاتِمًا عَلَى يَدَيِ الْيُمْنَى فَإِنِّي مِنْ هُنَاكَ أَنْزَعُكَ»، وهنا أيضا فإن المقصود كما هو بيّن وجليّ جدا «خاتم على يدي»، وهذا لا يعني إطلاقا كما يتوهم ونزبورو أن يكون معنى لخاتم النبيين وللخاتمية الرسالية.



ويتضح أيضا أن ونزبورو قد نقل ما سبق أن قاله المستشرق الألماني المتعصب هيرشفيلد من دون تدقيق وتمحيص. فإن كان البروفسور ونزبورو يهدف إلى الإشارة إلى هذين السفيرين من التوراة لأجل أن يصل إلى هدفه في التشكيك بخاتمية الرسالة لبنينا محمد ﷺ فأود أن أضيف إلى إشاراته إشارات أخرى وردت في سفر التكوين بخصوص استعمال جذر خاتم «ختم» وبالمعنى نفسه الذي نقله عن هيرشفيلد بما نصّه: «وقد وردت كلمة «ختم» على سبيل الاستعارة في الكتاب المقدس للدلالة على عمل أو علامة أو طريقة التثبيت والتمييز (٥ تكوين ٢: ١٩) والتأمين (رو ٤: ١١) واف ١: ١٣ ورؤيا ٧: ٣). وورد خاتم في سفر التكوين الآيات من ١٢ إلى ١٩، إذ جاء فيها: «وَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ مَاتَتْ ابْنَةُ شُوعِ امْرَأَةً يَهُودًا. ثُمَّ تَعَزَّى يَهُودًا فَصَعِدَ إِلَى جُزَّازِ غَنَمِهِ إِلَى ثَمَنَةٍ، هُوَ وَحِيرَةٌ صَاحِبُهُ الْعَدْلَامِيُّ. فَأُخْبِرَتْ ثَامَارُ وَقِيلَ لَهَا: «هُودًا هُمُوكِ صَاعِدٌ إِلَى ثَمَنَةٍ لِيَجُزَّ غَنَمَهُ». فَخَلَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرْمُلِهَا، وَتَغَطَّتْ بِرُقْعٍ وَتَلَفَّفَتْ، وَجَلَسَتْ فِي مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ النَّبِيِّ عَلَى طَرِيقِ ثَمَنَةٍ، لِأَنَّهَا رَأَتْ أَنَّ شَيْلَةَ قَدْ كَبُرُ وَهِيَ لَمْ تُعْطَ لَهُ زَوْجَةً. فَظَنَرَهَا يَهُودًا وَحَسَبَهَا زَانِيَةً، لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ غَطَّتْ وَجْهَهَا. فَمَالَ إِلَيْهَا عَلَى الطَّرِيقِ» وَقَالَ: «هَاتِي أَدْخُلِي عَلَيَّ». لِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهَا كَتَنَتْ. فَقَالَتْ: «مَاذَا تُعْطِينِي لِكَيْ تَدْخُلَ عَلَيَّ؟» فَقَالَ: «إِنِّي أُرْسِلُ جَدِّي مَعَزَى مِنَ الْغَنَمِ». فَقَالَتْ: «هَلْ تُعْطِينِي رَهْنًا حَتَّى تُرْسِلَهُ؟». فَقَالَ: «مَا الرَّهْنُ الَّذِي أُعْطِيكَ؟» فَقَالَتْ: «خَاتَمُكَ وَعِصَابَتُكَ وَعَصَاكَ الَّتِي فِي يَدِكَ». فَأَعْطَاهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَحَبِلَتْ مِنْهُ. ثُمَّ قَامَتْ وَمَضَتْ وَخَلَعَتْ عَنْهَا بُرْقَعَهَا وَلَبِسَتْ ثِيَابَ تَرْمُلِهَا». آية ١٨: خاتمك = كان الخاتم يعلق بحبل في الصدر لختم الأوراق الهامة. وكان لكل واحد صورة على خاتمه، قد تكون صورة حيوان وربما كانت الصورة التي وضعها يهودا على خاتمه صورة أسد. وربما كان يساكر له على خاتمه صورة حمار لذلك قال يعقوب أبوهم في نبوته: «يهودا جرو أسد - يساكر حمار جسيم» (تكوين ٤٩: ١٤، وفي سفر الخروج الآيات (٦-١٤) ورد الآتي: «فيصنعون الرداء من ذهب واسمانجوني وأرجوان

وقرمز وبوص مبروم صنعة حائك حاذق. يكون له كتفان موصولان في طرفيه ليتصل. وزنار شده الذي عليه يكون منه كصنعتة من ذهب واسمانجوني وقرمز وبوص مبروم. وتأخذ حجري جزع وتنقش عليهما أسماء بني إسرائيل. ستة من أسمائهم على الحجر الواحد وأسماء الستة الباقين على الحجر الثاني حسب مواليدهم. صنعة نقاش الحجارة نقش الخاتم تنقش الحجرين على حسب أسماء بني إسرائيل محاطين بطوقين من ذهب تصنعهما. وتضع الحجرين على كتفي الرداء حجري تذكاري لبني إسرائيل فيحمل هرون أسماءهم أمام الرب على كتفيه للتذكاري. وتصنع طوقين من ذهب. وسلسلتين من ذهب نقي مجدولتين تصنعهما صنعة الضفر وتجعل سلسلتي الصفائر في الطوقين».

واعتمد على سفر من الأسفار اليهودية وهو سفر حجّي أو نبوءة حجّي، وهو من أسفار العهد القديم من الكتاب المقدّس، يُنسب وضعه إلى النبي اليهودي حجّي^(٦)، والنصّ فيه: «في ذلك اليوم يقول رب الجنود آخذك يا زبابل عبدي ابن شالتييل يقول الرب وأجعلك كخاتم لأنّي قد اخترتك، يقول رب الجنود»، واعتمد على سفر حزقيال، الكتاب المقدس - العهد القديم، الفصل / الإصحاح الثامن والعشرين، إذ جاء في الفقرة ١١: «يا ابن آدم، ارفع مرثاة على ملك صور وقل له: هكذا قال السيد الرب: أنت خاتم الكمال، ملآن حكمة وكامل الجمال»، واعتمد أيضا على سفر إرميا، الكتاب المقدس - العهد القديم^(٧). أمّا ما جاء في إرميا ٢٢ - تفسير سفر إرميا، وفي هذه الآيات ورد خاتم: «وهذه النبوة عن يهوياكين ابن يهوياقيم وهذا خلفه كملك لمدة ثلاثة شهور»، جاء فيها الآيات ٢٠-٣٠: اصعدي على لبنان واصرخي وفي باشان أطلقي صوتك واصرخي من عباريم لأنه قد سحق كل محبيك. تكلمت إليك في راحتك قلت لا اسمع هذا طريقك منذ صباك أنك لا تسمعين لصوتي. كل رعائك ترعاهم الريح ومحبوك يذهبون إلى السبي فحينئذ تخزين وتخجلين لأجل كل شرك. أيتها الساكنة في لبنان المعششة في الأرز كم يشفق عليك عند إتيان المخاض عليك الوجع كوالدة. حي



أنا يقول الرب ولو كان كنياهو بن يهوياقيم ملك يهوذا خاتما على يدي اليمنى فإني من هناك أنزعك. وأسلمك ليد طالبي نفسك ولید الذين تخاف منهم ولید نبوخذراصر ملك بابل ولید الكلدانيين. وأطرحك وأمك التي ولدتك إلى أرض أخرى لم تولدا فيها وهناك تموتان. أما الأرض التي يشتاқан إلى الرجوع إليها فلا يرجعان إليها. هل هذا الرجل كنياهو وعاء خزف مهان مكسور أو إناء ليست فيه مسرة لماذا طرح هو ونسله وألقوا إلى أرض لم يعرفوها. يا أرض يا أرض يا أرض اسمعي كلمة الرب. هكذا قال الرب اكتبوا هذا الرجل عقيما رجلا لا ينجح في أيامه لأنه لا ينجح من نسله أحد جالسا على كرسي داود وحاكما بعد في يهوذا».

والفقرة الآتية هي شرح للفقرة الأصلية في سفر إرميا، فالرب لا يبارك الأشرار. وما قيل عن كنياهو هو عكس قول الكتاب عن زربابل «أخذك يا زربابل وأجعلك كخاتم» (حج ٢: ٢٣). وزربابل هو الذي قاد الشعب في العودة من السبي. والخاتم على يده اليمنى = هو الختم الذي يمهر به الملوك القدماء معاملاتهم الرسمية لتكتسب السلطة وتصبح صالحة للتنفيذ فهو يحمل إمضاء الملك الرسمي. وكان يختم به على الشمع فهو أعز ما يمتلكه الملك أو هو رمز سلطته وقوته. ولكن يهوياكين كرئيس لشعب الرب ورمزا لقوة الرب في حكم شعبه أو وكيلا للرب قد رُفِضَ لشربه. وأتى الله بوكيل آخر هو زربابل. وهكذا فطاعة زربابل أعادت البركة التي فُقدت بسبب خطية يكنيا وغيره. واعتمد على رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٤ التي جاء في الفصل الرابع منها الفقرة ١١: (وَأَخَذَ عَلَامَةَ الْخِتَانِ خَتْمًا لِبَرِّ الْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ فِي الْغُرْلَةِ، لِيَكُونَ أَبَا جَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَهُمْ فِي الْغُرْلَةِ، كَمَا يُحْسَبُ لَهُمْ أَيْضًا الْبَرُّ).

كذلك اعتمد على الكتاب المقدس - العهد الجديد، رؤيا يوحنا اللاهوتي، الفصل / الأصحاح السادس، إذ جاء النص: «ونظرت لما افتتح الحروف واحدا من الختوم السبعة، وسمعت واحدا من الأربعة الحيوانات قائلا كصوت رعد: هلم وانظر. فنظرت، وإذا



فرس أبيض، والجالس عليه معه قوس، وقد أعطي إكليلا، وخرج غالبا ولكي يغلب. ولما فتح الختم الثاني، سمعت الحيوان الثاني قائلا: هلم وانظر فخرج فرس آخر أحمر، وللجالس عليه أعطي أن ينزع السلام من الأرض، وأن يقتل بعضهم بعضا، وأعطي سيفاً عظيماً. ولما فتح الختم الثالث، سمعت الحيوان الثالث قائلا: هلم وانظر. فنظرت، وإذا فرس أسود، والجالس عليه معه ميزان في يده. ولما فتح الختم الرابع، سمعت صوت الحيوان الرابع قائلا: هلم وانظر. ولما فتح الختم الخامس، رأيت تحت المذبح نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله، ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم. ونظرت لما فتح الختم السادس، وإذا زلزلة عظيمة حدثت، والشمس صارت سوداء كمسح من شعر، والقمر صار كالدم.

واعتمد أيضاً على «شرح الكتاب المقدس - العهد الجديد القمص أنطونيوس فكري الرؤيا»، تفسير سفر الرؤيا في النص الآتي: كنيسة مجاهدة وكنيسة سهاوية. في الختم الخامس رأينا صورة لمن هم في السماء وفي الختم السادس رأينا صورة لمن هم على الأرض. وهنا نرى استفاضة في شرح الموقف، فعلى الأرض نرى كنيسة تجاهد والله يعدها للسماء، وفي السماء نرى كنيسة في فرح، فرحة الذين غلبوا بدم الخروف (رؤ ١٢: ١١). ونرى تسبيحهم. فالآيات ١-٣: «وَبَعْدَ هَذَا رَأَيْتُ أَرْبَعَةَ مَلَائِكَةٍ وَاقِفِينَ عَلَى أَرْبَعِ زَوَايَا الْأَرْضِ، مُسَكِّينَ أَرْبَعَ رِيَّاحِ الْأَرْضِ لِكَيْ لَا تَهْبَّ رِيحٌ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا عَلَى الْبَحْرِ، وَلَا عَلَى شَجَرَةٍ مَا. وَرَأَيْتُ مَلَاكًا آخَرَ طَالِعًا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ مَعَهُ خَتَمُ اللَّهِ الْحَيِّ، فَنَادَى بِصَوْتٍ عَظِيمٍ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْأَرْبَعَةِ، الَّذِينَ أُعْطُوا أَنْ يَضْرِبُوا الْأَرْضَ وَالْبَحْرَ، قَائِلًا: «لَا تَضْرِبُوا الْأَرْضَ وَلَا الْبَحْرَ وَلَا الْأَشْجَارَ، حَتَّى نَخْتِمَ عِبِيدَ إِلَهِنَا عَلَى جَبَاهِهِمْ».

شرحها: الصورة السابقة نراها هنا فالآلام لا بُد أن تأتي، وهي هنا الرياح التي تهب على الأرض وعلى البحر وعلى الشجر، أي أن الآلام هي على العالم كله، فالأمراض تصيب المؤمنين وغير المؤمنين وكذلك الزلازل، وهذه تصيب الناضجين روحياً وغير



الناضجين. ولكن ما يصيب المؤمنين المختومين يكون لتنقيتهم «فكل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده» (رو٨: ٢٨). وهذه الآلام التي يسمح بها الله للمختومين هي للتنقية وليست للضرر = لَا تَضُرُّوا الْأَرْضَ وَلَا الْبَحْرَ وَلَا الْأَشْجَارَ حَتَّى نَخْتِمَ عِبِيدَ إِهْنَا عَلَى جِبَاهِهِمْ. والأرض والبحر والأشجار هي إشارة للمؤمنين في حالاتهم المختلفة وقاماتهم الروحية المختلفة. فالأرض إشارة للإنسان عموماً، فهو أرض قد تكون صالحة للزراعة أو غير صالحة (مثل الزارع) والْبَحْرُ هو الإنسان الذي لا يعيش بحسب الروح لكنه يحيا بحسب الجسد وبحسب العالم، وهذا يكون كالبحر، متقلب لا يرتوي بل يزداد عطشا بسبب الماء المالح (شهوات العالم التي لا تروي)، وهذا لا يعرف طعم السلام، والشَّجَرَةُ تشير للمؤمن المثمر أي المملوء بالروح القدس، وهذا تكون له ثماره (غل٥: ٢٢، ٢٣). والمؤمن شبه بشجرة على مجاري المياه (مز١: ٣). ومجاري المياه إشارة للروح القدس. وكل مؤمن حصل على الروح القدس في سر الميرون (الختم) أي تم ختمه كعلامة للملكية السيد المسيح له. فالختم عادة الذي يختم به العبيد يكتب عليه اسم المالك. وكل من يتبع المسيح وتم ختمه يكون له الروح القدس ولكن هناك من يضرم الروح بجهاده، وهناك من يطفئ الروح باندفاعه وراء الخطية وتكاسله في جهاده. ومن أضرم الروح، يعطيه الروح تعزيات وسط الضيقات، فتكون الضيقات = الرِّيح = لإعداده للسماء، وليست لضرره. أما من أطفأ الروح، فسيكون بلا تعزيات وستضره الرياح تماماً وليس كالشجرة. فالشجرة المغروسة على مجاري المياه، يكون لها عصارة تسري في فروعها وأوراقها الخضراء، وتكون الرياح سببا في زيادة خضرة أوراقها، أما المحرومة من المياه، فتكون أوراقها صفراء ذابلة إذا هبت عليها الرياح تسقطها (رؤ٦: ١٣) ولنذكر أن إضرار الروح أو إطفاءه هو مسؤولية كل مؤمن، أي بحسب جهاده. لذلك نسمع أن الملائكة أعطوا أَنَّ يَضُرُّوا الْأَرْضَ وَالْبَحْرَ = فالرياح ستهب على الأرض والبحر والأشجار ولكنها لن



تضر الأشجار بل ستضر الأرض (غير الصالحة للزراعة أو التي تنبت شوفاً) (عب ٦: ٧، ٨) وَالْبَحْرُ (العالم المتقلب). لكن الله حين أعطى، فهو أعطى الروح القدس لكل المؤمنين، بل لم تبدأ الرياح عملها الضار إلا بعد أن ختم الكل = لَا تَضُرُّوا الْأَرْضَ وَلَا الْبَحْرَ وَلَا الْأَشْجَارَ حَتَّى نَخْتِمَ عِبِيدَ إِهْنَا عَلَى جِبَاهِهِمْ. الآية ٤ «وَسَمِعْتُ عَدَدَ الْمُخْتُومِينَ مِثَّةً وَأَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا، مُخْتُومِينَ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ:». الآيات ٥-٨ «مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ. مِنْ سِبْطِ رَأُوْبَيْنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ. مِنْ سِبْطِ جَادَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ. مِنْ سِبْطِ أَشِيرَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ. مِنْ سِبْطِ نَفْتَالِي اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ. مِنْ سِبْطِ مَنَسَّى اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ. مِنْ سِبْطِ شَمْعُونَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ. مِنْ سِبْطِ لَويَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ. مِنْ سِبْطِ يَسَاكَرَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ. مِنْ سِبْطِ زَبُولُونَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ. مِنْ سِبْطِ يوسُفَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ. مِنْ سِبْطِ بَنِيَامِينَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مُخْتُومٍ.»^(٨) سفر الرؤيا الإصحاح الثالث عشر عدد ١ و ٢: »

درسنا سباعية الكواكب وسباعية الختم التي كان في آخر ختم فيها سباعية الأبواق التي نحن فيها وبدأنا في البوق السابع والذي سيكون فيه السبع جامات غضب الله. ففي الإصحاح الأول كان تعريف بالكاتب وهو يوحنا ثم تعريف بالمتكلم وهو الرب يسوع المسيح. ثم تكلمنا في الإصحاح الخامس عن السفر لمختوم ثم صفات فاتح الختم وسبب استحقاقه وهو المسيح بالطبع. والإصحاح السادس وفيه الختم. الأربع الأولى والأربع أفراس بما فيهم من الأول المسيح والكنيسة الأولى وثلاث ضربات. ثم أكملنا مع الختم الخامس وكنيسة الفردوس ومجيء العبيد ويتحولون إلى رفقاء وإخوة وهو زمن العابرين وأتاعبهم. وبدأ الإصحاح الثامن يتكلم عن الختم السابع وفيه الأبواق السبعة وهي ثالث سباعية في أربع سباعيات سفر الرؤيا. والإصحاح الثامن بدأ يتكلم عن الأبواق في الختم السابع ويتكلم عن ستة أبواق أربعة منهم في الإصحاح الثامن واثنين في الإصحاح التاسع ثم يتوقف في الإصحاح ١٠ و ١١ إلى الآية ١٤ وبعدها



يبوق البوق السابع ويتكلم عن النهاية الترتيب التاريخي. لذلك ورد الختم والخاتم في سفر أستير إصحاح ٨ حيث ورد: في ذلك اليوم أعطى الملك احشويروش لاستير الملكة بيت هامان عدو اليهود. وأتى مردخاي إلى امام الملك لأن استير أخبرته بما هو لها. ٢ ونزع الملك خاتمه الذي أخذه من هامان وأعطاه لمردخاي وأقامت استير مردخاي على بيت هامان. فاكثبا أنتم إلى اليهود ما يحسن في أعينكما باسم الملك واختماه بخاتم الملك لأن الكتابة التي تكتب باسم الملك وتختم بخاتمه لا ترد».

إلى هنا انتهت النصوص الكثيرة، هذه التي لم يسعف الحظ المستشرقين هيرشفيلد وونزبورو أن يدللا على مفهوميتها المخالفة للخاتمية الواردة في القرآن الكريم في الآية ٤٠ من سورة الأحزاب. عبد الجبار ناجي^(٩).

ومن البحوث التي من المهم إضافتها هنا في مجال بحوث المستشرقين اليهود من الجيل الأول بحث المستشرق اليهودي الأمريكي كوفمان كوهلر Kaufmann Kohler الذي كتبه مع المستشرق المجري المعروف إغناص جولد تسيهر Ignatz Goldziher في دائرة المعارف اليهودية تحت عنوان: «الإسلام Islam». وقد ركز هذان المستشرقان اليهوديان في بحثهما المشترك هذا على الرؤية التوراتية والتأثير التوراتي في الإسلام من أول فقرة من فقرات بحثهما الطويل، كان ذلك في فقرة عنوانها: معايير ومبادئ الحافز أو الباعث Motive Principles، وفقرة علاقته بالأسلاف Relation to Predecessors، وفقرة القرآن، وفقرة المعارضة والعداء لليهودية Opposition to Judaism، وفقرة معاملة اليهود Treatment of Jews، وفقرة الأحاديث والروايات المعادية لليهود Anti-Jewish Traditions، وفقرة التأثير اليهودي في الإسلام Influence of Judaism on Islam، وفقرة التأثير اليهودي في الشريعة الإسلامية Influence of Judaism on Mohammedan Law، وفقرة الجدل الديني والعلاقة الثيولوجية بين الإسلام واليهودية Polemics. فالمستشرق كوفمان كوهلر المتوفى في ٢٨ كانون الثاني



١٩٢٦ هو باحث وناقد يهودي أمريكي، وهو يهودي المولد، وهو عالم باللاهوت، وحاخام إصلاح، ومحرر مشارك في العديد من البحوث في دائرة المعارف اليهودية. أما جولدتسيهر فهو مستشرق يهودي مجري، وهو من محرري دائرة المعارف الإسلامية، عُرف بنقده للإسلام، وبرؤيته اليهودية التوراتية ومواقفه من الأحاديث النبوية، اشتهر بغزارة إنتاجه عن الإسلام حتى عدّ من أهم المستشرقين؛ لكثرة إسهامه وتحقيقاته عن الإسلام ورجاله، متأثراً في كل ذلك ربما بيهوديته. وهو أبرز من قام بمحاولة واسعة وشاملة لنسف السيرة النبوية^(١٠). وفي بحثه في الموسوعة اليهودية يتحدث عن المعاناة التي عاناها رسول الله ﷺ من قومه قريش الذين كانوا على الكفر فيقول ما نصّ ترجمته: «ابتدأ تصور محمد ومفهومه لدعوته الخاصة والمصير الذي كان عليه أن يتحمّله على أيدي الكفار، وقد بدت في ذاكرته وكأنها انعكاس لما واجهه الأنبياء في الكتاب المقدس Biblel، فالاضطهاد الذي تعرضوا له على أيدي مواطنهم من قبل أولئك الذين تولوا السلطة قد تكرر الآن في حياته. فكان هناك الرفض العنيد نفسه، والاحتكام والاستغاثة بتقاليد أجدادهم وآبائهم نفسها، ففي سلوك المكين وتصرفهم تجاه محمد قد كررت تصرفات الشعوب السابقة نفسها تجاه الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله للبشرية من وقت لآخر. وكان محمد نفسه الحلقة الأخيرة في السلسلة النبوية (خاتم الأنبياء)»^(١١). ومن المستشرقين الألمان المعاصرين للمستشرق هوروفتزر المستشرق هاينريش شبائر Heinrich Speyer المتوفى في ٧ تشرين الأول ١٩٣٥ م، وهو مستشرق ألماني يهودي قد درس مع المستشرق الألماني الآخر جوزيف هوروغتزر في المدرسة الشرقية بجامعة فرانكفورت، حيث حصل على الدكتوراه عام ١٩٢١. وفي حوالي عام ١٩٣٤ كان لديه وظيفة في المدرسة الحاخامية في بريسلاو. يحتوي العمل الرئيسي لشبائر: (الحكايات التوراتية في القرآن) على قائمة مفصلة من الذكريات من سفر المزامير في القرآن، ما لا يقل عن ١٤١. العلاقة بين سورة ٥٥ ومزمور ١٣٦، وبين سورة ٧٨ ومزمور ١٠٤



بوصفها مثالا جرى تأكيده. يشير فرانز روزنتال إلى القصص التوراتية في القرآن، وهي أكثر الأعمال شمولاً وتفصيلاً حتى الآن والتي تتعامل مع أوجه التشابه بين اليهودية والمسيحية والغنوصية والسامرية مع مادة النص التوراتي في القرآن. طُبعت الروايات التوراتية في القرآن في عام ١٩٣٥، قبل وقت قصير من وفاة شبابير. ومع ذلك، فإن بصمة الناشر للطبعة الأولى تشير إلى عام ١٩٣١، ربما لأسباب سياسية.

بعد عام ١٩٣٥، لم يعد يُسمح بطباعة الكتب «اليهودية» في ألمانيا الاشتراكية القومية، ولذلك تقرر تأخيرها. أُعيد طباعة الكتاب لأول مرة عام ١٩٦١. فعلى صفحة ٤٢٢-٤٢٣ كتب في كتابه موضوعاً عنوانه: محمد خاتم النبيين Mohammad das Siegel. تطرق في هذه الجنبه من كتابه باللغة الألمانية الذي كان بحسب ما ذكرناه آنفاً بعنوان Die Biblischen Erzählungen im Qoran، أي القصص التوراتية في القرآن، وقد اعتمد فيها على رأي هيرشفيلد وبالأخص استشهاد هيرشفيلد بما نصّ عليه سفر حجّي وسفر إرميا، ثم وقف على الرأي الذي ذكره المستشرقون الألمان من أن التعبير خاتم الأنبياء قد وجد في الديانات السابقة وفي الديانة المانوية، معتمداً أيضاً على رواية البيروني في كتابه الآثار الباقية من أن ماني زعيم المذهب المانوي كان قد لقبه أتباعه بخاتم النبيين. وقد راجعنا سفر حجّي وسفر إرميا فوجدنا أن التعبيرين في نصيهما لا يعبران تعبيراً واضحاً بخصوص خاتم النبيين الذي سمي به رسول الله ﷺ، إذ ورد فيهما الآتي: في سفر حجّي ٢ ورد في إصحاح ٢٣: «فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، أَخْذُكَ يَا زَرْبَابُلُ عَبْدِي ابْنُ شَالْتَيْئِيلَ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَجْعَلُكَ كَخَاتَمِ، لَأَنِّي قَدْ اخْتَرْتُكَ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ». وفي سفر إرميا ٢٢ جاء النصّ في إصحاح ٢٤: «حَيُّ أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ، وَلَوْ كَانَ كُنْيَاهُ بَنُ يَهُوَيَاقِيمَ مَلِكُ يَهُوذَا خَاتِماً عَلَى يَدَيِ الْيُمْنَى فَإِنِّي مِنْ هُنَاكَ أَنْزَعُكَ»^(١٢). وجيل المستشرقين اليهود المحدثين والمعاصرين قد ردّدوا -تقريباً- الرؤية نفسها التي دافع عنها المستشرقون اليهود القدامى، وكما مرّ بنا أن المستشرق الألماني الكسندر توبيل Alexander Toepel

وهو مستشرق يهودي له عدد من الدراسات عن الأدب اليهودي.

وهو رئيس أول مشروع للبحوث في مركز بومان Project Research at Bau-mann Unternehmensberatung AG. تخرج في جامعة سانكت جورجين الفلسفية اللاهوتية Philosophical-Theological University Sankt Georgen، قسم اللاهوت، مساعد دراسات الفلسفة وعلم الآثار وشرق آسيا. ومن بين دراساته البحث المتعلقة بالخاتمية الموسوم بـ: الخاتم والمعزي: حول النبوة النهائية للعالم للكاساي وماني ومحمد في سفر الرؤيا Seal and Comforter: On the Apocalyptic Prophethood of Elkasai, Mani, and Muhammad الذي عقد في أتلانتا، جورجيا Atlanta, Georgia في ٢٠-٢٣ من شهر تشرين الثاني من سنة ٢٠١٠ م. والمنشور هنا ضمن بحوث الكتاب الموسوم بـ: The Bible, the Qur'an, & Their Interpretation: Syriac Perspectives CORNELIA B. HORN, Editor Printed in the United States of America 2013.

فالمستشرق يبدأ بحثه بفرضية عليها علامات تساؤل فيقول على صفحة ١٥٧-١٥٨: «صرحت البحوث بشكل متكرر أن هوية محمد مع البارقليط Paraclete الذي ذكره يوحنا ١٤: ١٦-١٧، ٢٦؛ ١٥: ١٣ و ١٦ ليست موجودة في القرآن، وإنما قد ظهرت أولاً في سيرة محمد بن إسحاق لنبي الإسلام». وهنا يقصد المستشرق إنجيل يوحنا ١٤ في الآيتين ١٦-١٧ ونصّها: «١٦- وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْأَبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، ١٧- رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكُثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ». والآية ٢٦ ونصّها: «وَأَمَّا الْمُعْزِي، الرُّوحُ الْقُدُسُّ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْأَبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ»، وإنجيل يوحنا ١٦ الآية ١٣ ونصّها: «وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ



كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ». فالمتعارف عليه أن المعزي المنصوص عليه يقصد منه البشارات بمجيء رسول الله ﷺ، لا كما تعكسه رؤية المستشرق الكسندر توبيل. عبد الجبار ناجي.

ويقول المستشرق بعد طرحه هذه المفهومية غير الصحيحة ما نصّه: «وهذا غير موجود في القرآن نفسه، لكنه قد ظهر لأول مرة عند محمد بن إسحاق في سيرته عن النبي الإسلامي، وقد كتبت هذه السيرة حوالي عام ٧٣٣م أو نحوها. فالتعبير الذي استعمله ابن إسحاق munahhemanā موناّهيمنا، هو في الواقع كلمة سريانية-آرامية. ففي الآرامية المسيحية الفلسطينية المقصود من هذه الكلمة «المعزي» وترجم في الإغريقية بتعبير paraklētos. فابن إسحاق ربط التعبير بمحمد على أساس التشابه اللفظي، وذهب بل وتصرف إلى القول في التعريف بهوية محمد بالباراكليت الذي تنبأ به إنجيل يوحنا».

وفي نهاية بحثه يسلّط ضوءاً على رؤيته فيقول على صفحة ١٦٦ ما يأتي: «من الواضح-إذن- أن «خاتم الأنبياء» في هذا الفهم لا يمكنه أن يعبر أو يشير إلى شخص بشري حقيقي؛ بل إنه بالأحرى واقع أخروي بكل ما في الكلمة من معنى، حيث يفتح بوابة إلى العالم السماوي. وعلى النقيض من ذلك، فإن مفاهيم «الخاتم» و«المعزي» كما وجدت في الرواية الإسلامية فإنها لا تظهر أي سمات إلى الواقع الأخروي. وعلى العكس من ذلك، فالآخرة هاهنا تبدو أنها تعيد إلى الذاكرة في الوقت المناسب وذلك من خلال فهم كلا التعبيرين في المعنى الزمني، فكان محمد خاتم الأنبياء بقدر ما كان هو النبي الأخير. والخاتم قد فهم هنا كثيرًا بالطريقة نفسها التي يفهم بها ما جاء في سفر دانيال ٩:٢٤. كذلك فقد جرى تفسير «باراكليت» على خط مماثل. فالتعبير يُنظر إليه على أنه يشير إلى شخص قادم بعد يسوع. وهذا الشخص من وجهة النظر الإسلامية لا يمكن أن يكون سوى محمد. وليس من الواضح فيما إذا كان محمد نفسه كان يتوقع أن تكون النهاية وشيكة، لكن إذا كان ذلك فأتباعه يمكن أن يواجهوا

مشكلة مماثلة من تأخر المجيء والحضور تماما كما حدث مع تلاميذ يسوع الأوائل. ومع ذلك، فيبدو من الواضح أن التوتر والشدة الأخروية كانت واحدة من أهم العوامل التي أسهمت في بعثة النبي محمد^(١٣).

وللمستشرق الأمريكي آدم كوتسكو Adam Kotsko إسهام في المحور نفسه، أي محور خاتم النبيين في محاضراته التي افتتح بها حلقة تدريسه في التاريخ الإسلامي في جامعة شيكاغو، عن موضوع: (قراءة القرآن: خاتم الأنبياء Reading the Qur'an: The Seal of the Prophets) في ٢٤ من شهر نيسان من سنة ٢٠٢٠. والمستشرق عالم لاهوت أمريكي وعالم ديني وناقد ثقافي ومترجم يعمل في مجال اللاهوت السياسي. شغل منصب أستاذ مساعد في العلوم الإنسانية في كلية شيمر اللاهوتية Shimer College في شيكاغو، التي اندمجت في كلية نورث سنترال North Central College في عام ٢٠١٧. وهو معروف بشكل رئيس بعمله التفسيري على الفلسفة، كانت أطروحته للدكتوراه بعنوان: الكفارة وعلم الوجود Atonement and Ontology.

ففي بحثه عن الموضوع المشار إليه تواً يعرض مسيرة الأنبياء، ويجعل النبي موسى ﷺ هو النبي المركز في سلسلة الأنبياء السابقين للرسالة الخاتمية لمحمد ﷺ، وهو هنا يعكس أهمية الرؤية التوراتية فيقول المستشرق ما نصّه: «النصّ العربي المعروض في القرآن الذي يعني: «محمد ليس أباً لأحد من رجالكم. إنه رسول الله وخاتم النبيين والله يعلم كل شيء» (القرآن ٣٣: ٤٠) يقصد سورة الأحزاب، الآية المباركة ٤٠. وهذه واحدة من أكثر الآيات المحورية للقرآن، موضحة أن محمداً ليس فقط واحداً من بين العديد من الأنبياء، الذي تصادف أنه أرسل إلى القبائل العربية في مكة، ولكنه في الواقع خاتمة لتسلسل الأنبياء، ذلك الذي تكرر باستمرار في جميع أنحاء الوحي القرآني. ويبدو كأن هذه الآية مناسبة لأن أبدأ فيها مشاركتي الأخيرة في هذه السلسلة من التأملات في تعليم القرآن». ثم يقول: «كان التركيز في هذا البحث على مقارنة القصص التوراتية تلك التي تساعدنا على توضيح



الأهداف اللاهوتية - أي الدينية - للقرآن. لقد ناقشت بالفعل هوية محمد الواضحة مع موسى، ولكن الأهم - كما أعتقد - هو دور موسى بوصفه شخصية «مفصلية» في تسلسل الأنبياء. فهو يمثل شخصية جمعت بين إيماء وإشارة إلى الأنبياء الأوائل مع إبراهيم». وفي ختام محاضرته يشدد على رؤيته في مسألة الخاتمية فيقول: «باختصار، فإن محمدا هو خاتم الأنبياء؛ وذلك لأنه حقق بالكامل جميع الأهداف المختلفة لجميع الأنبياء السابقين. وأكمل الدورة بإنهاء تسلسل الاحتمالات المنطقية لنتائج البعثة النبوية. ومن ثم، عندما ألقى خطبته في رحلة الوداع، فكان بالفعل بإمكانه أن يعلن أن البعثة قد اكتملت». وقبل أن نختم هذا القسم من بحثنا لا بأس أن نعرّف القراء والباحثين الكرام بدراسة لاحد المستشرقين الأمريكيين المعاصرين ألا وهو البروفسور جوردون دارنيل نيوي GORDON DARNELL NEWBY أستاذ الدراسات الإسلامية واليهودية والمقارنة في قسم دراسات الشرق الأوسط وجنوب آسيا. وحصل على الدكتوراه من جامعة برانديز ١٩٦٤ - ١٩٦٦، دكتوراه دراسات البحر الأبيض المتوسط 1964-1966 Brandeis University Ph.D. Mediterranean Studies. فقد ألف كتابا من بين أعماله المتعددة بعنوان: صنع

النبي الأخير: إعادة بناء لأقدم سيرة ذاتية لمحمد

The Making of the Last Prophet: A Reconstruction of the Earliest Biography of Muhammad. Compiled and translated by GORDON DARNELL NEWBY. Columbia: University of South Carolina Press, 1989.

وكنا نتوقع - انطلاقا من عنوان الكتاب - أن يتحدث عن النبي الأخير، بمعنى عن خاتم النبيين، غير أننا وجدنا أن المستشرق كان مهتما في كتابه بدراسة مصدرية لسيرة ابن إسحاق وليس سيرة ابن هشام، وأنها السيرة الأصلية بحسب رواية يونس بن بكير التي تختلف عن الرواية التي اعتمدها ابن هشام السائدة الآن في دراسات السيرة النبوية المطهرة، والمستشرق - على هذا الوصف - لم يكن مهتما بالموضوع الذي نحن بصدد «خاتم النبيين».

يعدّ المستشرق اليهودي أوربي روين واحداً من بين القليل من المستشرقين اليهود وغير اليهود ممن شدد كثيراً على الرؤية التوراتية وأثرها في مختلف مفاصل السيرة النبوية المطهرة كما وضحنا في الفصول السابقة من هذا الكتاب، والمفصل الرسالي في الخاتمة هو أيضاً أحد هذه المفاصل التي خضعت إلى مثل هذه الرؤية التوراتية بحسب منظور المستشرق أوربي روين. وفي الفصول السابقة عرضنا لوحة عن سيرة حياة المستشرق والإنجازات العلمية بخصوص التاريخ الإسلامي وأبحاثاً عن عدد من الشخصيات الإسلامية في عصر الرسالة.

فأوربي روين (بالعبرية: אורי רובין) هو أستاذ في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة تل أبيب في إسرائيل. مجالات بحثه هي الإسلام المبكر (مع التركيز بشكل خاص على القرآن)، وتفسير القرآن (التفسير)، والتقاليد الإسلامية المبكرة (السيرة والحديث). ألّف عدداً من الكتب عن تلك الموضوعات، وأسهم في نشر مقالات في موسوعة الإسلام، وغيرها من الأعمال. وقد عمل روين أيضاً في المجلس الاستشاري لموسوعة القرآن. ومن بين بحوثه الكثيرة بحوث يركز فيها على رؤيته التوراتية بما له علاقة بسيرة رسول الله ﷺ، نسلط الضوء على الآتي:

١ - محمد النبي والجزيرة العربية.

Muhammad the Prophet and Arabia. Variorum Collected Studies Series, Ashgate, 2011.

٢ - مزيد من الضوء على وجود محمد قبل الوجود: المنظور القرآني وما بعد القرآني.

“More light on Muhammad’s pre-existence: qur’anic and post-qur’anic perspectives”, in Andrew Rippin and Roberto Tottoli, eds., Books and written culture of the Islamic world: studies presented to Claude Gilliot on the occasion of his 75th birthday, Brill, Islamic History and Civilization 113 (Leiden, Boston, 2015), pp. 288-311.



٣- موسى والوادي المقدس تطوان: على الخلفية التوراتية والمدراشية لمشهد قرآني.

“Moses and the Holy Valley Tuwan: On the biblical and midrashic background of a qur’anic scene”, Journal of Near Eastern Studies 73/1(2014), 73-81.

٤- خاتم الأنبياء وخاتمية النبوة.

“The Seal of the Prophets and the Finality of Prophecy,” Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft 164/1(2014), 65-96.

٥- رسالة محمد في مكة: الإنذارات والآيات والمعجزات تحالة انشقاق القمر.

“Muhammad’s message in Mecca: warnings, signs, and miracles, The case of the splitting of the moon(Q 54:1-2)”, in Jonathan E. Brockopp, ed. The Cambridge Companion to Muhammad(Cambridge, 2010), 39-60.

٦- رحلة محمد الليلية(الإسراء) إلى المسجد الأقصى: جوانب من الأصول الأولى

للحرمة والتقديس الإسلامي للقدس.

“Muhammad’s Night Journey(isra’) to al-Masjid al-Aqsa: Aspects of the Earliest Origins of the Islamic Sanctity of Jerusalem”, al-Qantara 29(2008), 147-65.Reprinted in: Uri Rubin, Muhammad the Prophet and Arabia, Variorum Collected Studies Series(Ashgate, 2011), no. VII.

٧- الروايات الإسلامية للتاريخ التوراتي.

“Islamic Retellings of Biblical History”, in Y. Tzvi Langermann and Josef Stern(eds.), Adaptations and Innovations: Studies on the Interaction between Jewish and Islamic Thought and Literature from the Early Middle Ages to the Late Twentieth Century, Dedicated to Professor Joel L. Kraemer(Paris, 2007), 299-313.

٨- التكيفات والابتكارات: دراسات حول التفاعل بين الفكر والأدب اليهودي

والإسلامي من أوائل العصور الوسطى إلى أواخر القرن العشرين.

Adaptations and Innovations: Studies on the Interaction between

Jewish and Islamic Thought and Literature from the Early Middle Ages to the Late Twentieth Century, Dedicated to Professor Joel L. Kraemer

٩ - الأنبياء والنبوة.

“Prophets and Prophethood”, in A. Rippin(ed.), The Blackwell Companion to the Quran(Blackwell Publishing, 2006), 234-47.

١٠ - محمد طارد الأرواح الشريرة: جوانب الجدل الإسلامي اليهودي.

“Muhammad the Exorcist: Aspects of Islamic-Jewish Polemics”. Jerusalem Studies in Arabic and Islam 30(2005), 94-111.Reprinted in: Uri Rubin, Muhammad the Prophet and Arabia, Variorum Collected Studies Series(Ashgate, 2011), no. V.

١١ - النبوة الكارزمية في القرآن.

“Prophetic Charisma in the Quran”, in Giovanni Filoramo(ed.), Carisma Profetico: Fattore di Innovazione Religiosa(Brescia, 2003), 175-90.

فرؤية المستشرق أوري رويين تتخلل أغلب بحوثه المشار إليها والتي لم نذكرها آنفاً؛ فمثلاً نراه في بحثه الموسوم بـ: «النبوة الكارزمية في القرآن Prophetic Charisma in the Quran» يستهله بقوله الذي نصّه الآتي: «وكما هو الحال في العهد الجديد New Testament، إذ يبدو الرسل وهم يحتلون أعلى مرتبة من الأنبياء، على سبيل المثال كورنثوس ١٢، ٢٨ - ٣١ ويعتمد المستشرق على الكورنثيوس، وقد رجعت إلى كورنثيوس المواد ٢٨ - ٣١ ونصّ الفقرات الثلاث هي كالآتي: «٢٨ - فَوَضَعَ اللهُ أَنْاسًا فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلًا رُسُلًا، ثَانِيًا أَنْبِيَاءَ، ثَالِثًا مُعَلِّمِينَ، ثُمَّ قُوَّاتٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ، أَعْوَانًا، تَدَابِيرَ، وَأَنْوَاعَ أَلْسِنَةٍ. ٢٩ - أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ رُسُلٌ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ أَنْبِيَاءُ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ مُعَلِّمُونَ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ أَصْحَابُ قُوَّاتٍ؟ ٣٠ - أَلَعَلَّ لِلْجَمِيعِ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ يَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ؟ أَلَعَلَّ الْجَمِيعَ يُتَرَجِّمُونَ؟ ٣١ - وَلَكِنْ جِدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الْحُسْنَى. وَأَيْضًا أَرِيكُمْ طَرِيقًا أَفْضَلَ». والكورنثي منسوب إلى كورنثة اليونانية المشهورة قديماً بالترف والتهتك، وهي إحدى مقاطعات اليونان، وتقع في الجزء الشمالي الشرقي



من شبه جزيرة بلوونيز. عبد الجبار ناجي، وفي القرآن أيضاً فإن الرسول أعلى مرتبة- إلى حد ما- من النبي»^(١٤).

ويقول على الصفحة ١٧٦ ما نصّ ترجمته: «والحقيقة كما ذكر أن الأنبياء قد «هداهم» الله بواسطته بأنهم يمثلون أصل شجرة النسب لعائلة المختار إلهياً، كما هو مبين ومشار إليه مثلاً في سورة ٣: ٣٣ - ٣٤ ويقصد سورة آل عمران في الآيتين الكريمتين: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»، فالمستشرق بدأ الآية ٣٣ بقوله: «بالتأكيد Surely»، ثم ترجم (في العالمين) إلى تعبير above all beings وهو تعبير لا يرقى الى التعبير الإلهي في الآية الكريمة. عبد الجبار ناجي. فشجرة النسب النبوي تبدأ هنا بآدم، وهذا يدل على أنه يعدّ نبيا كذلك. أمّا آل عمران فهو موسى (وهو من الاسم التوراتي عمران)، ولكن يمكن أيضاً الإشارة إلى يسوع الذي تعدّ والدته مريم جزءاً من ذلك البيت»^(١٥).

١٢- أمّا بحثه الآخر فهو الموسوم بـ: «الأنبياء والخلفاء: أسس الكتاب المقدس التوراتية للسلطة الأموية»، المنشور في كتاب: Method and Theology in the Study of Islamic origins الذي حقّقه HERBERT BERG وطبع في ليدن- بوستن . BRILL LEIDEN • BOSTON 2003

وفي بحث آخر للمستشرق أوري روبين ذلك الموسوم بـ: «Prophets and Prophethood الأنبياء والنبوة» يقول:

تعتمد العديد من القصص على موضوعات توراتية، يظهر بعضها بشكل مكثف، بينما يجري تقديم قصص أخرى - مثل قصص إبراهيم وموسى ويسوع - بالتفصيل وحتى مع التنقيحات الدقيقة للحسابات الكتابية. عناصر غير معروفة من الكتاب المقدس تظهر بشكل رئيسي في قصص الأنبياء غير الكتابيين هود وصالح. والقرآن على علم بالتقارب بين روايات الأنبياء وأدب الكتاب المقدس، ولهذا السبب فإن اليهود

والنصارى مدعوون للشهادة على صدق الإشارات القرآنية إلى الأنبياء السابقين. لهذا - على الأقل - يشرح المفسرون المسلمون معنى س ١٦: ٤٣ (راجع س ٢١: ٧) في قول الله: ﴿وَلَمْ نَرْسِلْ أَمَامَكَ إِلَّا الْبَشَرِ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ الْوَحْيَ: لَذَا اسْأَلِ النَّاسَ لِلتَّذْكِيرِ إِذَا كُنْتَ لَا تَعْرِفُ﴾. المفسرون (على سبيل المثال، ابن الجوزي ١٩٨٤: الرابع، 449؛ Al-Qurtubi 1967: X، 108) يقولون: إن «أهل الذكر» هم المؤمنون من أهل الكتاب أي اليهود والنصارى، من الضليعين في التوراة والإنجيل، مما يعني أنهم يعرفون تاريخ الأنبياء من كتبهم المقدسة، ويمكن أن تؤكد حقيقة التلميحَات القرآنية لهم.

قائمة الأنبياء الواردة في القرآن ليست كاملة، بمعنى أن بعضاً منهم تركوا عن قصد. وهذا جاء في س ٤٠: ٧٨ (راجع س ٤: ١٦٤) يقصد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (غافر: ٧٨)، وقوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤). يشرح بعض المفسرين ذلك فيقول: معظم الأنبياء/ الرسل القرآنيين معروفون في الكتاب المقدس، ولكن هناك أيضاً بعض الذين يكون أصلهم غامضاً إلى حد ما. (لمزيد من التفاصيل حول الأنبياء الأفراد انظر ر. توتولي، أنبياء الكتاب المقدس ص ٢٣٤ - ص ٢٣٥). إن عدد الأنبياء أكثر من أن يذكر، وعلى وفق بعض الأقوال، كان عددهم ١٢٤٠٠٠ نبي (البيد عويش ١٩٨٨: ٢، ٣٤٦). يقترح بعض آخر أن بعض الأنبياء لم يتم تمييزهم بما يكفي ليتم ذكرهم، كما في حالة نبي كان إثيوياً. العبد (السويوت ١٩٨٥: ٥، ٣٥٧).

وعلى صفحة ٢٤٥ في فقرة الجدل والمناظرة Polemics يقول: المحور الرئيسي الذي تدور حوله التلميحَات القرآنية للأنبياء هو الجدل المعادي لليهود والمسيحيين. يدعي القرآن أن له الحق الحصري في تفسير الإرث الديني والأخلاقي لأنبياء التوراة، وبذلك



يتهم اليهود والمسيحيين بالتحريف المتعمد لذلك الإرث. فأرث الأنبياء على وفق ما جاء في القرآن، هو من الواضح إسلامي. إذ كان وفقا للقرآن أي نبي بل كل الأنبياء مسلمين، وكما ورد في سورة ٥ الآية ٤٤ التي تقول: «إن التوراة أنزلت على الأنبياء (الذين كانوا مسلمين)» ويقصد المستشرق سورة المائدة الكريمة التي يقول الله ﷻ في الآية ٤٤ منها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَؤُوتًا لَهُمْ الْكَافِرُونَ﴾. وكذلك فإن الدين الذي فرض على الأنبياء هو نفسه الذي فرض على المسلمين، وهو حقيقة قد وردت في سورة ٤٢ يقصد سورة الشورى الكريمة الآية ١٣ التي يقول فيها الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾، وقد ترجم المستشرق (من الدين) في الآية الكريمة بقوله: For religion شرع الدين بما شرع، وترجم (ما وصَّى به نوح) بكلمة prescribed التي تترجم إلى: يفرض أو يقضي أو يأمر، وهي لا يمكن وضعها بدلا عن (وصَّى) القرآنية، كذلك ترجم (وصَّى بها إبراهيم وموسى وعيسى) بكلمة enjoined وهذه الكلمة تترجم بـ: يأمر أو يفرض، وهي ترجمة لا تتطابق مع المضمون الإلهي لتعبير القرآن الكريم. عبد الجبار ناجي». ثم يقول: «ولذلك، فإن المسلمين الحقيقيين هم فقط أولئك الذين يؤمنون بكل الأنبياء من دون استثناء (سورة رقم ٢) يقصد المستشرق سورة البقرة الآية ١٣٦ التي يقول الله عز وجل فيها: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. وواقعا، فإن الأنبياء شكلوا «أمة» خاصة بهم، كما ذكر في سورة ٢: ١٣٤، ١٤١ يقصد سورة البقرة الآيات



١٣٤، ١٤١ التي قال الله تعالى فيها الآية ١٣٤: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، والآية ١٤١ قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقد راجعت القرآن الكريم باللغة الإنجليزية فوجدت أن المستشرق لم يكن موفقاً في ترجمته، (لها ما كسبت ولكم ما كسبت) التي ترجمها المستشرق بتعبير: shall be judged on their own account . والأحرى ترجمة الآية على وفق ترجمتها الإنجليزية الآتية:

2.141 That nation has passed away. Theirs is what they earned and yours what you have earned. You shall not be questioned about what they did.

عبد الجبار ناجي. فهذه الآيات تخاطب اليهود والنصارى قائلة: إن هاتين الأمتين سيحاكمون قضائياً بمحاسبتهما الخاصة، تماماً كما سيحاكم الأنبياء على حسابهم. وبمعنى آخر، فإن الأنبياء لم يكونوا يهوداً ولا نصارى (سورة البقرة الآية ١٤٠).

فالإقصاء والإبعاد الديني والأخلاقي لليهود والنصارى عن إرث الأنبياء يبرز بشكل أوضح في الآيات التي تتعامل مع إبراهيم. فالقرآن يحرم وينكر على اليهود والنصارى أي حق في مجادلة المسلمين بشأن دين إبراهيم، ويصرّ على أن إبراهيم قد عاش قبل مدة طويلة من نزول التوراة والإنجيل، فضلاً عن أنه لم يكن يهودياً ولا مسيحياً (ق ٣: ٦٥ - ٧٠) يقصد المستشرق سورة آل عمران الآيات الكريمات من ٦٥ - ٧٠، وفيها يقول عزّ من قائل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجُّوْا فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هَاتُكُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمْ تُحَاجُّوْا فِيهِ لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ* مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ* وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ



وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ». عبد الجبار ناجي. هذا يعني أن المسلمين ليسوا أقل استحقاقاً لإرثه من اليهود والنصارى، وفي الواقع، فإن أتباع محمد، أكثر من أي شخص آخر، حافظ على الإرث الأصلي لإبراهيم (سورة ٣) يقصد سورة آل عمران الآية ٦٨ التي يقول فيها الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. عبد الجبار ناجي (١٦).

١٣ - كذلك من المهم الإشارة إلى بحثه الآخر الموسوم بـ:

«الكارزما النبوية في القرآن PROPHETIC CHARISMA IN THE QUR'AN»

وكما هو الحال في العهد الجديد، حيث يبدو أن الرسل أعلى مرتبة من الأنبياء (على سبيل المثال كورنثوس ١٢، ٢٨ - ٣١. راجع أفسس ٣، ٥؛ ٤، ١١)، يبدو في القرآن أيضاً أن الرسول أعلى إلى حد ما من النبي. هذا يشير - في البداية - إلى حقيقة أنه كلما ظهر كلا العنوانين معاً، يأتي الرسول أولاً، مما قد يشير إلى أن الرسول أهم من النبي. وهكذا تصف س ٢٢، ٥٢ محاولات الشيطان لتضليل أي رسول أو نبي (النبي الأول) أرسل قبل محمد. يقول المفسرون المسلمون إن الرسول في هذه الآية يرمز إلى النبي ووجود رسالة كتاب يجب تسليمها، في حين إن النبي ليس لديه مثل هكذا رسالة كتاب. وبشكل أكثر تحديداً، يقول البيضاوي (ت ١٣٨٩): إن الرسول هو نبي يؤسس شريعة جديدة، في حين إن النبي هو الذي يكمل قديمة. وهذا يعني - كما يقول البيضاوي - أن الرسول أكثر تميزاً عن النبي، وبالتالي كان هناك المزيد من الأنبياء أكثر من الرسل، أو يضيف: أن الرسول يتلقى وحيه من ملاك، بينما النبي يختبر الوحي في الأحلام فقط. معظم الأنبياء / الرسل القرآنيين معروفون في الكتاب المقدس، ولكن هناك أيضاً بعض الذين يكون أصلهم غامضاً إلى حد ما.

وقد اعتمد المستشرق أوري روبين في هذا الاستنتاج على كتاب روبرتو توتولي Rober-

to Tottoli في كتابه الموسوم بـ: «Biblical Prophets in the Qur'an and Muslim Lit-»

«erature» المطبوع أولاً في دار النشر «Routledge»، وقد قال روبرتو توتولي في مسألة «وظيفة قصص الأنبياء ومعناها في القرآن» على صفحة ٣ ما نصّ ترجمته الآتي: «الجزء الكبير من القرآن مكرس ومخصص لقصص بخصيص شخصيات في العهدين القديم والجديد. فإذا ما أقصيت إشارات معينة إلى تاريخ العرب قبل الإسلام، فإنه بالتأكيد جميع الإشارات الموجودة عن الماضي الواردة في القرآن إن هي إلا قصص الأنبياء التوراتية. فالقسم الأول من الكتاب يركز على الشخصيات التي يبدو أنها الأكثر أهمية والأساسية في التاريخ القرآني لأنبياء الكتاب المقدس التوراة. ويمكن حتى التأكيد أن كل الإشارات إلى الماضي التي وردت في القرآن هي قصص الأنبياء التوراتية. فروايات السرد للأنبياء التوراتيين لم تقدم في القرآن على نحو من الترتيب الزمني الكرونولوجي، وكذلك لا تستعمل نموذجاً أو صيغة موجودة في العديد من كتب الكتاب المقدس التوراة. وبالأحرى وبدلاً من ذلك، فهي منتشرة في جميع أنحاء السور. كذلك فالقرآن ليس مجموعة آيات وسور عن الأحداث التي وقعت في الماضي، كذلك فهو ليس سجلاً لأفعال محمد وأعماله، كذلك لم يكن قصة أو رواية متناسقة الأجزاء لبعثته، ولكن -بالأحرى- سجل وتدوين أمين لكلمة الله على وفق المفهومية الإسلامية، تلك التي أوحيت له خلال مسار حياته. فالعلاقة بين محمد والقرآن قريبة ووثيقة جداً لدرجة أن غالبية الوحي اتخذ شكل الخطاب المباشر من الله إلى نبيه». وهكذا فإن المستشرق استشهد في هذا الكتاب لغرض توكيد الأثر التوراتي في جميع ما ورد من قصص الأنبياء في القرآن الكريم. عبد الجبار ناجي^(١٧).

وفي بحثه الآخر الموسوم بـ: (الأنبياء والخلفاء: الأسس التوراتية للسلطة الأموية) المنشور ضمن كتاب: «المنهج واللاهوت في دراسة الأصول الإسلامية»، الذي حققه هربرت بيرغ Herbert Berg :

“Prophets and Caliphs: the Biblical Foundations of the Umayyad Authority,” in Herbert Berg(ed.), Method and Theology in the Study of Islamic origins(Leiden, 2003), 73-99.



إذ يسرد رأيه التوراتي عن السيرة النبوية فيقول على صفحة ٨٣ والصفحات التي تعقبها وتحت العنوان الجانبي: «الأنبياء الإسرائيليون ومحمد The Israelite Prophets and Mu'ammad» ما نصّ ترجمته كالآتي: لقد خصص المؤرخون المسلمون مساحة كبيرة للحقبة الممتدة بين ما قبل الأمة، ومحمد. تلك التي تتضمن تاريخ اليهود والمسيحيين وإنبيائهم، وتوفر الجسر الأساسي الذي يربط بين عصر ما قبل الأمة، ومحمد نفسه. تبدأ رواية ابن إسحق عن هؤلاء الأنبياء بإسحاق بن إبراهيم، وتنتهي بيسوع وتلامذته. والطبري نفسه، الذي يقتبس روايات ابن إسحق عن أنبياء بني إسرائيل، قد أقحم بين تلك الروايات روايات إضافية من مصادر أخرى، وورد في بعضها إشارة صريحة وذكر صريح لانتقال الإرث من جيل إسرائيلي إلى جيل آخر، وهكذا. فعلى سبيل المثال، انتقال الوصية من يعقوب إلى يوسف، ومن يوسف إلى يهوذا أخوه الذي ذكر صراحة. وهكذا فقد أصبح أنبياء إسرائيل وسطاء بين محمد ومرحلة ما قبل الأمة في التاريخ، وهذا يعني أن الإسلام قد حوّلهم إلى ممثلين شرعيين لدين الله الأساسي والأصلي.

وقد أولى المسلمون اهتماما خاصا وملحوظا بالعلاقة بين آخر نبي لإسرائيل وأعني اليسوع، ومحمد. فإذا ما تحدثنا كرنولوجيا، فإن يسوع كان أقرب نبي إسرائيلي لمحمد، وهذا القرب وهذه الصلة في الزمان قد تحولت في الإسلام إلى علاقة ورابطة دم. وهذا هو المقصود من رواية نقلت عن أبي هريرة (صحابي توفي في سنة ٥٧ / ٦٧٧)، حيث صرح فيها محمد: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في هذا العالم وفي العالم القادم». وحينما سئل: كيف يمكن أن يكون هذا؟ استمر النبي موضعا: «الأنبياء إخوة ولدوا لزوجات (علات) (allat) أي إن أمهاتهم مختلفة ودينهم واحد. ليس بيني وبينه نبي» يعتمد المستشرق في هذه الرواية على أبي هريرة بسنده عن الحسن بن سفيان حدثه العباس بن عبد العظيم حدثه عبد الرزاق أخبرهم معمر عن همام بن منبه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة»، قالوا: وكيف ذاك



يا رسول الله؟ قال: «الأنبياء أخوة من علات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وليس بيننا نبي»^(١٨). والرواية لهذا الحديث هو همام بن منه أخو وهب بن منه الصنعاني، وهو من أبناء فارس سمع أبا هريرة ومعاوية بن أبي سفيان ويروي عنه معمر وابن عينة عن عمرو بن دينار عن وهب بن منه عن أخيه عن أبي هريرة ومعاوية. قال محمد بن سعد: إنه توفي سنة ١٣١، اشتهر همام بن منه بكتابه صحيفة همام بن منه عن أبي هريرة. وقد نقلت هذه الصحيفة نقلاً صحيحاً على أيدي الثقات ابتداءً من همام إلى عبد الرزاق الذي أخذها عنه الرواة بعد ذلك. وسندها في المخطوطة الخاصة بها، كما في مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق، التي اعتمد عليها الدكتور حميد الله في نشره للصحيفة؛ ينظر: الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، محقق صحيفة همام بن منه، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م. والمعروف أنه: وهب بن منه بن كامل بن سيج أبو عبد الله الصنعاني. ويقال: الذماري نسبة إلى ذمار في اليمن. ولد في سنة ٣٤ للهجرة. كان وهب من أصول يهودية يمنية، ويُقال: أسلم أبوه على عهد النبي فحسُن إسلامه وسكن اليمن. يعتقد أن وهباً زهد في آخر حياته؛ لكثرة ما قرأ من الكتب الدينية المقدسة وكتب سير الأنبياء والرسل الذين جاؤوا قبل رسول الله ﷺ. وكانت له معرفة بكتب الأوائل وإخبارهم، ويُعد أقدم من كتب في الإسلام. كان ممن قرأ الكتب ولزم العبادة وواظب على العلم وتجرد للزهد. قال الذهبي عنه: وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب. روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ومحمد بن ماجة في التفسير. اهتم وهب بأخبار العرب في الجاهلية، وروى أخبار غير العرب التي استقاها من الكتب المقدسة، ويغلب على أخباره طابع القصص الشعبي الخرافي؛ لذلك يوصف بأنه «مؤرخ إخباري وعالم بأساطير الأولين». عبد الجبار ناجي.



ثم يردف المستشرق فيقول: «وكما ذكر بأن محمداً كان أقرب الناس إليه يسوع، كذلك فقد جرى تقديمه على أنه الأقرب إلى موسى، وفي هذا فإن الخطاب التناظري والجدلي ليس معادياً للمسيحية لكن بالأحرى كان معادياً لليهود. إذ يظهر من الروايات تلك التي تروي تاريخ يوم عاشوراء، ففي بعض تلك الروايات يفترض ضمناً أن هناك علاقة بين هذا اليوم ويوم الكفارة اليهودي. فقد روي أن محمداً عندما جاء إلى المدينة بعد هجرته من مكة، اكتشف أن يهود تلك المدينة كانوا يصومون يوم عاشوراء. وقد سألمهم أن يخبروه عن سبب ذلك، فقالوا له: إن هذا اليوم هو يوم عيد وعطلة؛ وذلك لأن الله فيه أنقذ أبناء إسرائيل من أعدائهم، ولذلك فقد صام موسى في هذا اليوم. وعندها قال محمد لليهود: «إنا أحق بموسى منكم»، وعندها شرع في صيام يوم عاشوراء وأمر المسلمين أن يحذوا حذوه. وهذا يعني أن الأمة الإسلامية - وليس اليهود - هم الحاملون الأصليون الأكثر لإرث موسى». أورد الحديث ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري، حديث رقم ١٩٠٠ جزء ٤ ص ٢٩٠، بسند عن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال: «قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: فإنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه». عبد الجبار ناجي^(١٩). ويقول المستشرق: «لم يكن موسى فحسب، بل داود David هو أيضاً رمز يهودي أنموذجي للخلاص والنصر، وهنا مرة أخرى فقد تحول محمد إلى الوريث الأبرز شخصية. فالروايات تؤسس الصلة بين داود ومحمد، وتدور حول محمد أمتعته ومتعلقاته الخاصة، تلك التي تشكل جزءاً مهماً من إرثه. ومن بين الآثار التي تركها وراءه درع كان يحميه في ميدان المعركة، وعلى وفق الرواية، فقد كان إرثاً لداود؛ إذ كان ديفيد يرتديه عندما واجه غلياث Goliath وقد وصف في كتاب صموئيل التوراتي بأنه عملاق فلسطيني هزمه داود الشاب في معركة واحدة. عبد الجبار ناجي^(٢٠).

١٤ - سيرة وحياة محمد والقرآن: مسألة هجرة محمد.

١٥ - سيرة محمد والصورة الذاتية الإسلامية: تحليل مقارن لحادثة في غزوات بدر والحديبية.

“The life of Muhammad and the Islamic Self-Image: A Comparative Analysis of an Episode in the Campaigns of Badr and al-Hudaybiya”, in Harald Motzki(ed.), The Biography of Muhammad: the Issue of the Sources(Leiden, 2000), 3-17.

المشور في كتاب: (The Biography of Muhammad: the Issue of the Sources)

١٦ - الرسول المحجوب عن الأنظار: في تفسير المزمّل والمدثر.

“The Shrouded Messenger: On the Interpretation of al-Muzzammil and al-Muddaththir”, Jerusalem Studies in Arabic and Islam 16(1993), 96-107. Reprinted in: Uri Rubin, Muhammad the Prophet and Arabia, Variorum Collected Studies Series(Ashgate, 2011), no. VI.

١٧ - اقرأ بسم ربك: بعض الملاحظات على تفسير سورة العلق.

“Iqra’ bi-smi rabbika...: Some Notes on the Interpretation of Surat al-‘Alaq”, Israel Oriental Studies 13(1993), 213-230.

١٨ - لعنة محمد على مضر وحصار مكة.

“Muhammad’s Curse of Mudar and the Blockade of Mecca”, Journal of the Economic and Social History of the Orient 3(1988), 249-264.

١٩ - الأنبياء والأسلاف في الرواية الشيعية المبكرة.

Prophets and Progenitors in the Early Shi’a Tradition”, Jerusalem“Studies in Arabic and Islam 1(1979), 41-65

أورد فيه رؤية توراتية أيضاً، إذ يقول على صفحة ٤٦ - ٤٧: «هذه المعرفة، على الرغم من أن جوهر التراث العالمي قد نقل من جيل إلى جيل، إن هو مكون واحد فقط من الوصية التي انتقلت من كل نبي إلى خليفته. وهذه الوصية تضمنت أيضاً بعض العناصر



الملموسة، وأهمها التابوت. وبحسب مصادرنا فإن آدم هو الذي جاء بالتابوت وحمله من الجنة. وكان هذا التابوت مصنوعاً -بحسب الرواية- من الماس أو من اللؤلؤ الأبيض، مع بايين مقفلة بسلسلة ذهبية ومقبضين من الزمرد. وفيه أودعت «الوصية والديباجة»، وقيل: إن هذا التابوت كان استعماله لأغراض نبوية. فشيت -الذي كان وصياً لوالده آدم- قد فتح التابوت الذي كان قد خصص له من والده، من أجل أن يعلم عن وقت ظهور نوح. وأمر النبي هود قومه بفتح الوصية مرة في السنة. وقيل أيضاً: إن إبراهيم قد فتح التابوت من أجل أن يكشف ويظهر مستقبل ذريته. والتابوت هو رمز لنبوة الإسرائيليين، وبالطبع فإن التابوت قد نقل عن طريق أنبياء بني إسرائيل. ومع ذلك، فإن الشيعة الذين اعتقدوا أن سلسلة نسب الأنبياء القدامى قد اتبعت سلسلة نسب الأئمة الشيعة، عملت بعض إشاراتهم الخاصة التي تعادل التابوت. فالإمام علي الرضا -وبحسب ما أوردته الرواية- أعلن أن درع محمد قد نقل من إمام إلى إمام كما تم نقل التابوت من نبي إلى نبي». اعتمد المستشرق على كتاب الإثبات وكتاب بحار الأنوار للشيخ المجلسي وكتب أخرى، فجاء في الجزء الثالث عشر من بحار الأنوار صفحة ٤٥٦ في قصة إشمويل عليه السلام وطالوت وجالوت وتابوت السكينة في تفسير الآيات الكرييات ٢٤٦-٢٥١ من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ حَمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ

فَمَنْ شَرَبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلاقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتنَةُ كَثِيرَةٍ بآذَنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وَانصُرنا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِآذَنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * مَا يَأْتِي: «الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن أخبره، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال: رَضاضُ الْأَلْوَحِ فِيهَا الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ. فَقَالُوا: «لَمْ يَأْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ» فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: «إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ»، وَكَانَ التَّابُوتُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ فَوَضَعَتْهُ فِيهِ أُمُّهُ وَأَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ، فَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ، فَلَمَّا حَضَرَ مُوسَىٰ الْوفاةَ وَضَعَ فِيهِ الْأَلْوَحَ وَدَرَعَهُ وَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ آيَاتِ النُّبُوَّةِ وَأَوْدَعَهُ يَوْشَعَ وَصِيَّهُ فَلَمْ يَزَلِ التَّابُوتُ بَيْنَهُمْ حَتَّى اسْتَخَفُّوا بِهِ، وَكَانَ الصَّبِيَّانِ يَلْعَبُونَ بِهِ فِي الطَّرِيقَاتِ، فَلَمْ يَزَلِ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي عِزٍّ وَشَرَفٍ مَا دَامَ التَّابُوتُ عِنْدَهُمْ، فَلَمَّا عَمِلُوا بِالْمَعَاصِي وَاسْتَخَفُّوا بِالتَّابُوتِ رَفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا سَأَلُوا النَّبِيَّ وَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ طَالُوتَ مُلْكًا يَقَاتِلُ مَعَهُمْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّابُوتَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾، قَالَ: الْبَقِيَّةُ: ذُرِّيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ.

ثم يستمر المستشرق في سرده هذا عن التابوت فيقول: «وهناك فقرة أخرى في الوصية وهي «اسم الله الأعظم»؛ فهذه التسمية الإلهية قد تضمنها واشتملها أيضًا التابوت، وكان يتألف من ثلاثة وسبعين حرفًا. وكل نبي قد عهد إليه عدد محدد من هذه الأحرف الغامضة والسرية mysterious، غير أن العدد الأكبر (الاثنين والسبعين



حرفاً) قد كشفت وأوحيت إلى محمد فقط. وقد احتفظ الله لنفسه بالحرف الأخير سراً أبدياً. وعهد بالاسم الأعظم بعد محمد إلى أئمة الشيعة. فعلي والأئمة قد أعطوا عدد الحروف نفسها تلك التي تقلدها محمد».

وأورد المجلسي هذه الرواية المتعلقة بالتابوت قال: «ذكر المسعودي هذه القصة بنحو مما مرّ، وفيها: إن الله تعالى جمع الأحجار الثلاثة في مخلاته فصارت حجراً واحداً، وذكر أن مدة مكث التابوت ببابل كانت عشر سنين، فسمعوا عند الفجر حفيف الملائكة يحملون التابوت. الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن معاوية بن وهب، عن سعيد السمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل، كانت بنو إسرائيل أي أهل بيت وجد التابوت على بابهم أوتوا النبوة، فمن صار إليه السلاح منا أوتي الإمامة. الكافي: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن السكين، عن نوح بن دراج، عن عبد الله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل، حيثما دار التابوت دار الملك، فأينما دار فينا السلاح دار العلم. وجاء في الكافي: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي نصر، عن الرضا عليه السلام مثله. أقول: سيأتي الإخبار في ذلك في كتاب الإمامة». عبد الجبار ناجي^(٢١). وكما رأينا في أعلاه إنتاجات البروفسور أوري روبين الكثيرة في المجال الذي نحن بصدد، وأعني رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم النبيين، وهناك بحوث أخرى لم تخضع للبحث هاهنا. غير أن البحث الذي نريد أن ندرسه في هذا الخصوص هو البحث الموسوم بـ: «خاتم الأنبياء وخاتمة النبوة؛ حول تفسير السورة القرآنية الأحزاب سورة ٣٣ الآية ٤٠ :

21- The Seal of the Prophets and the Finality of Prophecy. On the Interpretation of the Qur'ānic Sūrat al-Aḥzāb(33).

المنشور في مجلة:

Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft 164(1): 65-96.

والمستشرق روبين يلخص بحثه في الأسطر الأولى من البحث فيقول على صفحة ٦٥ ما نصّ ترجمته: «يبدأ هذه البحث بإعادة النظر في السورة ٣٣: ٤٠ التي تستهل بالتصريح بأن محمداً «ليس أبا لأي من رجالكم» الواقع أن المستشرق ترجم: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) إلى: محمد هو ليس أبا لأي؛ بينما تقرأ في السورة ما كان أبا. عبد الجبار ناجي. وهذا ما يمكن محاججته بأن هذا لا يعني أن محمداً هو من دون أبناء، كما يفترضه بشكل مألوف العلماء المعاصرون، ولكن -بالأحرى- أنه كان مطلق الحرية في الزواج من مطلقة زيد بن حارثة، ابنه بالتبني. بل تؤكد أن محمداً هو «خاتم النبيين» ذلك الذي يظهر في النصف الثاني من الآية نفسها التي أعدت لتظهر بوضوح أن محمداً سينهي السلسلة النبوية المتعاقبة للوحي النبوي إلى نهاية مظاهره. وتقتضي -ضمننا- هذه المفهومية أن محمداً يتمتع برعاية الله وحاميته مثل أي نبي جاء قبله، وبالأخص موسى الذي انتقده معاصروه لأنه تزوج من امرأة سوداء، وعوقبوا لانتقادهم، وكذلك عوقب أولئك الذين شككوا في شرعية زواج محمد من مطلقة زيد». يلاحظ هنا كيف أن المستشرق جعل النصف الأول من الآية الكريمة وكأنه يعبر عن مضمون الآية كاملة، كل ذلك من أجل إعطاء الأسبقية في مثل زواج رسول الله ﷺ ابنة عمته أميمة، وهي أخت الصحابي عبد الله بن جحش. أسلمت زينب وهاجرت إلى المدينة المنورة، وتزوجها النبي محمد بعد أن طلقها زيد؛ فأم زينب هي أميمة بنت عبد المطلب عمه النبي محمد، اختلف في إسلامها، وذكرت بعض المصادر أن أميمة أسلمت وهاجرت وأطعمها رسول الله أربعين وسقاً من تمر خيبر. والمستشرق ركّز على هذا الموضوع وتعمد أن يتغافل عن استنتاجه عن الخاتمية الرسالية بهدف وضع النبي موسى ﷺ موضع الأسبقية أيضاً في موضوع خاتم النبيين. عبد الجبار ناجي. ويستمر قائلاً: «أما بالنسبة للدلالة والأهمية الخاصة للاستعارة المجازية -meta-phor للخاتم القرآني، فإن هذا البحث يتواصل ليظهر أيضاً أنه يدل على إثبات نهائية النبوة أو خاتميتها. وهذا يعني أن خاتمية النبوة هي فكرة قرآنية، وليست فكرة ما بعد



القرآنية post-qur'anic، كما دافع عنها بعض العلماء المحدثين. فالبحث إعادة نظر في النصوص التي اعتمد عليها هؤلاء العلماء (بما في ذلك الكتاب المقدس وما بعد الكتاب المقدس)، ويتبين أن هذه النصوص لا تعبر عن وجهة رأيهم. ففي دراسة حديثة عن الموضوع لديفيد باورز Powers أعيد فتح المناقشة للآية القرآنية التي تضمنت القول: «محمد ليس والدا لأحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» (سورة ٣٣: الآية ٤٠). فالفكرة الأساسية لبورز هي أن النص القرآني الذي أمامنا قد خضع لعملية من الحذف والإضافات الثانوية قد جرى إعدادها لتكييف القرآن إلى عقيدة الخاتمية النبوية. وهذا - من وجهة نظر باورز - يمثل عقيدة متأخرة نسبياً، تلك التي لم يكن تأثيرها في البنية النصية القرآنية فحسب، إنما أثرت أيضاً في أصول مختلف الروايات والأحاديث عن زيد بن حارثة، ابن محمد بالتبني. ويدافع باورز Powers بأن وجود زيد نفسه يقف في تناقض حاد لعقيدة ما بعد القرآن بأن محمداً كان النبي الأخير، وبالتالي فقد كان من الضروري النشر والتعميم للأحاديث التي تسرد حكاية موت زيد في المعركة، وهكذا يموت قبل محمد».

ثم يستمر قائلاً على الصفحة ٦٦ من البحث: «بناء على أفكار المستشرق ديفيد باورز السابقة الذكر، فهنا سوف أبدأ بمحاولة جديدة في قراءة سورة ٣٣ والآية رقم ٤٠ في سياق السورة كلها، تلك التي وجدت فيها الآية ٤٠. سأعيد الدراسة والبحث في العلاقة بين جزئها، وأقصد: القول إن «محمد ليس أباً لأحد من رجالكم»، ثم تأكيد أنه «رسول الله وخاتم النبيين». وإنني سأحاول أن أثبت وأبرهن أن كلا الفقرتين تتقاسم وتشترك الهدف نفسه، بمعنى الدفاع عن النبي القرآني ضد الاتهامات الموجهة إليه بسبب إشكالية الزواج من زوجة زيد المطلقة. فالقرآن يشير إلى الشأن الأخير في تجاوز وثيق الصلة مع الآية قيد المناقشة. وإنني سوف أحاجج بأن «محمد ليس أباً لأي من رجالكم» لا يقصد منها أنه من دون أبناء، كما يفترض عادة علماء وباحثون محدثون،

لكن فقط ليس هنالك رجل من بين عائلته الواسعة من المؤمنين هو ابن بايولوجي له. وهذا يقتضي -ضمننا- أن محمداً حرّ في الزواج من أي مطلقة بمن فيهن مطلقة زيد. أما بالنسبة إلى تأكيد أن محمداً هو خاتم النبيين، فسأجادل أنه في سياق مسألة زوجة زيد السابقة، فإنه يدل على الاستمرارية والتصديق بانتهاء السير النبوية للرسول السابقين، وعلى وجه الخصوص سيرة موسى الذي واجه مقاومة مماثلة بما يتعلق بزواجه من امرأة معينة. وأن اسم موسى هو بالفعل قد ذكر صراحة في السورة نفسها وها هنا بيت القصيد، فالمستشرق يحاول أن يجعل الخاتمية الرسالية في النبي موسى ﷺ بمقاربة مع زواج موسى بامرأة كوشية؛ ولذلك بدأ البحث بأنه سوف يحاول قراءة الموضوع في سياق السورة عموماً وليس في الآية ٤٠ فحسب، وهو هنا يشير -بذلك واضحة- إلى الآية رقم ٧ من سورة الأحزاب نفسها، تلك التي يقول فيها الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، فالآية الكريمة هنا لا تعالج الجنبه نفسها في مسألة الخاتمية؛ لذا فالمقاربة غير صحيحة في هذه المحاجة. عبد الجبار ناجي.

ثم ينتقل إلى جنبه أخرى تحت عنوان: (السياق القرآني لخاتم النبيين) فيقول فيه ما نصّه: «يظهر تعبير خاتم النبيين مرة واحدة فقط في القرآن، في سورة الأحزاب (٣٣). ووفقاً للتسلسل الزمني الإسلامي التقليدي للوحي، فقد نزلت هذه السورة في المدينة. وبمعزل عن الآيات فإنها تشير إلى الصدام الحربي بين محمد والأحزاب -وهو على الأرجح معركة «الخنديق» في سنة (٦٢٧/٥)- وتحتوي على عدة آيات تتعلق بوضع محمد داخل عائلة المدنين المؤمنين، فضلاً عن آيات تحدد مكانته بين الأنبياء. فالآية ٤٠ تجمع وتضم جانبين أو مظهرين: منزلة محمد ومكانته، «محمد ليس أباً لأحد من رجالكم لكن رسول الله وخاتم النبيين والله يعلم كل شيء». فالآية يُقصد بها -بحسب وجهة نظر البروفسور أوروي روبين- أنها «تعني أن أبوة محمد التي تم إنكارها في هذه الآية ليست



بالمعنى البيولوجي (الشخص الذي ينطبق على عائلته بواقع الحامض النووي)، بل بالمعنى الروحي أو الشرعي، وهو ينطبق على عائلته الواسعة من المؤمنين». والمستشرق أوري يضيف إلى رأيه هذا بقوله: «وهناك آيات أخرى في السورة نفسها تؤكد هذه الملاحظة. فقد جاءت الفقرة الأولى في سورة ٣٣: الآية ٦»، وهنا يقصد الآية ٦ من سورة الأحزاب التي يقول فيها الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾. عبد الجبار ناجي.

ويستمر قائلا على صفحة ٧٢ تحت عنوان فرعي: «رسول الله وخاتم النبيين» ما يأتي: ومتابعة لتأكيد عدم وجود علاقة شرعية بين الأب والابن تربط محمداً بـ «رجالكم»، تأتي العبارة القائلة إن محمداً هو «رسول الله وخاتم النبيين». فهذا النطق واللفظ ينقل الخطاب في سورة ٣٣ الآية ٤٠ من مستوى أو صعيد المؤمنين إلى صعيد الأنبياء. وهكذا يبدو أنه مرتبط مباشرة بالآية السابقة التي تنهي مسألة زيد في الآية (سورة ٣٣ الآية ٣٨ - ٣٩ ويقصد المستشرق الآيتين الكريميتين التي يقول فيهما عز من قائل: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ فهذه الآية إن هي إلا استمرار للسعي القرآني لتبرئة محمد من أي ذنب بما ينطوي عليه تعبير «حرج» في «ما فرضه الله له»، بمعنى زواجه من زوجة زيد السابقة. الآن فقد تمّ تأكيد أن حالة زواج محمد مطلقة زيد تتفق مع سنة الله كما تتحقق بالفعل عبر الرسل السابقين. وهؤلاء أيضا تصرفوا في أيما فعلوا، بينما هم لا يخافون أحدا سوى الله. وقد ورد ذكر سنة الله في آية أخرى وفي السورة نفسها (سورة ٣٣: ٦٠ - ٦٢) التي يقول فيها الله: ﴿لَنْ يَنْتَهِيَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتْلُوا تَقْتِيلًا﴾

سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا».

«وها هنا تشير سنة الله إلى الطريقة الحازمة التي اعتاد أن يعاقب بها أعداء رسله عبر التاريخ. فالسنة هنا استحضرت واستدعت بوصفها تحذيرا لخصوم محمد «المنافقين» و«المحرضين»، وأشارت إلى طردهم من «المدينة» إذا استمروا في مضايقة محمد. ويميل المرء إلى الاعتقاد أن التهديد موجه بشكل أساسي إلى يهود المدينة. والقرآن يقصد نبيا معيناً ومحدداً عند التلميح والإشارة إلى سنة الله في السورة، فيبدو أن المعنى النبي موسى، وهو الاسم الذي ذكر صراحة في آية أخرى من سورة الأحزاب نفسها (الآية ٦٩) «يَقْصِدُ سورة الأحزاب الآية ٦٩ التي يقول فيها الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾، والآية ٥ من سورة الصف التي يقول فيها عزّ من قائل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَوُدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. عبد الجبار ناجي.

وقد أبدى العلماء المحدثون منذ زمن بعيد أن هذه الآية تشير أو تلمح بالإشارة إلى سفر العدد رقم ١٢: ١-١٥، عندما ذم كلا من مريم وهرون بموسى لاختيازه امرأة سوداء «كوشية» زوجة. فعاقبهم الله بقسوة. لذلك كان التأكيد في سورة ٣٣: ٣٨ أن زواج محمد من زوجة زيد السابقة إنّما يمثل سنة الله مع الرسل السابقين، ويبدو أنها تعني ذلك مثل ما كان مع موسى، فالله يحفظ رسوله مرة أخرى - وهذه المرة محمد - ضد أولئك الذين استخفوا وذموا محمداً فيما يتعلق بزواجه^(٢٢).

هنا أيضاً وللمرة الثالثة أو الرابعة يحاول المستشرق أن يقارب بين النبي موسى وزواجه من الكوشية بما يعلل فيه أسباب نزول الآية الكريمة في سورة الأحزاب، وقد راجعت سفر العدد فكانت الآيات التي ذكرها المستشرق من الآية ١ إلى الآية ١٥ جاءت كالآتي: العدد ١٢ - تفسير سفر العدد



آية ١:- (وَتَكَلَّمْتُ مَرْيَمَ وَهَارُونَ عَلَى مُوسَى بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ الْكُوشِيَّةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ اتَّخَذَ امْرَأَةً كُوشِيَّةً).

آية ٢:- (هَلْ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلَمْ يَكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضًا؟ فَسَمِعَ الرَّبُّ).

آية ٣:- (وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جَدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ). آية ٤:- (فَقَالَ الرَّبُّ حَالًا لِمُوسَى وَهَارُونَ وَمَرْيَمَ: «اخْرُجُوا أَنْتُمْ الثَّلَاثَةُ إِلَى

خَيْمَةِ الْجُمُعَةِ). فَخَرَجُوا هُمُ الثَّلَاثَةُ». كثيرًا ما يسكت الله عن ظلم إنسان ولا يدافع عنه لفترة لصالحه الروحي ولكنه هنا يدافع عن موسى فورًا حتى لا يتسبب الهجوم على موسى ومن إخوته في أي خلل في القيادة.

آية ٥:- (فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي عَمُودٍ سَحَابٍ وَوَقَفَ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ، وَدَعَا هَارُونَ وَمَرْيَمَ فَخَرَجَا كِلَاهُمَا).

الآيات ٦-٨:- (فَقَالَ: (اسْمَعَا كَلَامِي. إِنْ كَانَ مِنْكُمْ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ، فَبِالرُّؤْيَا أَسْتَعْلِنُ لَهُ. فِي الْخُلُمِ أَكَلَّمُهُ. وَأَمَّا عَبْدِي مُوسَى فَلَيْسَ هَكَذَا، بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِي كُلِّ بَيْتِي. فَمَا إِلَى فَمٍ وَعَيْنَا أَتَكَلَّمُ مَعَهُ، لَا بِالْأَلْفَازِ. وَشَبَّهَ الرَّبُّ يُعَايِنُ. فَلِمَاذَا لَا تُخَشَّيَانِ أَنْ تَتَكَلَّمَا عَلَى عَبْدِي مُوسَى؟). آية ٩:- «فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْنِهَا وَمَضَى». ما أخطر الحديث عن خدام الله. آية ١٠:- (فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الْخَيْمَةِ إِذَا مَرْيَمُ بَرَصَاءُ كَالثَّلَاجِ. فَالْتَفَتَ هَارُونَ إِلَى مَرْيَمَ وَإِذَا هِيَ بَرَصَاءُ).

آية ١١:- (فَقَالَ هَارُونَ لِمُوسَى: «أَسْأَلُكَ يَا سَيِّدِي، لَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا الْخَطِيئَةَ الَّتِي حَقَّقْنَا وَأَخْطَأْنَا بِهَا).

آية ١٢:- (فَلَا تَكُنْ كَالْمَيْتِ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ رَحِمِ أُمِّهِ قَدْ أَكَلَ نِصْفُ لَحْمِهِ). الآيات ١٣-١٥:- «فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ اشْفِهَا». فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «وَلَوْ بَصَقَ أَبُوهَا بَصَقًا فِي وَجْهَهَا، أَمَا كَانَتْ تُخَجِّلُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ؟ تُحْجِزُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تُرْجِعُ». فَحُجِزَتْ مَرْيَمُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَلَمْ يَزَلْ

الشَّعْبُ حَتَّى أَرْجَعْتَ مَرْيَمَ». لاحظ أن موسى لم يوبخها بكلمة بل صلى لها وتشفع عنها لتشفى، لكن الله يعلم متى يأتي التأديب بشماره^(٢٣). وفي الختام، يبدو أن الخطاب الوارد في سورة الأحزاب الآية ٣٣ هو الآتي: زواج النبي من زوجة زيد السابقة هو زواج شرعي؛ وذلك لأن محمدا ليس أبا لأحد من رجالكم بل رسول الله وخاتم النبيين؛ وبذلك فإن سلوكه وتصرفه يتطابق ويتوافق مع حالة سابقة للرسول الذين برأهم الله وحماهم في حالات مماثلة، والله يعلم كل شيء. ولعله يمكن ملاحظة أن هناك آية أخرى في السورة نفسها (سورة ٣٣ الآية رقم ٧) تحدد جانباً آخر من العلاقة بين بعثة محمد ورسالته النبوية، والأنبياء السابقين، فالله يقول في الآية ٧ من سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾. ثم ينتقل المستشرق إلى جبهة أخرى في البحث بعنوان: «جذر الخاتم»، وهو هنا أيضا يوجه البحث إلى مثل تلك المقاربات بين النبي موسى ونبينا ﷺ، علماً أن المستشرق أوري روبين هنا يفرد النبي محمدا ﷺ عن غيره من الرسل السابقين بكونه خاتم النبيين لوحده، فيقول في هذا الجزء من بحثه ما نصّ ترجمته بالآتي:

«مع أن الرسالة المباشرة لرسالة محمد فنعتة ولقبه بأنه «رسول الله وخاتم النبيين» يبدو أنه هو الإنجاز الدقيق والصحيح لتاريخ النبوات الماضية، فيبدو أن لقب خاتم النبيين يحمل معنى إضافياً يتجاوز معنى «الاستمرارية» أو «الإنجاز». وسببي في هذا الاعتبار هو أنه لمجرد فكرة الإنجاز بحد ذاتها perse، فالقرآن فيه تعبير مصدق. وعندما نطبق هذا التعبير على محمد فإن هذا اللقب وهذه التسمية يعني أنه يؤكد أو يصدق، أو ينجز ما كان قد تنبأ به الأنبياء السابقون. وهذا يتوافق مع العقيدة القرآنية أو المعتقد القرآني بأن وصف محمد، فضلا عن وصف أمته، موجودان في التوراة والإنجيل (سورة ٤٨، ٢٩) يقصد المستشرق سورة الفتح الآية ٢٩ التي يقول فيها الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ



الله وَرِضْوَانًا سَيِّئًا فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا. ومهما يكن، فقد وصف القرآن أيضًا الأنبياء الآخرين بالمصدق، بينما وصف محمدا فقط بأنه مصدق وكذلك «خاتم النبيين»؛ لذلك يجب أن يكون لقب خاتم النبيين أكثر من مجرد مصدق، وبهذا نصل إلى فعل ختم^(٢٤). وتناول المستشرق أوري روبين عددا من الموضوعات الجانبية التي تتعلق بالبحث عن خاتم النبيين، من بينها مناقشة رؤية المستشرق اليهودي يوهانان فريدمان Yohanan Friedmann بخصوص إبراهيم ابن النبي ﷺ، وهو الموضوع الذي سبق أن نوقش بشكل مستفيض في أعلاه من البحث، حينما وقفنا على رؤية المستشرق فريدمان في هذا الصدد. كذلك وقف المستشرق روبين على موضوع «علي وهارون»، و«علي الوصي»، و«عيسى المسيحي»، وفيه يناقش رؤية المستشرق غي سترومس GUY STROUMS وقد ناقشنا موقف سترومس من تعبير الخاتم وأنه تعبير عبري من الختم lahtom في أعلاه أيضا. كذلك تطرق المستشرق روبين إلى جنبه «المسيح عيسى المسلم»، وانتقل إلى موضوع «أمية بن أبي الصلت» ثم «الأنبياء الكذابون»، وهي موضوعات قد ناقشتها في الترجمة الكاملة لبحث المستشرق روبين المهم، وقد قدمته للنشر في إحدى المجلات العربية المعنية بسيرة سيد المرسلين محمد ﷺ، وسينشر قريبا بعون من الله تعالى. بقي علينا أن نتقل إلى ما شدد عليه المستشرق روبين في استنتاجه الأخير على صفحة ٩٦ من هذا البحث، فهو هنا أيضا يضع تشخيصه لموضوع خاتم النبيين بالمقاربة نفسها بين نبينا ﷺ، وموسى في الرؤية التوراتية، فيقول ما نصّ ترجمة ذلك بالآتي: «لا يوجد في أي من النصوص المبكرة التي سقناها في أعلاه، سواء كانت إسلامية أم مسيحية، استعارة مجاز «الخاتم» -وبشكل خاص حينما تكون مرتبطة بالأنبياء والنبوة- قد استعملت للدلالة على الإنجاز من



دون أن تعني -ضمنا- النهائية أو الخاتمية كذلك. ولذلك، لا يوجد هناك من سبب مقنع للافتراض أن مسلمي القرن الإسلامي الأول قد فهموا في الأصل خاتم النبيين القرآني بمعنى التصديق والتأكيد لوحده، من دون النهائية أي الخاتمية. ومهما يكن، وانطلاقاً من مهمة الفعل ختم khatama ووظيفته في القرآن، فقد يكون من المفترض أنه يوجد بالفعل في هذا الكتاب المقدس استعارة الختم ليعطي المعنى المتشابه لكل من التصديق والنهائية finality. ومع ذلك، فإن الفكرة بكون محمد هو خاتم النبيين التي ذكرت مرة واحدة فقط في من الضروري أن يذكر أنه النبي الأخير. وقد رأينا ذلك في السياق المباشر لسورة الأحزاب ٣٣: ٤٠ أن الغرض الأساس من التصريح بأن محمداً هو خاتم النبيين هو إظهار الترابط التام والمثالي بين الحياة والسير النبوية للأنبياء السابقين ونبوة محمد، الذي يمثل ظهوره الخاتمة وأروع مظهر من مظاهر نبوتهم. وقد بين القرآن وأشار إلى مثل هذا الترابط من أجل أن يثبت ويرسخ مشكلة زواج محمد من زوجة زيد السابقة في سنة الله التي تمّ تنفيذها مع الأنبياء السابقين، وبصورة خاصة موسى. والغرض نفسه يكمن وراء الفقرة الأولى من سورة الأحزاب ٣٣ الآية ٤٠، تلك التي تقول: إن محمداً ليس أباً لأي من رجالكم»^(٢٥). وللمستشرق روين بحث آخر ردّد فيه الأفكار نفسها بخصوص الرؤية التوراتية للخاتمية ولخاتم النبيين ﷺ، وهو البحث الذي يحمل عنوان: «تعويذة محمد: جوانب من الجدل الإسلامي اليهودي MUHAMMAD THE EXORCIST: ASPECTS OF ISLAMIC-JEWISH POLEMICS». المنشور في مجلة JSAI، في العدد ٣٠، في سنة ٢٠٠٥. فعلى الصفحة ٩٤ من بداية بحثه يسلط الضوء بشكل واضح على هدفه التوراتي البحث فيقول: «هناك مظهر أو جانب من الجوانب البارزة للشدّ الثقافي بين الإسلام من جهة، واليهودية والمسيحية من جهة أخرى، وهو المنافسة والتنافس بين الأنبياء الإسرائيليين والأنبياء الإسلاميين. في حين إن المجادلين اليهودي والمسيحيين رفضوا وطرحوا جانباً مصداقية وموثوقية صحة إدعاء



محمد النبوة، وقد وافق المسلمون على النهاذج النبوية اليهودية والمسيحية وطبقوها على النبي محمد. وبعملهم هذا فإنهم تمكنوا من إنتاج نبي لأنفسهم استمر في المشروع النبوي لأسلافه الإسرائيليين، وفي الوقت نفسه تفوق عليهم جميعاً. والمستشرق في استنتاجه على الصفحة ١٠٩ من البحث يبين بوضوح رؤيته التوراتية، فيقول ما نصّ استنتاجه ما يأتي: «ومع ذلك، فإن التطور والتحول الإسلامي الروحي قد حرك ونقل التركيز من قوى محمد الخاصة وقدراته بكونه طارد الأرواح الشريرة إلى التأثيرات المعادية للشيطانية من كتابه الموحى. لقد حدث هذا ليس فقط بسبب الرغبة في تهذيب to refine صورة النبي وصقلها ووضعها فوق أي ساحر عادي، ولكن لأنه خلافاً لمحمد الإنسان، فإن القرآن ظلّ إلى الأبد في متناول كل مؤمن. تكمن أهمية ذلك في حقيقة أنها توفر للمؤمنين بديلاً مفيداً عن التوراة اليهودية في بحثهم عن الحماية من الشيطان. وبذلك أدرك أن الإسلام لم يقتصر على كونه قد أخذ واقتبس الأنماط اليهودية والمسيحية تلك التي تم بناؤها في صورة أنبيائهم، بل يطمح أيضاً إلى استعمال الأصول الخاصة بها التي تم إنتاجها حديثاً، وخاصة القرآن، بوصفها بديلاً للإرث غير الإسلامي»^(٢٦). كذلك يردد مثل هذه الأفكار في بحث آخر عنوانه: «رسالة محمد في مكة»: تحذيرات وإنذارات، الآيات والمعجزات Muhammad's message in Mecca: warnings, signs, and miracles، فعلى صفحة ٤٢ يقول: سيكون يوم القيامة -بحسب الوحي المكي المبكر- مسبوقاً بكوارث كونية كما ذكرت مثلاً في سورة ٨١: ١-١٣ يقصد المستشرق سورة التكويد من الآية ١-١٣ وهي الآيات التي يقول فيها الله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ* وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ* وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ* وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ* وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ* وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ* وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ* وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ* وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ* وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ* وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾. عبد الجبار ناجي.

مثلاً: تغطي الشمس. النجوم تطرح أرضاً thrown down وهي ترجمة لا تماهي أبداً

التعبير القرآني: (انكدرت). عبد الجبار ناجي وإذا الجبال وجب إبعادها، وإذا الإبل الحامل تركت من دون رعاية، وإذا الحيوانات البرية تم حشدها بيننا التعبير القرآني: (حشرت). عبد الجبار ناجي، وإذا البحار أحرقت، وإذا السماء تجردت، وما إلى ذلك يلاحظ أن المستشرق حاول ترجمة هذه الكوارث لكن الترجمة جاءت بشكل لا يباهي لغة القرآن الكريم. ويقول المستشرق -بفعل الرؤية التوراتية- ما نصّه: «مثل هذه الأحداث والكوارث قد وصفت فعلا في القيامة التوراتية biblical apocalypse في سفر الرؤيا في جويل، نبي الكتاب المقدس العبري ٢: ٣٠-١٣: ٤ في الكتاب المقدس العبري يقول الله: «سأعرض علامات في السماوات وعلى الأرض. الدم والنار وأعمدة الدخان. الشمس يتحول إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل العظيم ويأتي يوم الرب الرهيب». الشيء نفسه يتكرر في العهد الجديد، ولاحقاً قام القرآن بتضمين هذه التحذيرات الأخروية في السياق العربي: بعثة محمد أو حملته ضد الشرك». لقد راجعت جويل ٣٠: ٣٢-١، ٢: ٣٠-١: ٣ فاقبست الآتي: ٣٠ نسخة الملك جيمس ٣٠ وأعطى عجائب في السموات والأرض. دماء ونار وقلوب دخان. ٣١ تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم. قبل أن يأتي يوم الرب العظيم والرهيب. ٣٢ ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص. لققين جبل صهيون وفي أورشليم خلاص. كما قال الرب. وفي البقية الذين يدعوهم الرب.

٣ - لأنه هوذا في تلك الأيام وفي ذلك الوقت. عندما أعود أعيد سبي يهوذا وأورشليم جويل ٣: ٣-٤

٣ - وألقوا قرعة لشعبي. وأعطوا ولدا زانية وباعوا فتاة بخمر ليشربوا.

٤ - نعم ومالي ولك يا صور وصيدون وكل تخوم فلسطين. هل تجبرونني على الجزاء؟ وإذا جازيتني، فسأرد على رأسك بسرعة وبسرعة. عبد الجبار ناجي. وعلى صفحة ٥٦ و صفحة ٥٧ حين يتحدث عن معجزة شق القمر يشير إلى المنظور التوراتي فيقول: «إن ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ / ١٣٧٣ يقارن أيضا بين معجزات محمد ومعجزات الأنبياء الآخرين،

وفي فصل خصّصه للحديث عن معجزات موسى، يشير إلى يد موسى التي أدخلها في جيبه فخرجت بيضاء من غير سوء، معجزة عُدَّت إحدى حجج الله على فرعون (سورة ٢٨: ٣٢) يقصد سورة القصص الآية ٣٢ التي قال الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. عبد الجبار ناجي. ويقول ابن كثير إن هذه المعجزة ليست بعظمة انشقاق القمر التي منحها الله لمحمد. فقول ابن كثير إن يد محمد أصبحت حجة أو وسيلة سحرية تفوق يد موسى البيضاء. ليس فقط اليد ولكن السبابة على وجه الخصوص تعدّ ميزة في الأحاديث والروايات تلك التي تسببت في انقسام القمر». ويعقب المستشرق على هذه الروايات والأحاديث وما تضمنته من معجزات رسول الله ﷺ: «إن هذه المحاولات في إظهار تفوق محمد على موسى تشير إلى أن موسى -مع أنه كان نبياً مسلماً على وفق القرآن- قد احتفظ بهويته اليهودية في عقلية المؤمنين»^(٢٧).



هوامش الفصل الخامس

١- ينظر: العقيلي، ج ٢، ص ٧٢٤؛ كذلك: Fuck: "Islam as an historical problem" p. 30

. Th. d'Alverny, G. Vajda) Marc de Toleda traducteur d'Ibn Tumert" in And (Volume 16/1951) Pp. 99-140, 250-07. C. de Frede (La prima traduzione italiana del Corano) Naples 1967. الطعان، د. عبد الرضا، تاريخ الفكر السياسي. الحديث، ص ٢٤١، ص ٢٤٣-٢٤٦؛ د. ضرغام الدباغ، حركة رجل الدين الألماني مارتن لوتر Morteza Karimi - Nia ; The Historiography of the Qur'an in the Muslim World: The Influence of Theodor Noldeke , Pp. 49-51.

2-Morteza Karimi - Nia ; The Historiography of the Qur'an in the Muslim World: The Influence of Theodor Noldeke , Pp. 49-51.

3- Wikiwand.

٤- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، جزء ٢، ص ٨٢٠؛ وقد ترجم ابن عساكر للشاعر عباس بن مرداس ترجمة طويلة في تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، والأبيات الشعرية موجودة في ج ٢٦ ص ٤٢٠؛ ابن منظور، لسان العرب، جزء ١٥، ص ٣٠٢-٣٠٣. JOSEF HOROVITZ ; KORANISCHE. UNTERSUCHUNGEN, BERLIN und LEIPZIG (1926) Pp. 53-54

٥- عز الدين ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المتوفى: ٦٣٠هـ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، جزء ٣، ص ٢٣٩.

٦- منير البعلبكي، سفر حجابي، إصحاح ٢ الفقرة ٢٣.

٧- ينظر: شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - القمص أنطونيوس فكري.

٨- سفر الرؤيا، الإصحاح الثالث عشر، عدد ١ و ٢.

9- JOHN WANSBROUGH, Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation. P. 64-65.

١٠- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

11- unedited full-text of the 1906 Jewish Encyclopedia The

12- Die Biblischen Erzählungen im Qoran Speyer, Heinrich, Berlin. pp. 422-423.

13- Alexander Toepel Seal and Comforter: On the Apocalyptic Prophethood of Elkasai, Mani, and Muḥammad المنشور في كتاب The Bible, the Qurʾān, & Their Interpretation: Syriac Perspectives CORNELIA B. HORN, Editor Printed in the United States of America 2013, Pp. 157-166.

14- Prophetic Charisma in the Quran Giovanni Filoramo (ed.), Carisma-Projetico: Fattore di Innovazione Religiosa (Brescia, 2003), 175.

١٥ - المصدر نفسه، صفحة ١٧٦.

16- Uri Rubin: Prophets and Prophethood, in The Blackwell Companion to the Qurʾān, Edited by Andrew Rippin, 2006 by Blackwell Publishing Ltd, Pp. 234-246, 245-246.

17- URI RUBIN, PROPHETIC CHARISMA IN THE QURʾAN, P. 175; Roberto Tottoli, Biblical Prophets in the Qurʾan and Muslim Literature, P. 3.

١٨ - ينظر: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان؛ تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ - ١٩٩١، حديث رقم ٦١٩٤، جزء ١٤، ص ٧٤.

١٩ - ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، جزء ٤، ص ٢٩٠.

٢٠ - ينظر: Wikipedia, the free encyclopedia Prophets and Caliphs: the Biblical Foundations of the Umayyad Authority, in Herbert Berg (ed.), Method and Theology in the Study of Islamic origins (Leiden, 2003), 73-99.

21- Prophets and Progenitors in the Early Shiʿa Tradition, Jerusalem Studies in Arabic and Islam 1 (1979), 41-65 ;

وينظر: بحار الأنوار، جزء ١٣، صفحة ٤٥٦.

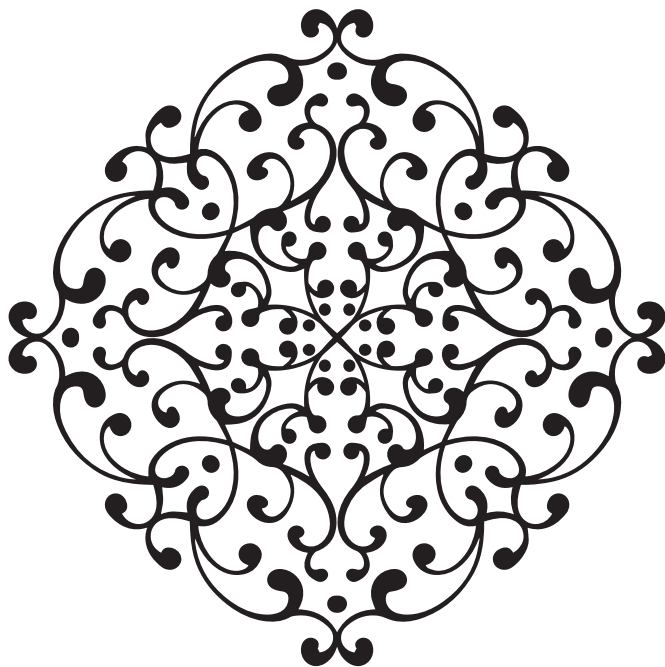
22- (Uri Rubin, The Seal of the Prophets and the Finality of Prophecy, P. 71-73).

٢٣ - ينظر: شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - القمص أنطونيوس فكري.

24- The Seal of the Prophets and the Finality of Prophecy, P. 74.

25- The Seal of the Prophets and the Finality of Prophecy, P. 96.

26- Uri Rubin : 27- MUHAMMAD THE EXORCIST: ASPECTS OF ISLAMIC-JEWISH POLEM





جمع القرآن: إعادة النظر في الدراسات الغربية

على ضوء التطورات المنهجية الحديثة

للمستشرق الألماني هيرالد متزكي Motzki Harald

مقدمة المترجم بشأن نشاط مدرسة الاستشراق الألمانية وإسهامها في حقل الدراسات القرآنية:

ونحن نترجم هذا البحث القيم للمستشرق الألماني هيرالد موتزكي Harald Motzki الذي يعدّ -بحق- من أعلام المستشرقين الألمان الذين كرّسوا همّهم للدراسات القرآنية والحديثية، وهو أنموذج واحد من النماذج الكثيرة التي تمثل مدرسة الاستشراق الألماني المتميزة. وقد أشرت في دراسات سابقة إلى الإسهام العلمي الجدّي للمستشرقين الألمان في الحضارة الإسلامية وفي التاريخ الإسلامي منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. ومّا لا شكّ فيه أن ظهور الاستشراق في أوروبا الوسطى يرجع إلى تاريخ أبكر من التاريخ المحدد المعلن عنه قبل أسطر، لكننا في هذا الفصل سنهدف إلى التعرف على إسهامات المستشرقين الألمان بما له علاقة بالموضوع الذي تتمحور حوله فصول هذا الكتاب، ألا وهو تاريخ القرآن الكريم عامة وعملية جمع القرآن على وجه التحديد، وعلى الإسهامات في حقل السيرة النبوية. ولا غرو من القول إن هذا الموضوع هو الآخر قد شهد متغيرات متعددة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما له علاقة بالمصادر الإسلامية التي أفلح المستشرقون الألمان وغيرهم في اكتشافها منذ أواخر القرن الثامن عشر للميلاد، ومن ثمّ تحقيقها أو نشرها في المطابع الغربية، فبواسطة ما تمّ اكتشافه من مخطوطات تقع ضمن محور مجموعة مؤلفات الحديث والتفسير لا بدّ أنها قد وفّرت للمستشرقين الألمان وغيرهم حشدا لا يستهان به من الأدلة والمضامين والاستشهادات المساعدة في تثبيت تأويلاتهم أو تركيز مواقفهم من الرواية الحديثية لجمع القرآن الكريم.

ومدرسة الاستشراق الألماني مثل غيرها من المدارس الاستشراقية الأوروبية والأمريكية قد تأثرت في تطورها ونموها عبر التاريخ بالمستجدات والظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية، ومن ثمّ الفكرية التي سادت العالم، وبالأخص ما يتعلق منها بالمنطقة التي يقع ضمن جغرافيتها مهد الإسلام ومهد مولد الرسول العظيم ﷺ،



موضوع القرآن الكريم وجمعه؛ أي الشرق الأوسط بصورة عامة والحجاز بشكل خاص فقبل أكثر من قرن ونصف من الآن انشغل جمع من العلماء الغربيين من الألمان بالمتابعة والتقصي للروايات التاريخية والحديثية الموجودة في ما تمّ تحقيقه آنذاك من المؤلفات التي تعرف بمجموعة الصحاح، إذ نجح -بامتياز- المستشرق فنسنت فاعتمد في كتابه الرائع المعجم المفهرست لحديث النبي ﷺ على ست منها في تخريجه الأحاديث الشريفة، وقد استعملت في جمع الروايات الحديثية عن العملية الكبرى في الإسلام، ألا وهي جمع القرآن الكريم والدراسات القرآنية والسيرة النبوية. وكنا في بداية الأمر نعزو اهتمام المستشرقين الألمان في هذا المضمار إنمّا يرجع فضله إلى المستشرق المعروف ثيودور نولدكه Th.Noldeke الذي بادر إلى تأليف كتاب مهم جدا ما زال العلماء الغربيون والعرب والمسلمون يعتمدونه عند الكتابة أو عند المحاضرة أو الحديث عن تاريخ القرآن الكريم، وهو كتاب: تاريخ القرآن Geschichte des Qurans المطبوع في سنة ١٨٦٠، وقد ترجم إلى اللغة العربية. والكتاب في أصله رسالة الدكتوراه التي منحت للمستشرق نولدكه من جامعة بون كتبها أولا باللغة اللاتينية، وتمت مناقشتها في عام ١٨٥٦ ونالت جائزة في منافسة تسمى منافسة Parisian لدراسات التاريخ النقدي للنصّ القرآني Critical history of the text of the Quran وقد طبع الكتاب أولا بالطبعة الألمانية الموسعة في عام ١٨٦٠ م.

A. Rippin, in Foreword to John Wansbrough, Quranic Studies, Amherst: Prometheus Books, 2004 1st Ed. 1977 p. x.

غير أنه بعد أن نبّه مستشرقون من أمثال المستشرق الكندي أندرو ربن Rippin Andrew في مقدمته التي سطرها في العمل القيم جدا الموسوم بـ: دراسات قرآنية Quraic Studies: المصادر والتفسير، 1977، 1st edn. Amherst: Prometheus Books، إذ بين أن هناك مستشقا آخر سبق ثيودور نولدكه في الاهتمام بالدراسات القرآنية وتاريخ جمع

القرآن والسيرة النبوية، وهو المستشرق الألماني أبراهام جيجر Abraham Geiger المولود في برلين في ٢٥ مايس ١٨١٠ والمتوفى في ٢٣ تشرين الأول ١٨٧٤ في فرانكفورت-Frankfurt am Main، وقد تخرج هو الآخر في جامعة ألمانية وهي جامعة بون-Bonn University، وقد اشترط عليه من قبل كلية الفلسفة في الجامعة أن يكتب رسالته عن مسألة التحري عن الآثار اليهودية في القرآن، فما كان على أبراهام جيجر اليهودي إلا أن يرضخ لهذا الشرط من أجل إكمال دراسته في عام ١٨٢٣م، فكان العنوان الأساس للأطروحة هو: Was hat Mohammad aus dem GudenthumeW aufgemommen؟، أي ما الذي أخذه أو استقاه محمد من اليهودية أو من العبرية؟. وكانت لغة الأطروحة اللاتينية كما هو الحال في لغة أطروحة ثيودور نولدكه وكان عنوانها في اللغة اللاتينية هو: Inquiratur in fontes Alcorani seu legis Mohammedicae eas qui ex Judaismo derivandi sunt، أوضح فيها أن كثيرا من أقسام القرآن قد أخذت أو أستندت إلى الأدب العبري Rabinic literature.

فدراسة جيجر كان هدفها يتفق مع التوجه اليهودي في إظهار مدى تأثير القرآن الكريم بالتوراة العبرية، وهو بالتالي ليس في جوهر المسألة الخاصة بجمع القرآن، فعمله ينطوي تحت ميدان الأثر اليهودي الذي نوهنا عنه في كتابنا هذا. وواقعا فإن دراسته قد شكّلت أساسا راسخا للدراسات اليهودية والإسرائيلية فيما بعد بشأن هذا التوجه الذي سنقف عليه لاحقا والذي يمثل الشطر الأول من هذا الفصل، ذلك الذي سبق أن عرّفناه بريادة تفسير التأثير العبري في الإسلام. يراجع كتاب:

Max Wiener Abraham Geiger and Liberal Judaism, The Challenge of the Nineteenth Century(Eng. translation by Ernst J. Schlochau) Philadelphia: The Jewish Publication Society of America, 1962.



ومع ريادة المستشرق أبراهام جيجر في الحقل الذي تخصص فيه حول الإسلام واليهودية، غير أن هناك مستشرقاً ألمانيا آخر وهو معاصر للمستشرق جيجر، إذ إنه ولد قبل عامين من مولد جيجر، وولد في مدينة Sulzburg، Grand Duchy of Baden، لكنه توفي بعد جيجر بخمس عشرة سنة، في Freiburg-im-Breisgau، ذلك هو المستشرق غوستاف فيل أو (فايل) Gustav Weil، الذي أنتج عدّة إسهامات قيمة في التاريخ الإسلامي بشكل عام، وفي سيرة رسول الله ﷺ وفي مقدمته عن القرآن الكريم وعملية جمعه بشكل أخصّ. فالمستشرق غوستاف فايل يعدّ رائداً للتوجه الثاني في هذا الفصل، بمعنى: اتجاه تحليل الرواية الحديثية لجمع القرآن الكريم.

وفي الوقت الذي كان فيه أبراهام جيجر مؤسس التفكير الأول؛ ولهذا صار المستشرقون الذين أعقبوه يعتمدون على دراسته ويتابعونها في تحقیقاتهم ودراساتهم، كان المستشرق غوستاف فايل مصدراً للمستشرقين الذين حاججوا في مواقفهم مدى الموضوعية والمصدقية في الروايات الإسلامية الحديثية منها والتاريخية على حدّ سواء. ومنذ ذلك الحين فإن العلماء الغربيين أصبحوا تواقين إلى التشديد على جنبه التأثير اليهودي أو التأثير المسيحي في القرآن. ولا مندوحة من القول إن هناك علماء قد اعتقدوا إلى حدّ كبير بالتأثير اليهودي، وبأن القرآن مدين كثيراً للعبرية أو اليهودية. فالقرآن الكريم والدراسات المرتبطة بعلوم القرآن وتاريخية الفكر الديني الإسلامي المستند إلى ما جاءت به الآيات القرآنية المباركة تلك التي انتفع منها المحدثون والفقهاء وزعماء المذاهب الإسلامية تعدّ العناصر الأساسية في تشكيل تاريخانية القرآن الكريم في القرن الأول الهجري. وهناك ملاحظة مهمة في هذا الإطار، ألا وهي أن هذه الدراسات الألمانية عن القرآن الكريم لم تكن منطوية - كما يعتقد قسمٌ من هو بعيد عن إنجازات المدارس الاستشراقية أو عن تاريخ الاستشراق - تحت سقف الحركات التبشيرية، ذلك الاعتقاد الذي اعتاد المثقفون العرب والمسلمون على تطبيقه جزافاً عند وصفهم أو

تحديدهم معنى الاستشراق، أو على من هو المستشرق؟ ذلك الوصف المعتاد والثابت ألا وهو أن الاهتمام الغربي بالدراسات القرآنية نابع من نشاط البعثات التبشيرية فحسب. فالمستشرقون الألمان الذين بذلوا جهوداً علمية ولغوية مضيئة قد بادروا في دراساتهم القرآنية هذه إلى إرساء دعائم مذهب الشكّية في عملية جمع القرآن الكريم، وفوق هذا ترددهم في الموقف من الروايات الإسلامية والأحاديث، وفي عدم التصديق بالأحاديث بشكل عام. إن جمعا من المستشرقين قد وقف في هذا الرأي من جميع الأحاديث، والقسم الآخر كان يرى عدم التصديق برواية جمع القرآن الكريم فحسب. بينما تطرف بعضهم الآخر فشكّك - في رأيه - بعدم التصديق بأهمية الروايات التاريخية الإسلامية وبعدم قبولها لأن تكون شواهد تاريخية واقعية وعملية عن تاريخية عملية جمع القرآن، بل حتى عن تاريخ القرآن الكريم أو عن سيرة رسول الله ﷺ. وكان المستشرقون الألمان في الأصل من المستشرقين اليهوديّين لم يكن يهدف إلى تحويل المسلمين عن ديانتهم الإسلامية إلى الديانة العبرانية، إنّما بدرجة أو بأخرى كانوا وما زالوا يهدفون إلى التركيز على المؤثرات العبرية والتوراتية في كتاب الله العزيز، وفي مجمل التفكير الإسلامي الديني والفقهية والمذهبية، بدءاً بأول دراسة نهجها أبراهام جيغر Abraham Geiger.

فالمستشرق هيرالد متزكي مستشرق ألماني معاصر وأستاذ في جامعة نيميغن Nimeguen، وهي بلدية ومدينة في مقاطعة كلدرلاند الهولندية. تقع على نهر وال، على مقربة من الحدود الألمانية. وقدم هذا البحث ضمن بحوث مخصصة لذكرى ايد مور Ed de Moor، وقد تخصص متزكي في الكتابة عن نقل القرآن الكريم ونقل الحديث النبوي الشريف. وتخرج في جامعة بون في ألمانيا فنال درجة الدكتوراه في سنة ١٩٧٨ من تلك الجامعة، وهو في الوقت الحاضر أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة نيميغن في هولندا. وقد لقب بعميد الدراسات الحديثة، وله كثير من الدراسات، من بينها:



1- Analyzing Muslim Traditions: Studies in Legal, Exegetical and Maghazi Hadith(2009) تحليل الأحاديث الإسلامية

٢ -أصول الفقه الإسلامي (2002) The Origins of Islamic Jurisprudence with Marion H. Katz المطبوع في سنة 2004.

3- Hadith: Origins and Developments(2004)

الحديث: أصوله وتطورات.

4-The Biography of Muhammad: The Issue of the Sources(2000)، Brill Academic Pub.

سيرة محمد: مسألة المصادر، المطبوع في سنة ٢٠٠٠.

ترجمة بحث المستشرق هيرالد متزكي

«جمع القرآن: إعادة النظر في الدراسات الغربية على ضوء التطورات المنهجية الحديثة»

أولاً- القرآن مصدراً تاريخياً:

منذ نزول القرآن إلى حيز الوجود(الدنيوي)، جرى استعماله لأسباب مختلفة. وبالنسبة إلى المسلمين، كان دائماً يعدّ مصدراً أساسياً للأفكار الموحاة وللإفادة منه أخلاقياً ودينياً. وقد درس العلماء المسلمون القرآن في الأساس بوصفه قاعدة أساس لنظمهم في عقيدتهم الدينية والشرعية القانونية، ولم يستعملوه في المسائل التاريخية البحتة إلا نادراً. وعلى أية حال فإن الاهتمام الغربي الحديث للعلماء (من غير المسلمين) بالقرآن كان تاريخياً بشكل أساسي. إذ استعمل بوصفه مصدراً في الوعظ والتبشير بمحمد، وفي التفاصيل عن سيرته النبوية، واستعمل بوصفه وثيقة تاريخية عن الإسلام المبكر، وكذلك فقد استعمل مصدراً للأحوال الدينية والاجتماعية لتاريخ العرب قبل الإسلام. فإذا ما قرر المرء التقرب والدخول في القرآن معتمداً إياه مصدراً تاريخياً، عندئذ ينبغي عليه أن يكون عرضة للنقد المصدري الذي يعدّ واحداً من الإنجازات المنهجية الكبيرة في الدراسة الحديثة للتاريخ. وواقعاً فإن الغرض من النقد المصدري هو التأكد والتحقق

من المصدقية والأصالة والصحة لما يدعي ويزعم ذلك المصدر أنه يخبرنا به أو ما يعتقد أنه يخبرنا ويعلمنا به عن ذلك. وعندما نحاول أن نتخذ قرارا بشأن الموثوقية والمصدقية لأي مصدر من المصادر، فإن الأسئلة الأولية التي عادة ما يسألها مؤرخ أي مؤرخ هي: كم يبعد هذا المصدر زمنيا ومكانيا عن الحدث التاريخي الذي يخبرنا عنه؟ وهل تاريخ أصل الحدث ومكانه الذي يدعيه هذا المصدر أو ذاك لنفسه أنه حدث صحيح؟.

ومهما يكن من أمر، فإن معظم العلماء لا يطرحون مثل هذه الأسئلة بعد الآن؛ لأنهم يعتقدون أن هذا أمر مفروغ منه؛ ولأن القرآن هو وحي نبوة محمد، وحتى بالنسبة إلى إمكانية تحديد وقت أصله ومكانه وأصل أجزائه وتحديداتها وتحديد حتمية وقوعها بنحو من اليقين والموثوقية. وعلى الرغم من هذه الحقيقة، فإن هناك عددًا قليلًا من العلماء ممن يشكك في حقيقة الأمر، فإنهم تقريبًا وبشكل عام يقبلون الرأي عموما ويتساءلون عما إذا كانت جميع أجزاء القرآن هي حقا مؤلفة من المؤلف نفسه، ويزعمون بأن الروى التاريخية ليست كذلك أبداً نهائية، ولكن من المفروض مراجعتها وإعادة النظر فيها باستمرار. ولذلك فإن من المشروع أن نسأل ونطرح بعض الأسئلة المرتبطة بالنقد المصدري بخصوص القرآن مرة أخرى، آخذين بنظر الاعتبار -كنقطة انطلاق- وجهة النظر المقبولة بشكل عام، تلك التي ترى أن القرآن يتضمن الوحي الذي أعلنه وبيّنه محمد خلال الثلث الأول من القرن السابع الميلادي في مكة والمدينة، فلعلنا نتساءل عن: من أين أتت هذه المعلومة؟.

وللإجابة على هذا السؤال بطريقة علمية مبنية على الملاحظة والاختبار والتحقيق، لدينا ثلاثة مصادر متيسرة للمعرفة تحت تصرفنا: المخطوطات القرآنية المبكرة، والنص القرآني نفسه، والرواية الإسلامية المتعلقة بالقرآن. دعونا أولاً نرى فيما إذا كانت هذه المصادر تقدم المعلومات الموثوقة والضرورية. أما بالنسبة إلى السؤال حول فيما إذا كان النص المبكر يعود بالفعل إلى مؤلفه المذكور، فالإجابة ستكون سهلة وبسيطة إذا وجدنا المخطوطة



الأصلية. وعلى أية حال، فإنه في هذه الحالة -أي في مسألة القرآن- لم يتم الكشف عن النسخة الأصلية بعد، فليس لدينا نسخة قد كتبها النبي نفسه، ولا من قبل كتاب الوحي الذين يكتبون لها -مع كل الأسف- فإن المستشرق يردد ما كان يعتقد به عدد من المستشرقين الألمان وغير الألمان بأن القرآن الكريم قد ألفه رسول الله، حاشاه الله تعالى، المترجم: عبد الجبار ناجي. كذلك فإن المخطوطات المبكرة للقرآن هي في الواقع نادرة، ومسألة تاريخانيتها إنما هو أمر مثير للجدل. وهناك -على نحو لا يمكن إنكاره- بعض الأجزاء من القرآن مكتوبة على ورق البردي أو على الرق، وقد أرخت من قبل بعض العلماء إلى نهاية القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني للهجرة، غير أن هذه الحالات والأمثلة في أرخنة القرآن قد رفضها آخرون، وهي لذلك لم تحظ باعتراف عام^(١). يضاف إلى ذلك أن الطابع المجزأ لمعظم المخطوطات القرآنية القديمة جدا لا يسمح لنا الاستنتاج -بشكل موثوق ومؤكد- أن نسخ القرآن المبكرة جدا لا بد عليها أن تكون بالضبط -بالشكل والحجم والمحتوى نفسه كالقرائن المتأخرة. وهكذا، فالمخطوطات لا تبدو هي العنصر المساعد والمفيد (حتى الآن) فيما يخص موضوعنا. فما هو الحال بالنسبة إلى النص نفسه؟ فهل يحتوي القرآن على مؤشرات واضحة فيما له علاقة بمؤلفه أو بجامعه أو بمجموعة جامعيه؟ وهذا في الحقيقة سؤال مثير للجدل أيضا. إذ ليس هنالك سوى عدد قليل جدا من الحقائق التاريخية المتناسكة والدالة على شيء من تلك الجوانب المذكورة في القرآن^(٢).

وفي كثير من الحالات، ليس باستطاعتنا أن ندرك من النص نفسه ما هي الظروف التاريخية التي يبدو أن النص يشير إليها^(٣). فاسم محمد قد ذكر أربع مرات فقط، وفي جميعها كانت الإشارة إليه بصيغة الغائب^(٤). وعادة فإن النص يتعلق فقط بشخصية تسمى «الرسول» أو «النبي»، وهذا الذي يؤخذ قاعدة ليكون هو المقصود بمحمد نفسه في أغلبية الأماكن. ومع ذلك، فبالإمكان محاجة هذا الأمر بالفعل الذي صار

محلا للجدل والمحااجة، ألا وهو: قد يكون الشخص المخاطب والموجه إليه الكلام في القرآن هو بصيغة الشخص الثاني المفرد المخاطب، وليس هو كذلك بالضرورة أن يكون دائما الرسول، (وهناك عدد قليل من الأمثلة والحالات التي من الواضح أنها لم تكن هي الحالة المقصودة). ولكنه أيضا يمكن أن يعدّ في كثير من المواضع وكأنه القارئ أو الذي يتلو النصّ بشكل عام^(٥). فإذا ما تبيننا أو اخترنا أو اعتمدنا على وجهة نظر كهذه، فإن مسألة تأليف محمد أو نقله للقرآن كاملا سيصبح أمرا مشكوكا فيه.

لقد دافع جون ونزبورو John Wansborough بشكل لافت للنظر وبشكل قاطع عن مثل هذه الأطروحة في كتابه: «دراسات قرآنية»^(٦). واستنتج -على قاعدة النموذج النقدي الحاسم، أي نقد المصدر، وغيرها من المحاججات- أن القرآن قد انبثق وبزغ من فصول من اللوجيا النبوية logia تلك التي تطورت بشكل مستقل خلال القرنين الإسلاميين الأولين في بلاد ما بين النهرين (مسيوبتانيا). وأن جمع المصحف -أي القرآن كما هو موجود الآن- ليس بالإمكان تأييد الرأي بأن تأريخه يرجع -اعتمادا على ونزبورو- إلى قبل بداية القرن الثالث الهجري. وبالنتيجة، فإن القرآن يفقد كثيرا من خاصيته بوصفه مصدرا تاريخيا موثوقا لحياة محمد ولمحيطة، ويصبح بدلا من ذلك مصدرا لتطور نوع واحد من الأدب الديني للمجتمعات الإسلامية المبكرة في مكان آخر. فاستنتاجات ونزبورو قد انتقدت لعدة أسباب^(٧)، وإن عددا قليلا من العلماء فقط قد قبلوا بوجهات نظره. ومع ذلك، فإن إسهاماته تذكرنا بأن على أساس النصّ القرآني فإن من الصعب أن يكون محمد وحده المؤلف والمبدع للنصّ الكامل، إن لم يكن من المستحيل إثباته^(٨).

فيبدو -إذن- أن ثقة هؤلاء العلماء من الذين يعتقدون أن القرآن إن هو إلا جمع لوحى محمد لا بدّ أن تكون أطروحة قد تأسست على شيء آخر. وإن المصدر الوحيد الذي بقي -إذا ما استثنينا مصادر المعرفة الوضعية- هو الرواية الإسلامية. و«الرواية الإسلامية» إنما تفهم بمعناها الواسع وتشتمل على الروايات التفسيرية والتاريخية لأي



نوع تلك التي يفهم منها ظاهريا أنها تقدم معلومات أساسية عن القرآن وتفاصيله، أو تلك التي يعتقد أنها توفر مثل هذه المعلومات. هذه المصادر، التي هي موجودة في أنماط مختلفة في الأدب، والتفسير، والسيرة، ومؤلفات السنن أو في الروايات التاريخية، تلك التي يمكن أن توصف بالحديث.

ونحن نواجه هاهنا مفارقة في الدراسات الإسلامية الغربية الحديثة. فأغلبية العلماء الغربيين يشككون -بدرجة كبيرة- بما له علاقة بمدى واقعة الموثوقية التاريخية للأحاديث، ولكنهم مع ذلك يقبلون -وفق مبدأ أساسي- بالحديث الذي يذكر أن القرآن هو الوحي الذي بشر به محمد، وأنه يعكس الظروف التاريخية لحياته. وحتى بالنسبة إلى علماء من أمثال إغناص جولدتسيهر Goldziher وجوزيف شاخ Joseph Schacht، اللذين كانا يعدّان كثيرًا من الروايات الحديثية مزيفة وليس لها أي قيمة تاريخية بالنسبة إلى الوقت والزمن الذي من المفروض أنها تعبر عنه، مع ذلك فإنهما لا يفندان أو لا يعلنان عن ارتياحهم بالرأي القائل إن القرآن يرجع إلى محمد ولذلك يعد المصدر الأكثر موثوقية لحياته ودعوته.

إن هذا الموقف المتناقض قد تمّ التخلي عنه مؤخرًا من قبل التابعين لآراء شاخ الراديكالية والمتطرفة بخصوص الحديث من أمثال جون ونزورو ومايكل كوك وباتريشيا كرون Patricia Crone وأندرو ربن Andrew Rippen، وجرالد هاوتنج Gerald Hawting وغيرهم. فهؤلاء يشكّون بأن للرواية الإسلامية أطارا تاريخيا موثوقا بالإشارة إلى القرآن؛ وذلك لكونها غير مؤكدة بشكل عام، وفيما إذا كانت المعلومات الواردة في الأخبار عن الموضوعات القرآنية قد استندت إلى معرفة حقيقية مستقلة عن النصّ القرآني نفسه وغير مقيدة بالاهتمامات الكلامية والتبريرية والعقدية والشرعية المتأخرة واللاحقة. وبالنتيجة، فإنهم يرتابون ويشككون أيضا بشأن الاقتناع العام بأن القرآن ككل هو تدوين وسجل معاصر لكلام محمد وأقواله.

فهل هذه الطريقة هي الطريقة الوحيدة للإفلات والنجاة من العبارات المنطوية على التناقض والغموض؟ إن البديل الواضح سيكون الإصرار على الموثوقية التاريخية للرواية الإسلامية، في الأقل في النقاط الأساسية. وهذا هو الموقف الذي تبناه واعتمده على سبيل المثال مونتغمري وات W. Montgomery Watt في افتراضه أن السيرة تحتوي على المادة المركزية الأساسية السليمة والمقبولة، وفي التفكير بأنه سيكون من المستحيل أن يكون أي معنى للمادة التاريخية في القرآن من دون الافتراض بحقيقة هذا الجزء الأساس^(٩). غير أنه كيف لنا أن نعرف ما هو الجزء الأساس والصحيح من رواية السيرة؟.

إن منهجية وات الفقيرة في الإجابة عن هذا السؤال، وكذلك بصرف النظر عن رفض شاخت للحديث وعلى أنه غير ملائم للتطبيق على مادة السيرة، فهذا الموقف لا يقنع العقول النقدية، وقد جلب على نفسه اللوم؛ لكونه ساذجا. ومن أجل تجنب مثل هذا اللوم والعتاب، فالعلماء الذين هم على استعداد للقبول بأن القرآن يحتوي على دعوة محمد، وهم -إذن- يسلمون بأن للرواية الإسلامية قيمة معينة ومحددة، كذلك لا يتمكنون سوى من معالجة مسألة موثوقية الروايات الإسلامية مرة أخرى. ففي العقد الماضي كرس عدد من العلماء -وأنا نفسي من بينهم- أنفسهم لهذه المهمة، فقد رسمت وخططت استراتيجيات مختلفة للتعامل مع المشكلة، أي:

أ- إعادة التقويم النقدي للدراسات التي ترفض أن للحديث قيمة تاريخية عن القرن الأول.

ب- تحسين الطرائق والمناهج لتحليل الروايات وتاريخها.

إن كلا من الاستراتيجيتين يمكن توظيفهما أما على مستوى أعم وأكثر، مثلا، بما يتعلق بأنواع معينة من الروايات، نظير الروايات التفسيرية أو الشرعية والقانونية^(١٠). أو على المستوى الأكثر تحديدا، على سبيل المثال: على مستوى الرواية الواحدة أو على مركب من مجموعة من الروايات^(١١). وفي الآتي، سوف أقوم بدراسة تمهيدية أولية لمسألة جمع القرآن،



أساسية وجوهرية في التحديد والتقويم لتأليف النصّ السليم وتاريخانيته مما له قيمة معترف بها. وهذه الورقة يمكن أن ترسم أو تضع فقط مخططاً لبعض جوانب المشاكل؛ والمناقشة الشاملة ستكون في دراسة أكثر تفصيلاً، أقوم حالياً بإعدادها بشأن هذه المسألة. موجود الآن، ذلك الذي وصلنا في مخطوطات يرجع تاريخها على الأقل إلى القرن الثالث الهجري، ومن المحتمل أن تاريخها يرجع إلى الأزمنة الأبعد من القرن الثالث الهجري، وجاء هذا الرأي كالاتي: فعندما توفي النبي، لم يكن هناك مصحف كامل ومحدد وتام من وحيه مقرّر ومجاز من قبله. وهناك تقريباً أجزاء ومقطوعات واسعة من وحيه كان أصحابه يتذكرونها وبعض هذه الأجزاء قد كتبت بشكل جزئي على مواد مختلفة ومتنوعة، كتبها عدد من الأشخاص. وبعد مدة قصيرة من وفاته، أعد أو تهيء أول جمع للمصحف بأمر من الخليفة الأول أبو بكر وكان مكتوباً على صحائف. ويرجع سبب هذا إلى أن عدداً من الصحابة ممن كان مشهوراً بمعرفته بالقرآن قد توفي في حروب الردة، وخاف الناس من أن أجزاء من القرآن قد تضيع وتنفد. وأعطى أبو بكر زيد بن ثابت - وكان كاتب وحي النبي - مهمة جمع ما هو موجود ومتيسر من القرآن.

وعندما توفي أبو بكر، فإن المصحف التي كتب عليها زيد القرآن انتقلت إلى عمر خليفة الخليفة السابق وبعد وفاته انتقلت إلى ابنته حفصة، إحدى زوجات محمد. وبعد حوالي عشرين سنة من جمع أبي بكر، وفي خلافة عثمان، فقد دفعت الخلافات بين الأصحاب ممن جمع مصاحف أخرى وحثت الخليفة إلى إصدار أمر بجمع مصحف رسمي من القرآن، ومن أجل إيداع نسخ منه في المراكز الإدارية المهمة في الإمبراطورية، وكبت بل وضع حدّ للمصاحف الأخرى الموجودة. وهذه النسخة المعترف بها قد أعيد تحريرها مرة أخرى من قبل زيد بن ثابت المدني، ويساعده ثلاثة رجال من قريش، على أساس أن ذلك المصحف الذي قام به بالفعل نيابة عن أبي بكر ذلك المصحف الذي وضعته حفصة تحت تصرف اللجنة. فهذه النسخة أي نسخة الخليفة للقرآن (المصحف

العثماني) أصبح بسرعة هو المصحف المقبول في جميع الأحوال والأمكنة، وهكذا صار هو النصّ المقبول *textus receptus* بين المسلمين^(١٢).

هنا لا بدّ لنا من كلمة تتعلق بالمنهج الذي وضعه المستشرق هيرالد متزكي، ألا وهو نقد المصدر. وفي الحقيقة فإن المستشرق قد طبقه ببراعة على المستشرقين الألمان وغيرهم، أولئك الذين وقفوا بالضدّ تماما مع الروايات الإسلامية الحديثية. غير أننا في المقابل لم نجد لهذا المنهج أي تأثير في نقد رواية جمع القرآن الكريم ألا وهي -حصرا- رواية معركة اليمامة التي دونها أول مرة ابن شهاب الزهري الذي كان عضوا رئيسا في اللجنة الثقافية الأمنية التي تهدف إلى حصر رواية جمع القرآن ورواية السيرة النبوية في دائرة ضيقة أموية ومعادية للروايات الإسلامية الأخرى نظير رواية مصحف الإمام علي (عليه السلام)، وهو أول من آمن بدعوة سيد الأنام محمد (صلى الله عليه وآله)، والمصاحف الأخرى التي كتبها عدد من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله). فهذه اللجنة الثقافية الأمنية لكتم أفواه بيت النبوة والصحابة الأجلاء التي اختارها معاوية بن أبي سفيان تلك التي كان يرأسها عروة بن الزبير وتضم بين أعضائها عبد الملك بن مروان. إذ يذكر ابن عساكر في تاريخه لدمشق رواية سندها ابن شهاب الزهري عن قبيصة بن ذؤيب جاء فيها: «كنا في خلافة معاوية في آخرها نجتمع في حلقة في المسجد بالليل أنا ومصعب وعروة ابنا الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الملك بن مروان، وعبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وكنا نتفرق بالنهار، فكنت أنا أجالس زيد بن ثابت، وزيد مترس بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض». (ينظر: تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى: ٥٧١هـ، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الجزء ٤٠، ص ٢٤٨ - ٢٤٩).



فهذه الرواية مع أنها تتعامل مع اتجاهات متعددة لكنها كانت مترابطة في نسيجها الثقافي ما بين اجتماع هؤلاء نفر من الأمويين وأتباعهم الذين تربطهم بعروة وشائج قوية، وبين أهداف اجتماعاتهم المطولة، وبين تسابق عروة الذي كان -بحسب قول الزهري نفسه بشأن عروة- معتادا على أن يسبق جميع الصحابة ينظر المصدر نفسه، والصفحة نفسها، من أصحاب رسول الله بدخوله على عائشة التي كانت -بحسب رواية ابن عساكر- من أعلم الناس بالحديث. فالاجتماع هذا لا بد أن يكون ذا طابع ثقافي متعلق بالحديث وبالاخصيص أحاديث السيرة النبوية؛ فترابط المكونات الأساسية لهاتين الروايتين تلحّ علينا لأن نتساءل عما إذا كانت الموضوعات الجوهرية لهذه الاجتماعات المطولة لها علاقة بمناقشة مشروع معاوية في صناعة الأحاديث أو بمشروع إعادة فبركة الأحاديث النبوية التي تتعلق بالسيرة النبوية على وجه الخصوص على وفق الصيغة أو الرواية التي تتفق مع برنامج الأمويين في تحريف هذه الرواية.

والرواية تهدف -من بين ما تهدف- نحو توجيه اهتمام عروة بالتسابق في طلب الأحاديث من خالته على وجه التحديد، فهي تعدّ زوجة النبي ﷺ المفضلة. ومما لا ريب فيه أن الرواية كانت موقّعة منذ زمن معاوية. ومن الجهة الأخرى فعلى الرغم من أن الزهري لم يفصح عن طبيعة هذه الاجتماعات الثقافية أو حتى عن طبيعة السبب في عقدها وبحضور عبد الملك بن مروان وبقية الأبقاق الثقافية لمعاوية منذ بداية الليل إلى أن يحلّ النهار وكأنه اجتماع بالغ السرية ولا نعرف شيئا عنه، مع أن الزهري -العالم!- كان يخفي أمورا كثيرة عن هذه الاجتماعات، وعن الموضوعات التي كانت تبحث فيها من قبل هؤلاء من مؤرخين ونفر من فقهاء المدينة المنورة من وعاظ السلاطين؛ لكتابة حديث السيرة النبوية وجمع القرآن الكريم بهدف حصر هذه الرواية بالشكل الذي يرضى به معاوية وإسقاط بل وتغيب أي رواية لبني هاشم وللإمام عليّ عليه السلام وللأنصار.

كذلك فإن هنالك أمرا غريبا آخر ألا وهو أن الزهري قد ابتدأ روايته بقوله: «في خلافة معاوية في آخرها» تحديدا فلماذا؟ لأنه كما تطرقنا توا بأن الاجتماع معني بالدرجة الأولى بالشأن الثقافي وبالوسيلة أو الوسائل في كيفية تطبيق توجيهات معاوية وتوجهاته في تدوين أحاديث السيرة النبوية وفي كيفية تزويرها وتزييفها وإعادة صناعتها لتكون في صالح الأمويين؟! ولا سيما أن الأعضاء المجتمعين كانت تربطهم علاقات ثقافية حميمة! . ومما يستشف من الروايات أن الأمويين لم يكونوا متشوقين إلى تاريخ السيرة النبوية الحقيقي باعتباره الدليل الدامغ على كفر جدّهم الأعلى، وزندقته وما كان يفرضه من عوامل التعذيب بشأن سيد المرسلين وبشأن الإسلام بصورة عامة. وهو موضوع وقفت عليه بالتفصيل في كتابي المطبوع «الإمام علي (عليه السلام) وجدلية جمع القرآن الكريم».

وهي الرواية نفسها التي اعتمدها المؤلفون من كتاب المساند، نظير: مسند الطيالسي، ومصنف عبد الرزاق الصنعاني، ومسند أحمد بن حنبل، والسنن والمصاحف، كمصاحف السجستاني، وفضائل القرآن لأبي عبيد بن سلام، ومؤلفو الجوامع نظير: جامع عبد الله بن وهب، وجامع البخاري وغيرها. فجميع هؤلاء من أعلام أهل السنة وعلمائهم قد رددوا بالتفصيل -وبعضهم باختصار- رواية معركة اليمامة. لكن المستشرق متزكي لم يضع هذه الرواية على بساط النقد والتحليل. فهل هذه المصنفات التي اعتمدت رواية ابن شهاب الزهري هي الوحيدة والفريدة التي لا يمكننا الاستغناء عنها أبدا وإلى ما لا نهاية على الرغم من هشاشتها وضعف بنيتها ونسجها الداخلي؟! .

وهنا أود أن أبين للمستشرق أن يوسع من مداركه المصدرية فيسأل نفسه: أين المصادر الشيعية يا ترى؟ وأين أحاديث الأئمة الأطهار (عليهم السلام)؟ وأين رواية الإمام علي (عليه السلام) التي لم يشر إليها أي من المؤلفات التي راجعها المستشرق؟ ألا يعتقد بوجود شخصية مثيرة للجدل بالنسبة إلى الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين كشخصية الإمام علي (عليه السلام) وروايته التي هي في صلب الموضوع الذي يدرسه المستشرق؟ تلك الرواية التي جعل هؤلاء من



سياسي الدولة الإسلامية همهم الوحيد أن يغييها ويقصوها من التاريخ. لكن الحمد لله فقد بقيت هناك بقية مؤمنة احتفظت برواية الإمام فكان لها وقع وتأثير. ينظر: كتاب الإمام علي عليه السلام وإشكالية جمع القرآن ودراسات المستشرقين، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٧.

لهذا وكما أسلفنا في السابق من هذه المقدمة وبحسب التفاصيل الكثيرة المتوافرة في هذا الكتاب؛ فإن العذر كل العذر للمستشرقين والمبشرين منهم وغير المبشرين والعلماء الغربيين؛ لأنهم عندما يتقنون الروايات الإسلامية الحديثة يبنون التناقضات والأخطاء في تراثنا، سواء في مفصل السيرة النبوية المطهرة أم في عمليات جمع القرآن الكريم أم في غير ذلك من الميادين، بدءاً بتفسير القرآن والأحاديث الشريفة والفقه والكلام والتاريخ الإسلامي، وذلك بفضل ما جاء من روايات بصيغة أحاديث نقلت عن رسول الله ﷺ في مؤلفات الصحاح والسنن، وبفضل ما هو موجود من روايات في المؤلفات التاريخية نظير طبقات ابن سعد وطبقات خليفة بن خياط وأنساب البلاذري وفتوحه (فتوح البلدان) وفي تاريخ الطبري وتفسيره وغيرها من مصادرنا المعتمدة من قبل الباحثين بامتياز. فقد حققوا آنذاك مجموعة من المصادر التي أصبحت الأساس في كتاباتهم عن التاريخ الإسلامي السياسي والفرقي والحضاري أمثال المختصر في تاريخ البشر لأبي الفدا وتاريخ الطبري لأبي جعفر الطبري والفصل بين الفرق لابن حزم الظاهري وصحيح البخاري وصحيح مسلم. وأخضعوا هذه الكتب للدراسة والمتابعة وجعلوها الأساس في فهمهم التراث الإسلامي، وعلى أساس هذا الفهم كتبوا عن سيرة سيد الأنام وسير الأئمة الأطهار عليه السلام مستندين واقعياً على روايات البخاري والطبري، فبات من الطبيعي أن تكون تفسيراتهم ورؤاهم محدّدة ومحدودة الأفق. ولذلك فإنهم في دراساتهم عن جمع القرآن الأول والثاني قد اعتمدوا حصراً على ما يقدّمه لهم جامع ابن وهب ومصنف الطيالسي ومسند ابن حنبل وجامع البخاري ومسلم والترمذي ومصاحف السجستاني وابن حزم وأبي عبيد بن سلام في تفسير

كثير من الأحداث الساخنة في تاريخنا. فكان اعتمادهم على الرواية الزبيرية والرواية الأموية والرواية العباسية والرواية البصرية والرواية الشامية وروايات أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي المحرّفة من قبل تلميذه هشام بن محمد الكلبي وروايات نصر بن مزاحم المنقري المحرّفة. فقد ترجم المستشرقون هذه المؤلفات في ميدان الوقائع والأيام والسير فسطّروا بحوثهم التحليلية والتفكيكية القيّمة؛ لكونها مؤسسة ومستندة إلى أمّات المصادر الإسلامية السنيّة. ثمّ استقرت هذه المنهجية من زاوية مصدرية واحدة حتى مطلع القرن الواحد والعشرين. إذ إن المستشرقين لم يأخذوا بنظر الاعتبار مصادر الآخر الشيعي، وكانوا بعيدين إلى حدّ ما عن المصادر الإمامية أو الزيدية والإسماعيلية. عبد الجبار ناجي.

ثالثاً- آراء العلماء الغربيين:

نذكر أول دراسة غربية أساسية وغنية بخصوص القرآن، فقد نشر ثيودور نولدكه Theodor Noldeke كتابه باللغة الألمانية «تاريخ القرآن» Geschichte des Qorans، في عام ١٨٦٠، وقد تبنى المؤلف الرواية الإسلامية المتيسرة والمعترف بها لتاريخ القرآن. وعلى أية حال، ففي العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر للميلاد قد أثّرت شكوك العلماء الغربيين بخصوص مدى الموثوقية في الروايات المتعلقة بزمن النبي، وكذلك بتاريخ الإسلام المبكر. والمفيد في هذا التطور الدراسات التي نشرها جولدتسيهر I. Goldziher عن الحديث التي نشرت في عام ١٨٩٠ في المجلد الثاني من كتابه بالألمانية: «دراسات محمدية» Muhammedanische Studien. ويقدم جولدتسيهر في هذا العمل الشهير نظرية مفادها أن الأحاديث التي تروى زاعمة أنها منقولة عن النبي وصحابته لا يمكن -كقاعدة عامة- أن تؤخذ على أنها موثوقة تاريخياً؛ وذلك لأنها تعكس التطورات السياسية والعقدية والشرعية للمجتمع المسلم في وقت متأخر (خلال الحقب الأموية والعباسية)^(١٣). وقد أخذ هذا الشكّ يتطور بشكل أكبر

في البحث الغربي عن الرواية الإسلامية تلك التي نشأت في مطلع القرن فيما عبرت عنه الطبعة المنقحة لكتاب تاريخ القرآن Qorans Geschichte des القرآن لنولدكه، وهو الكتاب الذي أعده فردريك شاولي Schwallي في المجلدين الأولين منه^(١٤). إذ قد كتب شاولي دراسة جديدة وأكثر تفصيلاً تماماً عن مسألة جمع القرآن^(١٥)، وقد اختلفت استنتاجاته بشكل كبير عن تلك الاستنتاجات التي وصل إليها نولدكه. فقد رفض شاولي المصادقية التاريخية للرواية التي تفيد أنه كان بالفعل جمع للقرآن قد تمّ بعد مدة وجيزة من وفاة النبي بالنيابة عن الخليفة الأول أبي بكر^(١٦). وقد استند في استنتاجه هذا إلى الحجج الآتية:

١ - الصلة التي أسستها وأثبتتها الرواية بين الجمع والخسائر الضخمة للخبراء في القرآن في معركة اليمامة هي غير منطقية لسببين: فمن ناحية، فإن القوائم المنقولة للمسلمين الذين قتلوا في هذه المعركة تتضمن عدداً قليلاً جداً فقط من أسماء الأشخاص المعروفين جداً بمعرفتهم بالقرآن^(١٧). انتهت مقدمة المترجم لملاحظة مهمة للمترجم: لقد تداخلت مع طروحات المستشرق في بحثه القيم وذلك بجعل تعليقاتي محصورة بين معقوفين وتحتها خطوط للتوضيح. وشكراً. ترجمة بحث المستشرق: ملحوظة: لقد تناولت هذا الموضوع بالتفصيل في كتابي «جدلية عملية جمع القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر»، بيروت، ٢٠١٨، ص ٤١٥ - ٤١٩. المترجم: عبد الجبار ناجي.

أما من الناحية الأخرى، فإن الصلة غير منطقية؛ وذلك لأن هناك سبباً وجيهاً للافتراض بأن القرآن قد كتب بالفعل بشكل مجزأ في حياة محمد. وأن وفاة خبراء القرآن، أقصد الناس الذين كانوا يعرفون ذلك عن ظهر قلب، وبالتالي لا يمكن أن يكون سبباً في قرار جمع القرآن.

٢- إن بعض الروايات والأخبار اختلفت بشأن التساءل عما إذا كان الجمع قد تمّ نيابة عن أبي بكر وأن النسخة الرسمية التي قد عملت في خلافة عثمان كانت متطابقة تقريبا. ويستنتج شاولي من التناقض والتعارض أن مؤلفي الروايات والأخبار لم يكن لديهم معلومات حقيقية تعود إلى زمن الخلفاء الأوائل، غير أنهم اخترعوا ذلك في عقولهم فقرروا على ما حدث. إلى جانب ذلك، فإنه يعدّه من الغريب أن يعين عثمان لجنة للجمع والإشراف على تحرير القرآن تحت إشراف زيد بن ثابت إذا كان هذا الأخير-أي زيد- قد جمع بالفعل وكتب النصّ على الصحائف قبل بضع سنوات فهل كان هذا النصّ قد تمّ استعماله إنموذجا أو تمّ نسخه فقط؟

٣- وما ادعته الروايات والأخبار أن الجمع الأول كان قد حثّ وشجع عليه الخليفة الأول أبو بكر، وأنه قد سلّم نسخته إلى خليفته عمر، وهنا ينبغي علينا أن نستنتج أن هذه هي النسخة الرسمية. ومع ذلك، فإن هذه الصورة تعدّ متناقضة؛ لأن الروايات تشير إلى أنه كان في الأقاليم مصاحف قد عملت من قبل صحابة آخرين، وكانت مستعملة على نطاق واسع، وكذلك بالنسبة إلى الادعاء القائل بأن عمر قد سلّم نسخة أبي بكر لابنته حفصة بدلا من خليفته عثمان، وهذا يبدو غريبا إن كانت هذه النسخة هي نسخة الخلافة! .

واستنادا إلى هذه الحجج فقد خلص شاولي إلى القول بأن الروايات والأخبار عن الجمع الأول للقرآن لصالح أبي بكر هي روايات ملفقة ومتأخرة، وقد لفقت من أجل أن يحكم على الجمع الذي كان من قبل «عثمان» الذي عليه خلاف -لأنه مرفوض وغير موافق عليه من قبل قسم من المجتمع الإسلامي- هو جمع ذو مصداقية وشرعية أكثر. ومهما يكن فإن الروايات المتعلقة بالنسخة الرسمية التي أعدت للخليفة الثالث قد قبلها شاولي على أنه في جوهرها روايات موثوقة ومعتمد عليها تاريخيا، على الرغم من أنه اكتشف بعض التفصيلات المتضاربة والبعيدة الاحتمال في تلك الروايات، نظير الادعاء بأن القرآن قد أوحى به بلغة قريش^(١٨).



وبحوالي هذا الوقت نفسه فقد اتخذ علماء آخرون رؤية أكثر راديكالية وقد رفضوا حتى تاريخانية الجمع الرسمي في وقت عثمان. ويعدّ بول كاسانوف Paul Casanova الأول في من ادعى بأن القرآن لم يتم جمعه ولم يعلن رسمياً قبل عهد الخليفة الأموي عبد الملك وأن هذا قد حدث بناء على مبادرة من الوالي السيء السمعة الحجاج بن يوسف^(١٩). وقد تبني وجهة النظر هذه ودعمها بمزيد من التفصيل الفونس مينغانا Alphonse Mingana في بحثه باللغة الإنجليزية الموسوم بـ: «عملية نقل القرآن»^(٢٠). وقد كانت محاججته مبنية على:

١- أن أقدم تدوين بشأن جمع القرآن هو ذلك الذي نقله ابن سعد المتوفى في سنة ٢٢٩ / ٨٤٤ الشائع أن ابن سعد البصري مؤلف الطبقات الكبرى قد توفي سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٥م. المترجم: عبد الجبار ناجي في طبقاته، أي بعد حوالي مائتي سنة بعد وفاة محمد. وبشأن النقل الشفاهي للروايات الحديثية في هذين القرنين فليس لدينا أية معلومات موثوق.

٢- ينقل ابن سعد روايات وأخباراً بشأن الصحابة الذين جمعوا القرآن في حياة الرسول وفي خلافة عمر، وليس لديه أي شيء عن جمع القرآن نيابة عن أبي بكر أو عن عثمان.

٣- نحن نعلم عن الأخير -يعني عثمان- فقط من خلال جامع الحديث للبخاري الذي توفي بعد ربع قرن من وفاة ابن سعد، وكذلك من المصنفات المتأخرة اللاحقة. واعتماداً على مينغانا فليس هنالك من سبب يدعونا إلى تفضيل الروايات الأصغر، أي قبل البخاري، على الروايات المبكرة السابقة لابن سعد، كالذي يميل إليه كل من العلماء المسلمين والغربيين. فضلاً عن ذلك، فإن الروايات التي جاءت في هذه المصنفات المبكرة جداً عن الموضوع مشوشة ومتناقضة، ومن المستحيل تحديد أو تقرير أي منها يمكن أن تكون له الموثوقية أو المفضلية. وبالنظر لعدم الموثوقية التاريخية لمادة الحديث، يقترح منغانا البحث عن مصادر من خارج الرواية الإسلامية. إذ يقترح بعض المصادر

السريرية - المسيحية، فهي المصادر الأكثر ملاءمة للأغراض التاريخية؛ لأنها أقدم من تلك المصادر الإسلامية. ويعدد مينغانا المصادر الآتية :

المجادلة التي جرت بين عمرو بن العاص وبطريارك الموحدين Monophysite في أنطاكية، جون الأول John I، تلك التي حدثت وسجلت في سنة ٣٩٩هـ / ٦٦٠ م. وهناك رسالة كتبت في السنوات الأولى من خلافة عثمان من قبل أسقف نينوى، الذي عرف لاحقاً باسم إيشعويهاب الثالث Isho'yahb، بطريارك سلوقية، حيث الإشارة إلى المسلمين.

١- ورواية عن المسلمين قد كتبت من قبل مسيحي مجهول في سنة ٦٠ / ٦٨٠.

حولية أو تاريخ جون بار بنكاية John Bar Penkaya المكتوب في سنة ٧٠ / ٦٩٠ كان نسطوريا و قيل يعقوبيا، راهب زاهد في دير مار يوحنا، ألف عدة أعمال من بينها كتاب في التاريخ بعنوان Ebedjesus of Nisibe وهو في تاريخ العالم الدنيوي History of the Temporal World، ويقع في خمسة عشر جزءاً، بدأ به منذ الخليقة حتى عهد عبد الملك بن مروان. ينظر وكيبيديا. المترجم: عبد الجبار ناجي، في السنوات الأولى من خلافة عبد الملك. إذ يجادل مينغانا أنه في جميع هذه المصادر عن القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي ليس هنالك أي تلميح لأي كتاب إسلامي مقدس، عندما يصف هذا الراهب المسلمين أو يذكرهم ويذكر عقيدتهم.

وفي الواقع فالشيء نفسه -بناء على مينغانا- فيما يتعلق بكتابات المؤرخين وعلماء الدين في بداية القرن الثاني/ الثامن الميلادي. «فإنه فقط باتجاه نهاية الربع الأول من هذا القرنالقرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي أصبح القرآن موضوعاً للمحادثة والمداولة في الدوائر الإكليريكية الكنسية النسطورية، واليعقوبية، والملكانية، أي: الأرثوذكس»^(٢١). ويخلص مينغانا من هذه الحقائق أنه لا يمكن وجود قرآن رسمي قبل نهاية القرن السابع الميلادي.



ومن الطريف التعليق هنا على قول مينغانا بالاكتشاف المهم الذي اكتشفته المستشركة الإيطالية ألبا فيديلي Alba Fedeli وهي تبحث في مكتبة مينغانا في جامعة برمنغهام البريطانية في مكتبة أبحاث كودبري Cadbury Research Library التي تضم أكثر من ثلاثة آلاف مخطوطة له، أي للمستشرق مينغانا، نقلها معه من زاخو في الموصل بعد أن هاجر من العراق إلى بريطانيا في سنة ١٩٢٠. فعثرت المستشركة على ورقتين من الرق من جلد الغنم أو المعز مكتوب عليهما القرآن الكريم بالخط الحجازي القديم تحتوي الصفحة الأولى من المخطوطة على الآيات من الآية رقم ٢٢ إلى الآية رقم ٣١ من سورة الكهف، أما الصفحة الثانية من المخطوطة فتشتمل على جزئين من النصوص بينها فاصل، أما الجزء الأول فهو عبارة عن الآيات الخمس الأخيرة من سورة مريم، والجزء الثاني من الصفحة نفسها يحتوي على بدايات سورة طه إلى آية رقم ١٢. وقد عملت المكتبة على فحص الورقتين باستعمال الكربون المشع في وحدة مسار الكربون المشع في جامعة أكسفورد University of Oxford's Radiocarbon Accelerator Unit . وقد كانت النتيجة مذهلة، إذ أرجع تاريخ المخطوطة إلى المدة بين عامي ٥٦٨ و ٦٤٥ ميلادي وبنسبة الدقة ٤ ، ٩٥٪. فما هو رد فعل المستشرق مينغانا على هذا؟ لكن المؤسف أن ذلك قد تحقق بعد وفاته بمدة طويلة لأنه توفي في ديسمبر ١٩٣٧ م، لكن المخطوطة كانت من بين مخطوطات مكتبته. ينظر: Sean Coughlan في بحثه المنشور في ٢١ تموز ٢٠١٥ Oldest' Koran fragments found in Birmingham University . المترجم: عبد الجبار ناجي.

كما أن مينغانا اقتبس إحدى أقدم الروايات غير الإسلامية بخصوص تاريخ القرآن، وهي فقرة من (رسالة) Apology في العقيدة المسيحية تلك التي كتبها الكندي يقصد هاهنا المستشرق برسالة الكندي رسالة عبد المسيح بن إسحاق الكندي إلى عبد الله بن إسماعيل الهاشمي في عهد المأمون العباسي يدعوه إلى اعتناق المسيحية. وهو عبد المسيح

بن إسحاق الكندي (القرن التاسع الميلادي) كاتب عربي مسيحي عراقي ينتسب إلى قبيلة كندة العربية، له عدة مؤلفات في التبشير بالمسيحية، وله هذه الرسالة إلى عبد الله بن إسماعيل الهاشمي يدعو فيه إلى المسيحية، وهي ردّ على رسالة عبد الله الهاشمي التي دعاه فيها إلى الإسلام. وليس المقصود أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (١٨٥هـ / ٨٠٥ م - ٢٥٦هـ / ٨٧٣ م). المترجم: عبد الجبار ناجي حوالي سنة ٨٣٠ م، قبل حوالي أربعين سنة من البخاري^(٢٢). ففي هذا النصّ قد ذكر أول جمع في خلافة أبي بكر. (وعلى أية حال، فهناك سبب آخر قد قدّم لذلك)، ثم نسخة رسمية نيابة عن عثمان قد وصفت بطريقة مماثلة كما في الروايات التي نقلها البخاري. وينتهي الكندي الفقرة بالقول: إن النسخ الموجودة للقرآن قد جمعت ونقحت بأمر من والي عبد الملك الحجاج بن يوسف الذي «تسبب في حذفه من النصّ كثيرا من الفقرات التي قصد هنا المستشرق»: كثيرا من الآيات الكريمة، فالمستشرق يعبر بالإنجليزية عن الآيات الكريمة بكلمة passages. المترجم: عبد الجبار ناجي، ثم كان هناك ست نسخ جديدة قد كتبت ووزعت على المراكز الإدارية الرئيسة في الأقاليم. وقد قام بإتلاف النسخ السابقة كما قد فعل عثمان من قبل. واعتمادا على الكندي، فإن روايته قد استندت بشكل كامل على المراجع الإسلامية.

لقد خلص مينغانا -بعد أن جمع ما توصل إليه من مصادر مسيحية- إلى أنه قد يكون هناك عدة مصاحف فردية للقرآن، حتى بالنسبة إلى عثمان، ولكن لم تكن نسخا رسمية قبل زمن الخليفة الأموي عبد الملك حينما أصبح القرآن مجموعا ومحورا على أساس المواد الموجودة المكتوبة منها والشفاهية تحت إشراف الوالي الحجاج^(٢٣). الحقيقة أن السجستاني في كتابه المصاحف أورد الرواية المتعلقة بالحجاج الثقيفي، يستنتج منها أنه أجرى تغييرات كثيرة في النسخة الرسمية لعثمان، ففي كتابه: «المصاحف» رواية معنية بهذا الصدد، إذ روى: «حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ بَنٍ صُهَيْبٍ، عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ، أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يَوْسُفَ غَيْرَ فِي مُصْحَفِ عُثْمَانَ أَحَدَ



عَشَرَ حَرْفًا قَالَ: «كَانَتْ فِي الْبَقَرَةِ ﴿لَمْ يَتَسَنَّ وَأَنْظُرْ﴾ بِغَيْرِ هَاءٍ فَغَيْرَهَا (لَمْ يَتَسَنَّهَ) الْبَقَرَةُ: ٢٥٩ بِالْهَاءِ، وَكَانَتْ فِي الْمَائِدَةِ ﴿شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَاءَ﴾ فَغَيْرَهَا (شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَاءَ) الْمَائِدَةُ: ٤٨، وَكَانَتْ فِي يُونُسَ ﴿هُوَ الَّذِي يَنْشُرُكُمْ﴾ فَغَيْرُهُ (يُسِيرُكُمْ) يُونُسَ: ٢٢، وَكَانَتْ فِي يُوسُفَ ﴿أَنَا آتِيكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ فَغَيْرَهَا (أَنَا أُبَيِّنُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ) يُوسُفَ: ٤٥، وَكَانَتْ فِي الْمُؤْمِنِينَ (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ لِلَّهِ) ثَلَاثَتُهُنَّ، فَجَعَلَ الْأَخْرِيِّينَ (اللَّهُ اللَّهُ)، وَكَانَتْ فِي الشُّعْرَاءِ فِي قِصَّةِ نُوحٍ ﴿مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾، وَفِي قِصَّةِ لُوطٍ ﴿مِنَ الْمُزْجُومِينَ﴾ فَغَيْرَ قِصَّةِ نُوحٍ ﴿مِنَ الْمُزْجُومِينَ﴾ الشُّعْرَاءُ: ١١٦ وَقِصَّةِ لُوطٍ ﴿مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ الشُّعْرَاءُ: ١٦٧، وَكَانَتْ الرُّحُفُ ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ﴾ فَغَيْرَهَا ﴿مَعِيشَتَهُمْ﴾ الزَّخْرَفُ: ٣٢، وَكَانَتْ فِي الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يَاسِينَ﴾ فَغَيْرَهَا ﴿مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِينَ﴾ مُحَمَّدٌ: ١٥، وَكَانَتْ فِي الْحَدِيدِ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَتَقُوا لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، فَغَيْرَهَا ﴿وَأَنفَقُوا﴾ الْبَقَرَةُ: ١٩٥، وَكَانَتْ فِي إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾ فَغَيْرَهَا ﴿بِضَنِينٍ﴾ التَّكْوِيرُ: ٢٤. المترجم: عبد الجبار ناجي.

ولعدة عقود لم يتبنَّ أغلبية العلماء الغربيين وجهة النظر الراديكالية هذه، وهم قد اتَّبَعُوا الموقف الأكثر اعتدالاً لشاولي، وإن العدد القليل الذين وقفوا موقف نولدكه وهو الموقف الذي يتوافق مع الرواية الإسلامية السائدة^(٢٤). وقد تغير هذا الوضع عندما نشر جوزيف شاخت Joseph Schacht كتابه: «أصول الفقه المحمدي» في سنة ١٩٥٠، ففي هذه الدراسة حاول المؤلف أن يثبت بشكل قاطع أطروحة جولدتسيهر، وهي أن أغلب الروايات الحديثية غير موثوقة ولا يمكن الاعتماد عليها تاريخياً. وإن استنتاجاته كانت عمومية بشكل أكبر وحتى راديكالية؛ لقوله: إن الروايات ذات الصلة الشرعية القانونية المتعلقة بالنبي وصحابته هي بصورة عامة زائفة وملفقة وقد تمَّت صناعتها في القرن الثاني الهجري أو بعد ذلك عندما طوَّر علماء الشريعة والقانون المسلمون الأوائل عقائدهم. وعلى الرغم من أن شاخت قد وضح أفكاره وطورها بشكل أكثر توضيحاً

وتفصيلاً من منطلق الأحاديث الشرعية والقانونية، ولكنه لم يحصر ولم يحدد نظريته على هذا النمط من الرواية، واعتقد بأنها يمكن تطبيقها على الأنماط الأخرى كذلك. وقد أعجبت آراء شاخست بشأن الحديث أكثرية العلماء الغربيين، وفي العقود التالية فإن طبع كتابه التشكيكي أصبح العامل الرئيس في الدراسة الغربية للإسلام المبكر. ولم تفلت مسألة جمع القرآن من هذا الاتجاه؛ ففي ١٩٧٧ نُشرت دراستان تناولتا هذه المشكلة، وهما دراسة جون ونزبورو John Wansbrough الموسومة بـ: «دراسات قرآنية»-Qura- nic Studies، ودراسة جون بيرتون John Burton الموسومة بـ: «جمع القرآن-Collec tion of the Quran»^(٢٥).

لقد اتخذ كلٌّ من المؤلفين وجهة نظر جولدتسيهر وشاخست بوصفها أساساً بديهيًا وقاعدة بديهية لدراستهما^(٢٦). وتوصلا إلى الاستنتاج بأن جميع الروايات الإسلامية المتعلقة بجمع القرآن وتنقيحه لا يمكن الاعتماد عليها، وهي غير موثوقة تاريخياً، وينبغي أن تعدّ بوصفها إسقاطات لبحوث ومناقشات عقديّة أو شرعية وقانونية من نهاية القرن الثاني الإسلامي فصاعداً.

لم يؤسس ونزبورو وجهة نظره هذه على أساس من التحري والتحقيق الوثيق الصلة بالروايات نفسها، ولكن أسسها على أساس النتائج التي توصل إليها شاخست، وكذلك على شكل من أشكال الدراسة التحليلية للقرآن وللأدب التفسيري الإسلامي. فاعتماداً عليه، إن مباني القرآن بالشكل الموجود الآن إنما «تتميز وتتصف بروايات متنوعة ومتباينة، وابتاتقات مفاجئة من غير رابط منطقي، إذ تنتقل من موضوع إلى موضوع آخر، والله سبحانه وتعالى خير بيّنة نرد بها على قول ونزبورو، إذ جاء في سورة النساء الردّ الشافي الكافي على رأي ونزبورو في اختلاف الآيات القرآنية، ونستشهد بهذه الآية من سورة النساء آية ٨٣، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾. عبد الجبار ناجي وهي انتقالات وتكرارات وردت



بالشكل الذي يوحى بأن العمل غير دقيق، وقد أنجزه رجل واحد أو أكثر من رجل، ولكن على الأصح أنه منتج من تطور متناسق الأجزاء لروايات مستقلة في أصلها، قد تمّ وضعها في مدة طويلة من النقل»^(٢٧). ويمكن عدّ هذه الروايات وكأنها منتقاة pericopes من طراز اللوجيا أي الكلام logia إن كانت هذه الكلمة يونانية الأصل فإنها تعني الكلام. المترجم: عبد الجبار ناجي النبوي ذلك الذي جرى نقله شفاهيا على مدى حقبة طويلة من الوقت إلى أن نما أخيرا، نما كل ذلك تدريجيا معا ليكون المصحف. فكانت نهاية هذه العملية أن تمّ الاعتراف بهذا المصحف، وهذا لا يمكن أن يكون قد حدث فعلا في مدة أبكر من نهاية القرن الثاني للهجرة. ويقول: «إن بناء نصّ سليم وذو قيمة معترف بها كالذي مثلّ ضمناً بروايات التنقيح العثماني بالكاد كانت مؤهلة لأن تكون في وقت سابق عن ذلك»^(٢٨).

ونتيجة لذلك، فإن تلك الروايات وروايات أخرى تتعلق بالجمع الأول للقرآن لا بدّ من عدّها على أنها ليست روايات موثوقة ومعتمدة تاريخيا، ولكنها روايات مزورة ومختلقة، جيء بها لتخدم أغراضا محددة ومعينة. ومثل هذه الروايات ربما قد جرى خلقها وصنعها من قبل علماء الشريعة - كالذي اقترحه بيرتون Burton - وذلك من أجل تفسير عقائد ومذاهب شرعية تلك التي لم تكن موجودة في المصحف، أو قد تكون على غرار الروايات الحاخامية rabbinical للنصّ الأصلي «لنصّ أور Urtext» لأسفار موسى الخمسة وللكتاب المقدس العبري المقرّ والمعترف به. فإنها يفترضان مسبقا بالمصحف، وبالتالي لا يمكن أن يكون تأريخه قبل القرن الثالث الهجري الإسلامي^(٢٩). وقدم بيرتون في كتابه: «جمع القرآن» تحقيقا وتحريا مفصلا للروايات الإسلامية الوثيقة الصلة بالموضوع المعني. وهو في هذا كان يحاول أن يعرض ويبين أن هذه الروايات قد استمدت ونشأت من المناقشات التي كانت تدور بين علماء الأصول، وذلك على عهدة اثنين من المصادر الرئيسة للفقه الإسلامي، القرآن والسنة النبوية،

وعلى مسألة نسخ الآيات القرآنية. فإن جميع الروايات عن جمع القرآن بعد وفاة محمد هي بعد ذلك مزورة. واعتمادا على بيرتون، فليس الجمع الذي جمع نيابة عن أبي بكر ولا حتى النسخة الرسمية التي جُمعت بحسب أمر من عثمان، لم تكن موجودة أصلا في أيها وقت. فما الدوافع تلك التي دفعت بعلماء الشريعة والفقه إلى أن يخترعوا ويلفقوا مصاحف مختلفة، ويزعموا أن القرآن الموجود كان نتيجة من نتائج التنقيح غير المكتمل للوحي الذي عمل وأعد في خلافة عثمان؟

يعتقد بيرتون أن علماء الفقه المسلمين احتاجوا إلى نصّ قرآني غير مكتمل؛ وذلك لأن هناك تطبيقات وممارسات قانونية يراد تثبيتها وشرعنتها، تلك التي ليس لها أساس في القرآن، وقد صارت مثارا للخلاف والجدل بشأنها لهذا السبب. ومن أجل الاحتفاظ بها وصونها ادّعوا وزعموا أنها مدعومة بالوحي والتي لم تجد طريقها لتمثل في القرآن كما كان. وإن مثل هذا الرأي يفترض مسبقا أن النبي لم يكن يترك وحيه على شكل جمع نهائي وعلى نحو محدد وواضح، وبهدف إثبات هذا الافتراض وإقامة الدليل على هذه الفرضية قام العلماء باختلاق واختراع روايات بخصوص وجود مصاحف سبقت المصحف الرسمي، ومن أجل شرح وتفسير أن هناك في الواقع قرآنا واحدا، فإنهم أيضا شجعوا فكرة وجود نسخة رسمية غير مكتملة لصالح عثمان. فإذا كانت جميع الروايات الموجودة عن المصاحف القرآنية المختلفة والمخطوطات هي روايات زائفة، إذن تبقى الحقيقة الوحيدة الموثوقة تاريخيا هي القرآن نفسه. ويفترض بيرتون أن هذا القرآن كان قد تركه محمد نفسه بالشكل الذي نعرفه اليوم^(٣٠). ولكن بيرتون لم يفصح القول صراحة بأنه متى وجدت ومتى جاءت إلى حيز الوجود هذه الكثرة الكثيرة من الروايات الإسلامية المتعلقة بجمع القرآن؟. ومع ذلك، فإن فكرته بكونها نتيجة من نتائج المعالجة بين علماء الأصول. والواقع فإنه يشايح ويلتزم بنظريات شاخت حول تطور الفقه الإسلامي، مشيرا إلى وقت ما من بداية القرن الثالث الهجري فصاعدا.



ويتطابق هذا التاريخ تقريبا مع ذلك الذي حدّده كل من ونزبورو ومينغانا. هذا هو تاريخ البحث العلمي الذي نهد به العلماء الغربيون في مسألة جمع القرآن، ويتميز هذا التاريخ بالميل المتنامي إلى الانتقاص من القيمة التاريخية للروايات الإسلامية والتقليل من أهميتها بخصوص هذه المسألة، والعمل على استبدالها بمصادر أخرى، بل على وفق نظرياتهم الخاصة يحاولون -عن طريقها- الشرح والتفسير لكيفية تأسيس النصّ القرآني ومجيئه إلى حيز الوجود كما هو الآن، وكيف نشأت وجهة نظر المسلمين عن تاريخ القرآن. العلماء الأربعة الرئيسيون أولئك الذين قاموا بالتحقيق والتحري عن المسألة في هذا القرن قد وصلوا إلى استنتاجات مختلفة تماما فيما يتعلق بتاريخية الجمع الرسمي والمعترف به، ومتى حدث؟ فقد أرجع شاولي التاريخ إلى ذلك الوقت من عهد الخليفة الثالث، وأرجعه مينغانا إلى خلافة عبد الملك في نهاية القرن الإسلامي الأول، وجعله ونزبورو في بداية القرن الثالث وجعله بيرتون في عهد محمد ﷺ.

وفي ضوء هذا التباين، قد نتساءل عن: ما هي الاختلافات بين نظريات العلماء الغربيين والعلماء المسلمين حول هذه المسألة؟ فهل النماذج الغربية للتفسير أكثر معقولة وملائمة من الروايات الإسلامية؟ وهل كانوا أحرارا من الأحكام المسبقة والتحيز والتحامل تلك التي يرتاب منها ويشتبها بها العلماء المسلمون عن العلماء الغربيين؟ هل تختلف الدراسات الغربية عن الرواية الإسلامية بسبب الخاصية والطبيعة العلمية تلك التي تجعلها متفوقة على وجهة نظر المسلمين التي زعموا أنها غير علمية ومتحيزة دوغماتيا من غير بيئة أو دليل؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة يلزمنا تقويم نقدي للدراسات المختلفة. وسأقصر نفسي -هاهنا- على بعض التعليقات النقدية على كل واحد منهم.

في دراسة شاولي التفصيلية للروايات الإسلامية المتعلقة بجمع القرآن، حاول أن يعزل الروايات المعتمد عليها والموثوقة تاريخيا عن تلك الروايات غير المعتمدة وغير الموثوق بها. وقد وازن محتويات مختلف الروايات بعضها مع بعضها الآخر، ومع

المعلومات التاريخية عن الأحداث والأشخاص المذكورة في النصوص، بين ذلك وبين القرآن نفسه، وقرر -استنادا إلى هذه الموازنة- ما إذا كانت الرواية أو بعض تفاصيلها ينبغي أن تصنف أو تميز بكونها موثوقة أو متحيزة أو زائفة ومزورة. ومثل هذا المنهج لا يخلو من خطورة. فالتساؤل الحاسم هو فيما إذا كانت نقاط الموازنة تلك للروايات التي تعدّ حقائق تاريخية، فهل هي حقا لا يرقى إليها الشك؟. وشرع شاولي -مثلا- من الافتراض بأنه لا يمكن الشك في حقيقتين: أولاً، أن النصّ المعروف للقرآن يحتوي على وحي محمد(وفيهما إذا كانت تلك الحقيقة كاملة أم غير ذلك فهذا له أهمية ثانوية في هذا السياق)، وثانياً، أن هذا النصّ هو نتيجة النسخة الرسمية تلك التي أعدت بأمر من الخليفة الثالث عثمان. فالأسباب التي قدمها شاولي لنقاطه الثابتة هي معترف بها بشكل عام، فضلاً عن أنها لم يعلن الارتياح بصحتها^(٣١). إن هذه -بالتأكيد- لا يمكن أن تكون نقطة انطلاق مضمونة ومطمئنة للغاية؛ فالإجماع على مسألة بحثية هي ظاهرة مؤقتة وإلى حين. وعلى أي حال، فإن تاريخانية نسخة عثمان الرسمية قد جرت مناقشتها قبل شاولي، أي من قبل كازنوف Casanova، ثم اشترك في مناقشتها بعد ذلك مينغانا وونزبور وبيرتون، في حين إن الافتراض الذي يفيد أن القرآن هو ليس أكثر من جمع وحي محمد قد كان منذ ذلك الحين، إذ أعلن ونزبور وآخرون عن ارتياحهم بصحة ذلك. فضلاً عن ذلك، فإن طريقة شاولي في المقابلة بين روايتين لإظهار الفروق وملاحظة الفرق بين جزء واحد من المعلومات مع الجزء الآخر، وذلك يبدو في كثير من الأحيان أمراً اعتباطياً وكيفياً. ولنعطي مثالا على هذا: في مركب الروايات بخصوص الجمع الأول الذي أعد لأبي بكر، اكتشف شاولي تناقضاً: فمن ناحية، فقد روي أن الجمع الأول الذي قد أعد للخليفة والذي صار توريثه لخلفه عمر، مشيراً إلى أن هذا الجمع يعدّ بالفعل ذا وضع شرعي ورسمي. ومن الناحية الأخرى، فقد قيل إن عمر قد أوثق صحف القرآن لابتته حفصة، التي جعلتها كأنها ملكية خاصة. ويجادل شاولي هكذا بأن واحداً من الادعائين

فقط يمكن أن يكون حقيقية وواقعا تاريخيا. وقد اختار شاولي الحالة الأخيرة؛ وذلك لأن صحف حفصة تؤدي دورا مهما في الروايات المتعلقة بنسخة عثمان الرسمية. ويخلص بعد ذلك إلى أن صحف حفصة هي التفصيل الموثوق به والمعتمد عليه تاريخيا. ومهما يكن، فإن جميع تاريخ هذه الصحف والصحائف كما قدمتها الروايات بشأن جمع أبي بكر هي في رأيه مزورة وزائفة. ومع ذلك، فقد نتساءل: لماذا كانت هذه التناقضات الداخلية هي التي أقنعت شاولي بأن يرفض الروايات المتعلقة بجمع أبي بكر وليس تلك الروايات التي تذكر نسخة عثمان الرسمية، على الرغم من أن الروايات الأخيرة تحتوي -واعتمادا على قوله- على عدد من التناقضات أيضا؟! وأخيراً، إنه أمر جدير بالملاحظة ورائع لأن يكون شاولي -باعتراف الجميع- قد جمع الروايات من مجموعة واسعة من المصادر، المبكرة منها والمتأخرة، وأحيانا يبدي ملاحظته عن الاختلافات بين الروايات حول الحدث نفسه، ولكنه لم يقوم تاريخيا الروايات المختلفة^(٣٢).

وأما مينغانا -بالمقارنة مع شاولي- فلديه إحساس قوي بمشكلة تاريخ المصادر. ومع ذلك، فإن منهجه يبدأ من عدة افتراضات بدئية، تلك التي يمكن أن تعترض وتستجوب:

- ١- الروايات الحديثة غير موثوق بها تاريخياً؛ وذلك لأنها كانت تنقل شفاهياً فقط.
- ٢- وإن تاريخ أي رواية يمكن تحديده وتعيينه بتاريخ التأليف الذي ظهرت فيه أول مرة. وهكذا، فإن الروايات التي وجدت في جامع البخاري ولكنها غير موجودة في طبقات ابن سعد هي أحدث من تلك التي ظهرت بالفعل في المصدر الأخير.
- ٣- إن المواد الواردة في المصادر المتأخرة اللاحقة هي أقل موثوقية من تلك الروايات السابقة، ومن الممكن تجاهلها.

٤- إن المصادر المسيحية هي أكثر موثوقية من المصادر الإسلامية؛ لأنها تسبق الروايات الإسلامية، ولأنها مكتوبة.

وهناك مزيد من نقاط الضعف في بحث مينغانا، ألا وهي:

أ- أنه استعمل استعمالاً كثيراً وكبيراً المحاجة الصامتة (argumenta e silentio) وهو مصطلح لاتيني، على سبيل المثال حينما يخلص من الحقيقة بأن القرآن لم يرد ذكره في روايات المصادر القليلة المسيحية المبكرة التي تروي عن المسلمين، بأنه ليس هنالك قرآن معترف به رسمياً في القرن الإسلامي الأول.

ب- مقارنة للرواية المسيحية التي قدمت من قبل الكندي المسيحي عن تاريخ القرآن مع الروايات الإسلامية هي مقارنة فقيرة وناقصة. ومقارنة مثل هذه قد تكشف أو توحى بأن الرواية المسيحية هي تلخيص مشوه ومحرف لعدد من الروايات الإسلامية، وبأن التاريخ الذي حدده مينغانا للروايات الإسلامية غير صحيح. أما ونزبورو فقد رفض الروايات المتعلقة بجمع القرآن وتحريره، من دون التحقيق فيها والتحري عنها لسببين:

١- لأنها تناقض وجهة نظره بشأن تاريخ النص القرآني، الناتجة من تحليل بنيوي للقرآن، ومن تحقيق وتحرر توبولوجيوهي دراسة رموز الكتاب المقدس. المترجم: عبد الجبار ناجي للأدب التفسيري الإسلامي.

٢- ولأنه يعتقد أن عدم الموثوقية التاريخية للروايات الإسلامية المتعلقة بالقرن الأول قد سبق إثباته والبرهنة عليه بشكل كافٍ من قبل شاخ، وأن البحث الحالي ليس هو المجال المناسب لمعالجة هاتين المسألتين. وهناك بعض التعليقات النقدية بخصوص مناهج بحث ونزبورو يمكن الاطلاع عليها في عدد من التعقيبات والعروض المكتوبة على كتابه: «دراسات القرآنية»^(٣٣). وإن التحفظات التي يمكن القيام بها فيما يتعلق بآراء شاخ بخصوص تطور الفقه والحديث الإسلامي قد تمت معالجتها بالتفصيل في عدد من المنشورات الحديثة^(٣٤).

أما بخصوص بيرتون فإنه يفتقر إلى البعد التاريخي تماماً في دراسته للروايات المتعلقة بجمع القرآن؛ إذ إنه رتب الروايات المختلفة من أجل أن يبتدع وأن يخلق خطاباً ومعالجة لموضوع يعتقد أنه قد حدث بين العلماء على مدى حقبة طويلة من الزمن. وإن



بيرتون يعدّ بعض الروايات مجرد ردود فعل لروايات أخرى، وعلى هذا الأساس يكون تاريخها متأخر؛ وهو يتحدث عن مراحل للتطور في المراحل الثانوية وحتى الثالثة؛ ولكن على العموم، فإن هذا الخطاب يبدو مصطنعاً، على الرغم من أنه ليس غير قابل للتصديق. وأن المعلومات القليلة التي قدمها في دراسته بشكل جازم ومطلق توحى أن عملية التطور برمتها قد وقعت في القرن الإسلامي الثالث. ومع ذلك، فإن بيرتون لم يحاول التحقق فيما إذا كانت خطته في التحول والتطور مدعومة تاريخياً بالمصادر، فهو يستعمل بإيثار المصادر المتأخرة جداً نظير السيوطي في كتابه: «الإتقان في علوم القرآن» وابن حجر في كتابه: «فتح الباري»، من دون أن يسأل نفسه فيما إذا كانت بعض هذه الروايات موجودة بالفعل في أعمال ومؤلفات أبكر من هذين الكتّابين وأنه من الممكن تأريخها بأكثر دقة، وربما يكون تاريخها يرجع إلى ما قبل القرن الثالث الهجري.

فالتعليقات النقدية السابقة على الدراسات الغربية التي تعاملت مع مسألة جمع القرآن جعلت من الواضح القول: إن المقدمات والاستنتاجات والمنهجيات في هذه الدراسات لم تزل موضوعاً فيه نظر. وفيما إذا كانت وجهات نظرهم التخيري بين أمرين بالنسبة إلى تاريخ القرآن، إن كانت من الناحية التاريخية فهي أكثر موثوقية ومصداقية من الرواية الإسلامية عن هذه المسألة، وبالتالي يبقى -إذن- السؤال مفتوحاً.

رابعاً- الروايات المتعلقة بجمع القرآن على ضوء التطورات المنهجية الحديثة:

في العقدين الأخيرين شهدت دراسة الحديث تقدماً كبيراً. وهذا يرجع من ناحية إلى العدد الكبير من المصادر الجديدة تلك التي أصبحت متاحة ومتوفرة، ومن الناحية أخرى يرجع إلى التطورات في حقل المنهجيات. ومن بين المصادر الجديدة المؤلفات القرآنية، مثل: مصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعمر بن شبة في كتابه: «تاريخ المدينة»، وغيرها كثير. وقد أثبتت هذه المصادر أنها ذات أهمية قصوى^(٣٥). وبالنسبة إلى مجال المنهجية فلا بدّ من ذكر تطورين:

- ١ - بخصوص تحليل الأسانيد لمجموعة الروايات الفردية قد تحقق بنجاح لكي يصبح أداة بحثية قوية. وهذا هو في المقام الأول بفضل دراسات جوينبول Juynboll G.H.A^(٣٦).
 - ٢ - كذلك لقد حدث تحسن في تحليل متون الأحاديث، وذلك عبر البحث والتحقيق من المتغيرات النصية للرواية، وكذلك عن طريق الجمع بين هذا المنهج، وتحليل السند. ومن بين العلماء الذين يعملون في هذا الاتجاه يمكن ذكر جوينبول Juynboll، وغريغوري شويلر Gregor Schoeler، ومتزقي «أي متزكي»^(٣٧).
- والنتائج التي أنتجتها هذه المنهجية حتى الآن جعلت مسألة تطبيقها على الروايات المتعلقة بجمع القرآن حالة مرغوب فيها. فقد قدمت ملاحظات الأولية حول هذه المسألة بالفعل منذ عدة سنوات في ندوة دولية عن الحديث، عُقدت في أمستردام في عام ١٩٩١ ولخصتها لاحقاً في بحث كتبته باللغة الهولندية^(٣٨)، ومنذئذ فإن مصادر جديدة أصبحت متوافرة لي، مما جعل من المرغوب فيه تحديث أفكاره السابقة، على الرغم من أن الاستنتاجات الرئيسة بقيت هي نفسها .

أ- تحديد تاريخي من دون إسناد:

الدراسات الغربية السابقة عن المسألة لابد لها أن تعالج الحقيقة بأن المصدر المبكر جدا الذي أخذت واقتبست منه الروايات المتعلقة بتاريخ المصحف المعروف هو -إلى حد ما- مصدر متأخر، وهو الجامع الصحيح للبخاري المتوفى في سنة ٢٥٦ / ٨٧٠. فالمدة الفاصلة الطويلة التي تقارب المائتي سنة التي تفصل بين الأحداث المعنية وتدوين الأخبار والروايات المتماثلة في مصدر مكتوب هي التي حثت مينغانا إلى أن يرفضها على أساس أنها لا يمكن الاعتماد عليها تاريخياً، وأن التواريخ المتأخرة لظهور هذه الروايات قد لائمت وتوافقت بشكل رائع مع افتراضات كل من ونزورو وبيرتون على أنها خلقت وابتدعت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري وليس أبكر من ذلك. ومع ذلك، فإنه حتى على أساس الحكم من المصادر المتوافرة بالنسبة إلى العالمين



المذكورين ونزبورو وبيرتون. المترجم: عبد الجبار ناجي حتى عام ١٩٧٧ يمكن أن يثبت الافتراض ذلك بأن البخاري هو المصدر الأقدم للروايات التي نحن بصدددها، فإن هذا الافتراض غير صحيح، وأن المصادر التي أصبحت متوافرة منذ ذلك الحين تؤكد ذلك. دعونا أولاً نبحث وندرس حالة المصادر الإسلامية المبكرة التي ورد فيها ذكر الجمع الذي قد أعد نيابة عن أبي بكر. وأبدأ مع البخاري، وهو المصدر الذي كثيراً ما يذكر، فإذا ما وجدت رواية واحدة في جامع البخاري عن جمع أبي بكر، فلاستنتاج يمكن أن يكون بأن البخاري نفسه ربما قد اخترع القصة أو ربما كان قد أخذها من شخص آخر هو الذي قد اخترعها واختلقها، فإن ذلك سيكون من الصعب دحضه. ومع ذلك، فإننا نجد ليس رواية واحدة إنما أربع روايات مختلفة في جامعه^(٣٩)، وهي حقيقة قد لاحظها بالفعل نولدكه في سنة ١٨٦٠^(٤٠). وإن تأثير هذا الأمر الغريب بخصوص تاريخية الروايات قد جرى تجاهله لحد الآن. وإن تحليلاً دقيقاً وحذراً لمتون الأربع روايات (ثلاثة منها قد جاءت مفصلة ورواية واحدة مختصرة وقصيرة) يظهر أن الاختلافات بينها كثيرة ومتنوعة، كيف لنا أن نفسرها؟ فهل من المعقول أن نفترض أن البخاري قد خلق نسخ روايات مختلفة بشكل متعمد ومقصود؟ فإن كان هذا هو حقاً فما هو سبب ذلك؟ وهل من الممكن أنه قد تلقى رواية واحدة من شخص واحد، قد يكون ذلك الشخص المخلوق أو لا يكون، ولكن في وقت لاحق لم يكن بإمكانه تذكر بالضبط ما كان قد سمعه، وعندئذ أعاد ذكره بثلاثة طرق مختلفة؟ وضداً بالافتراض الأخير لاحظنا أن البخاري ينسب الروايات الأربعة إلى رواة مختلفين وأنه يقدم ملاحظة واضحة للحالات التي كان فيها غير متأكد عن ماذا كانت الصياغة الدقيقة لكلمات راويته ومخبره وعلى هذا يعطي رواية بديلة. ومن هذا يبدو أنه يعكس نقلاً حذراً ودقيقاً للنصوص التي قد تلقاها. وهكذا يبدو أكثر منطقية الاستنتاج من الروايات المختلفة أن البخاري قد تلقاها من أشخاص مختلفين يمكن تسميتهم بشيوخه أو رواته وكونهم على الأرجح ينتمون إلى

الجيل السابق. ولأن نسخ رواياتهم مختلفة قليلاً للرواية نفسها، علينا أن نفترض وجود مصدر مشترك. فإذا ما وضعنا الإسناد جانبا لمدة، فإن هذا المصدر المشترك يمكن أن يكون أحد شيوخ البخاري أو شخصا معاصرا آخر، ذلك الذي سمع رواية البخاري منه هذه الرواية. وسوف نرى - مع ذلك - أن المصدر المشترك هذا هو مصدر يسبقه بمدة طويلة. فاستنتاجنا أن نسخا من الروايات المختلفة كانت متداولة ومنتشرة بين جيل قبل البخاري قد وثق وعزز من مصادر مبكرة. فهناك ثلاث نسخ من الرواية في كتاب ابن حنبل (المتوفى في سنة ٢٤١ / ٨٥٥) المسند، واحدة مفصلة واثنتان قصيرتان^(٤١). والرواية المفصلة تشابه جدا تلك الموجودة في كتاب البخاري، لكنها غير متطابقة مع أي منها. فضلا عن ذلك، فإن نصّ ابن حنبل هو أقصر من ذلك الذي في كتاب البخاري؛ إذ إنه توقف بعبارة مقاومة زيد بن ثابت ومعارضته لجمع القرآن، ولم تذكر الرواية أن الجمع قد تمّ في نهاية المطاف. إن هذا يجعل الاحتمال ممكنا بأن رواية ابن حنبل مستقلة عن روايات البخاري. ويحول دون ذلك الاعتقاد أن هذا الأخير (أي البخاري) كانت عنده نسخة رواية من المصدر السابق. ومع ذلك، فإن روايات ابن حنبل لا تأخذنا إلى أكثر من جيل واحد قبل البخاري. ولعلنا يمكننا الافتراض أن ابن حنبل قد تلقى الرواية من مشايخه، وهكذا من الجيل السابق، ولكن من دون أن نلجأ إلى إسناد لا يمكننا التأكد منه. إن الرواية هي في الواقع مبكرة جدا وهذا ما قد أثبتته مسند الطيالسي (المتوفى في سنة ٢٠٤ / ٨٢٠) وهو سليمان بن داود الطيالسي. محدّث، من الحفاظ المتقين، فارسي الأصل. سكن البصرة، ورحل إلى بلدان كثيرة. روي عنه أنه قال: كتبت عن ألف شيخ. روى عنه أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وعمرو بن علي الفلاس، ومحمود بن غيلان وغيرهم. كان قوي الحفظ، ويعتز بذلك. ذكر في ترجمته أنه كان محدّث من حفظه فوق في أخطاء يسيرة تبعاً لذلك. جمعت أحاديثه في مسند عُرف باسم مسند الطيالسي. توفي بالبصرة. ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي، الجزء ٩، ص ٣٧٨ - ٣٨٢. المترجم: عبد



الجبار ناجي^(٤٢). فإن نصّه مشابه لرواية ابن حنبل الطويلة؛ إذ إنها أيضا تنقطع بعد رفض زيد لجمع القرآن ولكنها رواية ليست متطابقة معها، وكذلك ليست متطابقة مع الجزء الوثيق الصلة بالموضوع لروايات البخاري. وهذا الأمر يدعم الافتراض بأن رواية الطيالسي هي رواية مستقلة، وليست الأنموذج الذي نسخ منه ابن حنبل والبخاري، وهو استنتاج يعزز ويوثق بالأسانيد التي تحتوي على رواة مختلفين للنصوص التي نحن بصدها، (فالطيالسي عنده إبراهيم بن سعد، في الوقت الذي ورد في الرواية القصيرة لابن حنبل والبخاري باسم يونس). وعلى أية حال، فالحقيقة أن الرواية بشأن جمع القرآن نيابة عن أبي بكر موجودة في مسند الطيالسي، وهي تجلب التاريخ للوقت الذي ينبغي أنها كانت موجودة، أي إلى الوراء إلى نهاية القرن الثاني الهجري. فما هو شكل الرواية وصيغتها في ذلك الوقت؟ وقد اقترحت أنها كانت تحتوي على كل التفاصيل الموجودة في روايات البخاري الطويلة، وأن روايات الطيالسي وابن حنبل مبتورة ومقتضبة. في الندوة التي عقدت في أمستردام، اعترضت باترشيا كرونه Crone، معتقدة أن الرواية القصيرة تلك التي تتجاهل تحقيق مشروع أبي بكر هي الرواية الأصلية والتي قد تمّ تحسينها لاحقاً. وفي عام ١٩٩١ فإن هذا الاعتراض لا يمكننا استبعاده على أساس تاريخ المتن. ومع ذلك، فمنذ ذلك الحين لقد أصبحت ثلاثة مصادر متوافرة عندي تلك التي أثبتت وبرهنت أن افتراض كرونه هو افتراض خاطئ. فالمصدر الأول هو فضائل القرآن لأبي عبيد بن سلام (المتوفى في سنة ٢٢٤ / ٨٢٨)^(٤٣)، والمصدر الثاني هو التفسير لعبد الرزاق (المتوفى سنة ٢١١ / ٨٢٧)^(٤٤). والتصنيفان كلاهما يحتويان على روايات كاملة كتلك الروايات الموجودة عند البخاري، لكنها لم تكن مطابقة لأي رواية منها. والمصدر الثالث الجديد المهم الآخر هو القسم الأول من الجامع الذي كتبه عبد الله بن وهب (المتوفى في سنة ١٩٧ / ٨١٢) وتمّ طبعه في ١٩٩٢^(٤٥).

وإن قطعاً أو أجزاءً من الروايات وجدت فيه، تلك التي أثبتت أن نهاية الرواية الناقصة في مسند الطيالسي كانت بالفعل معروفة في الربع الأخير من القرن الإسلامي الثاني^(٤٦). وهذا هو التاريخ الذي يمكننا في الوقت الحاضر تحديده وتعيينه للرواية المتعلقة بجمع القرآن بأمر أبي بكر، وذلك عن طريق البحث عن المصادر الأولى والأقدم التي قد ظهرت فيها، وكذلك بتجاهل الأسانيد في مختلف الروايات. وحتى وقت قريب فإن تاريخية الرواية المتعلقة بنسخة عثمان الرسمية للقرآن بالطريقة نفسها لم تنتج نتائج مشابهة. فنصّ الرواية الكاملة المفردة الواردة في كتاب البخاري الجامع^(٤٧) ليست موجودة في المصادر المبكرة. ومع ذلك، فلاستنتاج المحتمل أن هذه الرواية لا بدّ أن تكون متأخرة عن تلك الرواية بشأن جمع أبي بكر يمكن دحضه على أساس قطعتين أو جزئين من الرواية الموجودة أيضاً في جامع البخاري تلك التي من الواضح أنها مستقلة عن الرواية الكاملة، وأن عدداً من الروايات الواردة في كتاب المسند لابن حنبل وفي طبقات ابن سعد، والتي اقتضت ضمناً وجود رواية عن نسخة عثمان الرسمية على الأقل في الجيل السابق للبخاري^(٤٨). إن المصادر المذكورة في أعلاه التي أصبحت في الآونة الأخيرة متوافرة لديّ قد أثبتت الآن أن هذه الرواية كانت معروفة ليس فقط لجيلين قبل البخاري (رواية مختلفة قليلاً فقط الواردة في فضائل أبي عبيد)، ولكن أيضاً للربع الأخير من القرن الثاني (اعتماداً على كلتا الروايتين لابن شبة اللتين ترجعان إلى الطيالسي^(٤٩))، ولكنها لم ترد في الطبعة المطبوعة لمسند الطيالسي، وإن الأجزاء أو القطع موجودة في جامع ابن وهب). وهكذا، فقد أظهر تحقيقنا حتى الآن - من خلال دراسة دقيقة وبعناية - المتغيرات والاختلافات للروايات المعنية، تلك التي نحن بصدددها، والرواية الأخيرة يمكن أن نورخها في وقت سابق عما هو مفترض في العادة حتى وإن كان ذلك على أساس المصادر المحدودة التي اعتمدتها الدراسات الغربية المكتوبة حتى عام ١٩٧٧ والتي كانت متوافرة وتحت تصرفها. يضاف إلى ذلك، أن المصادر الجديدة



تلك التي أصبحت متوافرة منذئذ لا تدعم هذا الاستنتاج فقط، ولكن تسمح لنا أيضًا بتثبيت تاريخ سابق ante quern وذلك فقط من طريق الأخذ بنظر الاعتبار تاريخ وفاة مؤلفي المصادر المعنية، فالروايات عن تاريخ المصحف ينبغي أن تكون متداولة ومنتشرة قبل نهاية القرن الثاني الهجري على أبعد تقدير. إن هذه النتيجة الشرطية يمكن تحسينها بشكل أكثر عن طريق تحليل الإسناد، كما سنرى قريباً، فالتحليل السندي سيكشف عن نقاط الضعف في بعض حجج مينغانا والنظريات التي تقدم بها ونزبورو وبيرتون فيما له علاقة بهذه الروايات. فادعاء مينغانا أن رواية الكندي المسيحي هي رواية أبكر ولذلك تكون الرواية الأفضل بالنسبة إلى رواية البخاري يعدّ ادعاءً خاطئاً. حتى وإن كانت رسالة الكندي في الواقع نشأت وبدأت من زمن الخليفة المأمون^(٥٠)، فرواية الرسالة عن تاريخ القرآن هي -بوضوح- تلخيص محرّف ومشوه للروايات التي نعرفها من المصادر الإسلامية المبكرة. فمن هو المسؤول عن التشويه والتحريف؟ أ هو الكندي أم راويته المسلم؟ وهو أمر لا يمكننا التأكد منه. واعتماداً على ونزبورو وبيرتون، فالروايات عن الجمع وعن النسخة الرسمية للقرآن لا يمكن أن تكون قد ابتدعت أو خلقت في مدة أبكر من القرن الإسلامي الثالث؛ وذلك لأنها تفترض مسبقاً إما أن يكون النصّ معترفاً به ومقرّراً، وإما أن يكون تأسيس نظرية الأصول بشكل عام، تلك التي لم يتصور كل من ونزبورو وبيرتون أنها قد حدثت وتكونت قبل نهاية القرن الثاني الهجري. فإذا كانت هذه الروايات قد انتشرت وجرى تدولها قبل ذلك التاريخ، فعلينا أن نفترض إما أن يكون النصّ المقرّر والمعترف به أو أن تأسيس نظرية الأصول قد تكون وحدث في وقت سابق عن الوقت الذي افترضناه، أو أنه لا توجد هنالك صلة بين الروايات المعنية التي نحن بصدددها، والتطورين المفترضين السابقين. وفي كلا الحالتين فإن أجزاء حاسمة من حججها تفتقد مقبوليتها. وهناك طريق واحد للهروب من هذا الاستنتاج، ألا وهو الادعاء أن المصادر التي ظهرت فيها الروايات أولاً ليست مصنفات حقيقية من قبل

مؤلفيها المفترضين، ولكن من قبل تلاميذهم أو من قبل مؤلفين من الأجيال اللاحقة. وقد استعمل ونزبورو هذه الحجة من أجل التوفيق بين نظرياته بخصوص تطور التفسير الإسلامي والمصادر المتوافرة. إن الراحل نورمان كالدر Norman Calder مؤخرًا قد تبع ونزبورو في تأريخ عدد من المصنفات الشرعية والقانونية والحديثية بشكل متأخر كثيرًا عن ما كان حتى الآن مفترضاً^(٥١). ومع ذلك، فإن هذه المحاولات لتعديل تاريخ جميع أو معظم المصادر المنسوبة إلى المؤلفين المسلمين من القرنين الإسلاميين الثاني والثالث هي محاولات غير مقنعة، كما بينت أنا وآخرون بالتفصيل في مكان آخر^(٥٢). فطريقة تحديد تاريخ الروايات بشكل تقريبي للمصادر المكتوبة ظهرت فيها النتائج لأول مرة في الأرخنة للتواريخ المتأخرة، وبالنسبة إلى الحالة التي نحن بصدددها وهي الربع الأخير من القرن الثاني الهجري، فإن هذه الطريقة تتجنب -بوعي- حقيقة أن النصوص قد يكون لها تاريخ قبل أن تجد طريقها في المصادر التي جرت المحافظة عليها. إن للروايات تأريخًا واقعيًا أصبح بالفعل واضحًا من التحقيق الذي لدينا لمختلف المتون التي وجدت في المصادر المبكرة. ومهما يكن، فالسؤال هو: هل هناك طرق لتتبع تأريخها إلى أبعد من ذلك يرجع إلى الوراء؟

ب- التحديد التاريخي على أساس الأسانيد والمتون:

الأحاديث المألوفة عادة ما توفر الدلائل والمؤشرات على تأريخها بصيغة سلاسل الرواة والناقلين. ومنذ زمن جولدتسيهر، فإن معظم العلماء الغربيين لا يثقون ولا يولون الثقة بالأسانيد، وعادة ما كانوا يتجاهلونها تمامًا. وهذه كانت الحالة في جميع الدراسات التي تناولت مسألة جمع القرآن. ومع ذلك، فقد جادل شاخنت بأنه على الرغم من الطابع المزيف الجزئي، فمن الممكن استعمال الأسانيد لاكتشاف صانع الرواية المعينة ومخترلقها؛ وذلك من طريق مقارنة جميع أسانيد المخرلفة والبحث عن الرابط المشترك والصلة المشتركة. إن مقترحاته المنهجية قد أخذت وطورت إلى مدى أبعد في السنوات الخمس والعشرين الأخيرة؛ ولذلك يمكننا التحدث عن منهجية تحليل الإسناد. حتى

وإن كانت بعض من مبانيه ما زالت موضع خلاف، والطريقة تستحق الاهتمام من المؤرخين المعنيين بتاريخ الإسلام المبكر. فالخطوة الأولى لإقامة رابط مشترك يكمن في تصنيف الأسانيد لجميع نسخ الروايات، للرواية نفسها التي وجدت في مختلف المصادر وتجميعها في حزمة. ومن الناحية المثالية فجميع المصادر المتوافرة -حتى المتأخرة منها- ينبغي أن تضمّن. ومع ذلك، فمن أجل أهدافنا وأغراضنا، سيكون كافياً أن نقتصر على عينة من المصادر لأولئك المؤلفين من القرنين الثاني والثالث الهجريين. وسوف أحلل جمع القرآن نيابة عن أبي بكر أولاً، ومن ثم الرواية المتعلقة بالنسخة الرسمية بإشراف عثمان^(٥٣). والرواية المتعلقة بجمع القرآن الذي أعد بناءً على أمر من الخليفة الأول موجودة في كثير جداً من المصادر، وبأسانيد كثيرة جداً، ومن المستحسن -بغية توضيح الفكرة- مناقشتها في خطوتين: أولاً، أسانيد روايات الجمع التي تمّ تصنيفها حتى ٢٥٦ / ٨٧٠ (وهو تاريخ وفاة البخاري). وثانياً، تلك الموجودة في المصنفات التي عاش مؤلفوها حتى ٣١٦ / ٩٢٩ (وهو تاريخ وفاة آخر مصنف نعتقه ابن أبي داود). فالمناقشة قد أعيد استرجاع نسخة منها في المخططين الأول والثاني الآتين:

المخطط الآتي رسمه يمثل رواية جمع القرآن لأبي بكر من المصادر حتى زمن البخاري، وجمع النسخة الرسمية بإشراف عثمان. لقد أقيمت المخططات على وضعها كما رسمها المستشرق ولم أترجمها؛ لأنها تمثل أسانيد الروايات بأسمائها العربية.

Diagram I: Abū Bakr's collection of the Qurʾān until al-Bukhārī

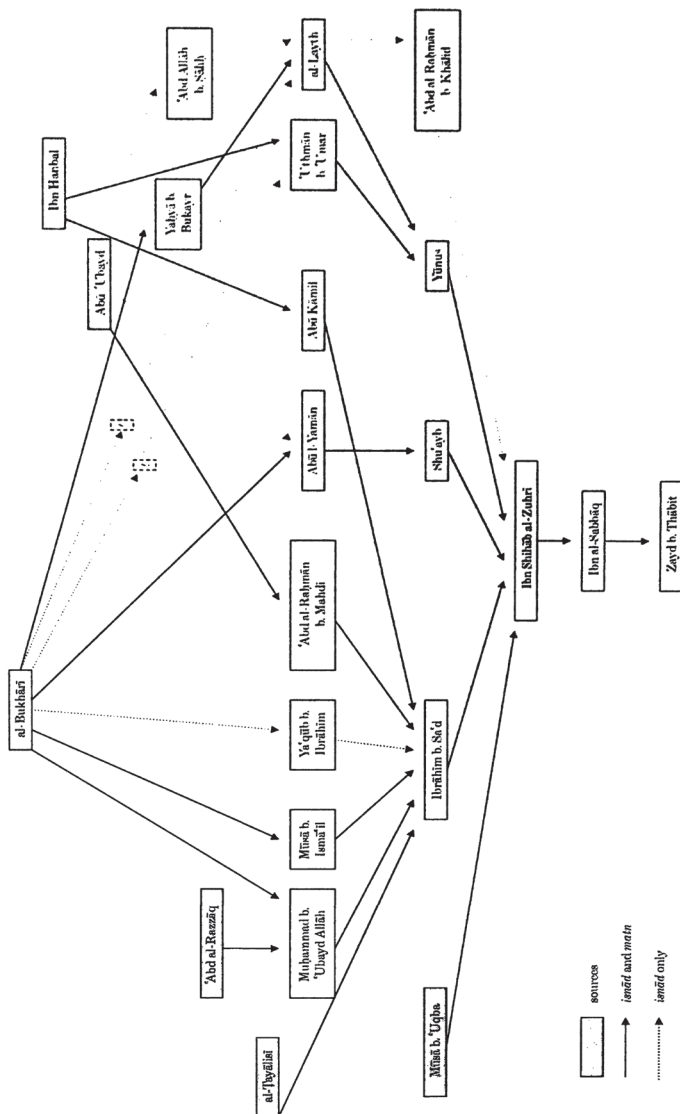
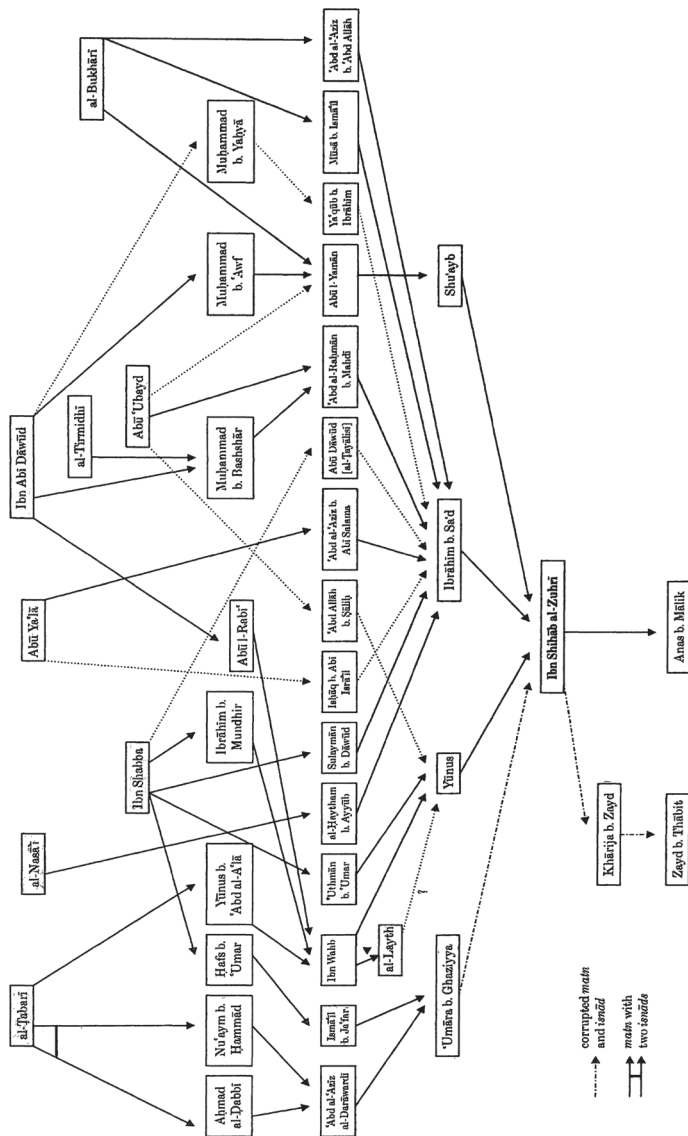


Diagram III: 'Uthmān's official edition of the Qur'ān until Ibn Abi Dāwūd



ففي الحقبة الأولى اشتملت الرواية وتضمنت في ستة مصادر: جامع البخاري، ومسند ابن حنبل، وفصائل أبي عبيد، وتفسير عبد الرزاق، ومسند الطيالسي، ومغازي موسى بن عقبة^(٥٤). في حين إن كلا من الطيالسي وعبد الرزاق قدما رواية واحدة فقط مع إسنادها، ويذكر أبو عبيد إضافة إلى ذلك روايتين أخريين متشابهتين جدا ويعطي لهما الإسناد فقط، ويقدم ابن حنبل روايتين متغايرتان، رواية طويلة وواحدة قصيرة، ويقدم البخاري أربع روايات وثلاثة أسانيد إضافية من دون متن. فالمصادر الستة معا تقدم خمسة عشر خطأ مختلفا للرواة والناقلين، وجميعها تتداخل في نقطة التقاطع في رواية أو ناقل واحد مفرد: هو ابن شهاب الزهري (المتوفى في سنة ١٢٤ / ٧٤٢)، فهذا هو الرابط المشترك. وفي أدنى مرتبة منه، خيط واحد يصل عن طريق ابن السبّاك إلى الراوي المزعوم للرواية زيد بن ثابت. وبعض خطوط النقل بين مصنفي المصادر والرابط المشترك هي عبارة عن «خيوط مفردة»، وبعضها الآخر تتقاطع مع أخرى وتشكل روابط مشتركة جزئية وهي مصطلحات قدمت من قبل جوينبول Joynboll في تحليل الإسناد. فعلى المستوى أو المقياس المذكور آنفا فإن الرابط المشترك اثنان من الخمسة رواة من الزهري، وهي روابط مشتركة جزئية: إبراهيم بن سعد^(٥٥) استنادا إلى الستة أشخاص ممن ظهورا بوصفهم ناقلين منه (الطيالسي، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو كامل، ويعقوب بن إبراهيم، ومحمد بن عبيد الله، وموسى بن إسماعيل ويونس)^(٥٦) استنادا إلى اثنين (الليث وعثمان بن عمر). ومن بين الرواة أو النقلة التسعة من الجيل الثاني المذكورين في الرابط المشترك أعلاه، وجد أربعة روابط مشتركة جزئية هم (أبو اليمان، والليث، وعثمان بن عمر، ومحمد بن عبيد الله).

فإذا ما نظرنا إلى المصنفات التي تم تصنيفها في الستين عامًا التي أعقبت البخاري، فنجد الصورة متشابهة. وهاهنا لدينا خمسة مصادر تحتوي على الرواية: كتاب المصاحف لابن أبي داود، وجامع الطبري، ومسند أبي يعلى، والسنن الكبرى للنسائي،

والجامع الصحيح للترمذي^(٥٧). وجميعها تقدم أربعة عشر خطأ للنقل. وللمرة الثانية، فإن جميعهم يجمعون في ابن شهاب الزهري، ومن ثمّ (وهناك استثناءان)^(٥٨) يشكلون خطأً واحداً مع ابن السبّاك وزيد بن ثابت. وإن اثنين من الرواة أو النقلة الأربعة هم على المستوى المذكور آنفاً كان الرابط المشترك أربعة روابط مشتركة جزئية: إبراهيم بن سعد بمقتضى واستنادا إلى ستة رواة، ويونس بمقتضى واستنادا إلى اثنين. وعلى المستوى الثاني المذكور آنفاً ففي الرابط المشترك هناك أربعة من الروابط المشتركة الجزئية ومن بين العشرة رواة ونقله (الدرودي، عبد الرحمن بن مهدي، ويعقوب بن إبراهيم وعثمان بن عمر).

فإذا ما جمعنا بين الحزمتين للرسوم البيانية والمخططات الأول والثاني في حزمة واحدة (تلك التي لم أعد نسخها في رسم بياني منفصل؛ وذلك لأنه سيكون الرسم البياني مكتظاً)، فيظهر عنها تسع وعشرون خطأ للنقل جميعها تتداخل في نقطة التقاطع في اسم ابن شهاب الزهري. وهذه الحالة لا يمكن أن تكون مجرد مصادفة. ومع ذلك، فالسؤال الذي يثار هو: كيف لنا أن نفسر هذه الظاهرة؟ هناك احتمالان: أولاً، إن حزمة الإسناد يمكن أن تعكس عملية حقيقية للنقل. وهذا سيعني أن الرواية المعنية هي في الواقع ترجع إلى الوراثة إلى ابن شهاب الزهري، فهو الذي ينبغي أن يكون «المصدر»، أي الشخص الذي نشر الرواية. وثانياً، إن الرابط المشترك قد يكون نتيجة من نتائج التزوير المنظم. وإن بعض العلماء الغربيين قد افترض نظرية -على وفقها- فإن شخصا من الجيل الثاني بعد ابن شهاب الزهري (مثلاً الطيالسي) يمكن أن يكون قد جلب الرواية مع إسنادها للتداول والنشر أولاً. وإن نظيره قد أخذها منه ولكن جميعهم قد أخفوا أنه هو الذي كان مصدرهم. وبعض منهم قد حذفه من إسناده وذلك بالإشارة مباشرة إلى راويته المزعوم (مثل إبراهيم بن سعد)، أما الآخرون فقد استبدلوا راويهم باسم آخر (مثل يونس)^(٥٩). والأجيال المتأخرة (على سبيل المثال، عبد الرزاق، وابن حنبل،

والبخاري والطبري) قد ذهبوا أبعد من ذلك عن طريق اختلاقهم خطوطا للنقل جديدة تماما كتلك التي تقلد الخطوط الموجودة وكذلك تتداخل في نقطة التقاطع في اسم ابن شهاب^(٦٠). وبهذه الطريقة فإن ابن شهاب يمكن أن يكون هو الرابط المشترك من دون أن تكون له أي علاقة مع الرواية الملفقة بعد جيلين في وقت لاحق.

إن تفسير ظاهرة الرابط المشترك بوصفها نتيجة من نتائج التزوير له عدد من مواطن الضعف. أولاً، إن هذه الأنماط من التزوير ليست سوى تخيل وتصوير. ومن المسلم به أن هناك بعض الحالات التي برهنت وأثبتت حدوث بعض عمليات التزوير أحياناً، غير أنه ليست هنالك مؤشرات على أن هذه كانت هي الطريقة العامة التي تطورت فيها الأسانيد بشكل نظامي ومنهجي. ثانياً، إن افتراض التزوير يبدو أنه مفبرك جداً ومصنوع جداً وفي الحالة التي تعيننا بشكل خاص، وأقصد حزمة الإسناد الموصوفة في أعلاه؛ وذلك لأنه يفترض أن هناك عدداً كبيراً من الرواة والنقلة وجامعي الروايات أو جماعيتها، ويفترض أنهم قد استعملوا بالضبط الإجراء نفسه من التزوير، على الرغم من أن عدداً من الأساليب الأخرى كانت ممكنة من الناحية النظرية. ثالثاً، وهو الأكثر أهمية، إن دراسة مقارنة لمتون جميع خطوط النقل برمتها^(٦١) تكشف عن أن هنالك صلة حميمة ومحكمة بين المتن والإسناد. ويمكننا تصنيف المتون في مجموعات من النصوص المتشابهة والمتماثلة. وكل مجموعة تختلف عن غيرها بما له علاقة ببعض الخصوصيات. إن هذه الظاهرة لا تقتصر على مركب من الروايات المذكورة في أعلاه، ولكن يمكن ملاحظتها في كثير من الأحاديث^(٦٢).

وهناك ظاهرة مماثلة معروفة جداً من روايات المخطوطة، إذ يمكن تصنيف المخطوطات في الغالب على أنها تنتمي إلى شجرات نسبية مختلفة. وفي حالة روايتنا، فإنه من اللافت للنظر أن المجموعات المختلفة من المتون تتطابق وتتوافق مع مجموعات مختلفة من الأسانيد. وأعدت بصيغة بديلة عن ذلك، فهناك مجموعة متن لإبراهيم بن سعد، وأخرى ليونس... وما إلى ذلك، وتختلف بشكل مميز الواحدة عن الأخرى^(٦٣).

إن العلاقة الوثيقة والحميمة بين المتون والأسانيد تدعم وتساند الافتراض بأن الرابط المشترك هو نتيجة من نتائج عملية النقل الحقيقي. وأن افتراض التزوير يعني أن المزورين لم يكونوا فقط يخلطون أسانيد جديدة، ولكن أيضاً -ووفق ذلك- يغيرون النصوص بشكل منظم جداً. وعلى نحو كاف لا يمكن إنكاره، فإن هذا يمكن تخيله أيضاً، ولكن يبدو أنه بالأحرى من غير المحتمل أن ذلك قد حدث على نطاق واسع^(٦٤). وهكذا، فيبدو أكثر منطقية لأن نفس الرابط المشترك على أنه المصدر المشترك لجميع الروايات المختلفة والموجودة في مصادرنا. وهذا يتركنا مع ابن شهاب الزهري، فهو الشخص الذي عمّم ونشر روايتنا فيما يتعلق بجمع القرآن من أجل أبي بكر. ولما كانت وفاة الزهري في سنة ١٢٤ / ٧٤٢ يمكننا أن نستنتج أن هذه الرواية لابد أن تكون معروفة بالفعل في الربع الأول من القرن الثاني الهجري.

أما بشأن الرواية المتعلقة بالنسخة الرسمية للقرآن التي قد أعدت بأمر من الخليفة الثالث عثمان فيمكن أن تؤرخ بالطريقة نفسها. وبما أنني قد وصفت بالفعل تحليل الإسناد مع المتن^(٦٥) بالتفصيل إلى حدّ ما، فإنني سأكون أكثر إيجازاً الآن. إن هذه الرواية لم تمثل أو تعلن إلاّ قليلاً في المصادر المبكرة موازنة بتلك التي تتعلق بجمع أبي بكر. وبقدرة ما أعلم، فإن الروايات الكاملة قد وجدت فقط في المصادر التي تُوفيّ مؤلفوها المفترضون في القرن الثالث وحتى ما بعد ذلك. وسوف أقصر نفسي على أولئك الذين عاشوا قبل سنة ٣١٦ / ٩٢٩. فأبو عبيد في كتابه: «الفضائل» عنده ثلاثة خطوط نقل، وعند ابن شبة في كتابه: «تاريخ المدينة» خمسة خطوط نقل، وعند البخاري في: «الجامع» ثلاثة خطوط نقل، وعند الترمذي في كتابه: «الجامع» والنسائي في كتابه: «السنن الكبرى» كل واحد منهما عنده خط نقل واحد، ولأبي يعلى في كتابه: «المسند» خطّ نقل، وعند الطبري في كتابه: «الجامع» ثلاثة خطوط نقل، ولابن أبي داود في كتابه: «المصاحف» أربعة خطوط نقل^(٦٦). وجميع هذه المصادر الثمانية تحتوي على اثنين وعشرين خط نقل

منها ستة عشر خط نقل تتوافر فيها متون (ينظر الرسم البياني التخطيطي رقم ٣). وجميع الأسانيد تتقاطع في اسم ابن شهاب الزهري. وعلى المستوى المشار إليه آنفا نجد أربعة رواة. ثلاثة منهم يمثلون روابط مشتركة جزئية: إبراهيم بن سعد بمقتضى تسعة رواة منه، ويونس بمقتضى ثلاثة رواة (ربما أربعة)، وعمارة بن غزية بمقتضى راويتين. وإن وضعية ابن شهاب بوصفه رابطاً مشتركاً في حزمة الإسناد مثبتة على نحو سليم منطقياً وهو أيضاً معزز وموثق بموازنة للمتون المختلفة التي يمكن تصنيفها إلى مجموعات تتوافق وتنسجم مع فروع الأسناد^(٦٧). ويمكننا أن نستنتج أن الرواية المتعلقة بالنسخة الرسمية للقرآن ترجع إلى ابن شهاب الزهري. وإن نتيجة تحليل الأسناد مع المتن هي الآتي: الروايتان اللتان تخبران عن تاريخ المصحف واللذان قد بُنيتا على نطاق واسع في البحث الإسلامي قد جُلبتا للتداول والنشر من قبل ابن شهاب، ويمكن أن يرجع تاريخهما إلى الربع الأول من القرن الثاني الهجري^(٦٨). وهكذا فتاريخ وفاة الزهري- إذن- هو النقطة النهائية للبحث terminus post quem.

هل هذه هي الكلمة الأخيرة في مسألة الأرخنة؟ الجواب عن هذا السؤال يعتمد على التفسير المقدم للرباط المشترك في حزمة الإسناد. فهذه المسألة محل جدل كثير. إذ إن شاخت وجوينبول وآخرين يزعمون أن الرباط المشترك المقصود به مختلق الرواية أو صانعها أو منشأ الرواية المعنية^(٦٩). وأنه سيكون أكثر دقة إن أعدنا صياغة هذا القول الحقيقي بوصفه مبدأ من مبادئ المنهجية: فليس هنالك من وسيلة للتأكد من ذلك أن الخط المفرد من الإسناد الذي يعود ويصل من الرباط المشترك للرواة والثقة الأوائل هو موثوق تاريخياً. فإذا قبلنا بهذا بوصفه منطلقاً محددًا، عندئذ ستكون احتمالاتنا في التاريخية أو الأرخنة مضنية ومستنفدة. ومع ذلك، فإن هذه الاستنتاجات لا تبدو أنها مجبرة ومفروضة جبراً بالنسبة لي. وكما جادلت وحاججت في مكان آخر، فإن الروابط المشتركة التي تنتمي وترجع إلى جيل الزهري والجيل الذي يعقبه عندئذ ليس

بالضرورة أن تعدّ كأنها منشئة للروايات، ولكن يمكن عدّها كأنها أول جمع منتظم ومنظم للروايات من الذين نقلوا ورووا هذه الروايات إلى الصفوف المنتظمة من الطلبة بعيداً عن تطور نظام التعليم المؤسسي^(٧٠). ولذلك، علينا أن نسأل: من أين أتت تلك المعلومات التي وردت في الرواية تلك التي انتشرت بواسطة الرابط المشترك؟ ليس هنالك من سبب في أن نرفض بداهة *a priori* الادعاء بأن الرابط المشترك قد تلقى الرواية أو المعلومات التي استندت أساساً إلى الشخص الذي صرح باسمه. ومن أجل أن نرفض هذا الادعاء، ينبغي أن يكون لدينا مؤشرات محددة ومتناسكة أنه في جميع الحالات هناك احتمال قوي لكنه ليس حقيقياً، فعلى سبيل المثال: إن أعمار الرابط المشترك وروايته المزعومة هي ليست متوافقة مع مثل هذا الادعاء، وما إلى ذلك. وقد نتساءل أيضاً فيما إذا كان متن الرواية التي نحن بصددّها أو الروايات المماثلة يتضمن تلميحات عن الدوافع المحتملة للتلفيق والتزوير. إن هذا البحث ليس هو المكان المناسب لأن ننشغل وننهمك في مناقشة تفاصيل الروايات التي نشرها الزهري بخصوص جمع القرآن أو جمع النسخة الرسمية من القرآن والتفكير ملياً في مدى مقبوليتها، ناهيك عن مدى موثوقيتها التاريخية. ومهما يكن، فهناك الحجج التي تبدي موقفاً وتحدث بالضد من افتراض أن يكون الزهري قد اختلقها واخترعها برمتها. يضاف إلى ذلك، أنه ليس هنالك أسس للافتراض بأنه -أي الزهري- لم يكن قد تلقى تلك المعلومات عن الجمع الأول من عبيد بن السبّاك التابعي غير المعروف كثيراً (حتى إن تاريخ وفاته غير معروف)، وما هي الروايات التي أدلى بها عن جمع النسخة الرسمية للقرآن التي قد جاءت من الصحابي المعروف أنس بن مالك (المتوفى بين سنتي ٩١ / ٧٠٩ و ٩٣ / ٧١١). إن هذا الاستنتاج مدعوم ومؤيد بروايات أخرى للزهري تتعلق بجمع القرآن، وهي عبارة عن روايات إضافية أو روايات مغايرة ومختلفة لرواياته الرئيسة التي قيل إنها قد اقتبست وأخذت من رواة الآخرين، نظير خارجة بن زيد، وعبيد الله بن عبد



الله بن عتبة، وسالم بن عبد الله بن عمر. وهكذا، فشيئاً ما يمكن أن نقوله بالنسبة إلى الفكرة، علينا أن نذكر هاهنا أن المستشرق لم ينتبه إلى السلسلة السندية المعتادة التي يكرر ذكرها الزهري والتي اصطلحت عليها في كتابي الموسوم بـ: «نقد الرواية التاريخية: عصر الرسالة أنموذجاً»، الطبعة الأولى، بيروت - ٢٠١١، الفصل الثالث: الرواية الزبيرية أنموذجاً، ص ١٠٣ - ٢٤٨. بالرواية الزبيرية؛ فابن شهاب الزهري تلميذ حميم لعروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٤ هجرية، وهو بشكل دائم يأخذ منه رواية السيرة النبوية المطهرة الموجهة من قبل عائشة ومعاوية الذي كان عروة والزهري على اتصال وثيق به وبالبلط الأموي منذ عهد معاوية إلى عبد الملك بن مروان ثم -بالنسبة إلى الزهري- إلى زمن عبد العزيز بن مروان والي مصر الذي طلب منه -أي الزهري- أن يدوّن ويجمع له الرواية الحديثة للسيرة النبوية المطهرة؛ ثم خدم الزهري عمر بن عبد العزيز بعد ذلك. فرواية الزهري هي في حقيقتها منبثقة من هذه السلسلة السندية التي كانت رواية خالة عروة بن الزبير عائشة زوج النبي ﷺ. المترجم: عبد الجبار ناجي ألا وهي أن روايات الزهري قد استندت إلى معلومات قد كان تلقيها من الجيل الأقدم. فإذا ما أخذنا تاريخ وفاة أنس بوصفه مفتاحاً ودليلاً زمنياً، فإن هذه المعلومات لا بدّ أنها ترجع إلى العقود الأخيرة من القرن الأول الهجري. إن هذا القول ينبغي أن لا يفهم منه أنه يعني ادعائي بأن روايات الزهري قد اقتبست حرفياً من رواته، وأن جميع التفاصيل المتعلقة بكلتا الروايتين قد أخذت واقتبست بالضرورة منهم؛ فهذا لا يبدو محتملاً جداً لما لا يحتمل ذلك وقد استقصيته بشكل دقيق في كتابي المذكور آنفاً، فضلاً عن الحقيقة التي بيّنتها رواية ابن عساكر تلك التي تفيد أن معاوية بن أبي سفيان قد ألف في أواخر حكمه لجنة أمنية ثقافية للتداول ولتنسيق العمل بشأن رواية السيرة النبوية المطهرة. المترجم: عبد الجبار ناجي بالنظر إلى طبيعة الطابع الشفاهي للنقل في زمن الزهري^(٧١). ومع ذلك، فيبدو مضمونا وموثوقا الاستنتاج أن الروايات عن جمع القرآن نيابة عن أبي بكر وكذلك عن

جمع النسخة الرسمية للقرآن التي أعدت بأمر من عثمان كانت بالفعل منتشرة ومتداولة في نهاية القرن الإسلامي الأول، وأن الزهري قد تلقى بعضها منها من الأشخاص الذين أشار إليهم في الأسانيد.

ومن الطبيعي أن تكون -أعني تلك الروايات- منتشرة في خلافة عثمان والحقبة الأموية. وهناك جملة من الأخبار التاريخية التي تؤكد ذلك، وتؤكد أيضا أن الأمويين لم يكونوا ميالين ومشجعين لكتابة السيرة النبوية، فيذكر الزبير بن بكار في كتابه «أخبار الموفقيات» أن سليمان بن عبد الملك أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سيرة النبي ﷺ ومغازيه، «فقال أبان: هي عندي... فأمر بنسخها وألقى فيها إلى عشرة من الكتاب. وبعد كتابتها وجد فيها فضائل الأنصار، فأمر بحرقها. وقال: إن وافق أبي فسأستنسخ كتاب أبان» ص ٣٣٢. وقيل: إن أبان بن عثمان قد دَوَّن ما سمع من أخبار السيرة النبوية والمغازي، وسلمها إلى سليمان بن عبد الملك أثناء قيامه بالحج وزيارة المدينة المنورة سنة ٨٢هـ فأتلفها سليمان. وذكر المزني في كتابه «تهذيب الكمال» أن أبان كان أول من حدَّث في السيرة النبوية، ولكن ليس في صورة سردية، وإنما بصيغة أحاديث تتناول سيرة النبي محمد ﷺ وهي أحاديث كان قد جمعها، وكان معتادا على أن يقرأها على طلبته؛ وبحسب قول عمرو بن شعيب بأنه لم ير أعلم بحديث ولا فقه من أبان، وعده يحيى القطان في فقهاء المدينة، وقال العجلي عنه: ثقة من كبار التابعين، وقال عنه محمد بن سعد: مدني تابعي ثقة وله أحاديث». ينظر: تهذيب الكمال (رقم ١٧٣). كذلك يذكر أن خالد القسري عامل العراق قد طلب من ابن شهاب الزهري أن يكتب له مروياته عن السيرة النبوية، فسأل الزهري خالداً قائلاً: أأكتب أو أقول رواية علي بن أبي طالب؟ فأجابه خالد: (كلا، إلا أن تراه في قعر الجحيم). المترجم: عبد الجبار ناجي.

التأريخ هاهنا يختلف بشكل أساسي عن التأريخ الذي عينه كل من ونزبورو وبيرتون لهذه الروايات. فقد زعموا أن هذه الروايات لا يمكن أن تكون قد رويت قبل بداية القرن



الثالث الهجري، وذلك لأنها افترضوا سلفاً - من جهة - أن إقرار القرآن والاعتراف به - اعتماداً على ونزبور - لا يمكن أن يكون قد حدث قبل نهاية القرن الثاني، وأما من الجهة الأخرى فإن تطور نظرية الأصول - بناء على قول بيرتون - لا يمكن أن يؤرخ قبل نهاية القرن الثاني. وعليه، فنظرياتها المتعلقة بأصول الروايات المعنية وتاريخ المنشأ الذي حددها لها، يمكننا - إذن - من صرف النظر عنه واستبعاده.

ولم يخاطر شاولي بأن يقدم تاريخاً للمادة، غير أنه ادعى أن الرواية المتعلقة بجمع أبي بكر كانت قد اختلقت وصنعت في وقت متأخر عن تلك الرواية المتعلقة بالنسخة الرسمية بإشراف عثمان، ويبدو أنه يفترض أن الرواية عن جمع أبي بكر قد نشأت في العصر العباسي. وهذه الافتراضات هي أيضاً وبالمثل يتعذر الدفاع عنها.

الخلاصة: نحن ليس بمقدورنا الإثبات والبرهنة على أن الروايات عن تاريخ القرآن ترجع إلى شهود عيان للأحداث تلك التي زعم أنها قد وقعت. ولا يمكننا أن نكون على يقين من أن هذه الأمور قد حدثت بالفعل بالصورة التي رويت في الروايات. ومع ذلك، فإن الروايات الإسلامية هي مبكرة جداً، وبالتالي فإنها أقرب بكثير لزمن وقوع الأحداث المزعومة مما افترضه البحث الغربي حتى الآن. ومن المسلم به، أن هذه الروايات تتضمن بعض التفاصيل التي يبدو أنها غير قابلة للتصديق وغير محتملة، أو لنعبر عنها بحذر أكثر فنقول: إنها تنتظر التفسير، ولكن وجهات النظر الغربية تدّعي أن نستبدلها بروايات أكثر منطقية وأكثر موثوقية ومصداقية تاريخياً، وهذه الآراء - بصراحة ووضوح - بعيدة عما يقوم به المستشرقون أنفسهم.

هوامش الفصل السادس

* قُدِّمَت المسودة الأولى لهذا البحث في ندوة «الدراسات القرآنية» عشية القرن الواحد والعشرين، التي انعقدت في لندن في تموز سنة ١٩٩٨. وإنني لأشكر جون نواس John Nawas و بري بيرمان Peri Bearman لتصحيحهما الإنجليزية وتعقيباتهما على المسودة الأولى لهذا البحث.

١- ينظر: بحث برتزل O. PRETZL، باللغة الألمانية: مخطوطات القرآن Die Koranhand-schriften؛ كذلك نولدكه: TH. NÖLDEKE في كتابه باللغة الألمانية: تاريخ القرآن، Qoräns، part 3 Geschichte des، لايبزيغ ١٩٣٨، ٢٤٩-٢٧٤؛ ينظر أيضا: A. GROHMANN، مشكلة تأريخانية القرآن المبكر، المنشور في (Der Islam 33(1958)، ٢١٣-٢٣١؛ وكذلك ينظر: A. NEUWIBTH، في بحثه: «القرآن» المنشور في كتاب الفلولوجيا العربية: H. GÄTJE(ed.)، Grundriß der arabischen Philologie، vol.2، فيسبادن ١٩٨٧، ١١٢. ويحتمل أن الأجزاء القرآنية التي وجدت في اليمن في سنة ١٩٧٢ (راجع G.-R. PUIN في بحثه باللغة الإنجليزية الموسوم: «ملاحظات على مخطوطات القرآن المبكرة في صنعاء»، في الكتاب الذي حرره. S. WILD(ed) بعنوان: «القرآن كنص» المطبوع في لندن ١٩٩٦، ١٠٧-١١١) إذ يقدم عينات يمكن أن يرجع تأريخها بدرجة مؤكدة وموثوقة بشكل أكبر.

٢- ينظر: عن مجموعة كتاب روبنسون N. ROBINSON، بالإنجليزية «اكتشاف القرآن» لندن ١٩٩٦ ص ٣٠-٣١.

٣- للحصول على ملخص للإطار القرآني التاريخي ينظر: مايكل كوك M. COOK في كتابه بالإنجليزية، محمد، Oxford 1983، ٦٩-٧٠.

٤- وقد اقترح بعض العلماء أن الآيات الأربع هي إضافات أضيفت فيما بعد، ينظر مثلا على هذا: هيرشفيلد H. HIRSCHFELD، في بحثه في الإنجليزية الموسوم: «New Researches into the Composition and Exegesis of the Quran» أبحاث جديدة عن جمع وتفسير القرآن»، لندن ١٩٠٢، ١٣٩.

٥- كما حاجج ربن A. RIPPIN في بحثه بالإنجليزية، «محمد في القرآن: قراءة الكتاب المقدس في القرن الواحد والعشرين»، المنشور في الكتاب الذي حققه متزكي: (H. Motzkied)، بعنوان «سيرة محمد: مسألة المصادر»، لندن، ٢٠٠٠، ٢٩٨-٣٠٩.

٦- ينظر: ونزبورو Quranic Studies، Oxford 1977، ص ١-٥٢.

٧- ينظر عن تلك العروض من قبل جوينبول G.H.A. JUYNBOLL، في: مجلة الدراسات السامية ٢٤ (١٩٧٩) ص ٢٩٣-٢٩٦؛ و جراهام W.A. GRAHAM، في: مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية 100 (1980)، 137-141؛ A. NEUWIRTH، in: Die Welt des Islams 23-

539-542، (1984) 24.

٨- ينظر الإسهامات في الكتاب الذي حققه بيرج H. Berg باللغة الإنجليزية الموسوم: «إعادة النظر حول أصول الإسلام: جون ونزبورو ودراسة الإسلام المبكر» في منهج ونظرية في دراسة الدين 9/1 "Method & Theory in the Study" (عدد خاص) ١٩٩٧، عن أحكام إيجابية لدراسات ونزبورو.

٩- ينظر: Montgomery Watt في كتابه: محمد في مكة، Muhammad's Mecca Ed- inburgh، ١٩٨٨، ص ١.

١٠- ينظر على مثل هذا النهج متزكي، باللغة الألمانية Die Anfänge der islamischen Jurisprudenz، شتوتغارت ١٩٩١؛ الطبعة الإنجليزية المنقحة: أصول الفقه الإسلامي الفقه المكي قبل المدارس الكلاسيكية، ليدن، ٢٠٠١.

١١- ومن الأمثلة على ذلك ينظر: متزكي H. Motzki بحث بالألمانية:

-Zuhri: die Quellenproblematik -Zuhri: die 'Der Faqh des، in Der Islam 68(1991) P.1-44.

الطبعة الإنجليزية المنقحة: «فقه ابن شهاب الزهري. دراسة في نقد المصدر»، نيميجن ٢٠٠١، 1-55.

idem، 'Quo vadis Hadit-Forschung?'، in: Der Islam 73(1996)، 40-80، 193-231; revised English edition: 'Wither HadithStudies?'، in: E Hardy(ed.)، Traditions of Islam: Understanding، the Hadith، London 2002; idem، 'The Prophet and the Cat: On Dating Malik's Muwatta and Legal-Traditions'، in: Jerusalem Studies in Arabic and Islam 22(1998)، 18-83; and idem، 'The Murder of Ibn A .M 1-Huqayq:

12-On the Origin and Reliability of some Maghazi-Reports'، in: idem(ed.)، The Biography of Muhammad: The Issue of the Sources، Leiden 2000، 170-239.

١٣- ينظر: جولدتسيهر: دراسات محمدية، Halle، Muhammedanische Studien، 1889-90، vol. 2.

١٤- نُشر المجلد ١ في عام ١٩٠٩، والمجلد ٢ في عام ١٩١٩، ولكن كان الانتهاء منه بالفعل في عام ١٩١٤.

١٥- ينظر: TH. NÖLDEKE، "Die Sammlung des Qoräns" Geschichte in:

des Qoräns، الجزء الثاني، لايبزيغ ١٩١٩٢، ١-١٢١.

١٦- قدم ملخصا لحججه في بحثه بالألمانية الموسوم بـ:

‘Betrachtungen über die Koransammlung des Abu Bekr’، in: Festschrift
Eduard Sachau zum siebzigsten Geburtstage, Berlin 1915، 321-325 .

١٧- ينظر: في كتابه

Annali dell’ Islam، Milano 1906-26، vol. 2، 702-715، 738-754; and

.vol.7, Pp. 388- 418

قد أشار كيتاني CAETANI بالفعل إلى هذا التناقض وتوصل إلى استنتاج مفاده أن الرواية عن أول
جمع في عهد أبي بكر هي رواية غير موثوق بها تاريخيا، وقد اختلقت من أجل تبرير جمع عثمان.

١٨- ينظر: شاولي ‘47-62، 11-27، Sammlung’.

١٩- دراسة كازنوف بالغة الفرنسية Mohammed et la fin du monde باريس 1911

ص 162، 103-142.

٢٠- المنشور في مجلة مانشستر المصرية والمجتمع الشرقي ٥ (١٩١٥-١٩١٦)، ٢٥-٤٧.

٢١- ينظر: مينغانا، «نقل القرآن»، ٢٢، ٣٩.

٢٢- م. ن. ص ٤٠.

٢٣- المرجع السابق ص ٤٦. لقد عادت إلى الظهور طريقة فهم مينغانا واستنتاجه بشأن تاريخانية
القرآن مرة أخرى بعد حوالى ستين سنة لاحقا في كتاب (الهاجرية) لمؤلفيه باتريشيا كرونه ومايكل
كوك P. CRONE / M. في كتابهما: (الهاجرية: صنع العالم الإسلامي)، المطبوع في كامبردج ١٩٧٧ و
٣ والفصل الأول. ولكن على أية حال لم يذكر بحث مينغانا.

(24) راجع نبذة عبود N. ABBOTT، The Rise of the North Arabic Script and

its Kur ‘nic envelopment، شيكاغو ١٩٣٩، ٤٧ هـ. جيفري، مواد لتاريخ نص القرآن، ليدن

١٩٣٧، ٤-١٠. مونتجومري وات: مقدمة بيل في القرآن، ادنبره ١٩٧٠، ٤٠-٤٤. Welch ‘Ku-

ran’، in: The Encyclopaedia of Islam، 2nd ed.، Leiden 1954ff.، vol. 5،

40٤f. R. BLACHERE، Introdiiiction au Coran، باريس، ٢٧-٣٤، ٥٢-٦٢.

٢٥- ينظر: ونزبورو «دراسات قرآنية 1977، Oxford، Quranic Studies»؛ جون بيرتون

«جمع القرآن» Quran Collection of، كامبردج ١٩٧٧.

٢٦- ينظر: ونزبورو وبيرتون فصول كتابيها التمهيدية.

٢٧- ونزبورو، دراسات قرآنية، ٤٧.

٢٨- م. ن. ٤٤.



٢٩ م. ن. ويشير ونزبورو على صفحة ٤٣-٥٢ هنا إلى بحث بيرتون الذي نشره قبل عام ١٩٧٧.

٣٠- ينظر: بيرتون Burton، Collection، ١٠٥-٢٤٠ and passim.

٣١- شاولي، «Betrachtungen»، ص ٣٢٤.

٣٢- عن حجج قيمة أخرى ضد آراء شاولي ينظر: جونز A. Jones "القرآن المنشور في

الكتاب الذي حققه ويستون وآخرون، بعنوان: «الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي A.F.L.

٣٣- ينظر مثلاً على ذلك: العروض التي كتبها جونبول JUYNBOLL، وغراهام GRAHAM

ونيويرث Neuwirth .

٣٤- ينظر: بحث متزكي باللغة الألمانية Die Anfänge-؛ وله أيضاً بحث عن فقه الزهري

as idem، 'Der Faqh des-Zuhri'؛ وله أيضاً بحث عن مصنف عبد الرزاق الصنعاني،

a Source of Authentic Ahadith of the FirstCentury A.H.5، in: Journal of

Near Eastern Studies 50(1991)، 1-21; and idem، 'Dating Muslim Tradi-

tions. A Survey'، in: E Hardy(ed.)، Traditions of Islam: Understandingthe

. Hadith، London 2002

٣٥- ينظر: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنّف، مجلدان، بيروت، ١٣٩١ / ١٩٧٢؛ ابن أبي

شيبه: الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار، ١٥ مجلداً، -1966 / 1386-1403 Hyderabad

1983؛ عمر بن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ٤ مجلدات، جدة.

٣٦- ينظر: بحثه بالإنجليزية الموسوم بـ: «بعض طرق تحليل الإسناد موضحة على أساس عدد من الأقوال

في التقليل من قدر المرأة في أدب الحديث»، المنشور في مجلة القنطرة عدد ١٠ (١٩٨٩) ٣٤٣-٣٨٤.

٣٧- ينظر: جوينبول G.H.A. JUYNBOLL، في بحثه بالإنجليزية الموسوم بـ: «المجتمع

الإسلامي الأول كما ينعكس في استعمال الإسناد»، المنشور في 151- (1994) 107 Museon: Le

Charakter: 194. G. SCHOBLEB؛ شويلر G. SCHOELER في بحثه باللغة الألمانية الموسوم بـ:

und Authentic der muslimischen berlieferung ber das Leben Moham-

meds، Berlin/New York1996. H. Motzki، 'Quo vadis Hadit-Forschung?';

'idem، 'The Prophet and the Cat

38- H. MOTZKI، 'De tradities over het ontstaan van de korantekst:

verzinsel of waarheid?'، in: M. BUITELAAR/. MOTZKI(eds.)، De koran:

ontstaan، interpretatieenpraktijk9 Muiderberg 1993، 12—29.

٣٩- لبخاري، الجامع الصحيح، بيروت، ١٩٩٢، ٦٦: ٣؛ ٦٥: ٢٠؛ ٩٣: ٣٧.



٣٦٢



٤٠- ينظر: نولدكه، TH. NÖLDEKE، Geschichte des Qoräns، Göttingen 1860،

190.

٤١- ابن حنبل، مسند، بيروت ١٩٩٣، المجلد. ١، ص ١٠ (رقم ٥٨)، ص ١٣ (رقم ٧٧). مجلد ٥ ص ١٨٨-١٨٩ (رقم ٢١٧٠٠).

٤٢- لطياشي؛ مسند، حيدر آباد ١٣٢١، ص ٣.

٤٣- أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. ١٥٢-١٥٦.

٤٤- عبد الرزاق الصنعاني؛ تفسير القرآن العزيز، مجلد ١، بيروت، ١٤١١ / ١٩٩١، ٥٧-٥٨. والطبعة لم تستنسخ النص من المخطوطة (القاهرة، دار الكتب، رقم ٢٤٢ تفسير)، وفيها تكون الورقة المعنية غير قابلة للقراءة تقريباً، مع ذلك، كليا صحيحة، ولكن تقدم الطبعة نص موسى بن إسماعيل (راجع البخاري، جامع، ٦٦: ٣)، في حين إن المخطوطة فيها رواية محمد بن عبيد الله أبي ثابت. (ينظر: المصدر نفسه ٣٧: ٩٣). والرواية الصحيحة قد استنسخت في الطبعة الجديدة من قبل محمود محمد عبده (بيروت، ١٩٩٩)، المجلد. ١، ٢٤٩. وفي طبعة مصطفى مسلم محمد، المطبوعة في الرياض عام ١٩٨٩، التي استعملت أيضا هذه المخطوطة، فإن النص للرواية الأولى مبتور وغير موجود.

٤٥- ينظر: عبد الله بن وهب؛ الجامع؛

.Die Koranwissenschaften، Wiesbaden 1992، 13-18

٤٦- المخطوطة التي استندت إليها طبعة مسند الطياشي من الواضح أنها كانت على نقل سيء للمصنف؛ ابن أبي داود نقل نسخة الرواية كاملة من الطياشي في كتابه: «المصاحف»، ليدن ١٩٣٧، ٦-٧؛ ينظر أيضا: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، بيروت، ١٩٨٩، مجلد ٩، ص ١٧.

٤٧- البخاري: جامع، ٦٦: ٣.

٤٨- البخاري: جامع، ٦٦: ٢. ٦١: ٣؛ ابن حنبل: المسند، مجلد ١ (أرقام ٣٩٩، ٤٩٩)؛ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، مجلد ١١، ص ٢، ليدن ١٩٠٥-١٧ ص ١٠٥.

٤٩- ابن شبة: تاريخ، جزء ٤، ص ٩٩٢.

٥٠- إن تأليف رسالة الكندي وتاريخها هو موضوع خلاف لمدة طويلة. على الرغم من أنها قدمت كأنها مكتوبة من قبل مسؤول كبير مسيحي في بلاط المأمون، الأمر الذي حث جورج موير بشكل مركب مع بعض الأحداث التاريخية المذكورة في النص لأن تؤرخ في سنة ٢١٥ / ٨٣٠، ومع ذلك، فإن بعض تفاصيل محتوياتها قد استعملت من قبل لويس ماسنيون L. Massignon وكرأوس P. Kraus ليؤرخاها إلى قرن متأخر تقريبا. ينظر: G. TROUPEAU في مقالته «الكندي» و «عبد المسيح» في دائرة المعارف الإسلامية، (طبعة جديدة).



٥١- ينظر: ن. كالدر N. CALDER، دراسته في اللغة الإنجليزية الموسومة بـ: «دراسات في الفقه الإسلامي» "Studies in Early Muslim Jurisprudence"، أكسفورد، ١٩٩٣.

٥٢- على سبيل المثال: متزكي MOTZKI، بحثه بالإنجليزية: «النبي والقطة The Prophet and the Cat»، م. موراني M. MURANYI، بحثه باللغة الألمانية: «Die frühe Rechtsliteratur zwischen Quellenanalyse Rechtsliteratur Quellenanalyse und Fiktion»، in: Islamic Law and Society 4, 1997: 224-241.

٥٣- في هذه البحث، سأقصر المناقشة على الروايات المهيمنة، أي الأكثر انتشارًا والأكثر مقبولة، تلك الروايات عن المسائل المعنية. أما الروايات الأخرى التي تختلف في البنية والتفاصيل فينبغي أن تدرس بالطريقة نفسها.

٥٤- ينظر: الهامش من ٤١-٤٥. ٤١١. توفي موسى بن عقبة في سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨، وكتاب المغازي هو الكتاب المعروف من الأجزاء المذكورة في المصادر اللاحقة (والمجموعة المفيدة لهذه الأجزاء قد نشرت من قبل محمد باقشيش أبي مالك، المغازي لموسى بن عقبة؛ أغادير ١٩٩٤). ورواية موسى عن جمع أبي بكر كما هي محفوظة في كتاب ابن حجر «الفتح»، المجلد ٩، ١٩ ليست سوى مختصر. وقد حذفت جامع ابن وهب؛ وذلك لأن القطع التي فيه أما أن تكون من دون إسناد وإما أن واحدة منها تنتمي إلى أجزاء أخرى من رواية موحدة ومشتركة.

٥٥- إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري المدني، المتوفى في سنة ١٨٣/ ٧٩٩ أو ١٨٤/ ٨٠٠، الذهبي؛ تذكرة الحفاظ، مجلد ١، حيدر آباد، ١٩٥٥، ٢٥٢.

٥٦- يونس بن يزيد الأيلي، المتوفى في سنة ١٥٢/ ٧٦٩ أو ١٥٩/ ٧٧٦، القرشي صاحب الزهري ومولى معاوية بن أبي سفيان، وهو من كبار التابعين ومحدث من الثقات عاش في أيلة بالأردن. المترجم: عبد الجبار ناجي. ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ، المجلد ١، ص ١٦٢؛ ابن حبان: كتاب الثقات، حيدر آباد ١٩٨١، الجزء ٧، ص ٦٤٨-٦٤٩.

٥٧- ينظر: ابن أبي داود، المصاحف، ٦-٨، ٢٠، ٢٣. الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، المجلد ١، القاهرة ١٩٥٤، ٥٩-٦٢؛ أبو يعلى، مسند، دمشق وبيروت، ١٩٨٤، المجلد ١، رقم: ٦٣-٦٥، ٧١، ٩١؛ النسائي: السنن الكبرى، vol. 5، 7-8، Beirut 1991، ٩، ٧٨؛ الترمذي: الجامع الصحيح الجزء 5، vol. 5، القاهرة، ١٠: ٤٨.

٥٨- هناك استثناء واحد هي رواية موسى بن عقبة التي لوحدها فقط ذكرت ابن شهاب راوية ولكن من دون مزيد من الإسناد؛ والمثال الثاني هو رواية عمارة بن غزية التي سأعالجها في الأسفل (ينظر: هامش ٦٣).

٥٩- إن هذه الأنواع المحتملة من التزوير قد أثرت وقدمت من مايكل كوك COOK ضد

استعمال الرابط المشترك لأغراض التأريخية. راجع دراسته: عقيد الإسلام المبكرة، كامبريدج ١٩٨١، ١٠٩-١١١.

٦٠- وقد استعمل جوينبول هذه الافتراضات محاولة منه لشرح حدوثها مجموعة من الخيوط المفردة في حزمة الإسناد. راجع بحثه: «نافع مولى ابن عمر وموضعه في أدب الحديث الإسلامي»، المنشور في مجلة: دير الإسلام (1993) 70 Der Islam، ٢٠٧-٢٤٤.

٦١- وعدد المتون هو عشرون؛ وخطوط النقل الباقية هي إما متصلة مع متن إسناد آخر وإما غير منضمة إلى متن على الإطلاق، ولكن في بعض الأحيان بملاحظات على أوجه التشابه أو الاختلافات مع روايات أخرى. وبسبب عدم وجود مكان ومجال، فليس من الممكن تقديم تحليل مفصل للمتون المتغيرة في هذا البحث؛ وسوف أعالجها في منشور منفصل.

٦٢- يراجع متزكي MOTZK باللغة الهولندية: Quo vadis Hadit-Forschung! ؟، ودراساته الأخرى «النبي والقطة» The Prophet and the cat، وبحثه الموسوم: القتل العمد.

٦٣- ويكشف تحليل المتن زائدا الإسناد أن الروايات قد نقلت من إبراهيم بن سعد، يونس، شعيب بن أبي حمزة الحمصي المتوفى في سنة ١٦٢ / ٧٧٩ أو في سنة ١٦٣ / ٧٨٠ وإبراهيم بن إسماعيل بن جامع بن يزيد المدني فهي جميعها متشابهة في هيكلتها وبنيتها. أما الروايات التي ترجع إلى عمارة بن غزية المازني المتوفى في سنة ١٤٠ / ٧٥٧، على العكس، فإنها تختلف بشكل كبير عن الروايات الأخرى، ليس فقط في المتن ولكن أيضا في الإسناد، إذ يقدم فيها خارجة بن زيد بن ثابت، بكونه راوية الزهري بدلا من ابن السبّاك. ويظهر فحص دقيق لرواية عمارة أنها تأليف جديد أعدت على أساس رواية الزهري، غير أنه انحرف عنه في عدد من الفقرات. والانحراف في الإسناد قد اعتمد فيه على روايتين أخريين للزهري، تلكما اللتان تعلقان بجمع القرآن. وأن رواية عمارة ليست رواية الزهري الموثوقة، وقد لاحظ ذلك الخطيب، وبعده ابن حجر. (راجع الطبري، جامع، المجلد ١، ٦١، وهي ملاحظة المحرر).

٦٤- لقد أعطيت السبب في أنه لماذا يبدو من غير المحتمل في بعض التفاصيل في كتابي: «النبي والقطة»، هامش ٤٤.

٦٥- إن الفرق بين تحليل الإسناد Iu المتن، والمتن Iu الإسناد هو أن الأول يعني في الأساس تحليل الإسناد التحليل الذي يسيطر عليها بواسطة المتون، في حين إن هذا الأخير هو في المقام الأول تحليل المتن مضموما إليه نتائج تحليل الإسناد.

٦٦- أبو عبيد: فضائل، ص ١٥٣-١٥٦. وفي الرواية الموجودة على صفحة ١٥٦ رقم، ١٠، فإن الطبعة التي استندت إلى المخطوطة المحفوظة في دمشق، تقدم الاسم على أنه معمر بدلا من يونس بوصفه راوية لليث. وهذا من المحتمل أن يكون خطأ؛ وذلك لأن المخطوطتين للفضائل المحفوظة في توبنغن وبرلين يوجد الاسم يونس، مثل نقل البخاري من الليث. ابن شبة: تاريخ المدينة، الجزء ٤،

ص ٩٩١-٩٩٣، ١٠٠٢؛ البخاري: جامع، ص ٦١؛ ٣: ٦٦؛ ٢: ٦٦؛ ٣: الترمذي: جامع، الجزء ٥، ١٠: ٤٨؛ النسائي: السنن الكبرى، المجلد ٥ والمجلد ٦، ٤٣٠؛ أبو يعلى: المسند رقم ٦٣، ٩١؛ الطبري: جامع، الجزء ١، ص ٥٩-٦٢؛ ابن أبي داود، المصاحف، ص ١٨-٢١.

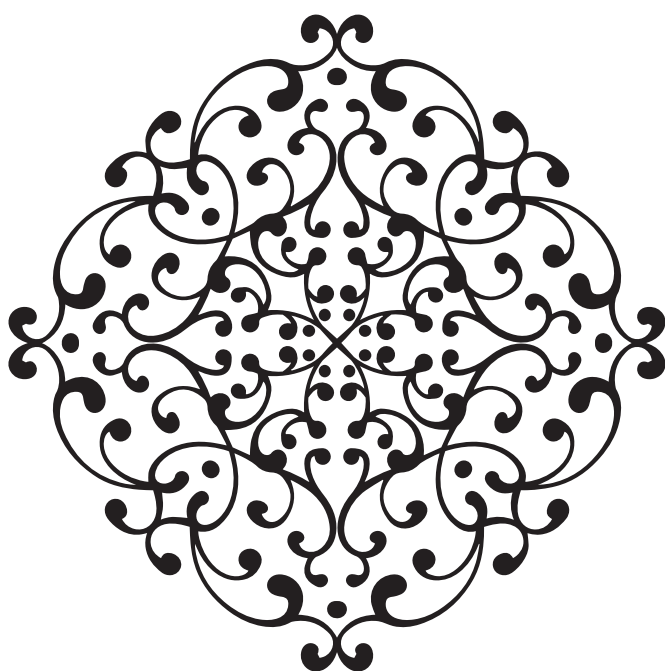
٦٧-رواية عمارة بن غزية تظهر مرة أخرى كثيرا من الاختلافات في المتن وتنحرف عن الروايات الأخرى أيضا في الإسناد. ينظر: هامش ٦٣.

٦٨-إن كلتا الروايتين اللتين ترجعان إلى الزهري لم تكن مستوحاة فقط من الحقيقة أن كليهما لهما أكثر من رابط مشترك جزئي واحد، ولكن أيضًا للحقيقة أن كليهما قد تم نقلهما من قبل تلامذة الزهري أنفسهم، وليس فقط من الرواية المؤثر كثيرا إبراهيم بن سعد، ولكن أيضا من قبل يونس، وشعيب وحتى من قبل الرواية غير الثقة عمارة بن غزية.

٦٩-ينظر: شاخت: أصول الفقه الإسلامي، The Origins of Muhammadan Juris-prudence، أكسفورد ١٩٥٠، ص ١٧١-١٧٢؛ جوينبول، في بحثه: بعض الأساليب والطرق التحليلية 'Somelsnäd-Analytical Methods'، ٣٥٩، ٣٦٩.

٧٠-ينظر: متزكي Motzki في بحثه باللاتينية: «إلى أي حد نذهب في البحث الحديثي، 'Quo vadis Hadlth-Forschung؟'»، ٤٥. ربما كان هناك أحداث سابقة مماثلة للفرضية بالفعل في الجليل الذي سبق الزهري، وهي تمت «بعض الروابط المشتركة بين التابعين الأوائل. وينظر للمزيد من الحجاج المتعلقة بالرباط المشترك؛ وينظر أيضا دراسته بالإنجليزية الموسومة: H. Motzki، "تأريخية الروايات الإسلامية» الفصل الثالث.

٧١- وعن خصائص النقل في زمنه ينظر: متزكي، بحثه باللغة الألمانية عن فقه الزهري: "Der Fiqh des Zuhri"





في البدء علينا في خاتمة هذا الكتاب أن نعتد آيات الذكر الحكيم في تتبع العلاقة الربانية والروحانية بين الدين الإسلامي والأديان التوحيدية الأخرى، وأقصد اليهودية والمسيحية، ومتابعة شخصية رسول الله ﷺ وحياته وبعثته بما له علاقة بمواقف اليهود وتفسيراتهم على وجه الخصوص في المدينة المنورة، وبموازاتها مع تفسيرات المستشرقين اليهود من الجيل الأول والمعاصرين؛ لأن القرآن الكريم يبين بجلاء هذه الأمور المهمة التي انطوت عليها فلسفة هذا الكتاب، والقرآن الكريم هو التراث الإلهي المبين، وهو المصدر الرباني الذي يذكر لنا في آيات كثيرة تلکم المسائل بطبيعتها المعاصرة للأحداث. فالآية المباركة ٤٠ من سورة الأحزاب: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ تعلن بصراحة ووضوح الخاتمية الرسالية، خاتمية رسول الرحمة ﷺ، وخاتمية الأديان التوحيدية. وهذا ما أعلنته الآية القرآنية الكريمة ٦ من سورة الصف المباركة: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، فالنبي عيسى ابن مريم يعلن مبشرا ببشارة أن هناك رسولا سيأتي ليكون خاتم النبيين ألا وهو رسول الله محمد الأحمَد ﷺ. وكان اليهود كذلك يعلمون -بحسب التوراة قبل أن يحرفوها- أن خاتم الأنبياء سيكون رسول الله ﷺ غير أنهم أرادوا أن يكون خاتم الأنبياء من بينهم، فغيروا ما جاء عن ذلك وحرفوه وأعلنوا العداوة والبغضاء منذ أول يوم عرفوا به إطلالة انطلاق الدين الإسلامي من مكة المكرمة وأن محمدا ﷺ هو النبي العربي المرسل من الله تعالى إلى العالم. والله سبحانه وتعالى قد بيّن هذه الحقائق بجلاء في آيات الذكر الحكيم فقال عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الآية ٩ من سورة الصف المباركة).

فالقرآن الكريم يسلط أضواءً جليةً على واقعية الروابط المتينة بين الديانات التي أنزلها الله عزّ وعلا فقال: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦ - ١٥٨)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ٨١ - ٨٢).

والآيات البينات الآتي ذكرها تعدّ من الآيات الكريمة التي تؤكد حالة الرفض والبغضاء من جانب اليهود بالدرجة الأساس لرسول الله ﷺ وعدم الوفاء بالعهود والمواثيق المبرمة بين النبي ﷺ واليهود والنصارى، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠)، ويقول تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة: ١٠٥)، وفي السورة المباركة نفسها يقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠١)، وقوله عزّ من قائل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (آل

عمران: ٧٠)، وفي السورة نفسها في الآية ٧١ يقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. ثم يقول في السورة نفسها في الآيتين الكريمتين ٦٥، ٦٦: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

واليهود الباحثون منهم وغير الباحثين قد شخصوا عددا من الأسباب التي أدت إلى فقدان النسخ والأسانيد الأصلية لكتبهم المقدسة، ومن بين أهمها حوادث الاضطهاد والنكبات التي نزلت بهم خلال تاريخهم الطويل. ومن تلك الحوادث الغزو الآشوري في سنة (٧٢٢) ق. م، ثم الغزو البابلي الشهير في سنة (٥٨٦) ق. م، وهو الغزو الذي كان من نتائجه تدمير الهيكل وأخذ بني إسرائيل سبائا إلى بابل، كذلك يرجع الأمر إلى الاضطهاد اليوناني ومن بعده الاضطهاد الروماني الذي استمر لقرون عدة، وكان من نتائجه الرئيسة إحراق أسفارهم وإتلافها ومنع قراءتها وقتل أبحارهم وعلمائهم. وفوق هذا وذاك فإن في سفر القضاة تصريحا آخر لفقدان كتبهم المقدسة -ومن بينها التوراة- ألا وهو كفرهم بالله عزَّ وجلَّ، وإهمالهم التوراة وغيرها من كتبهم، فجاء في سفر القضاة الثاني ٢ / ١١ - ١٥ ما نصّه: (وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها وأغاظوا الرب، وتركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت، فحمي الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبهم وباعوهم بيد أعدائهم، ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم، حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر، كما تكلم الرب وكما أقسم الرب لهم) وسفر القضاة هو سابع أسفار التناخ الكتاب المقدس في الديانة اليهودية والعهد القديم في المسيحية؛ ولا يوجد خلاف على قدسيته لدى مختلف طوائف الديانتين باستثناء الصدوقيين إحدى الطوائف



اليهودية القديمة التي رفضت جميع أسفار التناخ عدا أسفار موسى الخمسة الأولى المعروفة باسم التوراة. ظهرت تسمية سفر القضاة للمرة الأولى في الترجمة السبعونية للكتاب المقدس، التي تمت على أيدي لاهوتيين يهود في الإسكندرية خلال القرن الثاني قبل الميلاد، وأصل التسمية تعود لمفردة قاضي، فبعد وفاة يشوع لم يعد الأنبياء يقودون الشعب بل كان القضاة هم الذين يتزعمون الشعوب، وإن جمع بعضهم بين الصفتين. والملاحظ أن المدة التاريخية لهذا السفر تختلف في شأنها أيضًا لكنها طويلة بين ٣٠٠ عام إلى ٤٢٠ عامًا، وبالتالي يعدّ السفر من أطول الأسفار بحسب المدة الزمنية التي تتناولها بعد سفر التكوين. عبد الجبار ناجي من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

فالأنجيل المسيحية وكتب اليهود المقدسة التوراة وغيرها أشارت إلى بشاراة ظهور رسول الله ﷺ، كما أشارت بعض أناجيل النصارى إلى المعزي رسول الله ﷺ، وبحسب الآتي ذكره: فجاء في إنجيل يوحنا إصحاح ١٥ / ٢٦ و ٢٧: «٢٦. وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزِي الَّذِي سَأَرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْأَبِ يَنْبَنُّ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي ٢٧. وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لَأَنَّكُمْ مَعِيَ مِنَ الْبَدْءِ». وفي إصحاح ١٦ / ٧ - ٨: «لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعْزِي، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أَرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. ٨ - وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يَبْكُتِ الْعَالَمُ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دِينُونَةٍ».

وتصف التوراة المشهد قبل إعطاء الألواح للنبي موسى عليه السلام بما يأتي: «وَحَدَّثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ لَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ أَنَّهُ صَارَتْ رُعُودٌ وَبُرُوقٌ وَسَحَابٌ ثَقِيلٌ عَلَى الْجَبَلِ، وَصَوْتُ بُوقٍ شَدِيدٌ جَدًّا. فَارْتَعَدَ كُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي فِي الْمَحَلَّةِ... وَكَانَ جَبَلُ سَيْنَاءَ كُلُّهُ يَدْخُنُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيْهِ بِالنَّارِ، وَصَعِدَ دُخَانُهُ كَدُخَانِ الْآتُونِ، وَارْتَجَفَ كُلُّ الْجَبَلِ جَدًّا». (سفر الخروج ١٩: ١٦ - ١٨). وامتلاّت قلوب الناس بالخوف. تصفهم التوراة بهذه الطريقة: «وَكَانَ جَمِيعُ الشَّعْبِ يَرَوْنَ الرُّعُودَ وَالْبُرُوقَ وَصَوْتَ الْبُوقِ، وَالْجَبَلُ يَدْخُنُ. وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ ارْتَعَدُوا وَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ»، وَقَالُوا لِمُوسَى: «تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَعُ. وَلَا

يَتَكَلَّمُ مَعَنَا اللَّهُ لئَلَّا نَمُوتَ». (سفر الخروج ٢٠: ١٨-١٩)، حدث هذا في بداية السنوات الأربعين التي قضاها موسى ﷺ في قيادة جماعته. في النهاية، كلم الله النبي موسى ﷺ عن تلك الحالة السابقة، مذكراً الشعب بمخاوفه الماضية وقاطعاً وعداً للمستقبل. دَوَّنَ موسى ﷺ في التوراة: يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ. حَسَبَ كُلِّ مَا طَلَبْتَ مِنَ الرَّبِّ إِلَهِكَ فِي حُورِيبَ (أَي سِيناء) يَوْمَ الْاجْتِمَاعِ قَائِلًا: لَا أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهِي وَلَا أَرَى هَذِهِ النَّارَ الْعَظِيمَةَ أَيْضًا لئَلَّا أَمُوتَ قَالَ لِي الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنْتَ فِي مَا تَكَلَّمْتُمَا. أَقِيمْ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلْ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيَكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أَطَالِبُهُ. وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلَامًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمُ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ إِلَهٍ أُخَرَى، فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَّبِيُّ. وَإِنْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ الْكَلَامَ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ؟ ٢٢- فَمَا تَكَلَّمْ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَصِرْ، فَهُوَ الْكَلَامُ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ، بَلْ بِطُغْيَانٍ تَكَلَّمْ بِهِ النَّبِيُّ، فَلَا تَخَفْ مِنْهُ. (ينظر: سفر الشثية ١٨: ١٥-٢٢).

لقد أراد الله أن يُبدي للشعب الاحترام اللائق، وبالتالي، عندما أعطى الوصايا على الألواح، فعل ذلك بطريقة تسببت بخوفٍ عظيم بين الشعب. ولكنه الآن يتطلع إلى المستقبل وإلى وعودٍ بزم من آتٍ سيبرز فيه نبيٌ مثل النبي موسى ﷺ من بين بني إسرائيل. ثم أعطى الله مبدئين توجيهيين:

- ١- إِنَّ اللَّهَ نَفْسَهُ سَيَحْمِلُ الْأَشْخَاصَ الْمَسْئُولِيَّةَ إِذَا لَمْ يُولُوا النَّبِيَّ الْقَادِمَ اهْتِمَامَهُمْ.
- ٢- إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى الْحُكْمِ عَلَى مَا إِذَا كَانَ اللَّهُ هُوَ مَنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ خِلَالِ النَّبِيِّ أَمْ لَا، هُوَ أَنْ تَكُونَ الرِّسَالَةُ قَادِرَةً عَلَى التَّنْبُؤِ بِالْمُسْتَقْبَلِ، وَيَجِبُ أَنْ تَتَحَقَّقَ هَذِهِ النُّبُوءَةُ. ولقد جمع النبي موسى ﷺ بني إسرائيل قبيل وفاته وألقى عليهم آخر وصاياه، وقد جاء في بعضها العبارة الآتية: (جاء الرب من سيناء وأشرق عليهم من سحير وتلألاً من

جبال فاران، حيث خرج وسط عشرة آلاف قديس تشع لهم من يمينه أنوار الشريعة إنه يحب أيضاً جميع الشعوب جميع هؤلاء القديسين هم في يدك وهم جالسون عند قدميك يتلقون أقوالك) (سفر التثنية ٣٣: ٢-٣). ومؤدى هذه البشارة أن الله سيبعث بعد المسيح نبياً آخر بدينٍ وشريعة، وسيكون من جبال فاران أي من مكة فجبال فاران معروفة جداً في متن الكتاب المقدس أنها تشير إلى مكة، وتضيف تلك البشارة خصائص هذا النبي أنه مبعوث بشريعة، وقد اتفقت الكنيسة والشهادات التاريخية ومجموع الأديان على أن المسيح بعث بال تعاليم ولم يبعث بالشريعة، ومعنى هذا أن النبي المبعوث هو خلاف المسيح. فقد جاء في وصف هذا النبي المبشر به في (الإصحاح الثاني والأربعين من كتاب اشعيا) النصوص الآتية:

١- هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روعي عليه وسيخرج الحق للأمم.

٢- لا يصيح، ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته.

٣- قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ، ويعلم الشريعة على الأمم.

٤- لا يكل ولا ينكسر، حتى يضع الحق في الأرض.

لكن اليهود في بلاد العرب عندما كانوا يقاتلون قبيلة من العرب يخوفونهم بقرب مبعث نبي يقاتلونهم معه، فكانوا يقولون: سيبعث نبي آخر الزمان نقتلكم به كما قاتل قوم عاد وإرم، وكانوا يدعون بين يدي قتالهم مع العرب بقولهم: «اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان». فلما ظهر النبي من غير بني إسرائيل كفروا به. وهذه الحقيقة التاريخية هي خير معبر عن تصرف اليهود في المدينة المنورة وبعد ذلك حتى يومنا هذا. لقد أورد الشيخ عبد المجيد الزنداني في كتابه: (بينات الرسول ﷺ ومعجزاته) أن هناك ذكراً لاسم النبي ﷺ، وبحسب قوله: «وجاء في (سفر التكوين من الإصحاح التاسع والأربعين): أن نبي الله يعقوب عليه السلام قال لأبنائه وهو يوصيهم: (لا يزل صوت لجان

من يهود أو مشترع من صلبه حتى يأتي شيلوه هو تطيعه الشعوب)»، ثم أضاف في مقام وصفه قائلاً: (عيناه أشد سواداً من الخمر وأسنانه أشد بياضاً من اللبن)، والمقصود بشيلوه بحسب ما تعطي الكلمة من معنى هو الأمين، وزوال الصولجان معناه زوال الحكم عن ذرية يهوذا إلى ذلك الأمين الذي تطيعه شعوب العالم، والنص واضح في شخص عظيم من قبل الله تعالى، وهو موضوع البشارة والأهم فيه أنه ليس من نسل يهوذا. إذن، هناك نبي غير يسوع المسيح! والذي يدل أيضاً على أن المقصود بشيلوه هو محمد ﷺ وليس المسيح، أنه ورد -كما في النص- أن له الحكم أو الذي له عصا أو صولجان الحكم وهي من صفاته ﷺ والذي بعث بالشرعة وليس بالتعاليم التي بعث بها عيسى عليه السلام، فهو لم يأت بالشرعة بل أبقى على شريعة موسى عليه السلام، وهذا أمر اتفاقي في لسان أرباب الكنيسة من أن يسوع المسيح لم يكن صاحب صولجان. «وأن حِكْمَتَكُمْ فكلو محمد زيه دودي فزیه ربعي». ومعنى هذا: «كلامه أحلى الكلام إنه محمد العظيم هذا حبيبي وهذا خليلي»، فاللفظ العبري يذكر اسم محمد جليلاً واضحاً ويلحقه بـ(يم) التي تستعمل في العبرية للتعظيم. واسم محمد مذكور أيضاً في المعجم المفهرس للتوراة عند بيانه هذا اللفظ المتعلق بالنص السابق «محمد يم». لكن يد التحريف عند اليهود والنصارى تأبى التسليم بأن لفظ «محمد» هو اسم النبي وتصر على أنه صفة للنبي وليس اسماً له». (نقلاً عن كتاب بينات الرسول ﷺ ومعجزاته؛ طبعة أولى المكتبة العصرية للطباعة والنشر للشيخ الزنداني ص ٢٤ - ٢٧).

وقد كان اسم النبي ﷺ موجوداً بجلاء في كتب اليهود والنصارى عبر التاريخ، وكان علماء المسلمين يحاجون الأخبار والرهبان بما هو موجود من ذكر محمد ﷺ في كتبهم. وجاء في مؤسسة «ملة إبراهيم» المصرية مجموعة معلومات لا بد من عرضها على الوفاق الآتي:

ومن ذلك: * جاء في سفر أشعيا: «إني جعلت اسمك محمداً، يا محمد يا قدوس الرب، اسمك موجود من الأبد»، ذكر هذه الفقرة علي بن ربّ الطبري (الذي كان نصرانياً فهده الله للإسلام) في كتابه: الدين والدولة، وقد توفي عام ٢٤٧هـ. * وجاء في سفر أشعيا أيضاً: «سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد»، وجاء في سفر حقوق: «إن الله جاء من التيهان، والقدوس من جبل فاران، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد، وامتألت الأرض من حمده»، ذكره علي بن ربّ الطبري في كتابه الدين والدولة. وذكره إبراهيم خليل أحمد، الذي كان قساً نصرانياً فأسلم في عصرنا ونشر العبارة السابقة في كتاب له عام ١٤٠٩هـ. وجاء في سفر أشعيا أيضاً: «وما أعطيه لا أعطيه لغيره، أحمد يحمد الله حمداً حديثاً، يأتي من أفضل الأرض، فتفرح به البرية وسكانها، ويوحدون الله على كل شرف، ويعظمونه على كل رابية». وأورد «وفي التوراة العبرانية في الإصحاح الثالث من سفر حقوق»: «وامتألت الأرض من تحميد أحمد، ملك يمينه رقاب الأمم».

ما تزال نسخ التوراة باللغة العبرية تحمل اسم (محمد) جلياً واضحاً إلى يومنا هذا. ففي نشيد الأنشاد من التوراة وردت هذه الكلمات: (حِكو مُتَكِيم فِكَلّو محمديم زيه دودي فزيه ريعي) ومعنى هذا: (كلامه أحلى الكلام إنه محمد العظيم هذا حبيبي وهذا خليلي). واسم (محمد) مذكور أيضاً في المعجم المفهرس للتوراة عند بيانه هذا اللفظ المتعلق بالنص السابق «محمديم». لكن يد التحريف عند اليهود والنصارى تأبى التسليم بأن لفظ «محمد» هو اسم النبي وتصر على أنه صفة للنبي وليس اسماً له فيقولون: إن معنى لفظ (محمديم) هو (المتصف بالصفات الحميدة) كما جاء في نسخة «الملك جيمس المعتمدة عند النصارى». ومن ذلك: جاء في سفر أشعيا: (إني جعلت اسمك محمداً، يا محمد يا قدوس الرب، اسمك موجود من الأبد). فجاء في سفر إشعيا ٣: فإنه هو ذا السيد رب الجنود ينزع من أورشليم ومن يهوذا السند والركن، كل سند خبز، وكل سند ماء. 2 الجبار ورجل الحرب. «القاضي والنبي والعراف والشيخ».

غير أنني تعقبت ما ذكره الشيخ الزنداني ومؤسسة «ملة إبراهيم» المصرية فلم أجد أي معلومة من المعلومات التي ذكروها موجودة في أي إصحاح من إصحاحات سفر إشعيا تلکم التي ذكروها، وكذلك لم أجد في سفر حبقوق وفي الإصحاحات الثلاثة منه أي ذكر لما قد أشير إليه؛ ووجدت الآتي:

في سفر اشعيا ١٩: «في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر، وعمود للرب عند تخمها ٢٠ فيكون علامة وشهادة لرب الجنود في أرض مصر. لأنهم يصرخون إلى الرب بسبب المضايقين، فيرسل لهم مخلصا ومحاميا وينقذهم». وجاء الإصحاح الأول سفر حبقوق ٢: «١ الوحي الذي رآه حبقوق النبي ٢ حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع؟ أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلص». كذلك ورد في سفر حبقوق ٣: «١ صلاة لحبقوق النبي على الشجوية ٢ يا رب، قد سمعت خبرك فجزعت. يا رب، عملك في وسط السنين أحياه. في وسط السنين عرف. في الغضب اذكر الرحمة ٣ الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسييحه». وفي ختام هذه الخاتمة فمن المفيد أن نذكر رؤية المستشرقة اليهودية الألمانية الأمريكية سوزانا هيشل Susannah Heschel وهي باحثة أمريكية وأستاذة الدراسات اليهودية المتميزة إيلي إم بلاك في كلية دارتموث. وكان والدها أبراهام جوشوا هيشل حاخامًا أمريكيًا بولندي المولد، وأحد علماء اللاهوت والفلاسفة اليهود البارزين في القرن العشرين، وكان رائدًا في حركة الحقوق المدنية. والأكثر أهمية أن البروفسورة سوزانا هيشل تابعت دراساتها فأسهمت بعدد من الدراسات والمقالات عن المستشرق اليهودي الألماني أبراهام جيغر الذي سبق أن وقفنا على آرائه في فصل من فصول هذا الكتاب. فللمستشرقة اليهودية رؤية معاصرة لما كان يتردد في دراسات المستشرقين اليهود من الجيل الأول ومن المعاصرين قد أوضححتها في كتابها باللغة الألمانية الموسوم بـ: «Jüdischer Islam: Islam und jüdisch-deutsche Selbstbestimmung»



الإسلام اليهودي: الإسلام وتقرير المصير اليهودي الألماني»، الصادر في برلين في مؤسسة Wissenschaftskolleg zu Berlin سنة ٢٠١٩. إذ لخصت رؤاها في مسألة العلاقة بين اليهودية والإسلام قائلة: «لماذا انجذب كثير من العلماء اليهود الأوروبيين إلى دراسة الإسلام؟ منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر إلى ثلاثينيات القرن العشرين، بدأ العلماء اليهود بدراسة القرآن وكتابة البحوث العلمية عن أصول الإسلام وحياة النبي محمد، وحتى بشكل ترجمات منشورة للقرآن إلى الألمانية والفرنسية والعبرية. لقد رسم هؤلاء العلماء - في المقام الأول في ألمانيا والمجر وفرنسا - لوحة عريضة تصف طبيعة الإسلام بتعاطف شديد. في البداية، قدم المستشرقون اليهود الإسلام على أنه مشتق من اليهودية، وكان اليهود في إسبانيا الإسلامية في العصور الوسطى، يتمتعون ليس فقط بالتسامح الديني، ولكن بالازدهار الثقافي والاقتصادي؛ ولذلك كتب المؤرخون اليهود عن «العصر الذهبي» لإسبانيا المسلمة، حيث أدى تبادل الأفكار بين المسلمين واليهود إلى نهضة فكرية واسعة. قارنوا التسامح الديني في الإسلام مع عدم تسامح المسيحية، ووازنوا ازدهار الفكر الديني اليهودي والفلسفة والشعر في ظل الإسلام بالاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوروبا المسيحية في العصور الوسطى. والملاحظ أن عددا لا يحصى من الأعمال الأخرى التي جرت فيها مقارنة التعليقات الحاخامية بالقرآن. وقد سافر اليهود إلى دول إسلامية، وبعضهم اعتنق الإسلام، وترك كثيرون آثارا مهمة في البحث والثقافة الإسلامية. في عشرينيات القرن الماضي وثلاثينياته، سيطر اليهود على الدراسات الإسلامية في الجامعات الألمانية وتغلغلت فيهم حالة من الخيال الإسلامي». ثم قالت: «لقد درست مشاركة العلماء اليهود في إنشاء مجال الدراسات الإسلامية في أوروبا في القرن التاسع عشر الطويل، وأصف أيضا استعمال الإسلام بوصفه نموذجا تحدد - عن طريقه - جوانب من اليهودية الحديثة للمسيحي. أصبحت دراسات العقلانية والطبيعة الأخلاقية للتقاليد الشرعية للإسلام، وتوحيده، ورفضه للتجسيم

بدائل للدفاع عن التقاليد الشرعية واللاهوتية لليهودية. شكلت الدراسات اليهودية عن الأصول الإسلامية والروايات المقروءة على نطاق واسع للمسافرين اليهود إلى البلدان الإسلامية، ولا سيما في بريطانيا العظمى، الصور الأوروبية للمسلمين وكذلك لليهود. لقد أدى الإعجاب اليهودي بالإسلام في نهاية المطاف ببعض اليهود إلى اعتناق الإسلام». ثم تقول: «كانت صورة الإسلام التي أنشأها العلماء وعلماء الدين اليهود في العصر الحديث صورة الإسلام بكونه قد حافظ على التوحيد، ورفض التجسيم». ثم قالت: «كان الاستشراق الأوروبي ظاهرة معقدة. اليهود، الذين كانوا يُنظر إليهم على أنهم شريكون في أوروبا، تحالفوا بين اليهودية والإسلام جزئيًا من أجل نزع الطابع الشرقي عن تلك الصورة عن أنفسهم: فقد وفر اليهود والمسلمون الأسس العقلانية للحضارة الغربية، من وجهة نظرهم، ولم يتم إضفاء الإثارة الرسيّة على «الآخرين» بأي حال من الأحوال». فهذه الأفكار تؤكد -بعض الشيء- أن هناك حراكا بين المستشرقين اليهود يختلف إلى حدّ ما عمّا ألفناه من تشدد وتهويل لمسألة التأثير التوراتي في الإسلام والقرآن وحياة رسول الله ﷺ وشخصيته.





المصادر العربية:

القرآن الكريم.

* الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي ت ١٢٧٠هـ.

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ب. ط، ب. ت.

* الآلوسي: محمود شكري البغدادي (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م).

* بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تصحيح: محمد بهجة الأثري، ط ٣، مصر، ١٣٤٢هـ.

* الأمل: حيدر المتجلي (٧٢٠-٧٨٢هـ).

* المحيط الأعظم والبحر الخضم، تح: محسن التبريزي، قم، ١٤٢٨هـ.

* ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠هـ.

* أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: خليل مأمون، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١م.

* الكامل في التاريخ: دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

* ابن إسحاق: محمد ت ١٥١هـ.

* السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، ط ١، دار الفكر، ب. مكا، ١٩٧٨م.

* إسماعيل: حيدر.

* آباء النبي محمد (ﷺ) من آدم إلى عبد الله (سيرة مختصرة ورد شبهات)، ط ١، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ٢٠١٢.

* البحراني: السيد هاشم التوبلي الموسوي ت ١١٠٧هـ.

* البرهان في تفسير القرآن، تح: قسم الدراسات

الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ب. ت.

* حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار، تح: غلام رضا البحراني، ط ١، بهمن، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، إيران، ١٤١١هـ.

* غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام، تح: علي عاشور، قم، ١٤٢١.

* البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ.

* التاريخ الصغير، تح: محمود ابراهيم، ط ١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

* صحيح البخاري، مط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

* البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد الفراء ت ٥١٠هـ.

* معالم التنزيل: تح: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، ب. ت.

* البكري: أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ.

* معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تح: مصطفى السقا، ط ٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.

* البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ.

* أنساب الأشراف، تح: محمد باقر المحمودي، ط ١، مؤسسة النشر الأعلمي، بيروت، ١٣٩٤هـ.

* البلخي: أبو زيد أحمد بن سهل ت ٣٢٢هـ.

* البدء والتاريخ، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.



- * البيروني، أبو ریحان محمد بن أحمد البيروني ت ٤٤٠هـ.
- * الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق وتعليق: برويز أذكائي
- * البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد ت ٦٨٢هـ.
- * التفسير: دار الفكر، بيروت، ب. ت.
- * البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين
- * دلائل النبوة، وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه: عبد المعطي قلنجي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥ م.
- * الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى ت ٢٧٩هـ.
- * السنن، (الجامع الصحيح)، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، ب. ط، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- * ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥١٠-٥٩٧هـ).
- * زاد المسير في علم التفسير، تح: محمد بن عبد الرحمن، ط ١، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- * المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥. الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣/ ١٠٠٣ م).
- * الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧ م.
- * الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٣٢١-٤٠٥هـ).
- * المستدرك على الصحيحين، تح: يوسف المرعشي، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- * ابن أبي الحديد: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٥٨٧-٦٥٦هـ).
- * شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل، ط ١، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٧ م.
- * الحلبي: علي بن برهان الدين ت ١٠٤٤هـ.
- * السيرة الحلبية، ب. ط، دار إحياء التراث العربي، الناشر: المكتبة الإسلامية، بيروت، ب. ت.
- * ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد ت ٢٤١هـ.
- * العلل ومعرفة الرجال، تح: وصي الله بن محمود عباس، ط ١، المكتب الإسلامي، دار الخاني، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- * مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، ب. ت.
- * الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣هـ.
- * تاريخ بغداد، تح: مصطفى عبد القادر، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥.
- * الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (ط. الرسالة).
- * الكفاية في علم الرواية، ط. الكتب الحديثة.
- * الذهبي: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ.
- * تاريخ الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧ م.
- * تلخيص المستدرك على الصحيحين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠ م.
- * الزبيدي: محمد مرتضى ت ١٢٠٥هـ.
- * تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ب. ت.

* ابن زكريا: أبو الحسين أحمد بن فارس
ت ٣٩٥هـ.

* سيرة النبي المختصرة، ط١، تحقيق: محمد كمال
الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
* ابن سعد: محمد ت ٢٣٠هـ.

* الطبقات الكبرى، ب. ط، دار صادر، بيروت، ب. ت.
* السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد
الله (٥٠١ - ٥٨١هـ).
* الروض الأنف في شرح السيرة النبوية،
تح: مجدي منصور، ط١، دار الكتب العلمية،
بيروت، ١٩٩٧.

* ابن سيد الناس: محمد بن عبد الله بن
يحيى (٦٧١ - ٧٣٤هـ).
* عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير،
مؤسسة عز الدين، ب. ط، بيروت، ١٩٨٦.
* السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن
ت ٩١١هـ.

* كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب
المعروف بالخصائص الكبرى، دار الكتاب
العربي، ١٣٢٠هـ.
* الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط١، دار
المعرفة، جدة، ١٣٦٥هـ.

* ابن شبة: أبو زيد عمر (١٧٣ - ٢٦٢هـ).
* تاريخ المدينة المنورة، تح: فهد محمد شلتوت،
مطبعة القدس، دار الفكر، قم، ١٤١٠هـ.
* ابن شهر آشوب: محمد بن علي ت ٥٨٨هـ.
* معالم العلماء، ب. ط، مط، قم، ب. ت.
* مناقب آل أبي طالب، تح: لجنة في النجف،
النجف، ١٣٧٦هـ.

* ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد الكوفي
ت ٢٣٥هـ.
* مصنف بن أبي شيبة في الأحاديث والآثار،
تح: سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر، ب.
مكا، ١٤٠٩هـ.
* الصالح الشامي: محمد بن يوسف ت ٩٤٢هـ.
* سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد،
تح: عادل أحمد، وعلي محمد، ط١، دار الكتب
العلمية، بيروت، ١٩٩٣.
* الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن
بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ.
* الأمالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١،
مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧.

* التوحيد، تح: هاشم الحسيني، قم، ١٣٨٧هـ.
* الخصال، تح: علي أكبر غفاري، منشورات
جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٣هـ.
* علل الشرائع، المطبعة الحيدرية، المكتبة
الحيدرية، النجف، ١٩٩٦م.
* عيون أخبار الرضا عليه السلام، تح: حسين الأعلمي،
ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤هـ.
* فضائل الأشهر الثلاثة (رجب، شعبان،
رمضان)، ط٢، تحقيق: ميرزا غلام رضا
عرفانيان، دار المحجة البيضاء - دار الرسول
الأكرم صلى الله عليه وآله، بيروت، ١٩٩٢هـ.
* كمال الدين وتمام النعمة، صححه: علي أكبر
غفاري، ب. ط، مؤسسة النشر الإسلامي، قم،
١٤٠٥هـ.
* الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن
ت ٥٤٨هـ.

- * إعلام الوري بأعلام الهدى، ط ١، ستارة، قم، ١٤١٧هـ.
- * مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: لجنة من العلماء، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٥هـ.
- * الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، ٣١٠هـ.
- * تاريخ الرسل والملوك، راجعه: صدقي جميل العطار، ط ٢، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.
- * جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- * الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن، ٤٦٠هـ.
- * الأمالي، تح: علي أكبر غفاري - بهراد جعفري، ب. ط، دار الإسلامية، طهران، ١٣٨٠هـ.
- * التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب العاملي، ط ١، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ.
- * تهذيب الأحكام، تح: حسين الخرسان، تصحيح: محمد الأخوندي، ط ٤، مطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٦٥هـ.
- * العياشي: أبو النصر محمد بن مسعود بن عياش السلمي، ٣٢٠هـ.
- * التفسير، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ب. ط، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ب. ت.
- * أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين، ٧٣٢هـ.
- * المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، ب. ت.
- * فرات الكوفي: أبو القاسم فرات بن إبراهيم، ٣٥٢هـ.
- * التفسير، تح: محمد الكاظم، ط ١، المطبعة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ١٩٩٠م.
- * الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، ١٠٠-١٧٥هـ.
- * العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، ط ٢، ١٤٠٩هـ.
- * القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ٦٧١هـ.
- * الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- * القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم، ٣٢٩هـ.
- * تفسير القمي، صححه: طيب الجزائري، ط ٣، مؤسسة دار الكتاب، قم، ١٤٠٤هـ.
- * ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، ٧٦٤هـ.
- * البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط ١، بيروت، ١٩٨٨م.
- * تفسير القرآن العظيم، ب. ط، ب. مط، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ.
- * السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، ط ١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١م.
- * الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي، ٣٢٨/٩٢٩هـ.
- * الأصول من الكافي، صححه وعلق عليه: علي أكبر غفاري، ط ٣، مطبعة الحيدري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ.
- * المجلسي: محمد باقر، ١١١١هـ.

المصادر الأجنبية

- * Friedmann, Yohanan (1986). "Finality of Prophethood in Sunni Islam." *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*. 7: 177-215.
- * Dictionary of Islam. Oxford: Oxford University Press. p. 171. Khatam al-Nabiyyin: Seal of the prophets. Phrase occurs in Quran. 33:40
- * Mir, Mustansir (1987). "Seal of the Prophets, The." *Dictionary of Qur'ānic Terms and Concepts*. New York: Garland Publishing. p. 171
- * Hughes, Thomas Patrick (1885). "KHĀTIMU 'N-NABĪYĪN". *A Dictionary of Islam: Being a Cyclopædia of the Doctrines, Rites, Ceremonies, and Customs, Together with the Technical and Theological Terms, of the Muhammadan Religion*. London: W. H. Allen. p. 270. (خاتم النبيين) KHĀTIMU 'N-NABĪYĪN. "The seal of the Prophets."
- * Goldziher, Ignác (1981). "Sects". *Introduction to Islamic Theology and Law*. Translated by Andras and Ruth Hamori from the German *Vorlesungen über den Islam* (1910). Princeton, New Jer-
- * بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣ م.
- * المرزوقي: أبو علي أحمد بن محمد الأصفهاني ت ٤٢١ هـ.
- * الأزمنة والأمكنة، ضبطه: خليل المنصور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦ م.
- * المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦ هـ.
- * مروج الذهب ومعادن الجوهر، ب. ط، ب. مكاء، ب. ت.
- * ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ.
- * لسان العرب، ط ١، دار إحياء التراث العربي، نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥ هـ.
- * ابن النديم: محمد بن إسحاق (ت مطلع ق ٥ هـ).
- * كتاب الفهرست، تح: رضا تجدد، ب. ط، ب. مط، ب. ت.
- * ابن هشام: عبد الملك ت ٢١٨ هـ.
- * السيرة النبوية، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، محمد علي صبيح، مصر، ١٩٦٣.
- * اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ت ٢٩٢ هـ.
- * التاريخ، دار صادر، بيروت، ب. ت.

- * Speyer, Heinrich(1931). Die Biblischen Erzählungen im Qoran(in German). Berlin. pp. 422-423. Cited by Friedmann.
- * Rubin, Uri(2014). "The Seal of the Prophets and the Finality of Prophecy". Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft. 164(1): 65-96.
- * Madelung, Wilferd(1997). The succession to Muhammad: a study of the early Caliphate. Cambridge: Cambridge University Press. p. 17.
- * Madelung, Wilferd(2014). "Social Legislation in Surat al-Ahzab". The Institute of Ismaili Studies. Archived from the original on 12 October 2014. An edited version of an article that originally appeared in the Proceedings of the 25th Congress of L'Union Européenne des Arabisants et Islamisants in 2013.
- * Ernst, Carl W.(2003). Following Muhammad: Rethinking Islam in the Contemporary World. Chapel Hill: University of North Carolina Press. p. 80.
- * Powers, David S.(2009). Muḥammad is Not the Father of
- sey: Princeton University Press. pp. 220-221.
- * Martin, Richard C., ed.(2004). "Ali". Encyclopedia of Islam and the Muslim World. 1. New York: Macmillan. p. 37.
- * Yasin, R. Cecep Lukan(18 February 2010). "The Twelver Shi'i Understanding on the Finality of Prophethood".
- * Esposito, John L., ed.(2003). "Khatam al-Nabiyyin". The Oxford Dictionary of Islam. Oxford: Oxford University Press. p. 171. Khatam al-Nabiyyin: Seal of the prophets. Phrase occurs in Quran 33:40.
- * Elder, E.E.(1933). "Al-Ṭaḥāwī's 'Bayān al-Sunna wa'l-Jamā'a'". The Macdonald Presentation Volume. Princeton University Press: 129-144.
- * Hirschfeld, Hartwig(1886). Beiträge zur Erklärung des Ḳorān(in German). Leipzig. p. 71.
- * Buhl, F. "Muhammad". Encyclopedia of Islam. p. 650a.
- * Horovitz, Josef(1926). Koranische Untersuchungen(in German). Berlin. p. 53.

- * Yohanan Friedmann. Prophecy Continuous: Aspects of Ahmadi Religious Thought and its Medieval Background Oxford University Press, 2003 p 119-46
- * "Finality of Prophethood | Hadhrat Muhammad(PUBH) the Last Prophet". Ahmadiyya Muslim Community.
- * The Question of Finality of Prophethood, The Promised Mehdi and Messia, by Dr. Aziz Ahmad Chaudhry, Islam International Publications Limited
- * Andrea Lathan Andrea Lathan' (2008)The Relativity of Categorizing in the Context of the Ahmadiyya' Die Welt des Islams. 48(3/4): p.378
- * G. Böwering et al.(2013) The Princeton Encyclopedia of Islamic Political Thought, Princeton: Princeton University Press, p.25.
- * Bausani ,Alessandro .1988 .Il Corano .Milano :RCS editore.
- * Bobzin ,Hartmut .2011 .The Seal of the Prophets :Towards an understanding of Muhammad's prophethood .In The Qur'an in Any of Your Men: The Making of the Last Prophet. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- * Hawting, G.R.(1 February 2011). "Muhammad Is Not the Father of Any of Your Men: The Making of the Last Prophet". Islamic Law and Society. 18(1): 116-119.
- * NA Passes Historic Resolution To Write 'Khatam-Un-Nabiyyin' With Prophet Muhammad's(PBUH) Name". Parhlo. 23 June 2020. Retrieved 24 June 2020.
- * Samar, Azim(16 June 2020). "Sindh Assembly passes unanimous resolution". The News. Archived from the original on 16 June 2020. Retrieved 24 June 2020.
- * Mehmood, Shahid(15 June 2020). "Sindh Assembly unanimously passes resolution to make it mandatory to write Khatam-un-Nabiyyin with Hazrat Muhammad(PBUH)".
- * Stremlau, Nicole. "Governance without Government in the Somali territories." Journal of International Affairs 71.2(2018): 73-89.



to the Renaissance. Herndon: The International Institute of Islamic Thought.

* Evstatiev, Simeon. 2002. On the Perception of Khatam al-Nabiyin doctrine in Arabic Historical Thought: Confirmation or Finality. In

* Studies in Arabic and Islam, Orientalia Lovaniensia Analecta. Leuven: Peeters, pp.455-68.

* Friedmann, Yohanan. 1986. Finality of Prophethood in Sunni Islam. Jerusalem Studies in Arabic and Islam. 178-215 :7

* Friedmann, Yohanan. 1989. Prophecy Continuous. Aspects of Ahmadi Religious Thought and Its Medieval Religious Background. Berkeley University of California Press.

* Goldziher, Ignaz. 1971. Muslim Studies. London: George Allen & Unwin Ltd.

* Guillaume, Alfred. 1955. The Life of Muhammad. Oxford: Oxford University Press.

* Haight, Roger. 1999. Jesus Symbol of God. New York: Orbis Book.

* Haleem, M. A. S. Abdel. 2001.

Context. Edited by Angela Newirth, Nicolai Sinai and M. Marx. Leiden: Brill, pp.565-83.

* Brockelmann, Carl. 1948. History of the Islamic Peoples. London: Routledge and Kegan Publishers.

* Burton, John. 1977. The Collection of the Qur'an. Cambridge: Cambridge University Press.

* Cheema, A. Waqar. 2013. Scholars on the meaning of Khatam an-Nabiyyin in. Journal of Islamic Sciences 1: 24-45.

* D'Ancona, Cristina. 2005. Storia della Filosofia nell'Islam Medioevale. Torino: Giulio Einaudi Editore.

* Donner, Fred. 1981. The Early Islamic Conquests. Princeton: Princeton University Press.

* Donner, Fred. 1998. Narrative of Islamic Origins: The beginnings of Islamic Historical Writings. Princeton: The Darwin Press.

* Esposito, John. 2005. Islam: The Straight Path. Oxford: Oxford University Press.

* Essa, Ahmed, and Othman Ali. 2016. Studies in the Islamic Civilization. The Muslim Contribution



ing Group.

* Lings ,Martin .2004 .Il Profeta Muhammad .La sua vita Secondo le Fonti più Antiche .Torino :Il Leone Verde.

* Madelung ,Wilferd .1997 .The Succession to Muhammad .A Study of the Early Caliphate .Cambridge :Cambridge University Press.

* Morrow ,John A .2019 .The Covenants of the Prophet and the Subject of Succession .Religions .593 :10CrossRef

* Motzki ,Harald .2001 .The Collection of the Qur'an :A reconsideration of views in light of recent Methodological Developments. Der Islam.1-34 :78 .

* Ouardi ,Hela .2016 .Les Derniers Jours de Muhammad .Paris :Albin Michel.

* Parrinder ,Geoffrey .2014 .Jesus in the Qur'an .Oxford :Oneworld Publications.

* Power ,David S .2011 .Muhammad is not the Father of any of your Men .The Making of the Last Prophet .Philadelphia :University

Understanding the Qur'an .London :I.B .Tauris.

* Hallaq ,Wael B .1997 .A History of Islamic Legal Theories .Cambridge :Cambridge University Press.

* Hodgson ,G .S .Marshall.1974 . The Venture of Islam .Conscience and History in a World Civilization. Chicago :Chicago University Press.

* Khalidi ,Tarif .2001 .The Muslim Jesus :Sayings and Stories in Islamic Literature .Cambridge :Harvard University Press.

* Kister ,M .J .1993 .The Sons of Khadija .Jerusalem Studies in Arabic and Islam.59-95 :16

* Kung ,Hans .1994 .Das Christentum .Munchen :Piper Verlag GmbH.

* Landau-Tasseron ,Ella.2003 . Adoption ,acknowledgement of paternity and false genealogical claims in Arabian and Islamic Society.Bulletin of Soas.169-92 :66 CrossRef

* Leirvik ,Oddbjorn .2010 .Images of Jesus Christ in Islam .London: Continuum International Publish-



- * DAVID S .POWERS Muhammad is Not the Father of Any of Your Men :The Making of the Last Prophet .Philadelphia.2009
- * N .ROBINSON :Discovering the Qur'an :A Contemporary Approach to a Veiled Text .Washington ،22003 pp.69-70 .
- * E .LANDAU-TASSERO"NA:doption ،Acknowledgement of Paternity and False
- * Genealogical Claims in Arabian and Islamic Societies “.In :BSOAS ،(2003)66P:169 :
- * G .S .REYNOLDS :The Qur'an and its Biblical Sub text .London/ New York
- * 2010,pp.208-214.
- * H .BOBZ1N':"The Seal of the Prophets :‘Towards an Understanding of Muhammad’s Prophethood “.In :A .NEUWIRTH/N-51.
- * M.MARX eds:The Qur’iin in Context :Historical and Literary Investigations into the qur’dnic Milieu. Leiden2010 ،pp.576-577 .
- * U .RUBIN :Between Bible and Qur'an :the Children of Israel and the Islamic Self-Image .Princeton of Pennsylvania Press.
- * Rubin ،Uri .2010 .Muhammad’s message in Mecca :Warnings، signs and miracles .In The Cambridge Companion to Muhammad. Edited by Jonathan E .Brockopp. Cambridge :Cambridge University Press ،pp.39-60 .
- * Rubin ،Uri .2014 .The Seal of the Prophets and the Finality of Prophecy .On the Interpretation of the Qur’anic Surat al-Ahzab.(33) Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft 164: 65-96.
- * Sangaré، T. Youssouf. 2018. Le Scellement de la Prophétie en Islam: Khatm al-Nubuwwa. Paris: Geuthner.
- * Schoeler، Gregor. 2011. The Codification of the Qur'an: A comment on the hypotheses of Burton and Wansbrough. In The Qur'an in Context .Edited by Angela Newirth ،Nicolai Sinai and Michael Marx .Leiden :Brill ،pp.779-94 .
- * Sinai ،Nicolai .2017 .The Qur'an :A Historical-Critical Introduction .Edinburgh :Edinburgh University Press.
- * Wensinck ،A .Jan” .1995 .Rasul،“ E.I .Leiden :Brill ،vol.8 .

- ،1986pp ;118-119،26-28 .U RUBIN: N،1999 ..pp.168-169 .
- "Prophets and Caliphs :the Biblical Foundations of the Umayyad Authority " .In :H .BERG)ed :(.Method and Theology in the Study of Islamic origins .Leiden،2003 pp.88-90 .
- * G .G .STROUMSA":Seal of the Prophets :the Nature of a Manichaeian Metaphor " .In :Jerusalem Studies in Arabic and Islam ،(1986)7Pl.61-74.69-70 :'
- * C .COLPE :Das Siegel der Propheten .Berlin،1990 pp .227-243 .p.52 .
- * G.D .DUNN :Tertullian .London ،2004p83 .Adversus Judaeos ،VIII، pp.12-14 .Tertullian is quoted in E.E .URBACH":Matay pasqah ha-nebu'ah?When did prophethood cease " .?In :Tarbiz،(1946)17 p.10 .
- * R .W .THOMSON :Athanasius .Oxford،1971 pp231-233 .De Incarnatione .40 .Athanasius is quoted already in URBACH،1946 p.10 .
- * J .NEUSNER :Aphrahat and Judaism :The Christian-Jewish Argument in Fourth-Century Iran .Leiden،1971 p.9519:11 .
- * A .A .AMBROS :A Concise Dictionary of Koranic Arabic .Wiesbaden،2004 P.83 :
- * A .JEFFERY :The Foreign Vocabulary of the Qur'an .Baroda،1938 p.121 .
- * Y.FRIEDMAN"Finality of Prophethood in Sunni Islam " .In Jerusalem Studies in Arabic and Islam،(1986)7 pp .177-215 .See also IDEM:Prophecy Continuous :Aspects of Abmadz Religious Thought and its Medieval Background .Berkeley1989،pp49- .93
- * G .HAWTINGR view of Powers .In :Islamic Law and Society ،(2011)18p118 .
- * C .CANNUYER" :Mariya ،la concubine copte de Muhammad ،realite ou my the " ?In :Acta Orientalia Belgica ،(2008)21 p.253 .
- * L .HALEVY :Mwammad's Grave: Death Rites and the Making of Islamic Society .New York،2007 P.134 :
- * P .CRONE.1 M .HINDS :God's Caliph :Religious Authority in the First Centuries of Islam .Cambridge

you.) If you are guided, then to God is your return, all of you, and He will inform you of what you used to do. (Al-Ma'idah: 105), and the noble verse: (And if they deny you, then say, "For me is my deed, and for you is your deed. You are innocent of what I do, and I am innocent of what you do.") (Yunus: 41), and His saying, the Most High: (And if your Lord had willed, all those on earth would have believed. So, [O Muhammad], would you compel the people to become believers?) (Yunus: 99)

In light of all this divine, tolerant, and realistic knowledge, we see the Jews—and the Jews of Medina in particular—isolating themselves, clinging to their own opinion and their hateful view of the Islamic call and of the Messenger of God (peace and blessings be upon him and his family), insisting on not recognizing his prophethood, despite the provisions of the document that the Messenger of God established as a framework and path for building bridges of religious freedom.



between one religion and another, and He concluded the religions with Muhammad, peace and blessings be upon him and his family, the Seal of the Prophets. This religious belief is universal, without discrimination or prejudice. These verses, and others concerning religions mentioned in the Holy Quran, clearly demonstrate the immense importance of this knowledge in the field of calling to God (the Exalted and Glorified).

In contrast, the Holy Quran speaks on behalf of God Almighty of a progressive principle: freedom of religion, based on a sound and universal foundation. In the Holy Quran, there are verses that indicate freedom of belief and freedom of choice. For example, God Almighty says: "For you is your religion, and for me is my religion" (Al-Kafirun 6), meaning, "You have your polytheism, and I have my monotheism." This is a fundamental principle of religious freedom without coercion or superiority. God Almighty also says: "Say, 'O mankind, the truth has come to you from your Lord. So whoever is guided is only guided for [the benefit of] himself. And whoever goes astray only goes astray [to his own detriment]. And I am not over you a manager'" (Yunus 108). There are other verses as well, such as the noble verse: "And say, 'The truth is from your Lord, so whoever wills So let him believe, and whoever wills, let him disbelieve. (Al-Kahf: 29) And the verse: (For each of you We have appointed a law and a way. Had Allah willed, He would have made you one community, but [He intended] to test you in what He has given you; so race to [all that is] good. To Allah is your return all together, and He will inform you concerning that over which you used to differ.) (Al-Ma'idah: 48) And the noble verse: (O you who have believed, upon you is [responsibility for] yourselves. Those who disbelieve will not harm



The Holy Quran consistently proclaims, through its noble verses, the principle of interfaith dialogue among the existing religions of that time, making no distinction between one religion and another, or between one messenger or prophet and another. God Almighty says: "Indeed, those who believed and those who were Jews and the Christians and the Sabeans - those who believed in God and the Last Day and did righteousness - will have their reward with their Lord, and there will be no fear concerning them, nor will they grieve." (Al-Baqarah: 62). And He, the Most High, says: "You will surely find the most intense of the people in animosity toward the believers to be the Jews and those who associate others with God." And you will surely find the nearest of them in affection to the believers those who say, "We are Christians." That is because among them are priests and monks and because they are not arrogant. And when they hear what has been revealed to the Messenger, you see their eyes overflowing with tears because of what they have recognized of the truth. They say, "Our Lord, we have believed, so register us among the witnesses. And why should we not believe in God and what has come to us of the truth and hope for a better future?" That our Lord may admit us with the righteous people (Al-Ma'idah: 82-84). And He, the Exalted, said: (Indeed, those who believed and those who were Jews and the Sabeans and the Christians and the Magians and those who associated others with Allah - indeed, Allah will judge between them on the Day of Resurrection. Indeed, Allah is, over all things, Witness) (Al-Hajj: 17). And in Surah Yusuf: (O two companions of the prison, are separate lords better or Allah, the One, the Prevailing?) (Yusuf: 39). So the religions All religions ultimately return to God, the One, the Almighty. He made no distinction

Abstract

We must mention an important issue that prompted us to write the chapters of this book, whose title, "Jewish Orientalists and the Biblical Perspective," reflects the significant and prominent influence of the Torah on many aspects of the Prophetic biography, including its impact on the interpretation of the Holy Quran in numerous instances. This raises the question: What have Jewish Orientalists aimed for since the emergence of the idea and concept of Orientalism in the West? We do not deny the dimensions and implications of the concept of influence. Influence is a reality, legitimate, and applied in all social, media, and cultural spheres. However, the issue lies in the exaggerated adoration of the Jewish Orientalist for his book—and I mean his holy book—to be the unparalleled model in its dominant and unique information regarding its relationship to divine will, unlike other holy books. Does this concept stem from a religious unconsciousness that Judaism is the mother of the Abrahamic religions and their religious and doctrinal foundation? Or does it stem from the belief that the Torah is the book under whose influence, principles, and rituals, for example, the Quran should be dominated, even in its prophets, psalms, Talmud, and various books? Does this lead us to diagnose what the Jewish Orientalist—let's say Abraham Geiger—aims for in his unique supremacist belief that takes the form of an icon of God's chosen religion for God's chosen people above all other religions and peoples?! As a researcher in history, I firmly believe this. Otherwise, how can we explain it other than as a case of religious, ideological, and racist chauvinism?! The truth is that it is the philosophy of religious and national minorities, but the matter goes beyond that.

On this basis, the House of the Greatest Messenger (peace and blessings be upon him and his family) is pleased to present this blessed publication to its esteemed readers as part of its series of university theses and dissertations devoted to the study and documentation of the Noble Prophetic Biography in the light of the Holy Qur'an and authentic transmitted reports. The House is committed to publishing these scholarly works in the hope that they will meet with the appreciation and approval of their readers.

Our final prayer is: All praise belongs to Allah, the Lord of all the worlds.



after an interval in prophetic missions. It also advocates freedom of belief and constructive dialogue among the followers of these religions, seeking to foster civilizational harmony that serves both humanity and human civilization, fulfills Allah's will in the cultivation and flourishing of the earth, and promotes peaceful coexistence and mutual acceptance without restricting sacred status to a particular prophet or a single people to the exclusion of others.

These circumstances have motivated Arab and Muslim scholars, together with fair-minded adherents of other faiths, to present an authentic and objective understanding of Islam through balanced and informed readings of the Holy Qur'an and the noble Prophetic biography, while responding to the distorted narratives advanced for the motives outlined above.

As the ideologically driven intellectual and civilizational conflict between Islam and the West—and with all those who espouse hostile attitudes toward Islam and Muslims—continues to evolve, the need remains for serious and rigorous academic research capable of examining, analyzing, critiquing, and refuting ecclesiastical, biblical, and Orientalist claims. Such scholarship seeks to demonstrate the divine origin of the Holy Qur'an as the revealed Word of Allah sent down to His Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him and his family), to affirm that Muhammad is the final prophet in the succession of messengers sent as a mercy to all humankind, and to purify his noble biography from the distortions and fabrications that have attached themselves to it by evaluating historical reports in light of the clear verses of the Holy Qur'an.

Islam and its Noble Prophet. Moreover, these translators presented inaccurate portrayals that misled Orientalists who lacked proficiency in Arabic and therefore relied on Latin and Western translations. As a result, many fell into the misconceptions perpetuated by these translations—a fact later recognized by scholars dedicated to the objective study of Islam.

Orientalists influenced by ideological, religious, racial, and civilizational biases, much like others affiliated with Christian and Jewish institutions, produced studies questioning the divine origin of the Holy Qur'an and claiming that it was authored by Muhammad himself. They further asserted that Jewish influences played a decisive role in the formation of a number of Qur'anic concepts and narratives. In addition, they maintained that Judaism constitutes the original revealed religion, that the Torah is its sacred scripture and the source of all subsequent revelations, and that Judaism represents God's chosen religion for His chosen people, namely the Jews.

In contrast, the Qur'anic worldview affirms the unity of all revealed religions, maintaining that their common source is Almighty Allah. It proclaims that the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him and his family) is the Seal of the Prophets and the inheritor of their

prophetic mission, and that his message completes the succession of previous revelations, all of which are founded upon the call to the pure worship and oneness of Allah.

Islam is distinguished by its acknowledgment of the revealed religions preceding it, by affirming the brotherhood of all prophets and messengers (peace be upon them), and by recognizing that Muhammad (peace and blessings be upon him and his family) was sent

The word Al Dar

In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful.

All praise is due to Allah, Who ordained Islam and made its laws accessible to those who embrace them, strengthened its foundations against those who opposed them, and made it a source of security for those who adhere to it, a path to peace for those who enter it, a proof for those who proclaim it, a testimony for those who defend it, and a light for those who seek guidance through it. May peace and blessings be upon His Prophet, who was sent as a mercy to all humankind, and upon his pure and immaculate Household.

Thereafter:

The Glorious Qur'an and the life of the Noble Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him and his family) constitute the very foundation upon which the Islamic call (da'wah) was established. From them emerged the various branches of Islamic scholarship that later became the intellectual foundations distinguishing Islamic thought. Consequently, both have long remained—and continue to remain—the target of attacks by religious zealots among Christian and Jewish clergy, as well as by a number of Orientalists who adopted the study of the Arabic language and early Islamic heritage as a means to cast doubt upon the Holy Qur'an, the person of the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him and his family), and everything associated with him.

The Holy Qur'an has been translated by minds and pens that, whether deliberately or inadvertently, distorted its meanings with the aim of influencing the collective consciousness of Western audiences in particular and non-Muslims in general. Such efforts served ecclesiastical, biblical, and political motives intended to undermine



**REFUTING THE BIBLICAL CLAIMS
OF JEWISH ORIENTALISTS**

**REGARDING THE PURE
PROPHETIC BIOGRAPHY**

PROF. DR. ABDUL JABBAR NAJI AL-YASIRI

1448 A. H. 2026 A. C.